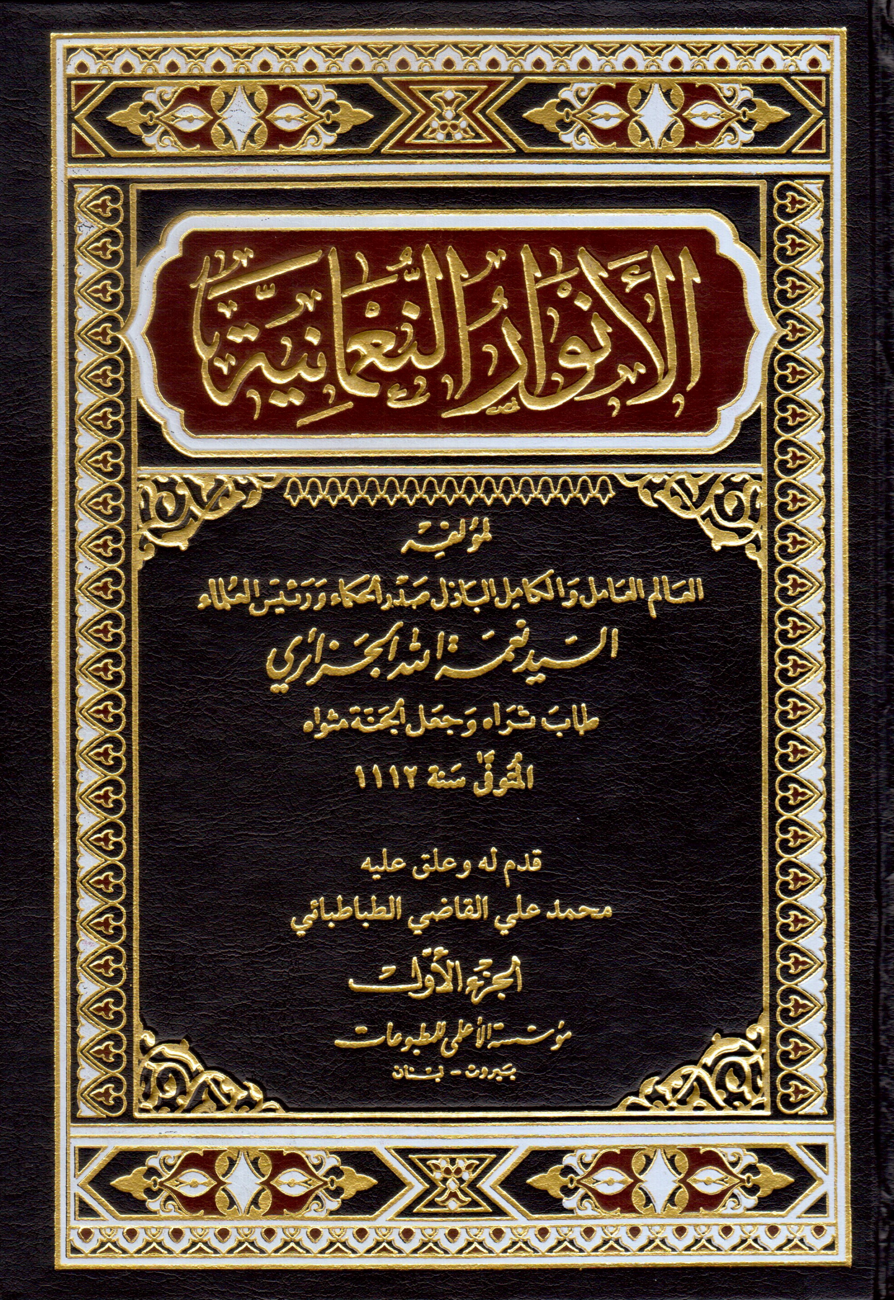

الأنوار النعمانية
لمؤلفه
العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء
السيد نعمة الله الجزائري
طاب ثراه وجعل الجنة مثواه
المتوفى سنة ١١١٢
قدم له وعلق عليه
محمد علي القاضي الطباطبائي
الجزء الأول
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان


الأنوار النعمانية
١

بسم الله الرحمن الرحيم



لمؤلفه

العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء

السيد نعمة الله الجزائري

طاب ثراه وجعل الجنة مثواه

المتوفى سنة ١١١٢

تدم له وعلق عليه

محمد علي القاضي الطباطبائي

الجزء الأول

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى المصححة

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - مفرق حارة حريك
قرب سنتر زعرور
هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧



Beirut Airport Road
Tel: 01/450426 Fax: 01/450427
E-mail: alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا خاتم رسل الله وآله الطيّبين الطّاهرين خلفاء الله.

تمهيد

مضت القرون والأجيال وانصرمت السّنون والأعوام منذ عصر أئمّتنا الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين إلى يومنا هذا ولا يزال علماؤنا الإماميّة وأبطال العلوم الإسلاميّة قاموا بجهادهم الديني ونضالهم المذهبيّ ونبغ منهم أفذاذٌ وفطاحل تحمّلوا المشاقّ في هذا السبيل ونهض جهابذة سهروا ليلهم في خدمة الدين وبثّ العلم ونشره ونهضوا بأعباء الجهاد المتواصل والنّضال الدائم وفي كلّ عصر وجيل أدّوا رسالتهم وقاموا بواجبهم الدينيّ بالبيان والبنان وبالأقلام واللسان وخدموا العلم والدين بنشر المؤلّفات النّفيسة والآثار الخالدة وألّفوا في مختلف العلوم الإسلاميّة وجمعوا أحاديث أهل العصمة والطّهارة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وأولو الأمر الّذين أوجب الله علينا طاعتهم وفرض علينا مودّتهم صلوات الله عليهم.

وأشرقت آثارهم القيّمة في أفق المجد والشرف كالشموس الطالعة سطعت مصنّفاتهم النافعة وأثمارهم اليانعة في سماء السُّؤدد والعلم كالنجوم الزاهرة ولأجل ذلك فضّل صاحب الرّسالة المقدّسة والحائز لمرتبة الخاتميّة والولاية المطلقة مدادهم على دماء الشّهداء وجعلهم ورثة للأنبياء فجزاهم الله عن دينه ونبيّه خير الجزاء وجعل مساعيهم المشكورة وجهودهم الجبارة في أعلى علّيّين وحشرهم مع النبيّين والشّهداء والصّدّيقين وحسن أولئك رفيقاً.

وممّن نبغ من أولئك الفطاحل واشتهر بدراسة العلوم في مختلف المراحل وصنّف في الحديث والعربيّة والآداب وشرح الأحاديث الشّريفة وأصبحت مؤلّفاته

نافعة من شتّى النّواحي وحظيت بالقبول في المجتمع العلمي وتلقتها الأوساط العلميّة بكلّ شغف وتقدير وتداولتها أندية العلم والدّين بكل إكبار وإعجاب.

هو السيّد السند المحدّث الجليل النبيل والعلاّمة الكبير السيّد نعمة الله الموسويّ الجزائريّ التستريّ.

وقد طبقت شهرته عالم التشيّع وملأ دويّه الأسماع وأذعن الكلّ بتبحّره وانقادوا لفخامته وأكثر رحمه الله من المصنّفات النّافعة وخلّد ذكره بالتآليف الشائعة ولا سيّما بعض آثاره أخذ بمجامع القلوب وازدلفت رواد العلم وطلاّب الفضيلة نحو مطالعته والأخذ من أثماره لكثرة فوائده وزيادة عوائده وهو تأليفه النّفيس القيّم (الأنوار النعمانيّة في بيان معرفة النشأة الإنسانيّة) وهو هذا الكتاب الممتع الّذي سيمثل للطبع بحلّة رائعة وطبعة أنيقة باهتمام مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

نسب المؤلّف ومولده

هو السيّد نعمة الله بن عبد الله بن محمد بن حسين بن أحمد بن محمود بن غياث الدّين بن مجد الدّين بن نور الدّين بن سعد الدّين بن عيسى بن موسى بن عبد الله ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام ولد رحمه الله في سنة (١٠٥٠) في قرية الصّباغية من قرى الجزائر.

حياته ونشاته

لا يخفى على القارىء الكريم، أنّ السيّد المترجم له كتب ترجمة نفسه في خاتمة هذا الكتاب الّذي بين يديه ولذلك لا نتعرض لتاريخ حياته إلاّ بنزر يسير ونقول:

إنّه ممّن تحمّل المشقّات الكادحة في سبيل تحصيل العلوم ودراسة الفنون ولا سيّما في أوائل أيّامه وهو مكبّ على الاشتغال بالعلم وجادّ في تحصيله حتى إنّه لم يكن له قدرة مادّية في اللّيالي على تهيئة دهن السّراج للمطالعة ومهما بلغت به الحال من الشدّة القاسية فتراه جاداً في كتابته دائباً في عمله مستمرّاً في خطته ساعياً في تحصيل ضالّته المنشودة وبغيته المأمولة.

لم يوجد فتور في همّته العالية وأخذ يستسقي من نمير العلوم الصافية ومنهلها العذب وأقبل على الارتشاف من بحار الأخبار المرويّة عن العترة الطاهرة عليهم السلام ولا يأخذه في سبيل الرقي إلى درجات الإنسانية والكمالات النفسانيّة تلك الأحوال

الحرجة وتلك الرّزايا والمحن والظروف السود فحضر منذ نعومة أظفاره أندية العلم وحلقات التّدريس وجدّ واجتهد حتّى بلغ إلى الذروة العليا والدرجة القصوى.

وصار من أكابر علماء الشيعة ومحدثي الإماميّة ولكنّه سلك في استنباط الأحكام الشرعيّة طريقة الأخباريين ومشى سبيل المحدّثين وترك طريقة الفقهاء الأصوليّين الذين هم في الشرعة المثلى والطريقة الوسطى. ومع ذلك كان حامياً لهم ودافعاً عنهم بكل قواه وهذا من رشحات الإيمان القويّ في قلب ذلك الأوّاه.

ولا غرو في سلوكه ذلك الطريق إذا لاحظنا تاريخ تلك الأزمنة الغابرة أعني أواخر الدّولة الصفويّة حيث رجع كوكب ذلك العصر الذهبي إلى الأفول وأخذ نجم العلم إلى القفول وغلب على جمع من علماء الإماميّة مشرب الأخباريّين وأخذ الجمود يشتدّ حتى تجاوز الحدّ ونبغ منهم المحدّث الشهير ميرزا محمّد الأخباري النيشابوري[١] وقام بالطعن والتشنيع على علماء الدين وكبراء المذهب وذلك جرأة عظيمة وكبيرة موبقة لا يقدم عليها من كان من أهل التقوى والإيمان إلّا بإغواء الشيطان.

وقد منّ الله تعالى على النّاس في تلك الأدوار والعصور الحالكة بأعلام الأمّة ورجالات الدين وكبار المجتهدين كالأستاذ الأكبر رئيس الشيعة ومحيي الشريعة

(١) هو ميرزا محمّد الأخباري المقتول سنة (١٢٣٢هـ) ابن عبد النبيّ بن عبد الصانع بن محمّد مؤمن بن علي أكبر بن نور الدين علي بن محمّد طاهر بن فضل علي بن شمس الدين محمّد الوزير الجويني المشهور هكذا سرد نسبه في كتابه ضياء المتقين الّذي ألفه لحفيد عمه أحمد بن زين العابدين بن محمّد شفيع بن عبد الصانع، ونسخة ذلك الكتاب موجودة في المكتبة الرضوية في المشهد المقدس من وقف مكتبة (رضوان) التي ادخلت في الرضوية سنة (١٣١١ش) والنسخة ضمن مجموعة مع بعض رسائله الأُخرى كلّها بخط تلميذه الغالي في حقه محمّد رضا بن محمّد جعفر الدواني (١٢٤٣).
قال شيخنا المحقق الأكبر الشيخ آقا بزرك الطهراني دام ظله في كتابه القيم (الذريعة) في حرف الضاد - مخطوط - (وهذه النسخة بخط التلميذ الغالي في حق استاذه مع اشتماله على ذكر النسب المنتهي إلى الجد الأعلى شمس الدين محمّد الوزير الجويني يثبت بها عدم سيادته ولو كان من السادة صرح به هذا التلميذ المجازف بالقول في حقه ولم يغمض عن التوصيف بالسيادة ولم يهمله ولا أقل أنّه لم يكتب تمام النسب نقلاً عن خط المؤلف بل غاية افتخاره بلوغ نسبه إلى الوزير الجويني) هذا تحقيق من شيخنا وأستاذنا المحقق دام ظله حقيق بالقبول فلا يعبأ بادعاء أحفاد الرجل النسب الهاشمي الفاطمي في العراق.

المولى الوحيد البهبهاني ثمّ جاء بعده شيخ الفقهاء ورئيس الإسلام الشيخ الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدّس الله سرهما وأمثالهما من جهابذة العلم والفقه وأفذاذ الفضيلة وصيارفة الكلام فنهضوا يردّون الشبهات بتحقيقاتهم العلميّة وبياناتهم الكافية وينفون عن الدّين تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين وأحيوا ببحوثهم العلميّة وتدقيقاتهم النظريّة الطريقة التي سلكها رؤساء المذهب كالشيخ المفيد والسيّد المرتضى علم الهدى والشيخ الطوسي والمحقق الحلّي والمحقق الطوسي وآية الله العلاّمة الحلّي والمحقق الأردبيلي والشيخ البهائي وأضرابهم رضوان الله عليهم.

ثمّ جاء بعدهم نادرة الدهر مؤسّس الأصول ومشيّد الفروع أستاذ الكلّ الشيخ مرتضى الأنصاري (قدّس سره) فأتى بنظريّات عميقة وآراء سديدة في استنباط الأحكام الشرعيّة وعكف علماء الإماميّة على تحقيقاته وآرائه البديعة إلى يومنا هذا فأسفرت بأبحاثه العلميّة الحقائق الراهنة وانكشفت الحقيقة ولم تبق أيّة شبهة في البين والحمد لله تعالى.

مشايخه وأساتذته في الدراسة والرواية

تلمّذ السيّد الفذّ المؤلّف عند المحقّق الخونساري آقا حسين والعلاّمة العالم الربّاني الفيض الكاشاني والمحقّق السبزواري والعلاّمة ميرزا رفيع الدّين النائيني والسيّد الأجلّ السيّد هاشم البحراني والعلاّمة المجلسي وغيرهم من أعلام الدين وعلماء المذهب.

ويروي عن أستاذه الخونساري والمجلسي وعن الأمير فيض الله الطباطبائي والأمير شرف الدين الحسني الشولستاني وغيرهم وقد أنحاهم المحدّث النوري رحمه الله في خاتمة المستدرك إلى التسعة واختص بأستاذه المجلسي ولازم خدمته في خلواته وجلواته ولم يفارقه ليلاً ولا نهاراً وهو كالوالد البارّ المشفق له وكان ممّن يستعين بهم أستاذه في تأليف بحار الأنوار ومرآة العقول وبعد وفاته رحل إلى الجزائر أعني النواحي والقرى الواقعة في أطراف شطّ العرب.

تآليفه الممتعة

له تأليفات قيّمة في أنواع العلوم الإسلاميّة مشحونة من الفوائد واللّطائف والقضايا والحكايات والنوادر والطرائف والملح تنبئ عن علم جمّ وفضل متدفق

وسعة في الاطلاع ولكن ممّا يؤخذ عليه أنّه يوجد في بعض تصانيفه نقل بعض المطايبات والطرائف والحكايات التي لا تليق بجلالة هذا السيد وتقواه - وهو من علماء الدّين - نقلها وسردها في كتابه لقبحها وبشاعتها وإليك بيان لجملة من تلك المؤلّفات النفيسة:

١ - أُنس الوحيد في شرح التوحيد، شرح على كتاب التوحيد للصدوق رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢ - ألبحور الزاخرة في شرح كلام العترة الطاهرة، شرح على التهذيب للشيخ الطوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣ - جواز العمل بكتب الفقهاء.

٤ - الجواهر الغوالي في شرح غوالي اللآلي.

٥ - حاشية الاستبصار.

٦ - حاشية أمل الآمل.

٧ - حاشية شرح جامي.

٨ - حاشية مغني اللّبيب.

٩ - حاشية نقد الرّجال.

١٠ - حاشية نهج البلاغة.

١١ - رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار.

١٢ - زهر الرّبيع في الطرائف والملح.

١٣ - شرح تهذيب النحو للّشيخ البهائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٤ - شرح الصّحيفة السجّادية.

١٥ - شرح عيون أخبار الرّضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

١٦ - شرح كافية ابن الحاجب.

١٧ - غرائب الأخبار ونوادر الآثار.

١٨ - فوائد النعمانيّة.

١٩ - قصص الأنبياء.

٢٠ - مسكن الشجون في حكم الفرار من الطّاعون.

٢١ - مقامات النجاة في شرح أسماء الله الحسنى - مخطوط لم يطبع حتى اليوم

ونسخة منقولة عن نسخة الأصل توجد في مكتبتنا الشخصيّة وهو كتاب نفيس وسفر جليل.

٢٢ - منبع الحياة في حجيّة قول المجتهدين من الأموات.

٢٣ - هدية المؤمنين في الفقه.

٢٤ - الأنوار النعمانيّة في معرفة النشأة الإنسانيّة، وهذا الكتاب من أشهر مؤلّفاته وقد طبع مراراً.

قال شيخنا البحّاثة المحقّق الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ النجفيّ دام ظلّه في (الذريعة) ج٢ ص ٤٤٦: (الأنوار النعمانيّة في معرفة النشأة الإنسانيّة للمحدث نعمة الله بن عبد الله الموسويّ الجزائريّ التستريّ المولود سنة (١٠٥٠) والمتوفى سنة (١١١٢) أوّله نحمده بنعمته على نعمائه ونصلّي على عبده المقرّب لديه، رتّبه على ثلاثة أبواب (١) في أحوال الإنسان قبل ولادته (٢) في أحواله من الولادة إلى الوفاة (٣) فيما بعد الموت إلى دخول الجنّة أو النار وجعل له خاتمة شرح فيها أحوال نفسه من أوّل ولادته إلى زمن تأليفه وله يومئذ تسع وثلاثون سنة لأنه فرغ منه سنة (١٠٨٩) وقد ألّفه بعد شرحي التهذيب والاستبصار وشحنه بفوائد علميّة وتحقيقات عرفانيّة في مجلّدين طبع سنة ١٣١٢ وترجمته بالفارسيّة للشيخ محمّد تقيّ الأصفهاني أيضاً مطبوعة) وقد برز هذا الكتاب إلى عالم المطبوعات قبل ذلك التاريخ في سنة (١٢٦٩) وبعده في سنة ١٣١٩هـ.

وممّا ينبغي لفت النظر إليه أنّ السيّد المؤلّف لم يذكر غالباً مصدر الروايات التي نقلها في هذا الكتاب وكان الأجدر ذكر المصادر ومستند النقليّات خاصة في الأخبار والروايات بل في القصص والحكايات وغير خفي فوائد ذلك على أهل الفن.

قال المحدّث البحراني رحمه الله في مقدمات الحدائق ص ١٢٦ ج١ ط نجف: (كتاب الأنوار النّعمانية كتاب جليل يشهد بسعة دائرته وكثرة اطلاعه على الأخبار وجودة تبحّره في العلوم والآثار).

وفاته

توفّي رحمه الله في قرية (جايدر) ليلة الجمعة الثالثة والعشرين من شهر شوّال سنة (١١١٢هـ) بعد وفاة شيخه المجلسيّ بسنتين تقريباً فما في خاتمة المستدرك للمحدّث النوري ص (٤٠٤) من أنّه ولد في تلك السنة اشتباه من الناسخ ويشهد له أنّه ذكر في ص (٤٠٧) أنّ سنّ السيّد المترجم له كان في سنة (١٠٥٢هـ) سنتين وكذا ما في

روضات الجنّات ص (٧٥٩) الطبعة الأولى من أنّه ولد في حدود سنة (١١٥٠هـ) غلط قطعاً. وذكر المستشرق الإنكليزي الشهير (ادوارد برون) في تاريخ أدبيّات إيران ترجمة السيّد المترجم له انظر ص ٢٣٣ إلى ص ٢٣٩ ط أوّل من ترجمة (رشيد ياسمي) ولكنه اعتمد كثيراً في مجلّدات كتابه على الكتب الضعيفة التي لا اعتماد لها أصلاً كقصص العلماءِ للتنكابني ذلك الكتاب المأخوذ أغلب نقليّاته عن أفواه العوامّ والنساءِ والعجائز المشحون من الأساطير والخرافات والحكايات والقصص التي لا أصل لها ثم ذكر المستشرق الشّهير في آخر ترجمة السيّد أنّ المعلوم أنّه توفّي في سنة (١١٣٠هـ) قبل واقعة انقراض الصفويّة بأربع سنين وهو يريد واقعة هجوم الأفغان على أصفهان ولكنه لم يذكر مصدر نقله ومستند قوله ولا أدري من أين صار معلوماً لديه أنّه توفّي في تلك السنة فإنّ من كتب ترجمته من أرباب المعاجم وتراجم الأعلام صرّح بتاريخ وفاته في سنة (١١١٢) وغير خفيّ على القارىء العزيز أنّ أمثال هذه العثرات والهفوات من المستشرقين كثيرة جدّاً فهو أعرف بما حبّرته يراعته.

وذكر بعض المعاصرين أنّ السيّد المترجم له توفّي سنة (١١١٠هـ) وهو أيضاً غريب لم يعلم مصدره مع كثرة الأخطاء المطبعيّة في كتابه بل وما ذكره من الأغلاط فإنّ المترجم له كان حيّاً عند وفاة أستاذه المحدّث العلاّمة المجلسي رحمه الله في سنة (١١١١هـ).

جمل الثناء عليه

قال المحدّث الحرّ العاملي في أمل الآمل: السيّد نعمة الله بن عبد الله الحسينيّ الجزائري فاضل عالم محقق علاّمة جليل القدر مدرّس من المعاصرين له كتب.

وقال السيّد الأجلّ السيّد محمّد باقر الخونساريّ في روضات الجنّات:

كان من أعاظم علمائنا المتأخرين وأفاخم فضلائنا المتبحرين واحد عصره في العربيّة والأدب والفقه والحديث.

وأخذ حظّه من المعارف الربّانيّة ببحثه الأكيد وكدّه الحثيث لم يعهد مثله في كثرة القراءة على أساتيذ الفنون ولا في كسبه الفضائل من أطراف الحزون بأصناف الشجون كان مع مشربه الأخباريّة كثير الاعتناء والاعتداد بأرباب الاجتهاد وناصر مذهبهم في مقام المقابلة منهم بأصحاب العناد وأعوان الفساد صاحب قلب سليم ووجه وسيم وطبع مستقيم ومؤلفات مليحةٍ ومستطرفات في السير والاداب والنصيحة

ونوادر غريبة وأبسط تصانيفه شرحه الكبير على تهذيب الحديث وأجمعها للفوائد مجلّدا كتاب الأنوار النعمانيّة المشتملة على ما كان من ثمر عمره جيّداً.

وذكره حفيده الفاضل السيّد عبد الله الجزائريّ رَحِمَهُ اللهُ في إجازته المبسوطة وعدّ أساتيذه ومشايخه وقال إنّه قرأ أوّلاً في بلاده الجزائر الواقعة في أطراف شطّ العرب ثم في بلدة شيراز ثم جاء إلى أصفهان ثم عاد إلى الجزائر.

وقال المحدّث القميّ رَحِمَهُ اللهُ في الكنى والألقاب ج٣ ص ٢٩٨ ط صيدا: السيّد الجليل والمحدّث النبيل واحد عصره في العربيّة والأدب والفقه والحديث والتفسير كان عالماً فاضلاً محقّقاً مدقّقاً جليل القدر صاحب التصانيف الكثيرة الشائعة.

وقال أستاذنا العلاّمة المدرّس التبريزيّ رَحِمَهُ اللهُ في ريحانة الأدب ج٢ ص ٢٥٣ ما هذا ترجمته: إنّه جزائريّ الأصل تستريّ المنشأ من أكابر متأخري علماءِ الإماميّة محدّث جليل القدر ومحقّق عظيم الشأن متبحر في الفقه والحديث والتفسير والفنون الأدبيّة والعلوم العربيّة كثير الاطلاع وحيد عصره من تلامذة العلاّمة المجلسي والسيّد هاشم البحراني والفيض الكاشاني.

وذكره المحدّث القمي رَحِمَهُ اللهُ في الفوائد الرضوية ج٢ ص ٢٩٤ وكذا في سفينة البحار ج٢ ص ٦٠١ وأطراه فيهما.

قال في السفينة: السيّد الجليل والمحدّث النبيل صاحب التصانيف الرائقة الشائعة أولاده وأحفاده علماء فضلاءُ.

وقال في الفوائد: سلالة الأطهار والد الأماجد الأعاظم الأكارم الأخيار المنتشرين نسلاً بعد نسل في الأقطار التقي السريّ الرّضيّ العالم الربّانيّ.

وقال العلاّمة المحقّق الأكبر الشيخ أسد الله الكاظميّ (قدس سره) في المقابس: السيّد السند والركن المعتمد الفقيه الوجيه المحدّث النبيه المحقّق النحرير المدقّق العزيز النظير واسع العلم والفضل جليل القدر والمحلّ سلالة الأئمة الأبرار والد الأماجد الأعاظم الأكارم الأخيار والأكابر المنتشرين نسلاً بعد نسل في الأقطار والأمصار العلاّمة الفهّامة التقي الرضيّ السريّ.

وقال الفقيه المحدّث العلاّمة الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق في لؤلؤة البحرين: (كان هذا السيّد فاضلاً محدّثاً مدقّقاً واسع الدائرة في الاطلاع على الأخبار الإماميّة وتتبّع الآثار المعصوميّة كان كثير الصحبة للأكابر والسلاطين عزيزاً عندهم وقد طعن بذلك بعض فضلاء من تأخر عنه).

وغير خفيّ على القارىء العزيز أنّه كان مصيباً في عمله هذا ولعلّه رأى صلاح الدين وإنجاح أمور المسلمين في ذلك. والطعن على العلماءِ والتشنيع على الأكابر إنّما هو من عمل الجاهلين ودأب الجاحدين عصمنا الله عن الخطأ والزلل في القول والعمل.

الجزائريّ

نسبة إلى الجزائر قال بعض المعاصرين ما هذا معرّبه: هي بفتح الأول نسبة إلى جزائر بحرين في الخليج الفارسيّ المشتملة على البلاد والقرى المعمورة وظهر منها جمع من الأعلام كالسيّد نعمة الله بن عبد الله الحسينيّ الجزائريّ من أعلام المحقّقين وأفاضل العلماء وصاحب كتاب الأنوار النعمانيّة.

وقال في روضات الجنّات ص ٣٧٧: الجزائر عبارة عن الناحية الكبيرة والقرى المتّصلة الواقعة على شفير نهر تستر بينها وبين البصرة حسنة الرباع والأقطاع خرج منها جمع كثير من علماءِ الشيعة ومنهم السيّد نعمة الله الموسويّ الجزائريّ.

وقال شيخنا المجتهد الأكبر الشيخ المامقانيّ رَحِمَهُ الله في تنقيح المقال ج١ ص ٦٢: الجزائريّ بالجيم والزاي المعجمتين المفتوحتين ثم الألف ثم الراء المهملة ثم الياء نسبة إلى الجزائر جمع جزيرة اسم علم لمواضع منها البطائح بين البصرة وواسط وقرىً كثيرة في البحرين وأُخرى في الأندلس وتونس ومدينة على ضفة البحر بين أفريقيّة والمغرب بينها وبين بجانة أربعة أيّام وتعرف بجزائر بني مرغناي ولها استعمالات أُخر من شاءها راجع التاج وغيره. مراده من التاج هو تاج العروس في شرح القاموس.

وعلى القارئ العزيز أيضاً إن أراد أن يعرف أنّ الجزائر أو الجزيرة تطلق على نواحٍ متعددة من البلاد والأصقاع المعمورة النظر إلى (معجم البلدان) لياقوت الحموي ج٢ ص ١٢٣ ط بيروت وإلى (بلدان الخلافة الشرقيّة) تأليف گي لسترنج الإنكليزي ص ١١٤ ط بغداد.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلّى الله على خاتم المرسلين وآله الطيبين الطاهرين.

تبريز - محمد علي القاضي الطباطبائي

تمهيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نحمده بنعمته على نعمائه ونصلّي على عبده المقرّب لديه محمد وآله.

(وبعد) فإنّ المذنب الفقير، صاحب الخطأ والتقصير، قليل البضاعة، وكثير الإضاعة نعمة الله الحسينيّ، عفا الله عن ذنوبه وستر منه فاضحات عيوبه.....

لمّا فرغ من كتابيه غاية المرام في شرح تهذيب الأحكام، وكشف الأسرار في شرح الاستبصار، تاقت نفسه إلى تأليف كتاب غريب على نمط عجيب لم يكتب في زبر الأوّلين ولم تسمح به قريحة أحد من المتأخرين، يكون للأُميّ واعظاً ومؤنساً، وللعالم مطرحاً ومجلساً، ينتفع منه كلّ أحد على قدر رتبته، ويستضيء به كلّ من أراد رفع ظلمته، يشتمل على تفصيل أحوال الإنسان قبل خلقته، ويبيّن شأنه إلى يوم ولوج حفرته ويعقّبه بذكر أحواله إلى يوم دخول ناره أو جنّته، بل يفصّل فيه أحوال الدّنيا وأهلها قبل وجودها وبعد وجودها، وبعدما يكتب عليها الفناء، مستمدّاً من الله سبحانه التوفيق لرفع الاحتياج إلى المخلوقين لحصول أسباب الغناءِ.

وسمّيته كتاب الأنوار النعمانيّة في بيان معرفة النشأة الإنسانية راجياً منه سبحانه أن يجيرنا من أحوال البرزخ والحساب، وأن يجعله مقبولاً عند أصفيائه أُولي الألباب وقد التزمنا أن لا نذكر فيه إلّا ما أخذناه عن أرباب العصمة الطاهرين أو ما صحّ عندنا من كتب الناقلين، فإنّ كتب التواريخ أكثرها قد نقله الجمهور من تواريخ اليهود، ولهذا كان أكثر ما فيها الأكاذيب الفاسدة والحكايات الباردة، وقد رتبناه على أبواب ثلاثة:

الباب الأول: فيما قبل ولادة الإنسان.

الباب الثاني: في أحواله بعد ولادته إلى وقت موته.

الباب الثالث: فيما بعد الموت إلى دخول الجنة أو النار.

الباب الأول

يشتمل على أنوار

نورٌ في معرفة الباري سُبحانه. إعلم أنّ المحقّقين قد أكثروا الدّلائل على إثبات الواجب، وعلى كيفية صفاته الثبوتيّة والسلبيّة، وقد كثرت المناقشة بينهم حتّى قال بعضهم إنّه لم يقم دليل على إثبات الصانع ووحدته، خالٍ عن الاعتراض لابتناءِ أكثرها على إبطال الدّور والتسلسل وفي إبطالهما كلام كثير وإذا كان الحال على هذا المنوال فكيف يعلّق إثبات الواجب ووحدته وما يتبعهما على مثل هذا، مع أنّ الدّلائل على مثل هذا لا تكاد تحصى: وفي كلّ شيء له آيةٌ.

تدل على أنّه واحد[(١)]

وفي الدّعاءِ: يا خفيّاً من فرط الظهور، وقد نقل لي أنّ الفاضل الدّوانيّ لمّا أراد كتابة رسالة في إثبات الواجب قالت له أمّه ما تكتب فقال لها رسالة في إثبات الواجب فقالت له: أفي الله شكّ خالق السّمٰوات والأرض فترك تأليف ما أراد ومن

---

(١) هذا البيت لأبي العتاهية الشاعر المشهور وهو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء العيني المولود (١٣٠هـ) والمتوفى (٢١٠) وفي تاريخ وفاته أقوال أُخر.
نشأ في الكوفة وسكن بغداد ودفن فيها روي أنّه جلس في دكان وراق فأخذ كتاباً فكتب على ظهره على البديهة من المتقارب:

ألا إننا كلنا بائد ... وأي بني آدم خالد
وبدؤهم كان من ربهم ... وكل إلى ربه عائد
فيا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كلّ تحريكة ... وفي كلّ تسكينة شاهد
وفي كلّ شيء له آية ... تدل على أنّه واحد

ولما انصرف اجتاز أبو نواس الشاعر المشهور بالموضع فرأى الأبيات فقال: لمن هذا فقيل له: لأبي العتاهية فقال: لوددتها لي بجميع شعري. والأبيات موجودة في ديوانه المطبوع في بيروت (ص ٦٩ الطبعة الرابعة سنة ١٩١٤م)، ومع ذلك فقد رمي أبو العتاهية بالزندقة ولا شك أن ذلك ناشئ من افتراءات الخصوم والمخالفين في المذهب وقد بسطنا القول في ذلك في تعاليقنا على الفردوس الأعلى وانظر ص ٢١١ إلى ٢١٩ ط تبريز.

تأمّل دليل الأعرابيّ حيث سئل عن الدّليل على وجود الصّانع، فقال البعرة تدل على البعير وآثار الأقدام على المسير أفسماءٌ ذات أبراج وأرض ذات فجاج[1] لا تدلّ على وجود اللّطيف الخبير يجده أدل على المطلوب[2] من البراهين التي ذكرها ابن سينا في كتابيه (الشّفاء والإشارات) والطّوسي[3] قدّس الله روحه في (قواعده وتجريده) فإنّك قد عرفت ابتناءها على ما لا يتمّ والعقول سيّالة ولذا ترى كل لاحق يغلط سابقه وينقض دلائله وقد استفاض في الأخبار أنّ كل مولود يولد على الفطرة إلاّ أنّ أبويه يُهوّدانه وينصّرانه وهذا المعنى شائع لا ينكر.

فإن قلت: إذا كان معرفته تعالى على هذا النحو من الظّهور فما بال العقلاءِ

---

(١) الفجاج جمع الفجّ: الطريق الواسع الواضح بين جبلين وهذا الكلام مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فقال البعرة تدل على البعير والروثة تدل على الحمير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة فكيف لا يدلان على اللطيف الخبير.

(٢) هذا الدليل الآتي أدل على المطلوب بالنسبة إلى أفهام أكثر النّاس من العوام والخواص وأمّا البراهين العقلية التي ذكروها في الكتب والأسفار العقلية فهي أدل على المطلوب عند أهل النظر والتحقيق والفكر العميق.

(٣) هو المحقق نصير الدين محمّد الطوسي الشهير المتوفى (٦٧٢هـ) في الرعيل الأوّل من حكماء الإسلام حجّة الإمامية والفيلسوف العالم الرباني وكتابه التجريد كتاب لطيف وتصنيف منيف من اشهر الكتب المعتبرة في العقائد الإمامية وقد أثبت آراءهم الدينية بالأدلة والبراهين العلمية بألفاظ موجزة وعبارات لطيفة وصفه الفاضل القوشچي بأنه (مخزون بالعجائب مشحون بالغرائب صغير الحجم وجيز النظم كثير العلم جليل الشأن حسن الانتظام مقبول الأئمة العظام لم يظفر بمثله علماء الأمصار وهو في الاشتهار كالشمس في رائعة النهار) شرحه جمع من أعاظم الفريقين.

ومن العجب ما نقله المصنف عن بعضهم أنّه لم يقم دليل على اثبات الصانع ووحدته خال عن الاعتراض وأن في إبطال الدور والتسلسل كلاماً كثيراً.

ليت شعري أي كلام في إبطال الدور والتسلسل وأي دليل على اثبات الصانع ووحدته غير خال عن الاعتراض سوى بعض الشبهات الواهية في مقابل البديهية نعم أهل المعرفة والكمالات لا يحتاجون إلى الاستدلالات بالدور والتسلسل كيف يستدل عليه بما هو في وجوده مفتقر إليه (أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لا تراك عليها رقيباً) انظر دعاء عرفة لسيد الشهداء سلام الله عليه وتفكر في مضامينه العالية.

اختلفوا في إثباته، وكيفيّة صفاته، وبعضهم نفاه رأساً وقال ما يهلكنا إلّا الدّهر، وبعضهم أثبت له شركاء، كالمسيح، وعزير، وقالت طائفة الملائكة بنات الله، وبعضهم قالوا بجسميّته، حتّى إنّ طائفة من طوائف المسلمين كالحنابلة ذهبوا إلى أنّه جسم كالأجسام وأنّه في صورة شابّ حسن الصورة ينزل كلّ ليلة جمعة راكباً على حمار فيدبر أمر الأرض إلى الجمعة الأُخرى، حتّى إنّهم ربّما وضعوا لحماره شعيراً فوق سطوحهم، وبعضهم صنعوا له شريكاً من التمر وهم بنو حنظلة، وكانوا يعبدونه. قال صاحب الكشّاف: ما انتفع كافر من ربّه مثل انتفاع بني حنظلة، فإنّهم كانوا يصنعون صنماً من التمر والحلوى فيكثرون السّجود له، فإذا جاعوا أكلوه، وكان ذلك العام عام قحط ومجاعة، وبعضهم أثبت إلّهين وهما النّور والظّلمة، وقال إنّ النّور يفعل الخير والظلمة تفعل الشرّ، إلى غير ذلك من المذاهب الفاسدة والآراءِ الكاسدة.

قلت: الجواب عن هذا من وجوه **الأول**: أنّ ما وقع به الاختلاف ليس هو محلّ الظهور، فإنك قد تحقّقت أنّ مكان الظّهور، وهو كونه موجوداً صانعاً، وهذا لم يشكّ به عاقل وما ورد من فرق الكفّار من الإنكار له تعالى، فهو من مجرّد اللّسان، كما حكاه سبحانه بقوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، وقول أهل عبادة الأصنام: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

الثاني: أنّ الاختلاف قد جاء من تقليد الأسلاف كما حكاه عنهم من قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وأمّا أسلافهم فقد أخذتهم الحميّة الجاهليّة عن متابعة الأنبياءِ لأنّهم بزعمهم أنّهم أهل ملّة يقتدي بهم النّاس، فكيف يحسن منهم الترك لرتبة الإمامة والتّنزل إلى درجة المأموميّة، ولهذا ما كان يقتدى بالأنبياءِ سوى الفقراء والمساكين وقد عيّروا به الأنبياء حيث قالوا: ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] ﴿وَمَا نَرَىٰكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧] ولا يستبعد هذا من الكفّار، فإنّ مثله قد وقع في فرق الإسلام ومن محقّقيهم حتّى إنّ السيّد المدقق، السيّد شريف، في شرحه على المواقف لمّا ذكر مطاعن الثّلاثة، وذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومدائحه، قال: لكنّا وجدنا السّلف قالوا بأنّ الأفضل أبو بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان، ثُمَّ عليّ وحسن ظنّنا بهم، يقضي بأنّهم لو لم يعرفوا ذلك لما أطبقوا عليه فوجب علينا اتّباعهم في ذلك القول، وتفويض ما هو الحقّ فيه إلى الله. ومثل هذا قد وقع من علماء الإسلام كثيراً، حتى

في أصل المذهب، والحمد لله الذي منّ علينا بإيمان الآباء والأجداد، فإنه وعمرك من أفضل النعم، وأوفر القسم.

الثالث: أنّ الاختلاف قد جاء أيضاً من زيادة الجاه والاعتبار، ووفور المال في ما بين أهل تلك المذاهب الفاسدة، فإنهم كثيراً ما يعظّمون علماءهم، ويحملون إليهم أنواع الهدايا، والعوام تبع لأهل العلم في كلّ ملّة وقبيلة، وقد حكى تعالى عنهم بقوله: عزّ من قائل: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وفي الرّواية أنّهم ما صلّوا لهم ولا صاموا، ولكن حلّلوا لهم حراماً وحرّموا لهم حلالاً فقبلوه منهم فمن هذه الجهة قال: أرباباً من دون الله، ومثل هذا في فرق الإسلام كثير.

الرابع: أنّ العقول كلّها سافرت طالبة لمعرفته، وقاصدة للوصول إلى قرب حضرته وفي الدّعاء: (يا مطلوب كل طالب)، وقد كانت مسافة السفر بعيدة جدّاً، لأنّه وإن كان أقرب من حبل الوريد، لكنّه علا فاستعلى فكان بالمنظر الأعلى، وفي الدّعاءِ: (يا بعيداً في دنوّه)، ومع بعد هذه المسافة، فقد كانت مشتملة على أخطار وآفات وقد كان سالكها يحتاج إلى جماعة من الرفقاءِ وإلى مطيّة تحمله وإلى نور شمس يستضيء به في سيره ودليل حاذق قد تكرّر سلوكه لذلك الطريق، يعرف موارد مهالكه من أماكن النجاة.

فالدّليل الحاذق لهذه المسافة، هم الأنبياء وأوصياؤهم المعصومون المحدَّثون من جانب الغيب ولذا جرت العادة الإلهيّة بعدم إرسال رسول إلّا بعد استكمال كمالاته، وبلوغه الأربعين، فإنّها أقصى غايات الكمال، وفي هذه المدّة، قد كان الباري سبحانه يعلّمه ويؤدّبه ويعرّفه أماكن النجاة وسلوك الطريق إليه، فبعد إكمال المدّة أرسله إلى الخلائق هادياً لأنه سبحانه قد هداه سابقاً، وكرَّر تردّده في طريق قربه ومعرفته، ومن ثمّ ذهب المحققون إلى أنّ أشدّ صدمة على الأنبياء من أُمّتهم هو معاشرتهم معهم، فإنّ النفوس القدسيّة، إذا تنزَّلت إلى مخالطة الحيوانات، وتعليمها لمراتب الكمال كان عليها في نهاية الإشكال، ومن هذا ما أُرسل نبيّ ذو كتاب، إلّا بعد رعي الأنعام، في البراري والقفار، ليتعوّدوا على معاشرة الحيوانات، حتى يسهل الخطب عليه بعد الإرسال. روي أنّ موسى عليه السلام كان يرعى أغنام شعيب عليه السلام، فانهزم من قطيعه تيس فصعد الجبل، فبقي موسى تابعاً له، عامّة يومه في رؤوس الجبال، فلمّا لزمه قبّله على وجهه، ومسح التراب من فوقه، وقال معتذراً

عنده: أيّها الحيوان أتعبتك هذا اليوم من جهة الطلب ولا كان المقصود منك القيمة، ولكن الخوف عليك من الذئاب، ثمّ حمله على عاتقه حتّى أوصله إلى الحيوانات، فلمّا كمل له هذا الخلق، أوحى إليه أن يا موسى قد صرت قابلاً للرسالة، فامض إلى فرعون وقل له قولاً ليناً لعلّه يتذكّر أو يخشى، ومثل هذا قد وقع من نبيّنا ﷺ في موارد كثيرة نذكرها في موضعها إن شاء الله.

والحاصل أنّ الأدلّة لهذا الطريق هم الأنبياء عليهم السلام، وأمّا النور الّذي به يقطع تلك المسافة فهو نور العلم فإنّ العقل إنما يسير بنور العلم، ومن هنا ترى من فقد هذا النور واقفاً لا يهتدي إلى سلوك ما أمامه من الطّريق، تابع لكلّ ناعق ينعق به ويقول: هذا هو الطريق؛ وهذا شأن أكثر العوام من كل الملل والأديان. وأمّا مطيّة هذه المسافة فهي التّحمّل والصبر حتّى لا يسأم من كثرة السّفر وأمّا أخطارها فهم الشياطين، فإنّ على رأس كلّ منزل جماعات كثيرة منهم، يرغبون ذلك المسافر في النّزول معهم، لقرب المسافة عندهم ولمكان الاستراحة لديهم، ولا يعرف ذلك الرّجل أنّ غرضهم أخذ ما معه من ثياب الإيمان، والأموال التي هي قيمة دين الإسلام.

وفي الحديث عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ: الإسلام عريان فلباسه الحياء وزينته الوقار، ومروّته العمل الصّالح، وعماده الورع ولكلّ شيء أساس وأساس الإسلام حبّنا أهل البيت.

وعند سلوك هذه المسافة حصل الاختلاف، في الوصول إلى المقصود، فبعض بقي متابعاً لدليل الطريق الحاذق، فوصل إلى أن قال: **لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً**[(١)] وبعض تابع دليلاً لا معرفة له بتلك المسافة ولا رآها قبل تلك المرّة فضلّ به عن الطريق، فكلّما أمعن في السير لم يزدد من المقصود إلّا بعداً، وهؤلاء المحكيّ عنهم بقوله عزّ من قائل: «**ومنهم أمّة يهدون إلى النّار**» وبقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ

(١) هذه الكلمة النيرة، صادرة عن أمير المؤمنين عليه السلام وجعلها أبو عثمان الجاحظ، أول الكلمات المئة، التي اختارها من الكلم القصار للإمام عليه السلام وكان الجاحظ يقول: إنّ لأمير المؤمنين عليه السلام مئة كلمة. كلّ كلمة منها تفي بألف كلمة، من محاسن كلام العرب، انظر مستدرك نهج البلاغة، والباب الثالث ص ٤٧ ط النجف وسيأتي في الكتاب، نقل قضية حرة بنت حليمة السعدية، وقولها للحجاج، إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال قولاً، لم يختلف فيه أحد من المسلمين: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، وهذه كلمة لم يقلها قبله، ولا بعده أحد.

﴿اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٦] وبعض اقتفى الأثر وهم المؤمنون الأمثل فالأمثل على تفاوت درجات الاقتفاء وبعض ضل فأخذته شياطين القفار، وربما منّ الله عليه بالنجاة بعد هذا. فلمّا رجعت جماعة المسافرين، كانت على أنحاء شتى فمنهم الواصل حتّى رأى بالعيان، ومنهم القريب إلى الحمى ومنهم المسلوب ثياب إيمانه، وكذا في درجات المعرفة، فإنّ بعضهم يقول رأيت، وبعضهم يقول سمعت، والسّماع يختلف اختلافاً كثيراً، ومن هذا قال بعض بالولد، وآخرون بالصّاحبة وجماعة بالجسميّة، إلى غير ذلك ممّا عرفت، وإن أردت ضرب مثال حسّي، فانظر إلى قاصدي مكّة شرّفها الله تعالى، فإنّ كلّ الحاجّ مقصدهم واحد، ويرجع جماعة حاجّين وآخرون غير حاجين، وثالث قد حجّوا حجّاً فاسداً وجماعة ما أدركوا إلّا الاضطراريين، أو احد الإختياريين، وأناس عدلوا من نوع الحج إلى نوع آخر، وليس هذا الاختلاف إلّا لنظير ما عرفت، وبعد المراجعة قيل: سافرت فيك العقول فما ربحت إلّا أذى السفر.

الخامس: أنّه سبحانه قد احتجب عن الحواسّ، وفي الحديث: إنّ الله إحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم. وما أثبت له من الصّفات، إنّما هو على قدر أوهامنا، وما تصل إليه أفهامنا، فإنّا نعتقد اتصافه سبحانه، بأشرف طرفي النقيض بالنّظر إلى عقولنا القاصرة، وهو تعالى أرفع وأجلّ، وفي كلام الصادق عليه السلام إشارة إلى هذا المعنى، حيث قال: كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم، مردود إليكم، ولعلّ النّمل الصغار، تتوهّم أنّ لله تعالى زبانتين، فإنَّ ذلك كمالها، وتتوهّم أنَّ عدمهما نقصان لمن لا يتّصف بهما، وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به.

قال الفاضل الدّواني: هذا كلام، دقيق، رشيق، أنيق، صدر من مصدر التّحقيق، ومورد التّدقيق والسّر في ذلك أنَّ التّكليف إنّما يتوقف على معرفة الله تعالى بحسب الوسع والطّاقة وإنّما كلّفوا أنّ يعرفوه بالصّفات التي ألفوها وشاهدوها فيهم، مع سلب النقائص النّاشئة عن انتسابها إليهم. ولمّا كان الإنسان واجباً بغيره، عالماً، قادراً مريداً، حيّاً، متكلماً، سميعاً، بصيراً كلّف بأن يعتقد تلك الصفات في حقّه تعالى، مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها إلى الإنسان، بأن يعتقد أنّه تعالى واجب لذاته، لا بغيره، عالم بجميع المعلومات، قادر على جميع الممكنات وهكذا في سائر الصّفات، ولم يكلّف باعتقاد صفة له تعالى لا يوجد فيه مثالها ومناسبها

بوجه، ولو كلّف به لما أمكن تعقّله في الحقيقة، وهذا أحد معاني قوله عليه السلام: من عرف نفسه فقد عرف ربّه، انتهى[1]. وحينئذ فمن وصفه بالولد، فبزعمه أنّه كمال له تعالى عنه، وكذا من وصفه بالجسميّة إلى آخر ما عرفت، فهذا أيضاً هو السبب في الاختلاف.

وقد أخطأ جماعةٌ من الصّوفيّة، في اعتقادهم الوصول إلى كنه حقيقته، وأنّه لا يحتاج الواصل منهم إلى العبادات لأنّها وسائل.

قال العلاّمة الحلّي قدس الله ضريحه في كتابه كشف الحقّ ونهج الصدق: إنّي شاهدت جماعة من الصوفيّة في حضرة مولانا الحسين عليه السلام، وقد صلّوا المغرب سوى شخص واحد منهم كان جالساً ولم يصلّ، ثمَّ صلّوا بعد ساعة العشاء سوى ذلك الشخص فسألت بعضهم عن ترك صلاة ذلك الشّخص فقال: وما حاجة هذا إلى الصلاة وقد وصل؟ أيجوز أن يجعل بينه وبين الله تعالى حاجباً؟ فقلت: لا فقال: الصلاة حاجب بين العبد والربّ، انتهى.

---

(١) وقد تفوه بعض علماء أهل السنة في حق هذه الكلمة المباركة بالقول الباطل ونسبها إلى بعض الصوفية، وبعضهم قال ليس بحديث، بل هو من كلام أبي بكر الرازي، مع أن المشهور في الكتب، أن هذه الكلمة النيرة، من كلام صاحب الرسالة المقدسة صلى الله عليه وآله أو من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، قال السيّد عبد الله الشبر رحمه الله، في كتابه مصابيح الأنوار ص ٢٠٤ج ١ ط الأعلمي. (الحديث الثلاثون، ما رويناه عن جملة من علمائنا الاعلام وفضلائنا الكرام، واشتهر بين الخاص والعام من قول النبي صلى الله عليه وآله، من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعلها كبير أئمة الأدب أبو عثمان الجاحظ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام من مائة كلمة التي أخرجها، واختارها من كلامه عليه السلام)، انظر مستدرك نهج البلاغة (ص ٣٧ ط النجف) وأيضاً ص ٩٠ من ذلك الكتاب، وانظر شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٤٧ ط مصر) وتلك الكلمات المائة مطبوعة مستقلة أيضاً، والعجب من المحدث الخبير، الحاج شيخ علي أكبر النهاوندي رحمه الله، في كتابه جنة العالية (ص ٩٧ج ٣) حيث اغتر بكلام بعض العامة، وزعم أن هذه الكلمة، من كلمات الصوفية، ثم قال (والعجب من السيّد السند الجزائري، في مقامات النجاة، وغيره في غيره من المجاميع والمؤلفات كيف غفلوا عن قائل هذا الكلام، وعاملوا معه معاملة الرواية عن سيّد الأنام، أو عن أمير المؤمنين عليهما الصّلاة والسلام ووجهوه بتوجيهات بعيدة، وتأويلات غير سديدة اللهمَّ إلاّ أن يقال بثبوت خبريته عندهم، وحديثيته لديهم، وهذا هو المظنون من دأب هؤلاء الأطياب. وواقع الأمر عند من إليه المرجع والمآب مظنونه هو الصواب، وكفى بالجاحظ المتوفى (٢٥٥هـ) ناقلاً لها في جملة مئة كلمة من كلمات الإمام عليه السلام كما عرفت.

أقول: أمثال هذا قد شاهدنا منهم كثيراً وسننقل أحوالهم إن شاء الله تعالى وأسباب الاختلاف كثيرة لا نطول الكتاب بذكرها.

نور إلهي

يتضمّن برهاناً مختصراً في إثبات الواجب وسائر صفاته، يتفرّع عليه من التفريعات ما لا يحصى. إعلم أنّ هذا الصانع المحكم صنعه على هذا النّظام الّذي ترى يجب أن يكون في غاية الكمال، بالنظر إلى كلّ كمال، ويجب أيضاً أن يكون كمالاته كلّها موجودة بالفعل خارجة من القوة، لأنّه لو كان له كمال منتظر الخروج من القوّة إلى الفعل، لكان ناقصاً بالنظر إلى ذلك الكمال فلم يكن كاملاً من جميع الوجوه، وقد وجب أن يكون كاملاً فيه وإذا كان كذلك وجب أن يكون واحداً بالذات والصفات لأنّ غاية الكمال، كمال فوق جميع الكمالات، ولا ريب أنّ الواحد بالذات والصفات أكمل من المثيل في جميع الكمالات إذ يعقل فوق المثيل أكمل في الكمالات وهو اللاالمثيل في الذات والصفات ولا يعقل فوق الوحيد أكمل في الكمالات فهو في غاية الكمال في جميع الكمالات ويجب حينئذ أن يكون هذا الصانع موجوداً لأنّ الوجود كمال والعدم نقص ويجب أيضاً أن يكون عالماً وقادراً ومختاراً في فعله، ومريداً وحيّاً وسميعاً وبصيراً إلى غير ذلك من صفات الإيجاب وذلك لأنّ نقائضها نقص، وقد تحقّقت أنّه يجب أن يكون في غاية الكمال فلا يحتاج إلى الاستدلال على كلّ واحدة من هذه الصفات بدليل على حدة، كما فعله المتكلّمون.

ويندفع بهذا الدليل أيضاً، شبهة ابن كمونة[1] المشهورة، وحاصل تقريرها أنّه لا

(١) هبة الله، بن كمونة، الإسرائيلي، كان من فلاسفة اليهود، في عصر الشيخ الرئيس، ابن سينا، وصاحب الشبهات المعروفة.

قال صدر المتألهين رحمه الله في الأسفار (ص ١٣٢ ج١) الطبعة الثانية، (وقد سماه بعضهم بافتخار الشياطين لاشتهاره بابداء هذه الشبهة العويصة والعقدة العسيرة الحل فإني قد وجدت هذه الشبهة في كلام غيره ممن تقدمه زماناً).

ومن أحفاده، عز الدولة سعد بن منصور بن سعد بن الحسن، بن هبة الله، بن كمونة البغدادي، له مؤلفات بخطه في الخزانة الغروية، في النجف الأشرف توفي سنة (٦٩٠هـ) أو (٦٨٣هـ) ولا وجه لما في كشف الظنون، أنّه توفي سنة (٦٧٦هـ) وقد حققنا ذلك في تعاليقنا على الفردوس الأعلى انظر ص ١٦٩ ط تبريز. =

يجوز أن يكون الواجب بالذات ذاتين متباينتين، مستجمعتين لجميع صفات الكمال بأن يكون امتيازهما بالذات، ووجودهما عين ذاتيهما كالصفات، ولا يكون وجوب الوجود مشتركاً بينهما، بل كيفية نسبة الوجود إليهما. فيجاب عنها، بأنّهما لا يخلوان بحسب الفرض عن أنّه إمّا أن يكونا في الصفات الخاصّة بكل منهما متساويين، بأن يكونا في جميع الكمالات مثلين، أو يكون أحدهما أكمل بتفاوت في البين. فعلى الثّاني إنما الواجب هو الأكمل وعلى الأوّل لا يكونان في غاية

= واعلم أنّ شهبة، ابن كمونة، مبتنية على القول باصالة الماهية، وأن الوجود في جميع الموجودات، حتّى الواجب اعتبار محض، كما هو المشهور عند الحكماء، إلى أوائل القرن الحادي عشر، وقد اعضلت هذه الشبهة في عصره، على اساطين الحكمة واستمر اعضالها عدة قرون، إلى أن نبغ أفضل المتقدمين والمتأخرين، أستاذ الحكماء الإلهيين، صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي المتوفى (١٠٥٠هـ) فأثبت أصالة الوجود، بالبراهين الساطعة والأدلة القاطعة، فانهدمت تلك الشبهة، من أساسها، وانقلعت من أصلها.

قال أستاذنا الإمام، فقيد الإسلام كاشف العظماء قدس سره في الفردوس الأعلى، (سمعنا من أساتذتنا في الحكمة، أن المحقق الخونساري صاحب مشارق الشموس، الّذي كان يلقب بالعقل الحادي عشر، قال: لو ظهر الحجّة عجل الله فرجه، لما طلبت معجزة منه، إلاّ الجواب عن شبهة ابن كمونة، ثم قال قدس سره: ولكن في القرن الحادي عشر، الّذي نبغت فيه أعاظم الحكماء، كالسيد الداماد، وتلميذه ملا صدرا، وتلميذيه الفيض، واللاهجي، صاحب الشوارق الملقب بالفياض، انعكس الأمر، واقيمت البراهين الساطعة على اصالة الوجود، وأن الماهيات جميعاً اعتبارات صرفة، ينتزعها الذهن، من حدود الوجود، أمّا الوجود الغير المحدود، كوجود الواجب، جل شأنه، فلا ماهية له، بل ماهيته انيته.

وقد ذكر الحكيم السبزواري رحمه الله، في منظومته، البراهين الساطعة على أصالة الوجود، مع أنّه من أوجز كتب الحكمة، فما ظنك بالأسفار، وهي أربع مجلدات، بالقطع الكبير، ويكفيك منها برهان واحد. وهو اختلاف فحوى الوجود) انظر (ص ٢٠١ ط تبريز) وانظر إلى الأسفار ج١ ص ١٣٣ الطبعة الثانية.

فالأحسن في رد شبهة ابن كمونة، هو أن يقال أنا نرى بالضرورة والوجدان اختلاف نحوي الوجود، حيث نرى أن النّار مثلاً بوجودها الذهني، لا يترتب عليها شيء من الآثار من إحراق وغيره، بخلاف وجودها الخارجي، ولو كانت الماهية هي المتأصلة في كلا الوجودين، لترتبت آثارها ذهناً، وخارجاً، والوجود الخارجي الغير المحدود يستحيل أن يفرض له ثانٍ فإن كلّ حقيقة بسيطة لا تركيب فيها، يستحيل أن تتثنّى، وتتكرر لا ذهناً، ولا خارجاً، ولا وهماً، ولا فرضاً، فأشرق نور الوجود بأصالته، واشرقت الأرض بنور ربها واتضح بطلان الماهية من أصلها، وانهدمت شبهة ابن كمونة اليهودي من أساسها والحمد لله تعالى.

الكمال، إذ يعقل فوقهما أكمل وهو عديم المثال، والواجب وجب أن يكون في غاية الكمال، في جميع مراتب الجلال، والجمال. ومن جملة فروع هذا الاستدلال، ظهور حدوث العوالم الممكنة، المتناهية في جانب الأزل والأبد حدوثاً زمانياً فإنه من أعلى مراتب الكمال صدق قوله عليه السلام: كان الله ولم يكن معه شيء صدقاً متناولاً لجميع الأكوان ذاتاً أو زماناً، وكذا قوله عزّ من قائل في الحديث القدسي: كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لأُعرف، فإنّه بظاهره دالّ على حدوث الممكنات حدوثاً زمانياً والأصل عدم التأويل فتكون الأشياء مخلوقةً حادثةً، فلنبيّن أيّ مخلوق سبق المخلوقات وجوداً.

نور نبويّ

إعلم أنّ الأخبار قد اختلفت في أوّل مخلوق خلقه الله تعالى(١).

فروى رئيس المحدّثين الكليني قدّس الله روحه بإسناده إلى الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ الله خلق العقل وهو أوّل خلق من الرّوحانيين عن يمين العرش من نوره.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام أنّه أوّل ما خلق الله القلم.

وفي الأخبار المرويّة عن النبي صلى الله عليه وآله «**أوّل ما خلق الله نوري**» وبلفظ آخر «**أوّل ما خلق الله روحي**» وفي الأخبار عن عليّ عليه السلام: «أوّل ما خلق الله النّور».

وروي أنّ أوّل مخلوق هو **الهوى** ذكره عليّ بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧].

قال: وذلك في مبدأ الخلق أنّ الربّ تبارك وتعالى خلق الهوى، ثمّ خلق القلم، فأمره أن يجري فقال: يا ربّ بم أجري؟ فقال: بما هو كائن، ثمّ خلق الظلمة من الهوى، وخلق النّور من الهوى، وخلق الماء من الهوى، وخلق العرش من الهوى، وخلق العقيم من الهوى وهو الريح الشديدة، وخلق النّار من الهوى، وخلق الخلق كلّهم من هذه السّتة التي خلقت من الهوى.

وفي الرّوضة مسنداً إلى أبي محمّد بن عطية قال: جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام

---

(١) ذكر السيّد صاحب الكرامات العالم الرباني السيّد رضيّ الدين بن طاووس الحسني رحمه الله في كتابه سعد السعود ص ٢٠٢ ط النجف في جملة كلام له ما هذا لفظه (وكان المسلمون قد رووا أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر فقال بك أُثيب وبك أعاقب وبك آمر وبك انهى).

من أهل الشّام من علمائهم فقال: يا أبا جعفر جئت أسألك عن مسألة قد أعيت عليّ أن أجد أحداً يفسرها، وقد سألت عنها ثلاثة أصناف من النّاس فقال كلّ صنف منهم شيئاً غير الذي قال الصنف الآخر، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ما ذاك؟ قال: فإنّي أسألك عن أوّل ما خلق الله من خلقه، فإنّ بعض من سألته قال القدر، وقال بعضهم القلم وقال بعضهم الروح، فقال أبو جعفر عليه السلام: ما قالوا شيئاً، أُخبرك أنّ الله تعالى كان ولا شيء غيره وكان عزيزاً، ولا أحد كان قبل عزّه وذلك قوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠]. وكان الخالق قبل المخلوق، ولو كان أوّل ما خلق الله من خلقه الشيء من الشيء إذا لم يكن له انقطاع أبداً ولم يزل الله إذاً ومعه شيء، ليس هو يتقدّمه ولكنّه كان إذاً لا شيء غيره، وخلق الشيء الذي جميع الأشياءِ منه، وهو الماء الذي خلق الأشياء منه فجعل نسب كل شيء إلى الماءِ ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه، وخلق الريح من الماءِ ثمَّ سلّط الرّيح على الماءِ فشققت الريح متن الماءِ حتّى ثار من الماءِ زبد على قدر ما شاء أن يثور، الحديث.

فإن قلت: فما وجه التوفيق بين هذه الأخبار.

فالجواب أنّ بعضها محمول على الأوّليّة الإضافيّة وبعضها محمول على الأوّليّة الحقيقيّة؛ أمّا أوّليّة الماءِ فهو بالإضافة إلى الأجسام الكثيفة التي تقع عليها الأبصار وأمّا الهوى الّذي خلق الماء منه فهو ليس من الأجسام الكثيفة المرئيّة حتّى إنّ بعضهم ذهب إلى إنكاره. وأمّا أوّليّة العقل فقد صرّح فيه بأنّه أوّل خلق من الروحانيين أي الأجسام اللطيفة التي شبهت بالرّوح في اللّطافة والصفاء ومنه الملائكة الروحانيّون وهم نوع من الملائكة سمّوا به لما فيهم من اللطافة وعدم الكثافة كما في باقي أنواعهم مع أنّ بعض المحقّقين ذهب إلى أنّ العقل الوارد في الأخبار بأنّه أوّل المخلوقات، هو نوره صلى الله عليه وآله وسلم وسيأتي الكلام فيه.

وأمّا أوّلية القلم فهي بالنظر إلى ما جانسه من أدوات الكتابة كالمداد ونحوه وفي العرف يقال في شأن الكاتب إنّه أوّل ما برأ القلم.

ويؤيّده ما رواه عبد الرحيم القصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن (ن والقلم) قال: إنّ الله تعالى خلق القلم من شجرة في الجنّة يقال لها الخلد ثمّ قال لنهر في الجنّة كن مداداً فجمد النهر وكان أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد، ثمَّ قال للقلم اكتب قال يا ربّ وما أكتب قال اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، الحديث، وسيأتي بتمامه إن شاء الله تعالى.

وأمّا الأخبار الواردة بأوّليّة النور، ونوري، وروحي، فهي واحدة وهي عبارة عن نوره ﷺ وهو أوّل مخلوق على الأوّليّة الحقيقيّة ليس فيه للإضافة مدخل بوجه من الوجوه لأنّه قد استفاض في الأخبار أنّ نوره ﷺ أفرزه الله سبحانه من نوره، وأفرز من ذلك النور أنوار الأئمة الطاهرين وأفرز من ذلك النور الثاني أنوار المؤمنين، كما سيأتي بيانه في محلّه إن شاء الله تعالى فهو الأول والآخر والظاهر والباطن ومن هذا قال ﷺ: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين.

وقد ذكر في شرح المواقف وجهاً لجمع الأخبار الثلاثة وهي: أوّل ما خلق الله العقل، وأوّل ما خلق الله القلم، وأوّل ما خلق الله نوري، وهو أنّ المعلول الأوَّل من حيث إنّه مجرّد يفعل ذاته ومبدأه يسمّى عقلاً، ومن حيث إنّه واسطة في صدور سائر الموجودات ونقوش العلوم، يسمّى قلماً، ومن حيث توسطه في إفاضة أنوار النبوّة كان نوراً لسيّد الأنبياء، وهذا إنّما يجري على مذاهبهم كما لا يخفى.

وأمّا حقيقة هذه الأنوار فلا نتحقّقها على حقيقتها ولكنّ المفهوم من هذه الأخبار هو أنّ المراد بهذه الأنوار أجسام لطيفة نورانيّة على قالب هذه الأجسام وتفارقها في النّور واللّطافة والصفاء، ولمّا خلقها وأدخل الأرواح فيها كانت أجساماً فيها أرواح في عالم الملكوت تسبّح الله وتقدّسه وتمجّده وتعلّم الملائكة بعد أن خلقوا للعبادة والتّسبيح.

ومنه قال ﷺ: سبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا، وقدّسنا فقدّست الملائكة بتقديسنا، الحديث.

وروى صاحب بستان الكرامة أنّ النبي ﷺ كان جالساً، وعنده جبرائيل عليه السلام فدخل علي عليه السلام، فقام له جبرائيل عليه السلام، فقال النبي ﷺ: أتقوم لهذا الفتى؟ فقال له ﷺ نعم إنّ له عليَّ حقّ التعليم، فقال النبي ﷺ كيف ذلك التعليم يا جبرائيل، فقال: لمّا خلقني الله تعالى سألني من أنت، وما إسمك، ومن أنا، وما إسمي فتحيرّت في الجواب وبقيت ساكتاً ثمّ حضر هذا الشّاب في عالم الأنوار، وعلّمني الجواب فقال: قل أنت ربّي الجليل، وإسمك الجليل، وأنا العبد الذليل، واسمي جبرائيل. ولهذا قمت له وعظّمته، فقال النبي ﷺ: كم عمرك يا جبرائيل، فقال: يا رسول الله يطلع نجم من العرش في كلّ ثلاثين ألف سنة مرّة. وقد شاهدته طالعاً ثلاثين ألف مرّة. وإلى هذا الحديث نظر محيي الدّين بن عربيّ حيث قال في أوّل خطبة فتوحاته: الحمد لله الذي جعل الإنسان الكامل مُعلّم الملك وأدار

بانقساره[١] طبقات الفلك. فالنبيّ وأهل بيته صلوات الله عليهم، قد شاركوا الملائكة في أفضل صفاتهم التي هي النّورية الخاصّة، وزاد عليهم في الصّفات العالية التي لا تكاد تحصى.

ومن هذا أجاب شيخنا الشهيد طاب ثراه عن شبهة من ذهب إلى أفضليّة الملائكة على الأنبياء بأنّ في الملائكة من لا يفتر عن الطّاعة والعبادة من أول عمره إلى آخر فناء الدّنيا.

وحاصل الجواب أنّ هذه الصفة تنغمر في صفات الأنبياء عليهم السلام فإنّ إرشاد الخلائق إلى طريق الهداية بعد الضّلالة يفضل عبادة الملائكة بحكم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة: ٣٢] أي من أنقذها من الضلالة التي هي شبيهة بالموت بل أعظم منه، كما ورد في الخبر في روايات الفريقين أنّ جبرائيل عليه السلام قد أتى يوماً إلى منزل فاطمة عليها السلام فتكلّمت معه، وكان فيما خاطبته أن قالت له يا عمّ فلمّا دخل النّبيّ صلى الله عليه وآله قال له جبرائيل إنّ فاطمة عليها السلام قالت لي يا عمّ فكيف هذا ونحن معاشر الملائكة قد خلقنا من النّور وأنتم معاشر البشر قد خلقتم من الطّين، فقال له النّبيّ صلى الله عليه وآله: صدقت فاطمة، ثمّ قال: يا جبرائيل نحن أيضاً مخلوقون من النور أتعرف النور إذا رأيته، قال: نعم، فقال صلى الله عليه وآله: ادعوا لي عليّاً فلمّا دخل قال يا عليّ ادن منّي فدنا منه فوضع جبهته على جبهته وحكّها فيها فظهر نور لا تكاد الأبصار تطيق النظر إليه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا جبرائيل تعرف هذا النور، فقال: نعم، هذا النور الّذي كنّا نراه في قوائم العرش، فقال: يا جبرائيل من هذا قالت لك فاطمة يا عمّ.

وفي هذا الحديث أسرار إلهيّة وحكم ربانيّة لا تبلغ العقول أكثرها منها الإشارة إلى أنّ الإيمان لا يتمّ بالشهادتين فقط بل لا بدّ من الولاية، لأنّه قسيمه في الكمال وإلى هذا الإشارة بقوله عزّ من قائل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣] لما نوّه النبي صلى الله عليه وآله بولايته يوم الغدير، وقال من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه. ومنها أنّ المساواة بينهما، إنّما أتت من عالم الملكوت، نعم إنّما فَضَله بالنبوّة وبتوسّط التعليم وإلى هذا الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله: أنت منّي بمنزلة هٰرون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي.

---

(١) قسره على الأمر يقسره قسراً أكرهه عليه وقهره.

وأمّا قول علي عليه السلام: أنا عبد من عبيد محمّد، فهو إمّا كما قال الصّدوق طاب ثراه من أنّ المراد أنّه عبد طاعة لا عبد ملك أو يكون من باب التّواضع لجنابه صلى الله عليه وآله.

والظاهر أنّه لا يجوز لنا نحن أن نقول هذا القول وننسبه إلى ما نسب نفسه لأنّ عبارات التواضع لا تحسن إلا من قائلها كما هو المتعارف في العادات الزمانيّة كيف لا وقد روى الصدوق طاب ثراه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أُعطيت ثلاثاً وعلي مشاركي فيها وأُعطي عليّ ثلاثاً ولم أشاركه فيها، فقيل: يا رسول الله وما هذه الثلاث التي شاركك فيها عليّ عليه السلام، قال: لي لواء الحمد وعليّ حامله والكوثر لي وعليّ ساقيه والجنّة والنار لي، وعليّ قسيمهما؛ وأمّا الثلاث التي أُعطيها عليّ ولم أُشاركه فيها فإنّه أُعطيها شجاعة ولم أعط مثله وأُعطيها فاطمة الزهراء زوجة ولم أعط مثلها وأُعطيها ولديه الحسن والحسين عليهما السلام ولم أُعط مثلهما.

وينبغي أن يراد بالشجاعة هنا أعمالها وممارسة الحروب والدّخول فيها لا مبدأها من قوة القلب والجرأة على اقتحام الحروب لأنّ للنبيّ صلى الله عليه وآله منها الحظّ الأوفر.

نعم لمّا كان هو الملك والسلطان لم يباشر الحروب بنفسه المباركة بل تصدّى لها عليّ عليه السلام.

وروي أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله أرني الحقّ لأصل إليه قال: يا عبد الله الج المخدع[1] فولجت المخدع وعليّ بن أبي طالب عليه السلام يصلّي ويقول في ركوعه وسجوده: اللّهمَّ بحق محمّد عبدك إغفر للخاطئين من شيعتي، فخرجت حتّى أُخبر رسول الله صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: اللّهمَّ بحق عليّ بن أبي طالب عبدك إلّا ما غفرت للخاطئين من أمّتي، قال: فأخذني من ذلك الهلع[2] العظيم، فأوجز النبي صلى الله عليه وآله في صلاته وقال: يابن مسعود أكفر بعد الإيمان. فقلت: حاشا وكلا يا رسول الله ولكن رأيت علياً يسأل الله بك ورأيتك تسأل الله به ولا أعلم أيّكما أفضل عند الله تعالى. فقال: إجلس يابن مسعود فجلست بين يديه.

فقال: إعلم أنّ الله خلقني وعليّاً من نور عظمته، قبل أن يخلق الله الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح ولا تقديس ولا تهليل ففتق نوري فخلق منه السمٰوات والأرض وأنا والله أجلّ من السمٰوات والأرض وفتق نور عليّ بن أبي طالب فخلق منه العرش

(١) المخدع الخزانة أي البيت الصغير توضع فيه الامتعة جمع مخادع.
(٢) هلع الرجل يهلع هلعاً جزع أفحش الجزع.

والكرسي وعليّ والله أجلّ من العرش والكرسي وفتق نور الحسن عليه السلام وخلق منه اللّوح والقلم والحسن والله أجلّ من اللّوح والقلم، وفتق نور الحسين عليه السلام وخلق منهن الجنان، والحور العين والحسين عليه السلام والله أجلّ من الجنان والحور العين، ثمّ أظلمت المشارق والمغارب فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلّم الله جلّ جلاله بكلمة فخلق منها روحاً ثمَّ تكلّم بكلمة فخلق من تلك الكلمة الأُخرى نوراً فأضاف النور إلى تلك الروح وأقامها أمام العرش، فأزهرت المشارق والمغارب، فهي فاطمة الزهراء عليها السلام، فلذلك سمّيت الزهراء، يابن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله جلّ جلاله، لي ولعليّ أدخلا الجنّة من شئتما، وأدخلا النار من شئتما وذلك قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: ٢٤]، فالكافر من جحد نبوّتي والعنيد من جحد ولاية عليّ بن أبي طالب.

وروي عن تاج الدين عن ابن عبّاس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في مجلسه وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار إذ نزل عليه جبرائيل عليه السلام وقال له: يا محمّد الحقّ يقرئك السلام ويقول لك أحضر عليّاً واجعل وجهك مقابل وجهه ثمَّ عرج جبرائيل عليه السلام إلى السماء فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً فأحضره وجعل وجهه مقابل وجهه فنزل جبرائيل ثانياً، ومعه طبق فيه رُطب فوضعه بينهما ثمَّ قال: كلا فأكلا ثمّ أحضر طشتا وإبريقاً فقال: يا رسول الله قد أمرك الله أن تصبّ الماء على يد عليّ بن أبي طالب فقال صلى الله عليه وآله: السمع والطاعة لما أمرني به ربّي ثمَّ أخذ الإبريق وقام يصبّ الماء على يد عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له عليّ عليه السلام: يا رسول الله أنا أولى أن أصبّ الماء على يديك، فقال له: يا علي إنّ الله سبحانه وتعالى أمرني بذلك. وكان كلما صب الماء على يد عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يقع منه قطرة في الطشت فقال علي عليه السلام: يا رسول الله إنّي لم أر شيئاً من الماءِ يقع في الطشت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ إنّ الملائكة يتسابقون على أخذ الماءِ الّذي يقع من يديك فيغسلون به وجوههم ليتبرّكوا به. وغير ذلك من الأخبار.

نور إمامي

قد تحقّقت أنّ النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة صلوات الله عليهم قد خلقوا من نور واحد والنبي صلى الله عليه وآله له فضيلة وأمّا سيّد الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام فقد فضّله على الأئمة عليهم السلام وذكروا أنّ له الفضل على الأئمة ووجهه ظاهر وأمّا الحسنان صلوات الله عليهما فالّذي يظهر من أخبارهم عليهم السلام أنّ لهما الفضيلة أيضاً على باقيهم ولعلّ

وجهه القرب من النبي ﷺ، ومشاهدة الوحي وهبوط الملائكة في منازلهم والقرب من زمان الإسلام وغير ذلك وأمّا هما صلوات الله عليهما فلا نعرف الأفضلية بينهما لأن الإمامة والخلافة قد أتتهما من جدّهما ﷺ معاً وقد كانا في الكمالات كفرسي رهان مع ما خصّ به الحسين عليه السلام عوض الشهادة بأن جعل الشفاء في تربته والدعاء مستجاب تحت قبّته والأئمة من ذرّيته ولا تعدّ أيّام زائره جائياً وراجعاً من عمره.

وفي الرّوايات الخاصّة أنّ فاطمة عليها السلام أتت بهما إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ورّث ولديك، فقال ﷺ: أمّا الحسن فله سؤددي وعلائي وأمّا الحسين فله سخاوتي وشجاعتي، ومن هذا كان الحسين عليه السلام في الدّرجة القصوى من الكرم والشجاعة أما الكرم فقد كان الحسن عليه السلام يكتب إليه بأنك تعطي الشعراء ونحوهم كثيراً من الأموال فأجابه الحسين عليه السلام بأنك تعلم يا أخي أنّ خير المال ما صين به العرض، وفيه دلالة على أنّ الإعطاء بقصد صون العرض حسنة، ولو لم يكن من أهل الإستحقاق. وروي مصرّحاً به في بعض الأخبار، من أنّ الإعطاء لصون العرض، يكتب فيه ثواب الصدقة. وأمّا الشّجاعة فناهيك بواقعة الطّفوف، وقدومه على الجهاد، مع ستّين ألفاً، وقتله الجماعات منهم حتّى احتالوا عليه بأن زحفوا إليه كلّهم، وقد كانت العادة بينهم قديماً أن يبرز واحد لواحد، مع ما لحقه من العطش والأذى بقتل أهل بيته وإخوته، ولكن قد سبق الكتاب أجله، وسيأتي بيان هذا إن شاء الله تعالى.

وفي الروايات أنّ الحسنين عليهما السلام قد تكاتبا، فجاءا إلى النبي ﷺ ليميّز بين كتابيهما وقد كانا أطفالاً فقال لهما: أنا أُمّيّ ولكن امضيا إلى أبيكما فجاءا إليه، فقال أبوهما امضيا إلى أُمّكما لتميّز بينكما فلمّا أتيا إليها، قالت يا ولداي، عندي عقد فيه سبع من اللآلئ، فأنا أقطعه، فكل من يحوز الأربع فسطره الأحسن فلمّا ألقتها تبادرا إلى التقاط اللآلئ فالتقط كلّ واحد منهما ثلاثة وأتى جبرائيل عليه السلام يضرب بجناحه اللؤلؤة وقدّها نصفين فأخذ كلّ واحد منهما نصفاً.

فانظر إلى رعاية حرمتهما حيث لم يرد الله ورسوله وأبوهما وأُمّهما إدخال غمّ الترجيح عليهما. وأمثال هذه الروايات الدّالّة على المساواة بينهما لا تكاد تحصى مع أنّه ﷺ، ورّثهما من بدنه الشريف، فكان الحسن عليه السلام يشبهه من السّرة إلى فوق والحسين عليه السلام يشبهه في النصف الباقي.

وفي الروايات الكثيرة أنّ الجنّة قالت: يا ربّ أسكنتني الضعفاء والمساكين، قال

لها الله تعالى: ألا ترضين أنّي زيّنت أركانك بالحسن والحسين، قال: فماست كما تميس العروس فرحاً. وروي أنّه كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثمّ قال: صدق الله ورسوله، إنّما أموالكم وأولادكم فتنة، نظرت إلى هذين الصبيّين، يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتّى قطعت حديثي ورفعتهما.

وأمّا باقي الأئمة عليهم السلام فالأخبار قد اختلفت في أحوالهم، في المساواة والأشرفيّة، فروى الصّدوق مسنداً إلى مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام قال: دخلت أنا وأخي على جدّي رسول الله ﷺ فأجلس أخي على فخذه الأيمن وأجلسني على فخذه الأُخرى، ثمّ قبّلنا وقال بأبي أنتما من إمامين صالحين اختاركما الله منّي، ومن أبيكما وأمّكما، واختار من صلبك يا حسين تسعة أئمّة تاسعهم قائمهم، كلّهم في الفضل والمنزلة عند الله سواءٌ.

وفي الروايات الأُخرى، أنّ أفضلهم قائمهم، ولعلّ أفضليّته عليه السلام باعتبار تشييد أركان الدّين، وكثرة جهاده وإعزاز المؤمنين به، ونحو ذلك ممّا يأتي تفصيله إن شاء الله.

نور علوي

إعلم أنّه لا خلاف بين أصحابنا رضوان الله عليهم في أشرفيّة نبيّنا ﷺ على سائر الأنبياء عليهم السلام للأخبار المتواترة وإنّما الخلاف بينهم في أفضليّة أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين عليهم السلام على الأنبياء ماعدا جدّهم ﷺ فذهب جماعة إلى أنّهم أفضل باقي الأنبياء ما خلا أُولي العزم، فإنّهم أفضل من الأئمّة عليهم السلام، وبعضهم إلى المساواة وأكثر المتأخرين إلى أفضليّة الأئمّة عليهم السلام على أُولي العزم وغيرهم، وهو الصّواب والدليل عليه أمور:

الأول: قول النّبيّ ﷺ: لولا علي لم يكن لفاطمة كفوٍ، آدم عليه السلام فمن دونه. وقد اعترض الرازي على هذا بأنّ إبراهيم وإسماعيل أبواها، فلا يدخلان في هذا العموم. والجواب ظاهرٌ وهو أنّ المراد النّظر إلى الكفويّة، مع قطع النّظر عن الأبويّة، مع أنّ غيرهما كاف في باب التفضيل، إذ لا قائل بالفرق بين موسى وإبراهيم.

الثاني: ما رواه المفضّل بن عمر، قال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ الله تبارك وتعالى

خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها، أرواح محمّد، وعليّ، والحسن، والحسين والأئمّة صلوات الله عليهم، فعرضها على السمٰوات والجبال، فغشيها نورهم، فقال الله تبارك وتعالى للسّموات والأرض والجبال: هؤلاء أحبّائي وأوليائي وحججي على خلقي وأئمّة بريّتي، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منهم، ولمن تولاّهم خلقت جنّتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري، إلى أن قال: فلمّا أسكن آدم عليه السلام وحواء الجنّة نظرا إلى منزلة النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة، فوجداها أشرف منازل أهل الجنَّة، فقالَ لهما سبحانه: لولاهما لما خلقتكما. ولا يعترض على هذا، بأنّ الأفضليّة باعتبار المجموع الذي قد دخل فيه النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّ قوله سبحانه: ما خلقت خلقاً هو أحّب إليَّ منهم، بمنزلة قوله: ما خلقت خلقاً أحبّ إليَّ من محمّد، وما خلقت خلقاً أحبّ إليَّ من علي. وهكذا مع أنَّ الأخبار الواردة على طريق الوحدة متكثّرة جدّاً ولعلّك تطّلع على بعضها، إن شاء الله تعالى في تضاعيف هذا الكتاب.

الثالث: ما روي مستفيضاً من قوله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة، أقام الله عزّ وجلّ جبرائيل ومحمّد عليهما السلام على الصراط، لا يجوز أحد إلّا من كان معه براءة من عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإلاّ هلك، وأنزله الله الدّرك الأسفل. وكذا روي أنّه لا يدخل الجنة أحد إلّا من كان معه براءة من عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وأحد في الموضعين نكرة في سياق النفي، وتوجيه هذا ظاهر، فإنه سيأتي إن شاء الله تعالى في نور عرصات القيامة، أنّ الله تعالى يبعث رضوان بمفاتيح الجنّة، ومالكاً بمفاتيح النار فيدفعهما إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ويأتي شفير جهنّم فيقف والملائكة تسوق النّاس إلى الصّراط، وهو واقف عنده، فيقول: يا نار هذا لي وهذا لك، وهذا معنى كونه قسيم الجنّة والنّار، على ما تواترت به الأخبار، وفي أحاديث عيون أخبار الرضا عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سمّي أبا القاسم، لأنّه ربى عليّاً في حجره، لمّا أخذه من أبي طالب عام القحط، وعليّ قاسم الجنّة والنار، والنبيّ أبوه، فهو أبو القاسم.

الرابع: ما رواه ابن عبّاس، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: ١٦٥-١٦٦]، قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلمّا رآه النّبيّ صلى الله عليه وآله تبسّم في وجهه وقال: مرحباً بمن خلقه الله تعالى، قبل أبيه آدم عليه السلام بأربعين ألف عام، فقلت: يا رسول الله أكان الابن قبل الأب؟ فقال: نعم، إنّ الله خلقني وخلق عليّاً قبل أن يخلق آدم عليه السلام بهذه المدّة

خلق نوراً فقسمه نصفين، فخلقني من نصفه وخلق عليّاً من النصف الآخر قبل الأشياء، فنورها من نوري ونور عليّ جعلنا عن يمين العرش ثمّ خلق الملائكة، فسبّحنا فسبحت الملائكة، وهلّلنا فهلّلت الملائكة، وكان ذلك من تعليمي وتعليم عليّ وكان ذلك في علم الله السّابق أنّ الملائكة تتعلّم منّا التسبيح والتكبير والتهليل، وكلّ شيء سبّح الله وكبّره وهلّله بتعليمي وتعليم عليّ، وكان في علم الله السابق، أن لا يدخل النار محبّ لي ولعليّ، وكذا كان في علمه تعالى، أن لا يدخل الجنّة، مبغض لي ولعليّ، ألا وإنّ الله عزّ وجلّ، خلق ملائكة بأيديهم أباريق اللّجين مملوءة من ماء الجنّة من الفردوس، فما أحد من شيعة عليّ إلا وهو طاهر الوالدين تقيّ نقيّ مؤمن بالله، فإذا أراد واحدهم أنّ يواقع أهله، جاء ملكٌ من الملائكة، الذين بأيديهم أباريق الجنّة، فطرح من ذلك الماء في إنائه الذي يشرب فيه، فيشرب هو ذلك الماء، فينبت الإيمان في قلبه كما ينبت الزرع، فهم على بيّنة من ربّهم، ومن نبيّهم، ومن وصيّي عليّ ومن ابنتي فاطمة الزهراء، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، والأئمّة من ولد الحسين عليهم السلام، الحديث. ووجه الاستدلال بهذا ظاهر، لأنّ مرتبة الأستاذ الأوّلي أعلى درجة من درجة التلميذ، كما يظهر من قوله صلى الله عليه وآله: وكلّ شيء سبّح الله بتعليمي، وتعليم عليّ.

الخامس: ما استفاض في الأخبار، من أنّ علم الأئمّة عليهم السلام أكمل من علوم كلّ الأنبياء، وذلك أنّ من جملته علم الإسم الأعظم، وهو ثلاثة وسبعون حرفاً، حرف منها استأثر به الله سبحانه واثنان وسبعون علّمها لرسوله، وأمره أن يعلّمها أهل بيته. وأمّا باقي الأنبياء عليهم السلام، فقال الصّادق عليه السلام: إنّ عيسى ابن مريم عليه السلام أُعطي حرفين كان يعمل بهما، وأُعطي موسى عليه السلام أربعة أحرف وأُعطي إبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف وأُعطي نوح عليه السلام خمسة عشر حرفاً، وأُعطي آدم عليه السلام خمسة وعشرين حرفاً وقد جمع كلّ ذلك لمحمّد وآله، سوى حرف واحد، استأثر به الله.

وروى صاحب كتاب الأربعين عن عمّار بن خالد عن إسحاق الأزرق عن عبد الملك بن سليمان قال: وجد في ذخيرة حواريّ عيسى عليه السلام في رقّ مكتوب، أنّه لمّا تشاجر موسى والخضر عليهما السلام في قصة السفينة والغلام، والجدار، ورجع موسى إلى قومه، فسأله أخوه هارون عمّا شاهده من عجائب البحر، قال موسى عليه السلام: بينا أنا والخضر على شاطىء البحر إذ سقط بين أيدينا طائر فأخذ في منقاره قطرة من ماءِ البحر ورمى بها نحو المشرق وأخذ الثانية ورمى بها نحو المغرب فأخذ الثالثة ورمى بها نحو السّماء وأخذ الرابعة فرمى بها نحو الأرض ثمّ أخذ

خامسة فألقاها في البحر فبهتّ أنا والخضر من ذلك، وسألته عنه فقال: لا أعلم فبينما نحن كذلك وإذا بصيّاد يصيد في البحر فنظر إلينا وقال: ما لي أراكما في فكرة من أمر الطّائر فقلنا هو كذلك فقال: أنا رجل صيّاد وقد علمت إشارته وأنتما نبيّان لا تعلمان، فقلنا: لا نعلم إلّا ما علّمنا الله عزّ وجلّ فقال: هذا الطّائر في البحر يسمّى مسلماً لأنّه إذا صاح يقول في صياحه مُسلم فإشارته برمي الماء يقول يأتي في آخر الزّمان نبيّ يكون علم أهل السّموات والأرض والمشرق والمغرب عند علمه مثل هذه القطرة الملقاة في هذا البحر ويرث علمه ابن عمّه ووصيّه عليّ بن أبي طالب فعند ذلك سكن ما كنّا فيه من التّشاجر واستقلّ كلّ واحد منّا علمه.

وأمّا حوادث العلوم المتجدّدة بحوادث الأيّام في أعصار الأئمة عليهم السلام فقد روي أنّ علمها يعرض على روح النّبيّ صلى الله عليه وآله ومن بعده من الأئمّة عليهم السلام ثمَّ يعرض على الإمام الحيّ حتّى لا يكون لآخرهم فضل على أوّلهم بالعلم ومن كان أعلم كان أفضل لقوله سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

السادس: إنّه قد روي في عدّة أخبار أنّه قد اجتمع في عليّ عليه السلام من الصفات ما وجد في غيره متفرقاً من الأنبياء السابقين.

روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى سليم بن قيس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليّ في السماءِ السابعة، كالشمس بالنهار في الأرض، وفي السماء الدنيا كالقمر باللّيل في الأرض أعطى الله تعالى عليّاً من الفضل جزءاً لو قسّم على الأرض لوسعهم وأعطاه الله من الفهم جزءاً لو قسم على أهل الأرض لوسعهم شبهت لينه بلين لوط عليه السلام وخلقه بخلق يحيى عليه السلام وزهده بزهد أيّوب عليه السلام وسخاءه بسخاءِ إبراهيم عليه السلام وبهجته ببهجة سليمان بن داود عليه السلام وقوّته بقوّة داود عليه السلام له إسم مكتوب على كلّ حجاب في الجنّة بشّرني ربّي، الحديث، وكلّ من جمع الأوصاف الحسنة له فضل على كلّ من فيه أحدها.

السابع: إنّه روي في صفة منبر الوسيلة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه منبر يؤتى به يوم القيامة فيوضع عن يمين العرش فيرقاه النبيّ صلى الله عليه وآله ثمَّ يرقى من بعده أمير المؤمنين عليه السلام فيجلس في مرقاة دونه ثمَّ الحسن عليه السلام في مرقاة دونه إلى آخر الأئمة ثمَّ يؤتى بإبراهيم وموسى وعيسى والأنبياءِ عليهم السلام فيجلس كلّ واحد على مرقاة من دون المراقي وفي هذا أيضاً دلالة على ترتيب الفضل والشرف.

الثامن: ما رواه أبو حمزة الثمالي قال: دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين عليه السلام وقال له: يابن الحسين أنت الذي تقول إنّ يونس بن متى إنمّا لقي من الحوت ما لقي لأنّه عرضت عليه ولاية جدّي فتوقف عندها قال عليه السلام : بلى ثكلتك أمك قال فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين فأمر بشدّ عينه بعصابة وعيني بعصابة ثمَّ أمر بعد ساعة بفتح أعيننا فإذا نحن على شاطىء بحر تضطرب أمواجه فقال ابن عمر: يا سيّدي دمي في رقبتك الله الله في نفسي ثمَّ قال عليه السلام : أيّتها الحوت قال: فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول: لبّيك لبّيك يا وليّ الله فقال: من أنت؟ قال: أنا حوت يونس يا سيّدي إنّ الله لم يبعث نبيّاً من آدم إلى أنّ صار جدّك محمّداً صلى الله عليه وآله إلّا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلّص ومن توقف عنها وتتعتع[1] في حملها لقي ما لقي آدم عليه السلام من المصيبة وما لقي نوح عليه السلام من الغرق وما لقي إبراهيم عليه السلام من النار وما لقي يوسف عليه السلام من الجبّ وما لقي أيّوب عليه السلام من البلاءِ وما لقي داود عليه السلام من الخطيئة إلى أن بعث الله يونساً عليه السلام فأوحى الله إليه أن يا يونس تولَّ أمير المؤمنين عليّاً والأئمّة الراشدين من صلبه فقال: كيف أتولّى من لم أره ولم أعرفه وذهب مغاضباً فأوحى الله تعالى إليّ أن التقمي يونس ولا توهني له عظماً فمكث في بطني أربعين صباحاً يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث ينادي أن لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين قد قبلت ولاية علي بن أبي طالب والأئمة الراشدين من ولده عليهم السلام فلمّا آمن بولايتكم أمرني ربّي فقذفته على ساحل البحر. فقال زين العابدين عليه السلام : إرجعي أيتها الحوت إلى وكرك، فرجع الحوت واستوى الماء.

التاسع: ما أورده الصدوق طاب ثراه نقلاً عن جماعة ثقات قال: لمّا وردت حرّة بنت حليمة السعدية على الحجاج بن يوسف الثقفي وجلست بين يديه فقال لها: أنت حرّة بنت حليمة قد قيل عنك إنّك تفضّلين عليّاً على أبي بكر وعمر وعثمان، قالت: لقد كذب الذي قال إنّي أُفضّله على هؤلاء خاصّة، قال: وعلى من غير هؤلاءِ؟ قالت: أفضّله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ابن مريم، فقال لها: ويلك أقول لك إنّك تفضّلينه على الصحابة فتزيدين عليهم ثمانية من الأنبياء من أُولي العزم فإن لم تأتيني ببيان ما قلت وإلاّ ضربت عنقك، فقالت: ما أنا فضّلته على هؤلاءِ الأنبياءِ بل الله عزّ وجلّ فضله في القرآن عليهم

(١) تتعتع في الكلام تردد من حصر أو عيّ وتعتعت الدابة ارتطمت في الرمل.

في قوله في حقّ آدم ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] وقال في حقّ عليّ عليه السلام ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢]. فقال: أحسنت يا حرّة فبم تفضّلينه على نوح ولوط؟ قالت: الله تعالى فضّله عليهم بقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] وعلي بن أبي طالب كان ملَكه تحت سدرة المنتهى زوجته بنت محمّد صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء عليها السلام التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها، فقال الحجّاج أحسنت يا حرّة فبم تفضّلينه على أبي الأنبياءِ إبراهيم خليل الله عليه السلام فقالت: الله فضّله بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠] وأمير المؤمنين قال قولاً لم يختلف فيه أحد من المسلمين: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، وهذه كلمة لم يقلها قبله ولا بعده أحد، قال: أحسنت يا حرّة فبم تفضّلينه على موسى عليه السلام نجيّ الله قالت: بقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١] وعليّ بن أبي طالب بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخف حتّى أنزل الله في حقّه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، قال: أحسنت يا حرّة قال: فبم تفضّلينه على داود عليه السلام قالت: الله فضله عليه بقوله: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦]، قال لها: فأيّ شيء كانت حكومته؟ قالت: في رجلين أحدهما كان له كرم وللآخر غنم فنفشت الغنم في الكرم فرعته فاحتكما إلى داود فقال تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم، حتّى يعود على ما كان عليه فقال له ولده: يا أبة بل يأخذ من لبنها وصوفها فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وإنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: اسألوني عمّا فوق السماءِ اسألوني عمّا تحت العرش اسألوني قبل ان تفقدوني، وإنّه عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وآله يوم فتح خيبر فقال النبي صلى الله عليه وآله للحاضرين: أفضلكم وأعلمكم عليّ فقال لها: أحسنت يا حرّة، فبم تفضّلينه على سليمان عليه السلام فقالت: الله فضّله عليه بقوله: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ﴾ [ص: ٣٥].

ومولانا عليه السلام قال: يا دنيا قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك فعند ذلك أنزل الله فيه: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] قال: أحسنت يا حرّة فبم تفضّلينه على عيسى ابن مريم عليه السلام قالت:

الله فضّله عليه بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [المائدة: ١١٦] إلى آخر الآية.

وعليّ بن أبي طالب عليه السلام لما ادعوا النصيريّة[1] فيه ما ادّعوا لم يعاتبه الله سبحانه فقال أحسنت يا حرّة خرجت من جوابك ولولا ذلك لما كان ذلك ثم أجازها وأعطاها وسرحها سراحاً حسناً.

---

(١) هكذا وقعت العبارة في النسخ التي رأيناها ولكن ينبغي لفت النظر إلى أن (النصيرية) اشتهرت في زمن العسكريين عليهما السلام ولم يكن في زمن الحجاج من هذه التسمية عين ولا أثر فكيف ذكرتها حرة بنت حليمة في مجلس الحجاج.
قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج٢ ص ٣٠٩ ط مصر (النصيرية هي التي أحدثها محمد بن نصير النميري وكان من أصحاب الحسن العسكري عليه السلام).
وقال الشيخ أحمد فهمي في تعاليقه على الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٣١٦ (النصيرية ويقال لها النميرية أحدثها محمد بن نَصير النميري وكان من أصحاب الحسن العسكري).
وذكرها فخر الدين الرازي في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦١ ط مصر سنة (١٣٥٦هـ) بعنوان (النصرية) ولكن في الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٣١٦ ط مصر سنة (١٣٦٨هـ) (النصيرية) وكذا في أكثر الكتب وفي بعضها أن النصيرية من بقايا فرقة السبئية أتباع عبد الله بن سبأ ولكن عبد الله بن سبأ من الأساطير عند المحققين.
قال شيخنا العلاّمة المامقاني قده (النصيرية من الغلاة أصحاب محمد بن نصير النميري كان يقول الرب هو علي بن محمّد العسكري عليه السلام وهو نبي من قبله وأباح المحارم وأحل نكاح الرجال وعن الكشي أنّهم فرقة قالوا بنبوة محمد بن نصير الفهري النميري ثم قال: قال بعض اجلة من عاصرناه أن المعروف عند الشيعة عوامهم وأكثر خواصهم لاسيما شعرائهم إطلاق النصيري على من قال بربوبية علي عليه السلام) انظر مقباس الهداية ص ٨٦ ط ٢ وتنقيح المقال ص ١٩٥ ج ٣ ولم يذكر أبو الحسن الاشعري المتوفى (٣٣٠هـ) إمام أهل السنة الفرقة النصيرية في كتابه مقالات الإسلاميين نعم ذكر النميرية ولكن لم يسم مؤسسها انظر ص ٨٤ ج ١ ط مصر ولعل محمد بن نصير النميري الّذي كان في عصر العسكري عليه السلام، تفوه في حق أمير المؤمنين عليه السلام، بتلك المقالة الفاسدة واشتهرت الغلاة بعده باسمه قال الفخر الرازي في اعتقادات فرق المسلمين ص ٦١ (النصيرية وهم يزعمون أنّ الله تعالى كان يحل في علي في بعض الأوقات وفي اليوم الّذي قلع عليّ باب خيبر كان الله تعالى قد حل فيه).
ويظهر من الشهرستاني في الملل والنحل ص ٣١٧ أنّهم قائلون بألوهية جميع الائمة عليهم السلام قال: (النصيرية والإسحاقية من غلاة الشيعة ولهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوبون عن أصحاب مقالاتهم وبينهم خلاف في كيفية اطلاق اسم الإلهية على الائمة من أهل البيت قالوا: ولمّا لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله شخص أفضل من علي عليه السلام وبعده أولاده المخصوصون هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم فمن هذا =

أقول: هذا الجواب منها قد ورد في الأخبار ولكن لم يجتمع في خبر فلذلك نقلناه من كلام حرّة وإلاّ فقد رويناه في الأخبار عن الأئمّة الطاهرين.

وفي كتاب المناقب مسنداً إلى صعصعة بن صوحان أنّه دخل على أمير المؤمنين عليه السلام لمّا ضرب فقال: يا أمير المؤمنين: أنت أفضل أم آدم أبو البشر؟

= اطلقنا اسم الإلهية عليهم).

وقال شيخنا العلاّمة المامقاني رحمه الله في مقباس الهداية ص ٨٨ ط نجف (والمشهور أن الغلاة هم الذين يقولون في أهل البيت عليهم السلام ما لا يلتزمون أهل البيت عليهم السلام بثبوت تلك المرتبة لهم كمن يدعي فيهم النبوة كالبزيعية والإلهية كالنصيرية فعلم مما ذكرناه أن النصيرية قالوا بإلهية الائمة عليهم السلام جميعاً ومن هنا يعلم أيضاً وجه ما اشتهر بين النّاس من اطلاق النصيري على من قال بربوبية أمير المؤمنين عليه السلام .

ومع هذا كله فتسمية النصيرية بهذا الاسم لم تكن قبل محمّد بن نصير النميري الّذي عاش في زمن العسكريين عليهما السلام وصاحب الأعمال الشنيعة التي تدل على خبث سريرته ويبقى الاشكال في القصة المذكورة في المتن على حاله إلاّ أن يثبت تقدم تسمية النصيرية قبل ذلك الزمان وشهرتها في زمن الحجاج ولعل إدخال اسم النصيرية في تلك القصة من تصرف الرواة بعد اشتهار هذه التسمية والله العالم.

وفي مدينة المعجزات للعلاّمة المحدث البحراني رحمه الله نقلاً عن الحافظ البرسي رحمه الله ما هذا لفظه: (النصرية هم أصحاب محمد بن نصر النميري وسبب كفره أن أمير المؤمنين عليه السلام لمّا أراد عبور الفرات قال له ناد يا جلندى يقول لك أمير المؤمنين أين المخاض - إلى أن قال بعد نقل القصة: فقال محمد بن نصير هناك: يا مولاي أنت الله الواحد القهار) انظر ص ٥٠ وما نقله عن البرسي موجود بادنى تغيير في النسخة المخطوطة من كتاب مشارق أنوار اليقين للحافظ رجب البرسي رحمه الله الموجودة في مكتبتنا.

وما نقله البرسي نقل عجيب فإن محمد بن نصير النميري كان في زمن العسكري عليه السلام كما عرفت وأين هو من زمن أمير المؤمنين عليه السلام وهل محمد بن نصير هذا غير ذاك والله العالم والذي يهون الخطب أن البرسي غير ضابط في نقلياته ولا يعتمد على متفرداته.

وفي كتاب فرق الشيعة المنسوب للنوبختي ذكر محمد بن نصير النميري وسمى الفرقة المنسوبة إليه بالنميرية انظر ص ٩٣ ط نجف.

ولكن ذلك الكتاب اعني فرق الشيعة موضوع مختلق باسم النوبختي وهو كتاب لا يعتمد عليه أصلاً.

وقد كتبنا مقالاً في عدم الاعتماد على الكتب المؤلفة في بيان الفرق والاديان والآراء والمذاهب نشر في مجلة (العرفان) الزاهرة طبعة صيدا لبنان - انظر المجلد ٤٣ج ٨ ص ٨٦٧.
فإن المؤلفين لتلك الكتب مقتفون في نقلياتهم داعي الهواء ونزعة التعصب البغيض من دون بيان مصدر للآراء والمذاهب والعقائد من كتب أرباب الملل والنحل فراجع.

قال عليّ عليه السلام: تزكية المرء نفسه قبيح لكن قال الله تعالى لآدم: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] وأنا أكثر الأشياءِ أباحها لي وتركتها وما قاربتها ثمَّ قال: أنت أفضل يا أمير المؤمنين أم نوح؟ قال عليّ عليه السلام: إنّ نوحاً دعا على قومه وأنا ما دعوت على ظالمي حقّي وابن نوح كان كافراً وابناي سيّدا شباب أهل الجنّة، قال: أنت أفضل أم موسى؟ قال عليه السلام: إنّ الله تعالى: أرسل موسى إلى فرعون فقال: إنّي أخاف أنّ يقتلوني حتى قال الله تعالى: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠] وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: ٣٣] وأنا ما خفت حين أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله بتبليغ سورة براءة أن أقرأها على قريش في الموسم مع أنّي كنت قتلت كثيراً من صناديدهم فذهبت بها إليهم وقرأتها عليهم وما خفتهم، ثمَّ قال: أنت أفضل أم عيسى ابن مريم؟ قال: عيسى عليه السلام كانت أُمّه في بيت المقدس فلمّا جاء وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول اخرجي هذا بيت العبادة لا بيت الولادة وأنا أمّي فاطمة بنت أسد لمّا قرب وضع حملها كانت في الحرم فانشقّ حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول: ادخلي فدخلت في وسط البيت وأنا ولدت به وليس لأحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي.

العاشر: ما رواه الصدوق بإسناده إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: لمّا سار عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى صفين وقف بالفرات وقال لأصحابه: أين المخاض؟ فقالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين، فقال لرجل من أصحابه: إمض إلى هذا التل وناد يا جلندا فأين المخاض، قال فسار حتّى وصل التل ونادى يا جلندا فأجابه من تحت الأرض خلق عظيم فبهت ولم يعلم ماذا يصنع فأتى إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: جاوبني خلق كثير فقال الإمام: يا قنبر إمض وقل يا جلندا بن كركر أين المخاض؟ قال: فكلّمه واحد وقال لهم يا ويلكم من عرف اسمي واسم أبي عرف أين المخاض وأنا في هذا المكان وقد بقيت تراباً وقد مت من ثلاثة آلاف سنة وقد عرّفكم باسمي واسم أبي وهو لا يعلم أين المخاض فوالله هو أعلم بالمخاض منّي يا ويلكم ما أعمى قلوبكم وأضعف يقينكم امضوا إليه واتّبعوه فأين خاض خوضوا معه فإنّه أشرف الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

أقول: وجه الاستدلال من هذا الخبر إنّ أخص أوصاف عيسى عليه السلام ومعجزاته

هو إحياءُ الموتى وهنا قد أحيا الله الأموات لرسول عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأين هذا من ذاك[1].

الحادي عشر: ما رواه صاحب كتاب القدسيّات وهو من أعاظم محقّقي الجمهور عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لعلي: يا علي إنّ الله تعالى قال لي: يا محمّد بعثت علياً مع الأنبياء باطناً ومعك ظاهراً ثمَّ قال صاحب ذلك الكتاب: وصرّح بهذا المعنى في قوله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبيّ بعدي ليعلموا أنّ باب النبوّة قد ختم وباب الولاية قد فتح.

وإشارة بعث علي عليه السلام مع الأنبياء عليهم السلام باطناً إلى سر الولاية التي ظهرت بعد محمّد صلى الله عليه وآله ليكون علماء أُمّته الذين هم الأولياء داعين للناس في سواديّة دائرة الولاية وبياضيّتها إلى الحقّ.

أقول: هذا الذي رواه من بعثه عليه السلام باطناً قد روي مضمونه في أخبار أهل البيت عليهم السلام عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو إشارة إلى سرّ إلهيّ في الغاية القصوى من التحقيق وهو أنّه قد روي عنه عليه السلام أنّه قال في جواب من سأله عن فضله وفضل من تقدّمه من الأنبياء مع أنّهم حازوا غاية الإعجاز؛ أما إبراهيم عليه السلام فقد نجاه الله سبحانه من نار النمرود وجعلها عليه برداً وسلاماً ونوح عليه السلام قد نجاه الله من الغرق وموسى عليه السلام من فرعون وآتاه التوراة وعلّمه إيّاها وعيسى عليه السلام آتاه النبوة في المهد وأنطقه بالحكمة والنبوّة وسليمان عليه السلام الذي سخّر له الريح والجنّ والإنس وجميع المخلوقات. فقال عليه السلام : والله قد كنت مع إبراهيم في النار وأنا الّذي جعلتها برداً وسلاماً وكنت مع نوح في السفينة فأنجيته من الغرق وكنت مع موسى فعلّمته التوراة وأنطقت عيسى في المهد وعلّمته الإنجيل وكنت مع يوسف في الجبّ فأنجيته من كيد إخوته وكنت مع سليمان على البساط وسخّرت له الرياح.

وفي الروايات الخاصّة أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يوماً جالساً ومعه رجل من الجنّ يسأله

---

(١) في هذا الاستدلال من النظر ما لا يخفى فإنه ليس في هذا الخبر أنّ الأموات صاروا أحياء ثم أجابوا بل المستفاد منه أن بعد نداء الرجل أجابه من تحت الأرض خلق كثير والجواب لا يستلزم إحياء الموتى ولعل الجواب صدر من الأرواح التي هم في الأجساد المثالية في عالم البرزخ وجوابهم له كان من بركات أمير المؤمنين عليه السلام وتكلم واحد منهم وجوابه لقنبر وقوله قد بقيت تراباً ظاهر أن بدنه في حين الجواب تراب فالجواب صادر من جسده المثالي البرزخي نعم لا شك أن تلك القضية من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام وإحيائه عليه السلام من الأموات بأبدانهم العنصرية فقد اتفق كثيراً كما هو ظاهر على الخبير.

عن أشياء من أحكام الدين فدخل علي عليه السلام فتصاغر ذلك الجنيّ خوفاً حتى صار مثل العصفور فقال: يا رسول الله أجرني من هذا الشابّ فقال النبي صلى الله عليه وآله: ولم تخافه فقال: لأنّي تمرّدت على سليمان بن داود عليه السلام وسلكت البحار فأرسل إليّ جماعة من الجنّ والشياطين فلم يقدروا عليّ وأتاني هذا الشابّ وبيده حربة فضربني بها على كتفي وإلى الآن أثر جراحته، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ادن من عليّ تطب جراحتك وتؤمن به وتكون من شيعته ففعل.

وخطبة البيان[١] المنقولة عنه عليه السلام تبيّن هذا كلّه وهي الأسرار التي لا يعرف معناها إلّا العلماءُ الراسخون.

الثاني عشر: ما استفاض في الروايات من أنّ إبراهيم عليه السلام طلب في مدّة عمره من الله سبحانه مرّة واحدة أن يطلعه على الملكوت ليشاهده عياناً فقال: ربّ أرني ملكوت السمٰوات والأرض فرفع الحجاب عن وجهه حتّى نظر بهذه العين الباصرة إلى ما خلق الله في الأرض والسماء.

وأمّا مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقد كانت له هذه الحالة طول عمره كما روي أنّه عليه السلام كان يخطب يوماً على المنبر فقال: أيّها النّاس سلوني قبل أن تفقدوني اسألوني عن طرق السمٰوات فإنّي أعرف بها منيّ بطرق الأرض فقام رجل من القوم فقال: يا أمير المؤمنين أين جبرائيل هذا الوقت؟ فقال عليه السلام: دعني أنظر فنظر إلى فوق وإلى الأرض ويمنة ويسرة فقال أنت جبرائيل فطار من بين القوم شقّ سقف المسجد بجناحه فكبّر النّاس وقالوا: الله أكبر يا أمير المؤمنين من أين علمت أنّ هذا جبرائيل فقال: إنّي لمّا نظرت إلى السماءِ بلغ نظري إلى ما فوق العرش والحجب ولمّا نظرت إلى الأرض خرق بصري طبقات الأرض إلى الثرى ولمّا نظرت يمنةً ويسرة رأيت ما خلق ولم أر جبرائيل في هذه المخلوقات فعلمت أنّه هو.

وروى الشيخ الطوسي قدّس الله روحه بإسناده إلى ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أعطاني الله تبارك وتعالى خمساً وأعطى عليّاً خمساً أعطاني جوامع الكلم[٢] وأعطى عليّاً جوامع العلم وجعلني نبيّاً وجعله وصيّاً وأعطاني الكوثر

---

(١) خطبة البيان من الخطب التي لا يمكن الركون إليها لضعف سندها ولا شباهة لها بخطب أمير المؤمنين عليه السلام وفقراتها تحتاج إلى التأويلات الباردة.

(٢) أوتيت جوامع الكلم يعني القرآن جمع الله بلطفه في الألفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة واحدها جامعة أي كلمة جامعة ومنه الحديث في صفته صلى الله عليه وآله أنّه كان يتكلم بجوامع الكلم أي أنّه كان كثير المعاني قليل الألفاظ قاله ابن الأثير في النهاية انظر ص ١٧٦ ج ١ ط مصر.

وأعطاه السلسبيل وأعطاني الوحي وأعطاه الإلهام وأسرى بي إليه وفتح له أبواب السماءِ والحجب حتّى نظر إليّ ونظرت إليه قال: ثمّ بكى رسول الله ﷺ فقلت له: ما يبكيك فداك أبي وأمّي؟ فقال: يابن عبّاس إنّ أوّل ما كلّمني به أن قال: يا محمد انظر تحتك فنظرت إلى الحجب قد انخرقت وإلى أبواب السماء قد فتحت ونظرت إلى عليّ عليه السلام وهو رافع رأسه إليّ فكلمني وكلمته وكلمني ربّي عزّ وجلّ . فقلت: يا رسول الله بم كلّمك؟ قال: قال لي: يا محمّد إنّي جعلت عليّاً وصيّك ووزيرك وخليفتك من بعدك فأعلمه فها هو يسمع كلامك فأعلمته وأنا بين يدي ربّي عزّ وجلّ فقال لي: قد قبلت وأطعت. فأمر الله الملائكة أن تسلّم عليه ففعلت فرد عليهم السلام ورأيت الملائكة يتباشرون به وما مررت بملائكة من ملائكة السماءِ إلّا هنّأوني وقالوا: يا محمّد والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله عزّ وجلّ لك ابن عمّك ورأيت حملة العرش قد نكسوا رؤوسهم إلى الأرض فقلت: يا جبرائيل لم نكس حملة العرش رؤوسهم إلى الأرض؟ فقال: يا محمّد ما من ملك من الملائكة إلّا وقد نظر إلى وجه علي بن أبي طالب استبشاراً به ما خلا حملة العرش فإنّهم استأذنوا الله عزّ وجلّ في هذه الساعة فأذن لهم أن ينظروا إلى علي بن أبي طالب فنظروا إليه. فلمّا هبطت جعلت أخبره بذلك وهو يخبرني به فعلمت أنّي لم أطأ موطئاً إلّا وقد كشف لعليّ عنه حتّى نظر إليه.

أقول: هذا الحديث يدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام عرج إلى ملكوت السماء وهو جالس في بيته.

هذي المناقب لا قعبان من لبن   شيبا بماء فصارا بعد أبوالا

وهذه الحالة قد كانت للأئمة عليهم السلام أعني مشاهدة الملكوت وبها فضّلوا على سائر الأنبياءِ عليهم السلام .

روى صاحب مشارق الأنوار بإسناده إلى مفضّل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام كيف يعلم ما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره فقال: يا مفضل إنّ الله جعل فيه خمسة أرواح: روح الحياة وبها دبّ ودرج وروح القوّة وبها نهض وروح الشهوة وبها يأكل ويشرب وروح الإيمان فبها أمر وعدل وروح القدس وبها حمل النبوّة فإذا قبض النبي ﷺ انتقل روح القدس إلى الإمام فلا يغفل ولا يلهو وبها يرى ما في الأقطار وإنّ الإمام لا يخفى عليه شيء ممّا في الأرض ولا ممّا في السماءِ وإنّه ينظر في ملكوت السمٰوات فلا يخفى عليه شيء

ولا همهمة ولا شيء فيه روح ومن لم يكن بهذه الصفات فليس بإمام[١].

والدلائل والأخبار الدالّة على هذا المطلب كثيرة جدّاً والذي اطّلعنا عليه منها زهاء ألف حديث ولكن أردنا أن لا يخلو هذا الكتاب من بعض مدائحه الربّانية فلذا ذكرنا هذا الطرف القليل وكفاه شرفاً أن رقّاه كتف رسول الله ﷺ عند كسر الأصنام وما أحسن ما قيل فيه:

قيل لي قل في عليّ مدحاً ... ذكره يخمد ناراً مؤصده
قلت لا أُقدم في مدح فتى ... حار ذو اللّب إلى أن عبده
والنبيّ المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لمّا صعده
وضع الله بظهري يده ... فأحسّ القلب أن قد برّده
وعليّ واضع أقدامه ... بمحلّ وضع الله يده

وليس المطلب إظهار مدائحه فإنّا نجلّه ونعظّمه عن مدحنا لأنّ من مدحه الله سبحانه في محكم آياته ومتشابهها ومدحه أنبياؤه المرسلون وملائكته المقرّبون لا يليق بنا أن نذكر شيئاً من مناقبه على طريق المدح وإنّما المقصود من هذا تحصيل المثوبات الأُخرويّة بأن نتسبّب بهذا وأمثاله إلى الانسلاك في سلك عبيدهم.

روى الصدوق رحمه الله في الفقيه عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال: للإمام علامات يكون أعلم النّاس وأحكم النّاس وأتقى النّاس وأحلم النّاس وأشجع النّاس وأعبد النّاس وأسخى النّاس ويولد مختوناً ويكون مطهّراً ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ولا يكون له ظلّ وإذا وقع على الأرض من بطن أمه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادة ولا يحتلم وتنام عيناه ولا ينام قلبه ويكون محدَّثاً ويستوي عليه درع رسول الله ﷺ ولا يُرى له بول ولا غائط لأنَّ الله عزّ وجلّ قد وكلّ الأرض بابتلاع ما خرج منه وتكون رائحته أطيب من رائحة المسك ويكون أولى بالناس منهم بأنفسهم وأشفق عليهم من آبائهم وأمّهاتهم ويكون أشدّ النّاس تواضعاً لله جلّ ذكره ويكون آخذ النّاس بما يأمر به وأكفّ النّاس عمّا ينهى عنه ويكون دعاؤه مستجاباً حتّى إنّه لو دعا على صخرة لانشقت بنصفين، ويكون عنده سلاح رسول الله ﷺ وسيفه ذو الفقار ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة وصحيفة فيها أسماء أعدائه إلى يوم القيامة ويكون عنده الجامعة وهي صحيفة

(١) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٥٧.

طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج إليه من ولد آدم ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر إهاب ماعز وإهاب كبش فيهما جميع العلوم حتّى أرش الخدش وحتّى الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام.

روى الصدوق قدّس الله روحه باسناده إلى الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى جعل لأخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام فضائل لا يحصي عددها غيره فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين. ومن كتب فضيلة من فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع ومن نظر إلى كتابة فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبادة وذكره عبادة ولا يقبل إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه.

وهذا الذي يحدو المؤلّفين على ذكر ما ذكروه من مناقبه عليه السلام وقد قيل إنّ معاوية سأل رجلاً من الشيعة كم لابن أبي طالب من المناقب؟ فقال: كيف أقول في من كتم شيعته مدائحه خوفاً منك وكتم أعداؤه مناقبه حسداً منهم وقد ظهر بين الكتمانين ما ملأ الخافقين، وما أحسن قول الشافعي:

أولو النهى عجزت عن وصف حيدرة ... والعارفون بمعنى ذاته تاهوا

إن أدعه بشراً فالعقل يمنعني ... وأتّقي الله في قولي هو الله

وكذا قول بعضهم:

هو النبأ العظيم وفلك نوح ... وباب الله وانقطع الخطاب

وما أقول في من ينوبه الملائكة في الحروب؟

روى العامّة والخاصّة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله غزا غزوة فلمّا رجع المدينة وكان عليّ عليه السلام قد تخلّف عند أهله فقسم المغنم فدفع إلى عليّ بن أبي طالب سهمين وهو بالمدينة متخلّف فقال معاشر النّاس ناشدتكم بالله وبرسوله ألم تروا إلى الفارس الذي حمل على المشركين من يمين العسكر فهزمهم ثمّ رجع إليّ فقال: إنّ لي معك سهماً وقد جعلته لعليّ بن أبي طالب فهو جبرائيل عليه السلام معاشر النّاس ناشدتكم بالله وبرسوله هل رأيتم الفارس الذي حمل على المشركين من يسار العسكر ثمّ رجع

فكلّمني فقال لي: يا محمّد إنّ لي معك سهماً وقد جعلته لعليّ بن أبي طالب فهو ميكائيل فوالله ما دفعت لعليّ إلّا سهم جبرائيل وميكائيل.

وروي عن الرضا عليه السلام أنّ عليّاً عليه السلام قال: يا رسول الله أنت أفضل أم جبرائيل؟ قال: يا عليّ إنّ الله تعالى فضّل أنبياءه المرسلين وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين والفضل لك يا عليّ وللأئمة من بعدك.

فائدة

ما تضمنه الدليل التاسع، من قوله عليه السلام: لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً، ممّا استفاض نقله عنه عليه السلام وقد أورد أصحابنا رضوان الله عليهم إشكالاً في هذا المقام وحاصله أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد كان يطلب زيادة المعرفة بقوله صلى الله عليه وآله: اللهمَّ زدني فيك معرفة، وقوله صلى الله عليه وآله: تب علينا فإننا بشر، ما عرفناك حقّ معرفتك.

وعلى هذا فيلزم أن يكون عليّ عليه السلام أكمل في المعرفة منه صلى الله عليه وآله وقد تقصّى عنه محققونا بوجوه:

أوّلها: ما نقل عن العلاّمة الحلّي قدّس الله روحه من أنّ المراد أنّ عليّاً عليه السلام لمّا كانت مادّة استعداده لمراتب المعرفة أنقص من مادّة استعداد النبيّ صلى الله عليه وآله فكأنّه عليه السلام قال: إنّي وصلت في درجات المعرفة الدرجة التي لا أتعداها فلو كشف الحجاب وصار ما يدرك بالبصيرة مدركاً بالبصر لما ازداد علمي ويقيني وهذا الجواب كما ترى.

وثانيها: ما قاله شيخنا البهائي طاب ثراه من أنّ قول أمير المؤمنين عليه السلام منزل على درجات القيامة ومراتبها والمعنى: لو كشف الغطاء عن مراتب الآخرة وما قاله الأنبياء عليهم السلام في وصفها لما ازددت علماً في معرفتها وأنا في هذه الدنيا فلا يكون قوله عليه السلام في المعرفة ودرجاتها بل في أحوال تلك النشأة كما رواه رئيس المحدّثين الشيخ الكليني نوّر الله ضريحه عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى بالناس الصبح فنظر إلى شابّ في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفراً لونه قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقناً، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله وقال: إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: إنّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نصب الحساب وحشر الخلائق

لذلك وأنا فيهم وكأنّي أنظر إلى أهل الجنة وهم يتنعمون في الجنّة ويتعارفون على الأرائك متّكئون وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذّبون مصطرخون وكأنّي الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: هذا عبد نوّر الله قلبه للإيمان، ثمَّ قال له الزم ما أنت عليه، فقال الشابّ: ادعُ الله لي يا رسول الله أن أرزق الشهادة معك فدعا له رسول الله ﷺ فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبيّ ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر.

وفي رواية أُخرى أنّ ذلك الشابّ هو حارثة بن مالك الأنصاري.

وثالثها: ما قاله بعض الأذكياء من المعاصرين وهو أن يكون يقيناً منصوباً على المفعولية لا على التميز وحاصله أنّ لي يقيناً في مراتب المعرفة ولو كشف الغطاء لم أزدد يقيناً غير ذلك اليقين، أن يتغيّر علمي ويحدث لي علم يغايره كما هو واقع في علومنا وليس المراد أنّ ذلك اليقين لا يقبل الزيادة والنقصان بل هو قابل له غير أنّه لا يتغيّر إلى يقين يغايره.

ورابعها: ما خطر لنا وبعد هذا رأينا في شرح أستاذنا الأجلّ الشيخ عليّ أعلى الله شأنه على شرح اللمعة وحاصله أنّ النبيّ ﷺ كانت مراتب معرفته تتزايد يوماً بعد يوم على طول مدة عمره الشريف وكان يحدث له بالوحي والإلهام من درجات المعرفة ما يعد الدرجة السابقة دنيا بالنّسبة إلى الدّرجة اللاّحقة ولذا قال ﷺ: «إنّي لأستغفر الله كلّ يوم سبعين مرة من غير ذنب» فكان ﷺ يطلب زيادة مراتب المعرفة في حياته لأنّها تفاض عليه آناً بعد آن ولمّا استكملت مدّته استكمل له ما يليق بمادّته النّبوية من إفاضة العلوم اللّائقة بذاته الشريفة التي هي منتهى مراتب البشر ولمّا مرض مرضه الّذي انتقل فيه إلى جوار القدس طلب عليّاً وأدناه منه وعلّمه علوم مدّة عمره الشريف بلحظة واحدة فلذا قال عليه السلام لمّا سُئِلَ ما علّمك رسول الله ﷺ؟: إنّه علّمني ألف باب من العلم، ينفتح من كلّ باب ألف باب ومن هذا صار البطين لتراكم العلوم في صدره الشريف فهو عليه السلام بعد النبيّ ﷺ يقول: إني عرفت الله سبحانه بما علمته من النّبيّ حتّى لو كشف الغطاء لم أزدد علماً يضاف إلى معرفتي الكاملة. ويحتمل معاني أُخر أيضاً.

نور مرتضوي

في بيان أنّ أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهذا على سبيل الإغماض عن النور الأول لأنَّ من كان أفضل من إبراهيم ونوح،

وموسى، وعيسى بالدلائل السابقة لا يحتاج تفضيله على غيرهم إلى الدّليل ولكن قد وقع الخلاف بين جماهير المسلمين فذهب الأشاعرة وجماعة من المعتزلة إلى أنّ أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر وذهبت الشيعة وأكثر المعتزلة إلى أنَّ الأفضل هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام والحق أنَّ المعتزلة لم يخالف أحد منهم في أفضليّة عليّ عليه السلام سوى شاذّ نادر وأمّا الأشاعرة فإنَّ تفضيل أبي بكر وإن نقله عنهم علماؤهم المتأخّرون إلّا أنَّ المتقدّمين منهم قد وافقوا الشيعة على ما ذهبوا إليه ولننقل كلام أعلم محقّقيهم حتّى يتضح الحال فنقول ذكر محمّد بن عمر الرّازيّ المعروف بابن خطيب الري[١] وهو أعلم علماءِ الأشعريّة صاحب التصانيف الكثيرة فإنّه قال في الكتاب الذي صنّفه وجعله دستوراً لولده وسمّاه كتاب الأربعين في الفصل الخامس من المسألة التّاسعة والثّلاثين في بيان أفضل الصّحابة بعد رسول الله ﷺ وأورد عشرين حجّة في أنَّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أفضل الصّحابة قال في الحجّة الثالثة ما هذا لفظه: الحجّة الثالثة أنَّ علياً عليه السلام كان أعلم الصَّحابة والأعلم أفضل وإنّما قلنا إنّ علياً كان أعلم الصّحابة للإجمال والتفصيل أمّا الإجمال فهو أنّه لا نزاع في أنَّ عليّاً عليه السلام كان في أصل الخلقة في غاية الذّكاء والفطنة والإستعداد للعلم وكان محمّد ﷺ أفضل الفضلاء وأعلم العلماء وكان عليّ عليه السلام في غاية الحرص في طلب العلم وكان محمّد ﷺ في غاية الحرص في تربيته وفي إرشاده إلى اكتساب الفضائل ثم إنّ عليّاً عليه السلام ربي من أوّل صغره في حجر محمّد ﷺ وفي كبره صار ختناً له وكان يدخل إليه في كلّ الأوقات ومن المعلوم أنَّ التلميذ إذا كان في غاية الذّكاء والحرص على التعلّم وكان الأستاذ في غاية الفضل وفي غاية الحرص على التعليم ثمَّ اتّفق لمثل هذا التلميذ أن يتّصل بخدمة هذا الأستاذ من زمان الصغر وكان ذلك الاتّصال بخدمته حاصلاً في كلّ الأوقات فإنّه يبلغ ذلك التلميذ مبلغاً عظيماً وهذا بيان إجماليّ في أنَّ عليّاً عليه السلام كان أعلم الصّحابة فأما أبو بكر فإنّه إنّما كان اتصل بخدمته في زمان الكبر وأيضاً ما كان يصل إلى خدمته في اليوم واللّيلة إلّا مرّة واحدة زماناً يسيراً وأمّا عليّ عليه السلام فإنّه اتصل بخدمته في زمن الصغر وقد قيل: العلم في الصغر كالنّقش في الحجر والعلم في الكبر كالنّقش في المدر فثبت بما ذكرنا أنَّ عليّاً عليه السلام كان أعلم من أبي بكر.

---

(١) هو الإمام فخرالدين الرازي الشهير المتوفى سنة (٦٠٦هـ) وقد يعبر عند السيّد الداماد قدس سره بإمام المشككين.

وأمّا التفصيل فيدلّ عليه وجوه: الأوّل: أنّ أكثر المفسّرين سلّموا أنّ قوله: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢] نزل في حقّ عليّ عليه السلام تخصيصه بزيادة الفهم يدلّ على اختصاصه بمزيد العلم.

الثاني: قوله صلى الله عليه وآله: أقضاكم عليّ. والقضاء يحتاج إلى جميع أنواع العلوم فلمّا رجحه على الكلّ في القضاء لزم أنّه رجّحه عليهم في كلّ العلوم وأمّا سائر الصحابة فقد رجّح كلّ واحد منهم على غيره في علم واحد كقوله: (أفرضكم زيد وأقرأكم أبيّ)[١].

الثالث: روي أنّ عمر أمر برجم امرأة ولدت لستّة أشهر فنبهه عليّ عليه السلام بقوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] فقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر. وروي أنّ امرأة اقرّت بالزنا وكانت حاملاً فأمر عمر برجمها فقال له عليّ عليه السلام: إن كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها؟ فترك عمر رجمها وقال: لولا عليّ لهلك عمر. فإن قيل: لعلّ عمر أمر برجمها من غير تفحّص عن حالها فظن أنّها ليست بحامل فلمّا نبّهه عليّ عليه السلام ترك رجمها. قلت: هذا يقتضي أنّ عمر ما كان يحتاط في سفك الدّماء وهذا أشرّ من الأوّل. ورووا أيضاً أنّ عمر قال يوماً على المنبر: ألا لا تغالوا في مهور نسائكم فمن غالى في مهر امرأته جعلته في بيت المال، فقامت عجوز فقالت: يا عمر أتمنع منّا ما جعله الله لنا وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠] فقال عمر: كلّكم أفقه من عمر حتّى المخدّرات في البيوت[٢] وهذه الوقائع وقعت لغير عليّ ولم يتّفق مثلها لعليّ.

الرابع: نقل عن عليّ عليه السلام أنّه قال: والله لو كسرت لي الوسادة ثمّ جلست عليها لقضيت بين أهل التّوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم

---

(١) من هذا يعلم وجه تخصيصه صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بقوله: أقضاكم علي ولم يخصه بسائر الأوصاف كقوله أفقهكم أو اعلمكم أو أفرضكم أو غيرها فإن القضاء لا بد فيه من اجتماع جميع تلك الأوصاف بأسرها.

(٢) نقل هذه القضية علماء أهل السنّة في كتبهم ومؤلفاتهم بصور متعددة وتفصيل هذه القصة ومصادرها في الأثر القيم النفيس (الغدير) انظر ج ٦ ص ٩٥ ط طهران للعلاّمة الأكبر شيخنا الاميني دام ظله وقال أدام الله علينا بركاته بعد نقل القضية على اختلاف صورها: ولعل الخليفة أخذ برأي امرأة اصابت وتزوج بأم كلثوم وجعل مهرها أربعين ألفاً كما في تاريخ ابن كثيرج ٧ ص ٨١ ـ ١٣٩، الإصابة ٤ ص ٤٩٢، الفتوحات الإسلامية ٢ ص ٤٧٢.

وبين أهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بحر ولا برّ ولا سهل ولا جبل ولا أرض ولا سماء ولا ليل ولا نهار إلّا وأنا أعلم فيمن نزلت وفي أيّ شيء نزلت.

طعن أبو هاشم في هذا فقال التوراة منسوخة فكيف يجوز الحكم بها؟

الجواب من وجوه: الأوّل: لعلّ المراد شرح كمال علمه بتلك الأحكام المنسوخة على التفصيل وبالأحكام النّاسخة لها الواردة في القرآن. الثاني: لعلّ المراد لو أنّ قضاة اليهود والنّصارى يمكنون من الحكم والقضاء عل وفق أديانهم بعد بذل الجزية وكان المراد أنّه لو جاز للمسلم ذلك لكان هو قادراً عليه. الثالث: لعلّ المراد أنّه يستخرج من التّوراة والإنجيل نصوصاً دالّة على نبّوة محمّد ﷺ وكان ذلك قوياً في التمسك بها.

الخامس: إنّا نفحص عن أحوالِ العلوم وأعظمها علم الأصول[1] وقد جاء في خطب أمير المؤمنين عليه السلام من أسرار التوحيد والعدل والنّبوة والقضاء والقدر وأحوال المعاد ما لم يأت في كلام سائر الصّحابة وأيضاً فجميع فرق المتكلّمين ينتهي آخر نسبتهم في هذا العلم إليه أمّا المعتزلة فإنّهم ينسبون أنفسهم إليه وأمّا الأشعرية فكلّهم ينتسبون إلى الأشعري وهو كان تلميذاً لأبي عليّ الجبائيّ المعتزلي وهو منتسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام . وأمّا الشيعة فانتسابهم إليه ظاهر وكلّهم تلامذة علي عليه السلام .

وأمّا الخوارج فهم مع بعدهم عنه كلّهم منتسبون إلى أكابرهم وأولئك الأكابر كانوا تلامذة عليّ بن أبي طالب عليه السلام فبيّنا أنّ جمهور المتكلّمين من فرق الإسلام منسوبة إليه وأفضل فرق الأمّة الأُصوليّون وكان هذا منصباً عظيماً في الفضل ومنها علم التفسير وابن عبّاس رضي الله عنه رئيس المفسرين وهو كان تلميذ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومنها علم الفقه وكان فيه بأعلى درجة ولهذا قال ﷺ : أقضاكم عليّ، وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام : لو كسرت لي الوسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، الخبر. ومنها علم الفصاحة ومعلوم أنّ أحداً من الفصحاء الذين بعده لم يدركوا درجته ولا القليل منها ومنها علم النحو ومعلوم أنّه إنّما ظهر منه وهو الذي أرشد أبا الأسود الدؤلي. ومنها علم تصفية الباطن ومعلوم أنّ نسبة هذه العلوم تنتهي إليه فثبت بما ذكرنا أنّه عليه السلام كان أستاذ العالمين بعد

---

(١) المراد من علم الأصول هو أصول الدين اعني علم الكلام لا أصول الفقه كما هو ظاهر.

محمّد ﷺ في جميع الخصائل المرضيّة والمقامات الشرعيّة، وإذا ثبت أنّه أعلم الخلق بعد رسول الله ﷺ وجب أن يكون أفضل الخلق بعده لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ثمَّ قال ذلك الفاضل الأشعري:

الحجّة العشرون: إعلم أنّ الفضائل إمّا نفسانيّة وإمّا بدنيّة وإمّا خارجيّة؛ أمّا الفضائل النفسانيّة وهي محصورة في نوعين العلميّة والعملية أما العلميّة فقد دللنا على أنّ علم عليّ عليه السلام كان أكثر من علم سائر الصحابة ويقوي ذلك ما روي أنّ عليّاً عليه السلام قال: علّمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم فانفتح من كل باب ألف باب، وأمّا الفضائل النفسانيّة العملية فأقسام، منها العفّة والزهد وقد كان في الصّحابة جمع من الزهّاد كأبي ذر وسلمان وأبي الدّرداء وكلّهم كانوا فيه تلامذة عليّ عليه السلام .

ومنها الشجاعة وقد كان في الصحابة كأبي دجانة وخالد بن الوليد وكانت شجاعته أكثر نفعاً من شجاعة الكل ألا ترى أنّ النبيّ ﷺ قال يوم الأحزاب: لضربة عليّ خير من عبادة الثقلين. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : ما قلعت باب خيبر بقوّة جسمانيّة ولكن بقوّة ربّانيّة، ومنها السخاوة وقد كان في الصحابة جمع من الأسخياء وقد بلغ إخلاصه في سخاوته إلى أن أعطى ثلاثة أقراص فأنزل الله تعالى في حقّه ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] ومنها حسن الخلق وقد كان مع غاية شجاعته وبسالته حسن الخلق جدّاً وقد بلغ فيه إلى حيث نسبه أعداؤه إلى الدعابة. ومنها البعد عن الدنيا وظاهر أنّه مع انفتاح أبواب الدنيا عليه لم يظهر التنعم والتلذّذ وكان مع غاية شجاعته إذا شرع في صلاة التهجّد وشرع في الدعوات والتضرّعات إلى الله تعالى بلغ مبلغاً لا يوازيه فيه أحد ممّن جاء بعده من الزهّاد ولمّا ضربه ابن ملجم عليه اللعنة قال: فزت وربّ الكعبة. ومنها الفضائل البدنيّة فمنها القوّة والشدّة وكان فيها عظيم الدرجات حتّى قيل إنّه يقطّ الهام قط الأقلام. ومنها النسب العالي ومعلوم أنّ أشرف الأنساب هو القرب من رسول الله ﷺ وكان أقرب النّاس نسباً إليه.

وأما العبّاس فإنه وإن كان عمَّ رسول الله ﷺ إلّا أنّ العباس كان أخاً لعبد الله من الأب لا من الأمّ وأمّا أبو طالب فإنّه كان أخاً لعبد الله من الأب والأمّ، وأيضاً فإنّ عليّاً عليه السلام كان هاشميّاً من الأب والأمّ لأنّه عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن

هاشم وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم. ومنها المصاهرة ولم يكن لأحد من الخلق مصاهرة مثل ما كانت له وأمّا عثمان فهو وإن شاركه في كونه ختناً لرسول الله ﷺ إلّا أنّ أشرف أولاد رسول الله ﷺ هي فاطمة عليها السلام ولذلك قال ﷺ: سيّدة نساء العالمين اربع وعدّ منهنّ فاطمة عليها السلام ولم يحصل مثل هذا الشّرف للبنتين اللّتين هما زوجتا عثمان ومنها أنّه لم يكن لأحد من الصّحابة أولاد يشاركون أولاده في الفضيلة فالحسن والحسين عليهما السلام سيّدا شباب أهل الجنّة هما ولداه ثم انظر إلى أولاد الحسن مثل الحسن المثنى والمثلث وعبد الله بن المثنّى والنفس الزّكيّة وإلى أولاد الحسين مثل الإمام زين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرّضا عليهم السلام فإنّ هؤلاء الأكابر يعتدّ بفضيلتهم وعلو درجاتهم على كلّ مسلم وممّا يدل على علوّ شأنهم أنّ أفضل المشايخ وأعلاهم درجةً أبو يزيد البسطامي وكان سقّاء في دار جعفر الصادق عليه السلام وأمّا معروف الكرخي فإنّه أسلم على يد علي بن موسى الرضا عليه السلام وكان بواب داره وبقي على هذه الحالة إلى آخر عمره ومعلوم أنّ أمثال هؤلاء الأولاد لم يتّفق لأحد من الصحابة ولو أخذنا في الشرح والإطناب لطال.

انتهى كلام الرازي وفيه كفاية للعاقل المنصف والعجب من هؤلاء القوم مع نقلهم مناقبه ومدائحه في كلّ باب وإيراد مطاعن من ادّعى الخلافة من المتخلّفين كيف فضّلوا غيره عليه حتى إنّهم لم يرضوا بالأفضليّة بدرجة بل قالوا إنّ أبا بكر أفضل من عمر بسبعين درجة وعمر أفضل من عثمان بسبعين درجة والخلاف إنّما وقع بينهم في عثمان وعليّ فهل هما في الفضل سواء الأكثر على تفضيل عثمان عليه بسبعين درجة والأقلّ على المساواة وهذه هي المصيبة العظمى والداهية الكبرى نعوذ بالله من سوء عاقبتها وأمّا محقّقوهم كالتفتازاني والسيّد الشريف وأضرابهم فقد سمعت أنّهم بعد أن حاولوا إتمام مدحة من مدائح الثلاثة ولم يتمَّ لهم لكثرة الواردات عليه قالوا إنّا نكل هذا التفضيل إلى السلف لحسن الظنّ بهم، وهذا منهم أعجب من الأوّل فإنّ الله سبحانه قد ذمّ أقواماً في تقليدهم الآباء والأسلاف في مسائل الأصول، ذمّاً شنيعاً والعجب أنّ أمثال هؤلاء الأفاضل لم يرضوا في تقليدهم الأسلاف بالمسائل الفروعيّة فكيف رضوا في تقليدهم بما هو أهم وأعلى الذي هو مسائل الأصول، لكن إبليس أغواهم وصيّرهم عمياً وبكماً فلا سمعاً ولا بصراً. روي عن عمر بن الخطاب قال: والله لقد تصدّقت بأربعين خاتماً وأنا راكع لينزل فيّ ما نزل بعليّ بن أبي طالب فما نزل، وكأنّهم أخذوا التقليد من إمامهم هذا.

فائدة

في إيضاح ما ذكره ذلك الفاضل.

أمّا قوله بأنّ عليّاً عليه السلام كان يدخل على النبيّ صلى الله عليه وآله في كلّ حين فهو حقّ لأنّ عليّاً عليه السلام كان له المحرميّة بالنسبة إلى بيت النبيّ صلى الله عليه وآله فقد روي عنه عليه السلام قال: كنت معه في بعض الغزوات فحممت ولم يكن عند النبيّ صلى الله عليه وآله سوى لحاف واحد وكانت معه زوجته عائشة فأنامني معه ومع زوجته تحت ذلك اللحاف ولمّا قام لصلاة الليل ثنى بعض اللحاف بيني وبين زوجته. وقد رأت عائشة أنّه صلى الله عليه وآله يقرّبه هذا القرب. وكونه يدخل في كلّ وقت هو أحد الأسباب في كون القرآن الذي كتبه عليّ عليه السلام قد كان أكثر من القرآنات التي كتبها كتّاب الوحي لأنّ جبرائيل عليه السلام قد كان يأتي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في أكثر الخلوات ولا كان يدور معه فيها إلّا عليّ عليه السلام ولذا قال عليّ عليه السلام : كان النبيّ صلى الله عليه وآله يديرني معه كيف دار.

وأمّا قوله بأنّ أبا بكر ما كان يدخل على النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ مرَّة واحدة فهذا منه تواضع لأبي بكر لأنّه ربّما دخل من بين الأيّام مرّة واحدة لمكان ابنته وفي هذا الموضع عجب عجيب وهو أنّ العامّة نقلوا أنّ أبا هريرة قد تفرّد بنقل اثني عشر ألف حديث لم يشاركه في نقلها غيره وقد تنبّه لهذا المعنى سراج الدين البلقيني وهو من أعظم محقّقيهم فأبطل كلّ ما تفرّد بنقله أبو هريرة وقال: إنّ وقت النبيّ صلى الله عليه وآله قد كان مضبوطاً بالنقل من السير والتواريخ والأحاديث لأنّه كان يخرج عند طلوع الفجر إلى المسجد ويصلّي بالناس ويبقى معقباً إلى طلوع الشمس مع النّاس ثمَّ يدير وجهه إلى النّاس حتى يقضي حوائجهم ويبقى معهم في الكلام حتى يقرب الظهر فيدخل منزله ويخلو مع زوجاته إلى صلاة الظهر ثمّ يخرج ويصلّي بالناس ويحول وجهه إليهم بعد الصلاة لتعليم الأحكام إلى قبل الغروب فيدخل منزله إلى وقت الصلاة ثم يخرج للصلاة بالناس فيدخل منزله وينام مع زوجاته إلى نصف الليل ثمَّ يقوم لصلاة الليل إلى طلوع الفجر فهذا ليله وذاك نهاره ففي أيّ وقت تفرّد به أبو هريرة مع بعده عن النبي صلى الله عليه وآله في النسب والحسب حتى روى عنه هذه الأخبار المتكثرة وأنت إذا تصفحت أكثر أخبارهم وجدتها على هذا المنوال، وسيأتي تمام الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

وأمّا قوله إنّ القضاء يحتاج إلى جميع أنواع العلوم، فهو كما قال وقد أطبق أصحابنا رضوان الله عليهم على أنّ من شرائط القاضي أن يكون مجتهداً في أربعة عشر علماً وهي علوم الاجتهاد المذكورة في كتب الأصحاب وأمّا قضاة الأمصار في

هذه الأعصار فقد صار من جملة شرائطهم الجهل في العلوم المذكورة وموافقة الحكام الجائرين لعلّة المجانسة وكل شكل لشكله ألف، أما ترى الفيل يألف الفيل ولعمرك إنّهم باعوا حظّهم من دار الأمان بدار الغرور وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وكفى لهم بشارة قول الصادق عليه السلام إنّ النواويس - وهي طبقة من طبقات جهنم - شكت إلى الله عزّ وجلّ شدّة حرّها فقال لها عزّ وجلّ اسكني فإنّ موضع القضاة أشدّ حرّاً منك. روى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال كان في بني إسرائيل قاض يقضي بينهم قال فلمّا حضره الموت قال لامرأته إذا متّ فاغسليني وكفّنيني وضعيني على سريري وغطّي وجهي فإنّك لا ترين سوءً فلمّا أن مات فعلت به ذلك ثمّ مكثت حيناً وكشفت عن وجهه لتنظر إليه فإذا هي بدودة تقرض منخره ففزعت لذلك فلمّا كان الليل أتاها في منامها فقال لها أفزعك ما رأيت قالت أجل لقد فزعت فقال أما إنّك إن كنت فزعتِ فما كان ما رأيت إلّا من هوى أخيك فلقد أتاني ومعه خصم له فلمّا جلسا إليّ قلت اللهمَّ اجعل الحقّ له ووجّه القضاء له على صاحبه فلمّا اختصما إليّ كان الحقّ له فرأيت ذلك بيّناً في القضاء له على صاحبه فأصابني ما رأيت لموضع هوى كان معه وإن وافقه الحقّ. وروى حريز عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال أيّما رجل كان بينه وبين أخ له مماراة في حق له فدعاه إلى رجل من إخوانكم ليحكم بينه وبينه فأبى إلّا أن يرافعه إلى هؤلاء - يعني القضاة - كان بمنزلة الذين قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] وقال الصادق عليه السلام: القضاة أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنّة؛ رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بحقّ وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بحق وهو يعلم فهو في الجنة وأغلب قضاة هذه الأعصار من الأولين[1] لأنّهم أخذوا القضاء بالبذل لمن هو أعلى منهم أو بالميراث من أسلافهم أو بهما جميعاً وأمّا أخذ الحق بحكمهم وإن

---

(١) أيها السيّد المصنف إن كنت حياً في زماننا هذا لشاهدت القضاة في البلاد الإيرانية (في زمن الشاه) الذين تربعوا في دست المحاكم القضائية الرسمية (عدليه) أو باصطلاح الفرس (داد كسترى) جرائيم الفساد ورأيتهم يمصون دم الأمة الإيرانية مص العلق أضاعوا الدين وزعزعوا أركان الشرع ونبذوا أحكام الإسلام وقوانينه المقدسة وراءهم ظهريّاً اضاعت الحقوق وشاعت الفسوق وعم الظلم وطفئ نور العدل يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وصاروا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

كان حقّاً فقد مال بعض مشائخنا وبعض من تقدّمنا إلى عدم جوازه ولعله الأولى لما رواه مشايخنا المحدّثون في كتب الأصول عن عمر بن حنظلة قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحلّ ذلك فقال: من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فإنّما يأخذه سحتاً وإن كان حقّه ثابتاً لأنّه أخذه بحكم الطاغوت وقد أمر الله عزّوجلّ أن يكفر بها قلت كيف يصنعان قال انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فلترضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنّما بحكم الله استخف وعلينا ردّ والرادّ علينا كالرادّ على الله وهو على حدّ الشّرك بالله عزّوجلّ . ويستفاد من هذا الحديث أنّ علماء الإماميّة رضوان الله عليهم في هذه الأعصار منصوبون للقضاء من الإمام عليه السلام عموماً ولا يجوز لأحد ردّ حكمهم ومن ردّ حكمهم عليهم كان على حدّ الشرك بالله ولا يبعد أن يقال يجب على العلماء والمجتهدين في مثل هذه الأعصار إذا تمكّنوا من القضاء أن يتصدوا له وأن يظهروا علومهم فإنّ بدع القضاة قد ظهرت وقال صلى الله عليه وآله: إذا ظهرت البدع فليظهر العالم علمه ومن لم يظهره ألجمه الله لجاماً من نار.

وأمّا قوله في الثالث إنّ عمر قال لولا عليّ لهلك عمر فقد قال صاحب الكشاف وهو من علماء الحنفيّة إنّ عمر قال هذه الكلمة في سبعين موضعاً حتّى اشتهرت في الأمثال ونقلها علماء العربيّة في بحث لو الشرطية.

وأمّا قول عمر بعد ردّ المرأة عليه: كلّكم أفقه من عمر حتّى المخدّرات في البيوت فقد نقل علماء الفريقين أنّه قال بعد هذا: إنّ لي شيطاناً يعتريني فإذا عثرت فقوّموني وإذا غلطت فسدّدوني ولا تدعوا النساء تردّ عليّ كلامي وقد صدق في هذا القول ونقل أيضاً مثله عن أبي بكر وهو صادق أيضاً.

وأمّا قول عليّ عليه السلام: لو كسرت لي الوسادة ثمّ جلست عليها - الحديث معناه أنّي لو تمكّنت من الحكومة بين النّاس من غير منازع وهذا يدل على أنّه عليه السلام لم يكن متمكّناً في وقت خلافته من إقامة الأحكام على وجهها لما تقدّمه المتخلّفون في البدع فصار لا يقدر أن يغيّر ما فعلوه. فمنه عزل شريح عن القضاء أراده عليه السلام فلم يتمكّن منه لأنّه كان منصوباً من قبل المتقدّمين ومنه صلاة الضحى فلقد أرسل ابنه الحسن عليه السلام أن ينادي في مساجد الكوفة أن لا تصلّى فضج النّاس ضجة واحدة وقالوا وا عمراه أمرنا بالصلاة وأنت تنهانا عنها أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى ومنه

ردّ الفدك والعوالي إلى أولاد فاطمة فإنّه كان مظنّة الفتنة والفساد بتغليط من تقدّمه وقد روى الصدوق طاب ثراه في كتاب العلل عللاً أُخرى منها ما رواه مسنداً إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له لمَ لم يأخذ أمير المؤمنين عليه السلام فدكاً لمّا ولي النّاس ولأيّة علّة تركها فقال لأنّ الظالم والمظلوم قد كانا قدما على الله عزّ وجلّ وأثاب الله المظلوم وعاقب الظالم فكره أن يسترجع شيئاً قد عاقب الله عليه غاصبه واثاب عليه مغصوبه وذكر أيضاً جواباً آخر رواه بإسناده إلى إبراهيم الكرخي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت لأيّ علّة ترك أمير المؤمنين عليه السلام فدكاً لما ولي النّاس فقال للاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله لمّا فتح مكّة وقد باع عقيل بن أبي طالب داره فقيل له يا رسول الله ألا ترجع إلى دارك فقال صلى الله عليه وآله : وهل ترك لنا عقيل داراً ونحن أهل بيت لا نسترجع شيئاً يؤخذ منّا ظلماً فلذلك لم يسترجع فدكاً لمّا ولي وذكر أيضاً جواباً ثالثاً بإسناده إلى عليّ بن فضال عن أبي الحسن عليه السلام قال سألته عن أمير المؤمنين عليه السلام لمَ لم يسترجع فدكاً لما ولّي النّاس فقال لأنّا أهل بيت لا يأخذ لنا حقوقنا ممّن ظلمنا إلّا هو - يعني الله - ونحن أولياء المؤمنين إنّما نحكم لهم ونأخذ حقوقهم ممّن ظلمهم ولا نأخذ لأنفسنا. وهذا أحد أسباب غضب فاطمة عليها السلام على أبي بكر وعمر. روى أصحابنا أنّ رجلاً من أولاد البرامكة عرض لعليّ بن موسى الرضا عليه السلام بخراسان ولزم لجام دابته وقال ما تقول في أبي بكر وعمر فقال له سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر فألح السائل عليه في كشف الجواب فقال عليه السلام : كانت لنا أمّ صالحة ماتت وهي عليهما ساخطة ولم يأتنا بعد موتها خبر أنّها رضيت عنهما. وذكر أبو هلال العسكري أنّ أوّل من ردّ فدكاً على ورثة فاطمة عليها السلام عمر بن عبد العزيز وكان معاوية أقطعها لمروان بن الحكم وعثمان بن عثمان ويزيد بن معاوية وجعلها بينهم أثلاثاً ثمّ قبضت من ورثة فاطمة عليها السلام فردّها السفّاح ثمّ قبضت منهم فردّها عليهم المأمون وقبضت منهم بعد المأمون فردّها عليهم الواثق ثمّ قبضت فردّها عليهم المنتصر ثمّ قبضت فردّها عليهم المعتمد ثمّ قبضت فردّها عليهم المعتضد ثمّ قبضت فردّها عليهم الراضي وأمّا حدودها فقال موسى بن جعفر عليه السلام إنّ حدّها الأوّل عريش مصر والحد الثاني دومة الجندل والحدّ الثالث تيما والحدّ الرابع جبل أُحد من المدينة.

وأمّا قوله ومنها علم التفسير إلى آخره فقد تحقّق في الأخبار من العامّة والخاصّة أنّ قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] المراد به عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو الذي فسّر الباء من بسم الله الرحمن الرحيم لابن عبّاس فقال

يابن عبّاس لو طال الليل لطلناه وفي الروايات الخاصّة عنه عليه السلام أنّه قال علم ما كان وما يكون كلّه في القرآن وعلم القرآن كلّه في سورة الفاتحة وعلم الفاتحة كلّه في البسملة منها وعلم البسملة كلّه في بائها وأنا النقطة تحت الباء. وهذا الحديث من مشكلات الأخبار وأكثر الإشكال إنّما هو في قوله وأنا النقطة تحت الباء ويحتمل أن يكون معناه أني أبيّن علوم القرآن وأُوضح مجملاتها كما أنّ نقطة الباء توضحه وتميّزه عمّا يشاركه في الصورة كالتاء المثناة والثاء المثلّثة ويحتمل معان كثيرة لا يخفى بعضها على أُولي الألباب والحاصل أنّ العلوم كلّها تنتهي إليه ولم يؤخذ علم إلّا منه والعلماء كلّهم تلاميذه أمّا المعتزلة فلأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم بن عبد الله بن محمّد بن الحنفيّة وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذ عليّ عليه السلام وأمّا الأشعرية فإنّهم ينتهون إلى أبي الحسن الأشعري وهو تلميذ واصل بن عطاء وكلّ فقيه في الإسلام فإليه يعزى أمّا مالك فأخذ الفقه عن ربيعة الرأي وهو اخذه عن عكرمة وهو عن عبد الله بن عبّاس وهو عن عليّ عليه السلام وأمّا أبو حنيفة فعن الصادق عليه السلام وأمّا الشافعي فهو تلميذ مالك وأمّا الحنبلي فهو تلميذ الشافعي.

وأمّا قوله منها علم النحو وهو الّذي علّمه الدّؤلي قال أبو القاسم الزّجاج في أماليه حدّثنا أبو جعفر محمّد بن رستم الطبري قال حدّثنا أبو حاتم السجستاني قال حدّثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي قال حدّثنا سعيد بن مسلم الباهلي، قال حدّثنا أبي عن جدّي عن أبي الأسود الدّؤلي قال دخلت على عليّ بن أبي طالب عليه السلام فرأيته مطرقاً مفكّراً فقلت فيم تفكّر يا أمير المؤمنين قال إنّي سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربيّة، فقلت إن فعلت هذا أحييتنا، وبقيت لنا هذه اللّغة ثمّ أتيته بعد ثلاث فألقى إليّ صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كلّه اسم، وفعل، وحرف فالإسم ما أنبأ عن المسمّى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ثمّ قال لي تتبّعه وزد فيه ما وقع لك واعلم يا أبا الأسود أنّ الأشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر وإنما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر قال أبو الأسود فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النّصب فذكرت فيها إنّ وأنّ وليت ولعل وكأنّ ولم أذكر لكنّ فقال لي لم تركتها، فقلت لم أحسبها فيها فقال بل هي منها فزدها فيها انتهى. وذكر ابن الأثير في المثل السائر في ابتداء وضع النحو أنّ ابنة لأبي الأسود الدّؤلي قالت له يوماً يا أبت ما أشدُّ الحرِّ فضمّت الدّال وكسرت الرّاء، فظنّها أبوها مستفهمة فقال شهر آب فقالت يا أبت إنّما أخبرتك ولم أسألك، فاتى

أبو الأسود إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقال له يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب وأخبره بخبر ابنته فقال صلوات الله عليه: هلمّ صحيفة ثمَّ أملى عليه أصول النحو وهذه الكلمات هي أصل علوم العربيّة وقد بسطت الكلام في هذا المقام في كتبنا النّحوية.

قوله ومنها علم تصفية الباطن أراد به علم رياضة النفس الّذي تدّعيه الصّوفية وتسمّيه العلم الحقيقي وكان عليه السلام يقول إنّه ما عرض لي أمران إلّا اخترت أشقّهما على بدني، ولعلّك تقول إنّ هذا مناف لقول الباقر عليه السلام فيما رواه الشيخ رحمه الله في كتاب الاستبصار في باب من أحرم قبل الميقات: لا يعرض لي بابان كلاهما حلال إلّا أخذت باليسير وذلك لأن الله يسير يحب اليسير ويعطي على اليسير ما لا يعطي على العنف. ووجه التوفيق إمّا بأن نقول كلّ إمام مكلّف بتكاليف خاصة به فلعلّ هذا من ذاك وإما بأن نقول إنّ الباقر عليه السلام كان بادناً، وقد كان بدانته تمنعه عن ارتكاب التكاليف الشّاقّة كما روي عنه عليه السلام أنّه كان يصلّي بعض النوافل جالساً وكان يعتذر بكثرة اللحم والبدانة.

وأمّا قوله ومنها العفة والزّهد فحاله فيه مشهور وهو على الألسن مذكور وفي الكتب مسطور، روى العامّة والخاصّة أنّه دخل ضرار بن ضمرة اللّيثي على معاوية فقال له صف عليّاً فقال أولا تعفيني من ذلك فقال لا أعفيك فقال كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجّر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدّنيا وزهرتها ويستأنس باللّيل ووحشته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلّب كفّه ويخاطب نفسه ويناجي ربّه يعجبه من اللّباس ما خشن ومن الطّعام ما جشب كان والله فينا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ويجيبنا إذا سألناه وكنّا مع دنوه منّا وقربنا منه لا نكلّمه لهيبته ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته فإن تبسّم فعن مثل اللّؤلؤ المنظوم يعظّم أهل الدّين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضّعيف من عدله وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى اللّيل سدوله، وغارت نجومه وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السّليم ويبكي بكاء الحزين فكأنّي الآن أسمعه وهو يقول يا دنيا يا دنيا أبي تعرضت أم إليّ تشوّقت هيهات هيهات غرّي غيري لا حاجة لي فيك قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وخطرك يسير وأملك حقير آه آه من قلّة الزاد وبعد السّفر ووحشة الطّريق وعظم الموقف فوكفت دموع معاوية على لحيته فنشفها بكمّه واختنق القوم بالبكاء ثمَّ

قال كان والله أبو الحسن كذلك فكيف كان حبّك إيّاه قال كحبّ أم موسى لموسى وأعتذر إلى الله من التّقصير، فقال كيف صبرك عنه يا ضرار قال صبر من ذبح واحدها على صدرها فهي لا ترقأ عبرتها ولا تسكن حرارتها.

ثمّ قال وخرج وهو باك فقال معاوية أما لو أنّكم فقدتموني لما كان فيكم من يثني عليّ مثل هذا الثناء فقال له بعض من كان حاضراً: الصّاحب على قدر صاحبه. وروي عن سويد بن غفلة قال دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير ليس في البيت غيره فقلت يا أمير المؤمنين بيدك بيت المال ولست أرى في بيتك شيئاً ممّا يحتاج إليه البيت فقال عليه السلام: يابن غفلة إنّ البيت لا يتأثث في دار النّقلة ولنا دار أمن قد نقلنا إليها خير متاعنا وإنا عن قليل إليها صائرون وكان عليه السلام إذا أراد أن يكتسي دخل السوق فيشتري الثوبين فيخيّر قنبر أجودهما، ويلبس الآخر ثمَّ يأتي النّجار فيمدّ له إحدى كميّه ويقول له خذه بقدومك ويقول هذه تخرج في مصلحة أخرى ويبقي الكمّ الأخرى بحالها ويقول هذه نأخذ فيها من السّوق للحسن والحسين.

وروي عن الأسود وعلقمة، قالا دخلنا على عليّ عليه السلام وبين يديه طبق من خوص عليه قرص أو قرصان من شعير، وإن أسطار النّخالة ليبين في الخبز، وهو يكسره على ركبتيه ويأكل بملح جريش فقلنا لجارية له اسمها فضّة ألا نخلت هذا الدّقيق لأمير المؤمنين عليه السلام فقالت أيأكل هو المهنى ويكون الوزر في عنقي فتبسّم وقال أنا أمرتها أن لا تنخله قلنا ولم يا أمير المؤمنين قال ذلك أجدر أن تذل النفس ويقتدى فيّ المؤمن فألحق بأصحابي[1].

وأمّا سلمان وأبو ذر فحالهما فيه مشهور روى الشّيخ الورام طاب ثراه أنّ سلمان الفارسيّ لمّا مرض مرضه الذي مات فيه أتاه سعد يعوده فقال كيف أنت يا عبد الله فبكى فقال: ما يبكيك فقال والله ما أبكي حرصاً على الدّنيا ولا حبّاً لها ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا عهداً فقال: ليكن بلاغ أحدكم من الدّنيا كزاد راكب فأخشى أن نكون قد جاوزنا أمره وهذه الأساود حولي وليس حوله إلّا مطهرة فيها ماء وإجانة وجفنة. ودخل رجل على سلمان الفارسي رضي الله عنه فلم يجد في بيته إلّا سيفاً ومصحفاً فقال ما في بيتك إلّا ما أرى قال إنّ أمامنا عقبة كؤوداً وإنّا قدّمنا متاعنا إلى

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ٤٨.

المنزل أوّلاً فأولاً وقال وقع الحريق فأخذ سلمان سيفه ومصحفه وقال هكذا ينجو المخفّون.

وفي عيون الأخبار بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال دعا سلمان أبا ذر رحمة الله عليهما إلى منزله فقدّم إليه رغيفين فاخذ أبو ذر رضي الله عنه الرغيفين فقلّبهما فقال سلمان رضي الله عنه يا أبا ذر لأيّ شيء تقلّب هذين الرغيفين قال خفت ألّا يكونا نضيجين فغضب سلمان من ذلك غضباً شديداً ثمَّ قال ما أجرأك حيث تقلب الرغيفين فوالله لقد عمل في هذا الخبز الماء الذي تحت العرش وعملت فيه الملائكة حتّى ألقوه إلى الريح وعملت فيه الريح حتّى ألقته إلى السحاب وعمل فيه السحاب حتّى أمطره إلى الأرض وعمل فيه الرعد والملائكة حتّى وضعوه مواضعه وعملت فيه الأرض والخشب والحديد والبهائم والنار والحطب والملح وما لا أُحصيه أكثر فكيف لك أن تقوم بهذا الشكر فقال أبو ذر إلى الله أتوب وأستغفر الله ممّا أحدثت وإليك أعتذر ممّا كرهت. قال ودعا سلمان أبا ذر رحمة الله عليهما ذات يوم إلى ضيافته فقدم إليه من جرابه كسرة يابسة وبلّها من ركوته فقال أبو ذر ما أطيب هذا الخبز لو كان معه ملح فقام سلمان وخرج فرهن ركوته وحمل إليه فجعل أبو ذر يأكل من ذلك الخبز ويذرّ عليه من ذلك الملح ويقول الحمد لله الذي رزقنا هذه القناعة فقال سلمان لو كانت قناعة لم تكن ركوتي مرهونة.

وروي أنّه لمّا بعث إلى المدائن ركب حماره وحده فاتّصل بالمدائن خبر قدومه فاستقبله أصناف النّاس على طبقاتهم فلمّا رأوه قالوا أيّها الشيخ أين خلّفت قال ومن أميركم قالوا الأمير سلمان الفارسي رحمه الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لا أعرف الأمير وأنا سلمان ولست بأمير فترجلوا له وقادوا إليه المراكب والجنائب فقال إنّ حماري هذا خير لي وأرفق فلمّا دخل البلد أرادوا أن ينزلوه دار الإمارة قال كيف أنزل دار الإمارة ولست بأمير فنزل على حانوت في السوق فقال أدعوا لي صاحب الحانوت فاستأجر منه وجلس هناك يقضي بين النّاس وكان معه وطاء يجلس عليه ومطهرة يتطهّر بها للصلاة وعكّازة يعتمد عليها في المشي فاتفق أنّ سيلاً وقع في البلد وارتفع صياح النّاس بالويل والعويل يقولون وا اهلاه وا ولداه وا مالاه فقام سلمان ووضع وطاءه في عاتقه وأخذ مطهرته وعكّازته بيده وارتفع على الصعيد وقال هكذا ينجو المخفّون يوم القيامة.

وأمّا قوله لضربة عليّ خير من عبادة الثقلين إلى يوم القيامة فهو ممّا استفاض نقله

بل كان متواتراً وقد اعترض بعضهم بأنّه كيف جاز أن تكون ضربة واحدة خيراً من عبادة الجنّ والإنس إلى يوم القيامة وأجاب عنه العامة والخاصّة أمّا الخاصّة فقالوا إنّ ضربة ابن عبد ودّ إنّما قصد بها وجه الله سبحانه ولم يقصد إظهار الشجاعة المتعارفة بين الشجعان مع أنّ قتل مثله ممّا تفخر به أكابر العرب لأنّه كان يعدّ بألف رجل فإخلاص نيّته عليه السلام في قتل مثل هذا أوجب له الفضل على عبادة الثقلين ويؤيّده أنّه عليه السلام لمّا صرعه وركب على صدره ضجّ المسلمون وقالوا يا رسول الله قل لعليّ يعجل على إزهاق روحه فقال دعوه هو أعلم بما يصنع منكم ولمّا قطع رأسه وأتى به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال ما بالك يا عليّ توقفت في قطع رأسه فقال يا رسول الله إنّني لمّا صرعته شتمني فغضبت عليه وخفت أن أقتله لأجل شتمه إيّاي فتوقفت حتّى سكن غضبي فقتلته لأجل وجه الله سبحانه.

وأمّا الوجه الذي ذكره جمهور المخالفين فهو أنّ الإسلام ذلك الوقت كان منحصراً في المدينة المشرّفة فلو غلب ابن ودّ على الإسلام ذلك اليوم لانهدم أساس الإيمان فضربة عليّ عليه السلام هي التي بسببها بقي الإسلام فهي أصل في وجوده وعبادة الثقلين فرع عليها والأصل أشرف من فرعه وهذا المعنى لطيف جدّاً ويؤيّده قوله صلى الله عليه وآله حين برز عليّ عليه السلام برز الإسلام كلّه إلى الكفر كلّه.

وفي هذا المقام روى قيس بن هلال أنّ ابن ودّ نادى عمر باسمه يا عمر فحاد عنه ولاذ بأصحابه حتّى تبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا داخله من الرعب ولقد قال لأصحابه الأربعة أصحاب الكتاب الذين تعاهدوا عليه الرأي: أرى والله أن ندفع محمّداً برمّته ونسلم قال أمير المؤمنين عليه السلام إنّهم قالوا هذا القول حين جاء العدوّ من فوقنا ومن تحت أرجلنا كما قال الله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب: ١١-١٢] فقال صاحبه لا ولكن نتخذ صنماً عظيماً نعبده لأنّا لا نأمن أن يظفر ابن أبي كبشة فيكون هلاكنا ولكن يكون ذخراً فإن ظفرت قريش اظهرنا عبادة هذا الصنم وأعلمناهم أنّنا لم نفارق ديننا وإن رجعت دولة ابن أبي كبشة كنّا مقيمين على عبادة الصنم سرّاً فأخبر بها جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتل عمرو بن عبد ودّ فدعاهما فقال كم صنماً عبدتما في الجاهلية فقالا يا محمّد لا تعيّرنا بما في الجاهلية فقال كم صنماً تعبدان اليوم فقالا والذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما نعبد إلّا الله منذ أظهرنا لك من دينك ما اظهرنا فقال يا عليّ خذ هذا السيف ثمّ انطلق إلى موضع كذا

وكذا فاستخرج الصنم الذي يعبدانه فأت به فإن حال بينك وبينه أحد فاضرب عنقه فانكبّا على رسول الله ﷺ يقبّلانه ثمّ قالا استرنا يسترك الله فقلت انا ضامن لهما من الله ورسوله أن لا يعبدا إلّا الله ولا يشركا به شيئاً فعاهدا رسول الله ﷺ على ذلك وانطلقت حتّى استخرجت الصنم من موضعه ثم انصرفت إلى رسول الله ﷺ فوالله لقد تبيّن ذلك في وجوههما.

وقد أبدى ابن أبي الحديد عذرهما حيث قال:

عذرتكما إنّ الحمام لمبغض وإنّ بقاء النفس للنفس محبوب
دعا قصب العلياء يملكها امرؤ بغير أفاعيل الدناءة مغصوب

ولا تعجب من هذا الحديث فإنّه قد روي في الأخبار الخاصّة أنّ أبا بكر كان يصلّي خلف رسول الله ﷺ والصنم معلق في عنقه، وسجوده له.

ويوضح هذا المعنى ما ذكره البلاذري وهو من الجمهور في تاريخه قال لمّا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام كتب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية: أمّا بعد فقد عظمت الرزيّة وجلّت المصيبة، وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم الحسين فكتب إليه يزيد لعنه الله: يا أحمق إنّا جئنا إلى بيوت منجّدة، وفرش ممهدة، ووسائد منضّدة فقاتلنا عنها فإن يكن الحقّ لنا فعن حقّنا وإن يكن لغيرنا فأبوك أوّل من سنّ هذا وابتزّه واستأثر بالحق على أهله، فبعث إلى عبد الله بن عمر عهداً كتبه أبوه إلى معاوية: هذا عهد من عمر بن الخطاب إلى معاوية بن أبي سفيان:

إعلم يا معاوية أنّ محمّداً قد جاء بالإفك والسحر ومنعنا من اللاّت والعزّى وحوّل وجوهنا إلى الكعبة التي يزعم أنّها القبلة الإسلاميّة، فكان هذا من غاية غلوّه وعلوّه ومهارته في السحر الّذي ظهر به على موسى وعيسى وكافّة بني إسرائيل، ونحن على الّذي كنّا قبل ذلك وما تركنا اللات والعزّى والهبل، ولمّا توفّي محمّد تواطأنا مع أربعين رجلاً من أهل نحلتنا وشهدنا أنّه قال الأئمّة من قريش، وعزلنا عليّاً عن الخلافة التي فوّضها إليه وجعلها مخصوصة له ثمّ كتفناه وأخرجناه من بيته وجئنا به إلى أبي بكر وأمرنا النّاس ببيعته، وكنّا نظاهر بسنّة محمّد لئلا يهرب النّاس عنّا ولكنّا في باطن الأمر على الّذي كنّا قبل ذلك، انتقمنا من أولاده وذراريه على حسب طاقتنا وقدرتنا، وأمّا أنت يا معاوية فأوصيك ألاّ تسمح فيها واقتل من أولاده وأحفاده ما تصل إليه يدك وقدرتك، ولو لم تقدر على استئصال طائفته خوفاً من تنفّر النّاس وتباعدهم عنك وخروجهم عليك فكن في باطن الأمر على دفعهم وإزالتهم عن

مقامهم وانحطاط من مراتبهم، ولا تخرج محبّة اللات والعزّى من قلبك، فإنّها طريقنا وطريق آبائنا، وإنّا على آثارهم مقتدون.

فإن قلت فإذا كان حالهما هذا من حبّ الأصنام وعبادتها فما سبب مبادرتهما إلى الإسلام في أوائله والنبيّ ﷺ بمكّة زادها الله شرفاً وتعظيماً، قلت هذه شبهة قديمة فتحتاج إلى جواب من المعصوم عليه السلام وقد روى صاحب كتاب الاحتجاج عن سعد بن عبد الله القميّ الأشعريّ حديثاً طويلاً، قال فيه إنّي بليت بأشدّ النواصب منازعة فقال لي يوماً: معاشر الروافض تقولون إنّ الأوّل والثاني كانا منافقين، وتستدلّون على ذلك بليلة العقبة أخبرني عن إسلامهما كان عن طوع ورغبة أو كان عن إكراه وإجبار فاحترزت عن جواب ذلك وقلت مع نفسي إن كنت أجبته بأنّه كان عن طوع فيقول لا يكون على هذا الوجه إيمانهما عن نفاق، وإن قلت كان عن إكراه وإجبار لم يكن في ذلك الوقت للإسلام قوّة حتّى يكون إسلامهما بإكراه وقهر، فرجعت عن هذا الخصم على حال يقطع كبدي، فكتبت مسائل كثيرة وقصدت مولاي الحسن العسكري عليه السلام فدخلت عليه وصاحب الزمان عليه السلام جالس معه وهو غلام، فأجابني مولانا صاحب الزمان عليه السلام عن المسائل كلها ثمّ قال:

وأمّا ما قال لك الخصم بأنّهما أسلما طوعاً أو كرهاً لمَ لم تقل بل إنّهما أسلما طمعاً وذلك أنّهما كانا يخالطان اليهود ويخبرن بخروج محمّد ﷺ واستيلائه على العرب من التوراة والكتب المتقدّمة، وملاحم قصة محمّد ﷺ ويقولون لهما يكون استيلاؤه على العرب كاستيلاء بخت نصّر على بني إسرائيل إلّا أنّه يدّعي النبوّة ولا يكون من النبوّة في شيء، فلمّا ظهر أمر رسول الله ﷺ تساعدا معه على شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمّداً رسول الله ﷺ طمعاً أن يجدا من جهة رسول الله ﷺ ولاية بلد إذا انتظم أمره وحسن حاله واستقامت ولايته، فلمّا أيسا من ذلك فتوافقا مع أمثالهما ليلة العقبة، وكان حالهما كحال طلحة وزبير إذ جاءا عليّاً عليه السلام وبايعاه طمعاً أنّ يكون لكلّ واحد منهما ولاية، فلمّا لم يكن ذلك وأيسا من الولاية نكثا بيعته وخرجا عليه حتّى آل امر كلّ واحد منهما إلى ما يؤول إليه أمر من ينكث العهود والمواثيق(١).

وبالجملة فشجاعة عليّ عليه السلام ممّا لا يحتاج بيانها إلى الاستدلال روى البرسي

(١) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ١٨٥.

في كتابه[1] لمّا وصف وقعة خيبر، وأنّ الفتح فيها كان على يد عليّ عليه السلام أنّ جبرائيل عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مستبشراً بعد قتل مرحب فسأله النبيّ صلى الله عليه وآله عن استبشاره فقال يا رسول الله إنّ علياً لمّا رفع السيف ليضرب به مرحباً أمر الله سبحانه إسرافيل وميكائيل أن يقبضا عضده في الهواء حتّى لا يضربه بكلّ قوّته، ومع هذا قسمه نصفين وكذا ما عليه من الحديد وكذا فرسه ووصل السيف إلى طبقات الأرض فقال لي الله سبحانه يا جبرائيل بادر إلى تحت الأرض وامنع سيف عليّ عن الوصول إلى ثور الأرض حتّى لا تنقلب الأرض فمضيت فأمسكته فكان على جناحي أثقل من مدائن قوم لوط وهي سبع مدائن قلعتها من الأرض السّابعة، ورفعتها فوق ريشة واحدة من جناحي إلى قرب السّماءِ، وبقيت منتظراً الأمر إلى وقت السحر حتّى أمرني الله بقلبها فما وجدت لها ثقلاً كثقل بقيّة سيف عليّ فسأله النبيّ صلى الله عليه وآله لم لا قلبتها من ساعة رفعها.

فقال يا رسول الله إنّه قد كان فيهم شيخ كافر نائم على قفاه وشيبته إلى السّماءِ، فاستحى الله سبحانه أن يعذبهم فلمّا كان وقت السحر انقلب ذلك الشّائب على قفاه فأمرني بعذابها. وفي ذلك اليوم لمّا فتح الحصن وأسروا نساءهم فكان فيهنّ صفيّة بنت ملك الحصن فأتت النّبيّ صلى الله عليه وآله وفي وجهها أثر شجّة، فسألها النبيّ صلى الله عليه وآله عنها فقالت إنّ علياً عليه السلام، لمّا أتى الحصن وتعسر عليه أخذه أتى إلى برج من بروجه فهزّه فاهتز الحصن كلّه وكلّ من كان فوق مرتفع سقط عنه وأنا كنت جالسة فوق سريري فهويت من عليه فأصابني السرير فقال النبيّ صلى الله عليه وآله يا صفيّة إنّ علياً لمّا غضب وهزّ الحصن غضب الله لغضب عليّ، فزلزل السّموات كلّها حتّى خافت الملائكة ووقعوا على وجوههم، وكفى بها شجاعة ربانيّة.

وأمّا باب خيبر فقد كان أربعون رجلاً يتعاونون على سدّه وقت اللّيل ولمّا دخل الحصن طار ترسه من يده من كثرة الضّرب فقلع الباب وكان في يده بمنزلة التّرس،

---

(١) شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام من الأمور البديهية ولا احتياج لنا في اثباتها لأمثال هذه الرواية الضعيفة المتشابهة وراوي هذه الرواية المرسلة هو الحافظ رجب البرسي ولا يعتمد على متفرداته. قال العلاّمة المجلسي في أول البحار ج ١ ص ١٠ ط طهران (وكتاب مشارق الأنوار وكتاب الالفين للحافظ رجب البرسي ولا اعتمد على ما يتفرد بنقله لاشتمال كتابيه ما يوهم الخبط والخلط والارتفاع وإنما أخرجنا منهما ما يوافق الأخبار المأخوذة من الأصول المعتبرة).

يقاتل وهو في يده حتّى فتح الله عليه. وروي أنّ بعضهم دخل عليه ذات يوم وبين يديه خبز يابس وهو يريد كسره فيعجز عنه فيضعه على ركبته حتّى يقدر عليه، فقال له ذلك الرّجل يا عليّ أين تلك القوة التي قلعت بها باب خيبر، فقال تلك قوّة الله تعالى وهذه قوّتي، والنقل من هذه وأمثاله يفضي إلى فناء الأوراق وكسر الأقلام وجفاف المداد، وفي شعره عليه السلام:

صيد الملوك أرانب وثعالب وإذا ركبت فصيدي الأبطال

وأمّا قوله ومنها السّخاوة، فقد عجزت أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله مع كثرة أموالهم عن الوصول إلى أدنى درجة من سخائه روى الصدوق طاب ثراه، بإسناده إلى خالد بن ربعي قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل مكّة في بعض حوائجه، فوجد أعرابيّاً متعلّقاً بأستار الكعبة، وهو يقول يا صاحب البيت البيت بيتك والضّيف ضيفك، ولكلّ ضيف من ضيفه قِرىً فاجعل قراي منك اللّيلة المغفرة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: أما تسمعون كلام الأعرابي، قالوا نعم قال الله أكرم من أن يردّ ضيفه، قال فلمّا كان من اللّيلة الثّانية وجده متعلّقاً بذلك الرّكن وهو يقول يا عزيزاً في عزّك فلا أعزّ منك في عزّك أعزّني بعزّ عزّك في عزّ لا يعلم أحد كيف هو أتوجه إليك وأتوسّل إليك بحق محمّد وآل محمّد عليك أعطني ما لا يعطيني أحد غيرك وأصرف عنّي ما لا يصرفه أحد غيرك، فقال قال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه هذا والله الاسم الأعظم بالسريانية أخبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله سأله الجنّة فأعطاه وسأله صرف النّار فصرفها عنه.

قال فلمّا كان الليلة الثالثة وجده وهو متعلّق بذلك الركن، وهو يقول يا من لا يحويه مكان ولا يخلو منه مكان بلا كيفيّة كان ارزق الأعرابي أربعة آلاف درهم، قال فتقدّم أمير المؤمنين عليه السلام وقال يا أعرابي سألت ربّك فأقراك، وسألته الجنّة فأعطاك وسألته أن يصرف عنك النّار وقد صرفها عنك وفي هذه اللّيلة تسأله أربعة آلاف درهم، قال الأعرابي من أنت قال أنا عليّ بن أبي طالب، قال الأعرابي أنت والله بغيتي وبك أنزلت حاجتي.

قال سل يا أعرابي قال أريد ألف درهم للصّداق، وألف درهم أقضي به ديني، وألف درهم أشتري به داراً، وألف درهم أتعيّش به، قال أنصفت يا أعرابي، فإذا خرجت من مكة فسل عن داري بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله، فأقام الأعرابي بمكّة أسبوعاً وخرج في طلب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى المدينة، ونادى من يدلّني على دار

أمير المؤمنين عليه السلام فقال الحسين بن عليّ من بين الصّبيان أنا أدلك على دار أمير المؤمنين، وأنا ابنه الحسين بن عليّ، فقال الأعرابي من أبوك، قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، قال من أمّك قال فاطمة الزّهراء سيّدة نساء العالمين.

قال من جدّك قال محمّد بن عبد الله بن عبد المطلّب قال من جدّتك قال خديجة بنت خويلد قال من أخوك قال أبو محمّد الحسن بن علي، قال قد أخذت الدنيا بطرفيها امش إلى أمير المؤمنين وقل له إنّ الأعرابيّ صاحب الضمان بمكّة على الباب قال فدخل الحسين بن عليّ عليه السلام فقال يا أبة أعرابيّ بالباب يزعم أنّه صاحب الضمان بمكة قال فقال يا فاطمة عندك شيء يأكله الأعرابي، قالت اللهمَّ لا فتلبّس أمير المؤمنين عليه السلام وخرج، وقال ادعوا لي أبا عبد الله سلمان الفارسي.

قال فدخل سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال يا أبا عبد الله اعرض الحديقة التي غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله على التجار، قال فدخل سلمان إلى السوق وعرض الحديقة فباعها باثني عشر ألف درهم وأحضر المال وأحضروا الأعرابيّ فأعطاه أربعة آلاف درهم وأربعين درهماً نفقة، ووقع الخبر إلى سؤّال المدينة فاجتمعوا، ومضى رجل من الأنصار إلى فاطمة عليها السلام فأخبرها بذلك، فقالت آجرك الله في ممشاك، فجلس عليّ عليه السلام والدراهم مصبوبة بين يديه، حتّى اجتمع إليه أصحابه فقبض قبضة قبضة وجعل يعطي رجلاً رجلاً حتّى لم يبق معه درهم واحد، فلمّا أتى المنزل قالت له فاطمة عليها السلام يابن العم بعت الحائط الذي غرسه لك والدي، قال نعم بخير منه عاجلاً وآجلاً، قالت فأين الثمن قال دفعته إلى أعين استحييت أن اذلّها بذلّ المسألة، اعطيتها قبل أن تسألني.

قالت فاطمة عليها السلام أنا جائعة وابناي جائعان، ولا أشكّ إلّا وأنّك مثلنا في الجوع لم يكن لنا منه درهم، وأخذت بطرف ثوب عليّ عليه السلام فقال عليّ عليه السلام يا فاطمة خلّيني، فقالت لا والله أو يحكم بيني وبينك أبي، فهبط جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمّد ربّك يقرئك السلام ويقول إقرأ عليّاً منّي السلام، وقل لفاطمة ليس لك أن تضربي على يديه، ولا تلزمي بثوبه، فلمّا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله منزل عليّ عليه السلام وجد فاطمة عليها السلام ملازمة لعليّ فقال لها يا بنيّة ما لك ملازمة لعليّ فقالت يا أبة باع الحائط الّذي غرسته له باثني عشر ألف درهم لم يحبس لنا منه درهماً نشتري به طعاماً، فقال يا بنيّة إنّ جبرائيل يقرئني من ربّي السلام ويقول إقرأ عليّاً من ربّي السلام، وأمرني أن أقول لك ليس لك أن تضربي على يديه ولا تلزمي بثوبه، قالت فاطمة أستغفر الله ولا أعود أبداً.

قالت فاطمة عليها السلام فخرج أبي في ناحية وزوجي في ناحية، فما لبث أن أتى أبي صلى الله عليه وآله ومعه سبعة دراهم سود هجريّة، فقال يا فاطمة أين ابن عمّي، فقلت له خرج فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله هاك هذه الدراهم، فإذا جاء ابن عمّي فقولي له يبتاع لكم بها طعاماً، فما لبثت إلّا يسيراً حتّى جاء علي عليه السلام، فقال رجع ابن عمّي فإنّي أجد رائحة طيّبة، قالت نعم وقد دفع إليّ شيئاً تبتاع به طعاماً، فقال عليّ عليه السلام هاتيه، فدفعت إليه سبعة دراهم سود هجريّة، فقال: بِسم الله والحمد لله كثيراً طيباً، وهذا من رزق الله ثمَّ قال يا حسن قم معي، فأتيا السوق فإذا هما برجل واقف وهو يقول من يقرض المليّ الوفيّ، قال بنيّ نعطيه قال أي والله يا أبه فأعطاه عليّ عليه السلام الدراهم كلّها قال يا أبتاه أعطيته الدراهم كلّها قال نعم يا بنيّ إنّ الذي يعطي القليل قادر على أن يعطي الكثير، قال فمضى عليّ عليه السلام إلى باب رجل يستقرض منه شيئاً، فلقيه أعرابي ومعه ناقة، فقال يا عليّ اشترِ مني هذه الناقة، قال ليس معي ثمنها قال فإنّي أنظرك به إلى القبض، قال بكم يا أعرابي قال بمائة درهم فقال عليّ عليه السلام خذها يا حسن فأخذها فمضى عليّ عليه السلام فلقيه أعرابيّ آخر المثال واحد والثياب مختلفة، فقال يا علي تبيع الناقة، قال علي عليه السلام وما تصنع بها، قال أغزو بها أوّل غزوة يغزوها ابن عمّك، قال إن قبلتها فهي لك بلا ثمن قال معي ثمنها وبالثمن أشتريها فبكم اشتريتها، قال بمائة درهم قال الأعرابي فلك سبعون ومائة درهم، قال عليّ عليه السلام للحسن خذ السبعين والمائة وسلّم المائة للأعرابي الّذي باعنا الناقة والسبعين لنا نبتاع بها شيئاً فأخذ الحسن عليه السلام الدراهم وسلّم الناقة، قال عليّ عليه السلام فمضيت أطلب الأعرابي الذي ابتعت منه الناقة لأعطيه ثمنها فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً في مكان لم أره فيه قبل ذلك اليوم ولا بعده على قارعة الطريق فلمّا نظر النبيّ صلى الله عليه وآله إليّ تبسّم ضاحكاً حتّى بدت نواجذه، قال عليّ عليه السلام أضحك الله سنّك وبشّرك بيومك، فقال يا أبا الحسن إنّك تطلب الأعرابي الّذي باعك الناقة لتوفيه الثمن، فقلت أي والله فداك أبي وأمّي، فقال يا أبا الحسن الّذي باعك الناقة جبرائيل والذي اشتراها منك ميكائيل والناقة والدراهم من عند ربّ العالمين عزّ وجلّ فأنفقها في خير ولا تخف إقتاراً.

وأمّا قوله النسب العالي فلا نسب أفخر من أخي رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد روى الخاصّة والعامة مستفيضاً عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني جبرائيل عليه السلام وهو فرح مستبشر فقلت يا حبيبي جبرائيل مع ما أنت فيه من الفرح ما منزلة أخي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب عند ربّه، فقال جبرائيل يا محمّد والّذي

بعثك بالنبوّة واصطفاك بالرسالة ما هبطت في وقتي هذا إلّا لهذا، يا محمّد العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول محمّد نبيّ ورحمتي وعليّ مقيم حجّتي لا أُعذّب من والاه وإن عصاني ولا أرحم من عاداه وإن أطاعني.

وقد استشكل هذا على بعض المحققين من المعاصرين وقال إنّه محمول على المبالغة، والجواب أنّه لا يحتاج إلى الحمل على المبالغة، بل هو محمول على الحقيقة فإنّ فسّاق الشيعة ممّا يكره أعمالهم ولكن لانتسابهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالمحبّة والولاية رفع الله عنهم الخلود في النّار، بل ظاهر بعض الأخبار أنّ منهم من لا يعذّب أصلاً، وأمّا المخالفون فمع ما عليه بعضهم من العبادة والزّهادة وسائر أنواع البر لا يدخلون الجنّة بإجماع أصحابنا، وذلك ليس إلّا بمعاداتهم عليّاً عليه السلام وهو عليه السلام أوّل هاشمي تولّد بين هاشميّين، ولا بأس بالتعرّض لنسب الخلفاء.

في نسب الخلفاء

أما أبو بكر فلم يتعرّض أحد لنسبه بسوء لا من العامّة ولا من الخاصّة، نعم ذكر المنذر بن هشام الكلبي وهو من علمائهم في كتاب المثالب ما هذا لفظه: وممّن كان ينادي على طعام ابن جذعان بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي أبو قحافة. فهل ترى لأبي قحافة مالاً أو ثروة فمن أين انتقل إلى أبي بكر حتّى صار يغني رسول الله صلى الله عليه وآله ويطعن بذلك على الله، حيث قال سبحانه: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨]، فكابروا هذا القول وردّوا عليه وقالوا بل أغناه أبو بكر بماله. وأمّا عدم الطّعن عليه بالسّوء كما سيأتي في أنساب أمثاله فلعلّه لأنّ الأئمة عليهم السلام من نسله، وذلك لأنّ أمّ فروة وهي أم الصّادق عليه السلام بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر.

نعم لمّا ولي أبو بكر الخلافة كان أبوه أبو قحافة بالطّائف فلمّا بويع لأبي بكر كتب لأبيه كتاباً عنوانه من خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبيه أبي قحافة أمّا بعد فإنّ النّاس قد تراضوا بي فإنّي اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا كان أحسن بك فلمّا قرأ أبو قحافة الكتاب، قال للرّسول ما منعكم عن عليّ قال هو حدث السّن وقد أكثر القتل في قريش وغيرها، وأبو بكر أسنّ منه قال أبو قحافة إن كان الأمر في ذلك بالسّن فأنا أحق من أبي بكر، لقد ظلموا عليّاً حقّه وقد بايع له النّبيّ صلى الله عليه وآله وأمرنا ببيعته، ثمّ كتب، من أبي قحافة إلى أبي بكر أمّا بعد فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق ينقض بعضه بعضاً، مرّة تقول خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ومرّة تقول خليفة الله ومرّة تقول تراضوا بي النّاس وهو أمر ملتبس فلا تدخلنّ في أمر يصعب عليك

الخروج منه غداً، وتكون عقباك منه إلى الندامة وملامة النفس اللوّامة لدى الحساب يوم القيامة، فإنّ للأمور مداخل ومخارج وأنت تعرف من هو أولى منك، فراقب الله كأنّك تراه ولا تدعنّ صاحبها، فإنّ تركها اليوم أحقّ عليك وأسلم لك.

وبقي الكلام في النسب الشريف للخليفة الثاني، فروى ابن عبد ربه في المجلّد الثاني من كتاب العقد، قال وخرج عمر بن الخطّاب ويده على المعلى بن جارود فلقيته امرأة من قريش، فقالت يا عمر فوقف لها فقالت كنّا نعرفك مرة عميراً ثمَّ صرت من بعد عمير عمر ثمَّ صرت من بعد عمر أمير المؤمنين فاتّق الله يابن الخطّاب وانظر في أمور النّاس، فإنّه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي الفوت. ومن طريف ما بلغوا إليه من القدح في أصل خليفتهم عمر، أنّ جدّته صهاك ولدته من سفاح يعني من زنا ورووا أنّ ولد الزنا لا ينجب ثمَّ مع هذا ولّوه الخلافة وشهدوا عليه بالزنا فمن رواياتهم في ذلك ما ذكره أبو المنذر هشام بن محمّد السائب الكلبي، وهو من رجالهم في كتاب المثالب ما هذا لفظه في عدد جملة من ولدوا من سفاح، هشام عن أبيه قال كانت صهّاك أمة حبشيّة لهاشم بن عبد مناف فوقع عليها عبد العزّى بن رياح، فجاءت بنفيل جدّ عمر بن الخطّاب فهل بلغت الشيعة إلى أقبح من هذه الأنساب.

ومن عجيب ما رووه عن الخطّاب والد عمر بن الخطّاب أنّه كان سرّاقاً وقطع في السرقة، ما ذكره أبو عبيد القسم بن سلاّم في كتاب الشهاب، في تسمية من قطع من قريش في الجاهليّة في السرقة ما هذا لفظه، قال والخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عديّ بن كعب أبو عمر بن الخطّاب، قطعت يده في سرقة قدر ومحاه ولاية عمر ورضى النّاس عنه قال بعض المسلمين أتعجب من قوم رووا أنّ عمر كان ولد زنا، وأنّه كان في الجاهليّة نخّاس الحمير وأنّه كان أبوه سرّاقاً وأنّه ما كان يعرف إلّا بعمير لرذالته ثمَّ مع هذا جعلوه خليفة قائماً مقام نبيّهم ونائباً عن الله في عباده وقدّموه على من لا طعن عليه في حسب ولا نسب ولا إرب ولا سبب ويا ليتهم حيث ولّوه وفضحوا أنفسهم بذلك كانوا قد سكتوا عن نقل هذه الأحاديث التي قد شمت بها الأعداء وجعلوها طريقاً إلى جهلهم بمقام الأنبياء وخلافة الخلفاء.

وأمّا روايات الخاصّة في هذا الباب فكثيرة ولنذكر منها حديثاً واحداً وهو ما رواه رئيس المحدّثين محمّد بن يعقوب الكليني رَحِمَهُ اللهُ بإسناده إلى سماعة، قال تعرّض رجل من ولد عمر بن الخطّاب بجارية رجل عقيلي فقالت له إنّ هذا العمري قد آذاني

فقال لها عديه وأدخليه الدّهليز فأدخلته فشدّ عليه فقتله وألقاه في الطّريق، فاجتمع البكريون والعمريون والعثمانيّون، وقالوا ما لصاحبنا كفو لن نقتل به إلّا جعفر بن محمّد عليه السلام وما قتل صاحبنا غيره، وكان أبو عبد الله عليه السلام قد مضى نحو قبا فلقيته بما اجتمع القوم عليه فقال دعهم فلمّا جاء وثبوا عليه وقالوا ما قتل صاحبنا أحد غيرك، ولا نقتل به أحداً غيرك فقال ليكلّمني منكم جماعة فاعتزل قوم منهم فأخذ بأيديهم وأدخلهم المسجد، فخرجوا وهم يقولون شيخنا أبو عبد الله جعفر بن محمّد صلوات الله عليهما معاذ الله أن يكون مثله يفعل هذا أو يأمر به، فانصرفوا قال فمضيت معه فقلت جعلت فداك ما كان أقرب رضاهم من سخطهم، قال نعم دعوتهم فقلت أمسكوا وإلا أخرجت الصحيفة فقلت ما هذه الصحيفة جعلني الله فداك، فقال إنّ أمّ الخطّاب كانت أمة للزبير بن عبد المطلب فسطر بها نفيل وهو أبو الخطاب فأحبلها فطلبه الزبير فخرج هارباً إلى الطائف فخرج الزبير خلفه فبصرت به ثقيف، فقالوا يا أبا عبد الله ما تعمل ههنا قال جاريتي سطر بها نفيلكم فهرب إلى الشام، وخرج الزّبير في تجارة له إلى الشام فدخل على ملك الدّومة فقال له يا أبا عبد الله لي إليك حاجة قال وما حاجتك أيّها الملك، فقال رجل من أهلك قد أخذت ولده فأُحب أن تردّه عليه فقال ليظهر لي حتّى أعرفه فلمّا أن كان من الغد دخل إلى الملك فلمّا رآه الملك ضحك فقال ما يضحكك أيّها الملك قال ما أظنّ هذا الرّجل ولدته عربيّة، لمّا رآك قد دخلت لم يملك استه أن جعل يضرط فقال يا أيّها الملك إذا صرت إلى مكّة قضيت، فلمّا قدم الزّبير تحمل عليه ببطون قريش كلها أن يدفع إليه ابنه فأبى، ثمَّ تحمل عليه بعبد المطّلب فقال ما بيني وبينه عمل، أما علمتم ما فعل في ابني فلان ولكن امضوا أنتم إليه فكلّموه، فقصدوه فقال لهم الزّبير إنّ الشيطان له دولة، وإنّ ابن هذا ابن الشيطان ولست آمن أن يترأس علينا، ولكن أدخلوه من باب المسجد عليّ على أن أحمي له حديدة وأخطّ في وجهه خطوطاً، وأكتب عليه وعلى ابنه أن لا يتصدّر في مجلس ولا يتأمّر على أولادنا ولا يضرب معنا بسهم، قال ففعلوا وخطّ وجهه بالحديدة وكتب عليه الكتاب، وذلك الكتاب عندنا فقلت لهم إن أمسكتم وإلاّ أخرجت الكتاب ففيه فضيحتكم فأمسكوا، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة فهذا نسب الخليفة الثاني.

وأمّا أفعاله الجميلة فلقد نقل منها محبوه ومتابعوه ما لم ينقله أعداؤه. منها ما نقله صاحب كتاب الاستيعاب في الرّجال وهو من أفاضلهم، فقال إنّ عمر لمّا ضربه أبو لؤلؤة بالسكّين في بطنه قال ادعوا لي الطّبيب فدعي الطّبيب، فقال أيّ الشّراب

أحب إليك قال النبيذ فسقي نبيذاً فخرج من بعض طعناته فقال النّاس هذا دم هذا صديد، قال اسقوني لبناً فخرج من الطّعنة فقال له الطّبيب لا أرى أن تمسي فما كنت فاعلاً فافعل، وذكر تمام الخبر في الشورى، والنّبيذ هو شراب التّمر ولقد كان يحبّ أن يلاقي الله سبحانه وبطنه الممزوقة ممتلئة من الشراب، فانظروا يا أهل الألباب.

ومنها ما قاله المحقّق جلال الدّين السيّوطي في حواشي القاموس عند تصحيح لغة الأُبنة، وقال هناك: وكانت في جماعة في الجاهليّة أحدهم سيدنا عمر وأقبح منه ما قاله الفاضل ابن الأثير وهما من أجلاّء علمائهم، قال زعمت الرّوافض أنّ سيّدنا عمر كان مخنّثاً كذبوا، ولكن كان به داء دواؤه ماء الرّجال وغير ذلك ممّا يستقبح منّا نقله، وقد قصروا في إشاعة مثل هذا السّر المكنون المخزون ولم أر في كتب الرافضة مثل هذا، نعم روى العيّاشي منهم حديثاً حاصل معناه أنّ الاسم الذي هو لفظ أمير المؤمنين قد خصّ الله به عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولهذا لم تسمّ الرافضة أئمّتهم بهذا الاسم ومن سمّى نفسه به غير عليّ بن أبي طالب فهو ممّا يؤتى في دبره، وهذا شامل لجميع المتخلفين من الأموية والعباسيّة وقد نقلت أهل السنّة ههنا عن امامهم ما هو أقبح من هذا، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم وقد بقي أشياء كثيرة.

منها ما ذكر الطبري في تاريخه وهو من علمائهم قال أتى عمر بن الخطّاب إلى منزل عليّ عليه السلام فقال والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ للبيعة، فخرج عليه الزّبير مصلتاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه، قال زيد بن أسلم وهو منهم كنت ممّن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة عليها السلام، حين امتنع عليّ وأصحابه عن البيعة، فقال عمر لفاطمة اخرجي من البيت وإلاّ أحرقته ومن فيه، قال وفي البيت عليّ والحسن والحسين عليهم السلام وجماعة من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله، فقالت فاطمة عليها السلام تحرق عليّ وولدي فقال أي والله أو ليخرجنّ وليبايعنّ.

أقول وقد اعترف بهذا النّقل من متقدّميهم جمهور المتأخرين منهم، لكن قالوا إنّ الوالي يفعل ما تقتضيه المصلحة ولا يخفى ما فيه، فإنَّ فعله هذا إنّما كان في زمن خلافة أبي بكر وأنتم ما أثبتم خلافة أبي بكر إلّا من جهة الاتفاق، وحينئذ كان الواجب على عمر أن يصبر حتّى يحصل الاتفاق من عليّ وأمثاله، فتثبت خلافة أبي بكر وولايته فإذا ثبتت فعل ما يقتضيه رأيه ولا كان ينبغي لعمر أن يفعل ابتداء الأمر ما يبطل دليل خلافة صاحبه ولكن هذا ليس بأول قارورة كسرت في الإسلام.

وأمّا عثمان فقد شهدوا عليه بارتداده عن الإيمان، روى السدي وهو من مفسريهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧]، قال السّدي نزلت في عثمان بن عفان قال لمّا فتح رسول الله ﷺ بني النّضير وقسم أموالهم، فقال لعليّ عليه السلام إئت رسول الله ﷺ فاسأله أرض كذا وكذا، فإن أعطاكها فأنا شريكك فيها وآتيه وأسأله أنا فإن أعطانيها فأنت شريكي فيها فسأله عثمان أوّلاً فأعطاه إيّاها، فقال له عليّ عليه السلام أشركني فأبى عثمان الشركة فقال بيني وبينك رسول الله ﷺ، فأبى أن يخاصمه إلى النبي ﷺ فقال هو ابن عمّه فأخاف أن يقضي له، فنزل قوله: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٤٨-٥٠]، فلمّا بلغ عثمان ما أنزل الله فيه أتى النبيّ ﷺ وأقرّ لعليّ عليه السلام بالحقّ وشركه في الأرض.

ومن غريب ما شهدوا به على طلحة وعثمان من شكّهم في الإسلام وشهادة الله عليهم بالكفر بعد إظهار الإيمان ما ذكره السديّ أيضاً، في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، قال لمّا أُصيب أصحاب النبيّ ﷺ بأُحد قال عثمان لألحقّن بالشام، فإنّ لي به صديقاً من اليهود يقال له دهلك فلآخذنّ منه أماناً، فإنّي أخاف أن يدال[1] علينا اليهود وقال طلحة بن عبد الله لأخرجنّ إلى الشام، فإنّ لي به صديقاً من النصارى فلاخذنّ منه أماناً فانّي أخاف أنّ يدال علينا النصارى.

قال السديّ فأراد احدهما أن يتهوّد والآخر أن يتنصّر؛ قال فأقبل طلحة إلى النبي ﷺ وعنده عليّ بن أبي طالب عليه السلام فاستأذنه طلحة في المسير إلى الشام، وقال إنّ لي بها مالاً آخذه ثمَّ أنصرف، فقال النبي ﷺ على مثل هذا الحال تخذلنا وتخرج، فأكثر على النبي ﷺ من الاستئذان فقال عليّ عليه السلام يا رسول الله ائذن لابن الحضرميّة، فكفّ طلحة عن الاستئذان عند ذلك فأنزل الله عزّ وجلّ فيهما، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [المائدة: ٥٣]،

(١) دالت الأيام دارت ودال الزمان دولة انقلب من حال إلى حال يقال دالت له الدولة ودالت الأيام بكذا ودال الرجل دولاً ودالة صار شهرة.

يقول إنّه يحلف لكم إنّه مؤمن معكم فقد حبط عمله بما دخل فيه من أمر المسلمين حيث نافق فيه.

ومن غريب ما بلغوا إليه من الطعن في اصل عثمان ونسبه ما رواه علماؤهم وذكره أبو المنذر هشام بن السائب الكلبي في كتاب المثالب فقال ما هذا لفظه: وممّن كان يلعب به ويتخنّث ثمَّ ذكر من كان كذلك قال وعفّان بن أبي العاص بن اميّة ممّن كان يتخنّث ويلعب به وأغرب من هذا ما ذكره في ذمّ أصل طلحة بن عبيد الله وطعنهم في نسبه وكونهم جعلوه ولد زنا، وقد ذكره جماعة من الرواة وذكره أيضاً أبو المنذر هشام بن محمّد السائب الكلبي في كتاب المثالب، فقال وذكر من جملة البغايا من ذوي الرايات صعبة فقال وأمّا صعبة فهي بنت الحضرمي كانت لها راية بمكّة فوقع عليها أبو سفيان، وتزوّجها عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم فجاءت بطلحة بن عبيد الله لستة أشهر، فاختصم أبو سفيان وعبيد الله في طلحة فجعلا أمرهما إلى صعبة فألحقته بعبيد الله، فقيل لها كيف تركت أبا سفيان فقالت يد عبيد الله طلقة ويد أبي سفيان تربة[1] ثم ذكر صاحب كتاب المثالب المشار إليه هجاءً لبني طلحة بن عبيد الله من جملته:

فاصدقوا يا قومنا أنسابكم ... ثمَّ أقيمونا على الأمر الجلي

لعبيد الله أنتم معشر ... أم أبو سفيان ذاك الأموي

---

(١) يد عبيد الله طلقة ويد أبي سفيان تربة - كذا فيما وقفنا عليه من النسخ المطبوعة ورجل طلق اليدين سخي وفي ضده مغلول اليدين ورجل طلق بضمتين سمحهما وترب الرجل قل ماله وافتقر كأنه لصق بالتراب لشدة الفقر وترب الرجل كثر ماله واستغنى كأنه صار له من المال بقدر التراب (ضد).

قال الشرتوني اللبناني في أقرب الموارد: تربت يداك هذه من الكلمات التي جاءت عن العرب صورتها الدعاء ولا يراد بها الدعاء بل المراد الحث والتحريض ومنه فعليك بذات الدين تربت يداك وفي الصحاح وهو على الدعاء أي لا اصبت خيراً والأول هو الصحيح.

وفي النسخة المخطوطة من الكتاب وقعت العبارة هكذا: يد عبيد الله طلعة ويد أبي سفيان كربة وفي الهامش حاشية والظاهر أنّها من المصنف وذكر في شرح المتن ما هذا لفظه: (الظاهر إنّ مراده وصف عبيد الله بالجود والكرم ووصف أبي سفيان بالبخل فإن الطلع بفتح الطاء هو ما يطلع من ثمر النخل والكرب بفتحتين جمع كربة مثل قصبة وهي أصل سعف النخل وقيل ما يبقى من أصوله في النخلة بعد القطع سمي بذلك لأنّه يبس وكرب أي قرب زمان قطعه فالمراد أن يد عبيد الله في السخاء والنفع مثل الطلع في الانتفاع والتمتع به ويد أبي سفيان بمنزلة أصل السعف اليابس الّذي لا مطمع للتمتع فيه بوجه).

وذكر أيضاً في الكتاب المذكور ما هذا لفظه قال وممّن كان يلعب به ويتخنّث عبيد الله أبو طلحة بن عبيد الله.

ومن طريف ما بلغوا إليه من القدح في ولادة معاوية بن أبي سفيان ما رووه في كتبهم ورواه أبو المنذر هشام بن محمّد السائب الكلبي في كتاب المثالب فقال كان معاوية لأربعة، لعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، ولمسافر بن عمر ولأبي سفيان ولرجل آخر سمّاه، قال وكانت هند أُمه من المغتلمات وكان أحبّ الرجال إليها السودان وكانت إذا ولدت أسود قتلته، وقال في موضع آخر من الكتاب وأمّا حمامة فهي من بعض جدّات معاوية كان لها راية بذي المجاز يعني من ذوي الرايات في الزنا، وما أحسن قول بعض المسلمين:

إنّ هذا النسب ممّا يقلقل الصدور تقوم تعظيماً له عند ذكره الأيور

وقد نقل في كتب كثيرة أنّ يزيد قد تعشّق عمّته وكانت بكراً فاستحى أنّ يظهر لها الحال فأراد أن يمتحنها، فأتى معها إلى بستان وجلست في موضع فأمر أن ينزى حصان[1] على فرس وعمّته تنظر إليهما، فلمّا نزا عليها وهي تنظر إليهما أتاها يزيد وأمرها بالقيام من مكانها فلمّا قامت رأى في مكانها إراقة المنيّ فعلم بإرادتها لذلك الغرض فأتى إليها، فلمّا جامعها لم يجدها بكراً فقال لها أين بكارتك فقالت له إنّ أباك لم يترك بكراً، فظهر أنّ معاوية قد كان مخالطاً لها وهذا العجب العجيب والأمر الغريب[2].

وأما يزيد لعنه الله فحاله أشهر من أنّ يذكر وسبب ولادته على ما قاله بعض مفسّريهم أنّ معاوية لعنه الله كان ذات يوم يبول فلدغته عقرب في ذكره فزوّجوه عجوزاً ليجامعها ويشتفي من دوائها، فجامعها مرّة وطلقها فوقعت النطفة مختلطة بسمّ العقرب في رحم العجوز فحصل منها يزيد، هذا هو المشهور ولكن رأيت في بعض كتب المسلمين أنّه كان عند معاوية جارية هنديّة تخدمه فحبلت منه وجاءت بيزيد الكلب النجس، وقال النبيّ ﷺ إتّقوا اليهود والهنود ولو إلى سبعين بطناً.

وروى الكليني[3] أنّه كان بين الحسين وبين يزيد لعنه الله عداوة أصليّة وعداوة

(١) الحصان الفرس العتيق وكل ذكر من الخيل.
(٢) لا عجب ولا غرابة من معاوية الزنديق أمثال هذه الأعمال الشنيعة وكذا من سخله يزيد العنيد.
(٣) كلمة (الكليني) ليست في النسخة المخطوطة.

فرعيّة، أمّا الأصليّة فإنّه ولد لعبد مناف ولدان هاشم وأميّة[1] ملتزقاً ظهر كلّ واحد منهما بظهر الآخر ففرّق بينهما بالسيف، فلم يرتفع السيف من بينهما وبين أولادهما حتّى وقع بين حرب بن أميّة وعبد المطلب بن هاشم وبين أبي سفيان بن حرب وبين أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان لعنهما الله تعالى وعليّ بن أبي طالب عليه السلام وبين يزيد بن معاوية لعنه الله والحسين بن عليّ عليه السلام .

وأمّا العداوة الفرعية فإنّ يزيد قال لأبيه يا أبه قد هيأت لي وراثة الملك وما قصرت في حقّي غير أنّه كانت لعبد الله بن الزبير امرأة يقال لها فاطمة من أجمل النساء فأريد أن تزوجني إياها فدعا معاوية عبد الله بن الزبير وقال أريد أن أرعى قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وأُزوّجك ابنتي وأجعل لك ولاية مصر فانخدع به عبد الله ورضي فبعد يوم دعاه وأخبره بأنّها لا ترضى إلّا أن يطلّق زوجته خوفاً من الغيرة لجمالها فطلّقها فبعد يوم دعاه وأخبره بأنّها تأبى وتقول إنّه لم يف لصاحبة الجمال

(١) كذا فيما وقفنا عليه من النسخ المطبوعة والمخطوطة وهو اشتباه لأن هاشم وأمية لم يكونا أخوين فكيف كان ملتزقاً ظهر كلّ واحد منهما بظهر الآخر فإن أمية هو ابن عبد شمس بن عبد مناف وهاشم عم أمية على ما زعموا وقال المؤرخ المقريزي في كتابه النزاع والتخاصم ص ١٨ ط مصر ما هذا لفظه:

(وقد كانت المنافرة لا تزال بين بني هاشم وبني عبد شمس بحيث أنّه يقال أن هاشماً وعبد شمس ولدا توأمين فخرج عبد شمس في الولادة قبل هاشم وقد لصقت اصبع أحدهما بجبهة الآخر فلمّا نزعت دمي المكان فقيل سيكون بينهما أو بين ولديهما دم فكان كذلك. ويقال إنّ عبد شمس وهاشماً كانا يوم ولدا في بطن واحد كانت جباههما ملصقة بعضها ببعض فأخذ السيف ففرق بين جباههما بالسيف - فقال بعض العرب ألا فرق ذلك بالدرهم فإنه لا يزال السيف بينهم وفي أولادهم إلى الأبد).

وليسمح لي القارىء العزيز أنّ أقول إني اعتقد إنّ هذه القصة اسطورة كاذبة وضعتها يد السياسة الغاشمة في العصر الأموي عذراً للخصومة والعداوة الواقعة بين بني هاشم وبني أمية فإن صريح التاريخ يدل على إنّ بني أمية - تلك الشجرة الملعونة - لم يكونوا من العرب ومن بني عبد شمس بن عبد مناف فإن امية كان فتى من الروم تبناه عبد شمس على عادة العرب في الجاهلية من تبنيهم أولاد الاسرى ويؤكد هذا قول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى معاوية (يا معاوية ليس الصريح كاللصيق وليس المهاجر كالطليق). انظر إلى كتاب (رد على رد السقيفة) لصديقنا العلاّمة السيّد محمّد الكاظمي القزويني نزيل بصرة - دام بقاؤه ص ١٤٠ ط - صيدا وانظر أيضاً إلى التفسير الكبير الموسوم بلوامع التنزيل للمجتهد المتبحر السيّد علي الرضوي اللاهوري قدس سره ج ١٥ ص ٢١١ ط الهند.

فكيف يصنع بي إذا زال الملك والمال فاغتم عبد الله فسلاه معاوية وقال لا تغتمّ فإنّي سأرسل إليها بنساء يرضينها، فلمّا انقضت عدّة فاطمة أرسل إليها أبا موسى الأشعري ليخطبها ليزيد، فمر أبو موسى بقثم بن العباس فقال قثم إنّي راغب فيها أيضاً، ثمّ بالحسين عليه السلام فقال الحسين كذلك فلمّا دخل عليها قال لها ما قالوا، وقال إنّي راغب فيك أيضاً فقالت أمّا أنت فشيخ وأنا شابّة ولكن أريد منك طلب المصلحة، فقال إنّ تريدي الولاية والتنعّم الدنيويّ فيزيد، وإن تريدي العلم والجمال وقرابة الرسول صلى الله عليه وآله فقثم، وإن تريدي العلم والزهد وبنوّة النبيّ صلى الله عليه وآله فالحسين وقد رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله يقبّله ويقول سيّد شباب أهل الجنّة، فقالت اخترت الحسين فسمع معاوية وغضب على أبي موسى الأشعري.

فإن قلت على ما ذكرت أيجوز إطلاق ولد الزنا على من ذكرت من هؤلاءِ الجماعة أم لا يجوز، قلت إنّ هذا الإطلاق وان لم يصح على أولاد الكفّار ونحوهم ممّن تميّز نكاحهم عن سفاحهم، إلّا أنّ هذا الإطلاق على ما ذكرت من الجماعة جائز لأنّه سفاح في مذهبهم، والشارع جوّز عليهم هذا الإطلاق كما جوّزه على من حضر واقعة الطفوف من أهل العراق والشام وغيرهم وأمّا باقي الكفّار فلا يجوز.
روى عمارة بن نعمان الجعفيّ قال كان لأبي عبد الله عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه أين ذهب، فبينما يمشي معه في الحذّائين ومعه غلام سنديّ يمشي خلفه إذ التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرّات فلم يره، فلمّا نظر في الرابعة قال يابن الفاعلة أين كنت قال فرفع أبو عبد الله عليه السلام يده فصكّ بها جبهته، قال سبحان الله تقذف أمّه قد كنت أرى أنّ لك ورعاً فإذا ليس لك ورع، فقال جعلت فداك إنّ أمّه سنديّة مشركة فقال أما علمت أنّ لكلّ أُمة نكاحاً فتنحّ عنّي فما رأيته يمشي معه حتّى فرّق الموت بينهما، ونحوه كثير.

وأمّا قوله ومنها المصاهرة فلا درجة أعلى منها وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يتمنّى بأن يكون له زوجة مثل فاطمة فلم يحصل وكفى به شرفاً أنّ أكابر العرب خطبتها منه فأعرض عنهم وما زوّجها عليّاً عليه السلام حتّى زوّجه الله في السماء روى الصدوق رحمه الله بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال:

قال عليّ عليه السلام : لقد هممت بتزويج فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله حيناً ولم أتجرّأ أن أذكر ذلك للنبيّ صلى الله عليه وآله وإن ذلك اختلج في صدري ليلاً ونهاراً حتّى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا علي قلت لبيك يا رسول الله، قال هل لك حاجة في التزويج

قلت رسول الله أعلم وظننت أنّه يريد أن يزوّجني بعض نساء قريش، وإنّي لخائف على فوت فاطمة فما شعرت بشيء إذ أتاني رسول رسول الله ﷺ فقال لي أجب النبي ﷺ وأسرع فما رأينا رسول الله ﷺ أشدّ فرحاً منه اليوم، قال فأتيته مسرعاً فإذا هو في حجرة أمّ سلمة فلمّا نظر إليّ تهلّل وجهه وتبسّم حتّى نظرت إلى بياض أسنانه، فقال أبشر يا عليّ فإنّ الله عزّ وجلّ قد كفاني ما كان أهمني من أمر تزويجك فقلت وكيف ذلك يا رسول الله، فقال أتاني جبرائيل ومعه من سنبل الجنّة وقرنفلها فناولنيهما فأخذتهما فشممتهما فقلت ما سبب هذا القرنفل والسنبل، فقال إنّ الله تبارك وتعالى أمر سكّان الجنّة من الملائكة ومن فيها أن يزيّنوا الجنّة كلّها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها وأمر ريحها فهبت بأنواع العطر والطيب وأمر حور عينها بالقراءة فيها بسورة طه وطواسين وحم عسق ثمَّ نادى مناد من تحت العرش ألا إنّ اليوم يوم وليمة عليّ بن أبي طالب ألا إنّي أشهدكم أنّي قد زوّجت فاطمة بنت محمّد من عليّ بن أبي طالب رضى منّي بعضهما لبعض ثمَّ بعث الله سبحانه سحابة بيضاء فمطرت عليهم من لؤلئها وزبرجدها ويواقيتها، ومالت الملائكة فنثرت من سنبل الجنّة وقرنفلها وهذا ممّا نثرت الملائكة.

ثمَّ أمر الله تبارك وتعالى ملكاً من ملوك الجنّة يقال له راحيل وليس في الملائكة أبلغ منه فقال اخطب يا راحيل فخطب بخطبة لم يسمع مثلها أهل السماء ولا أهل الأرض ثمَّ نادى مناد ألا يا ملائكتي وسكّان جنّتي باركوا على عليّ بن أبي طالب حبيب محمّد فقد باركت عليهما؛ ألا إنّي قد زوّجت أحبّ النساء إليّ من أحبّ الرجال إليّ بعد النبيّين والمرسلين فقال راحيل الملك وما بركتك فيهما بأكثر ممّا رأينا لهما في جنانك ودارك، فقال عزّ وجلّ يا راحيل من بركتي عليهما أنّي أجمعهما على محبّتي وأجعلهما حجّتي على خلقي وعزّتي وجلالي لأخلقنّ منهما خلقاً ولأنشئن منهما ذرّيّة أجعلهم خزاني في أرضي ومعادن لعلمي ودعاة إلى ديني بهم أحتجّ على خلقي بعد النبيّين والمرسلين. فابشر يا عليّ فإنّ الله عزّ وجلّ أكرمك كرامة لم يكرم بمثلها أحداً، وقد زوّجتك ابنتي فاطمة على ما زوّجك الرحمن وقد رضيت لها بما رضي الله لها فدونك أهلك فإنّك أحقّ بها منّي، ولقد أخبرني جبرائيل عليه السلام أنّ الجنّة مشتاقة إليكما ولولا أنّ الله عزّ وجلّ قدّر أنّ يخرج منكما ما يتّخذه على الخلق حجّة لأجاب فيكما الجنّة وأهلها، فنعم الأخ أنت ونعم الختن أنت وكفاك برضا الله رضا قال عليّ عليه السلام قلت يا رسول الله بلغ من قدري حتّى ذكرت في الجنّة، وزوّجني الله في ملائكته فقال ﷺ إنّ الله عزّ وجلّ إذا أكرم وليّه وأحبّه أكرمه بما لا

عين رأت ولا أذن سمعت فاختارها الله لك يا عليّ فقال عليّ عليه السلام ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله آمين.

وروي أنّ شجرة طوبى وهي شجرة في الجنّة أصلها في منزل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وفي كلّ منزل من منازل الشيعة غصن من أغصانها فيه جميع أنواع الثمار اهتزّت في ذلك اليوم، وألقت جميع أنواع الحليّ والحلل والجواهر واليواقيت فالتقطه أهل الجنّة لكونه نثار فاطمة، فهم يتهادون به إلى يوم القيامة وكان فيما ألقت تلك الشجرة قراطيس كثيرة، وفي كلّ قرطاسة اسم واحد من الشيعة وأنّه معتق من النار لكرامة فاطمة وعليّ عليهما السلام، وتلك القراطيس عند أهل الجنّة.

وأمّا مهرها عليها السلام فهو ثمن درع عليّ عليه السلام وهو خمسمائة درهم قيمة كلّ درهم اثنا عشر غازياً ونصف غازي بقيمة هذه الأعصار، وقد كان في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله كلّ مثقال ذهب وهو الأشرفي الآن قيمته عشرة دراهم، لكن في هذه الأوقات ارتفعت قيمة الذهب وانحطّت الفضّة فما تعارف في بعض البلاد من أنّ مهر السنّة هو تسعة عشر مثقالاً ونصف ممّا لا وجه له، وهذا هو المهر الذي وقع التراضي عليه في الأرض وأما العقد السماوي الذي تقدّم ذكره فقد روي في كثير من الأخبار أنّ الله سبحانه جعل مهر فاطمة عليها السلام جميع الأراضي والمياه ومن هذا قال الصادق عليه السلام: إنّ فاطمة عليها السلام لم تجعل أحداً في حلّ من الأرض بالمساكن وغيرها ولا بالانتفاع من الماء إلّا لشيعتها ومحبّيها، وكفانا بهذا مفخراً حين نفخر، وقد وقع التزويج الأرضي في أوّل يوم من ذي الحجّة قاله الكفعمي. وقال الشيخ الطوسي قدّس الله روحه يوم السادس منه ولم يتزوّج عليها أحداً مدّة حياتها، وذلك لأنّها الزهراء البتول لا ترى دم حيض ولا نفاس وهذا هو معنى البتول لاشتقاقه من البتل وهو الانقطاع، وكانت منقطعة عن أوصاف نساءِ الدنيا ومن هذا سمّيت الإنسيّة الحوراء وأمّا التسمية بالزهراء فروى الصدوق قدّس الله روحه بإسناده إلى أبان قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يابن رسول الله لم سمّيت الزهراء فقال لأنّها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرّات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرشهم فيدخل بياض النور إلى حجراتهم بالمدينة فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النبيّ صلى الله عليه وآله فيسألونه عمّا رأوا فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلّي والنور يسطع من وجهها فيعلمون أنّ الّذي رأوه كان من نور فاطمة، وإذا انتصف النهار وتزيّنت للصلاة زهر وجهها عليها السلام بالصفرة فتدخل الصفرة حجرات النّاس فتصفر ثيابهم وألوانهم فيأتون

النبيّ ﷺ فيسألونه عمّا رأوا فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة فيعلمون أنّ الّذي رأوه كان من وجهها فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس احمرّ وجه فاطمة عليها السلام وأشرق نور وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً لله عزّ وجلّ فكان يدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمر حيطانهم فيعجبون من ذلك ويأتون النبي ﷺ ويسألونه عن ذلك فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها جالسة تسبّح الله وتمجّده ونور وجهها يزهر بالحمرة فيعلمون أنّ الّذي رأوه كان من نور وجه فاطمة عليها السلام فلم يزل ذلك النور في وجهها حتّى ولد الحسين عليه السلام فهو يتقلب في وجوهنا إلى يوم القيامة في الأئمة منّا أهل البيت إمام بعد إمام.

ولعلّك تطلب وجه اختصاص هذه الأنوار بهذه الأوقات.

فنقول يجوز أن يكون وجهه أنّ النور الأبيض يدخل إليهم وقت الصبح وهم نيام ليكشف عنهم بقيّة ظلام اللّيل فيقومون إلى الصلاة، وأيضاً ينبغي أن يكون مخالفاً لأوّل نور الشمس عند طلوعها حتّى لا يشتبه على النّاس أحد النورين بالآخر، فإنّ نور الشمس أصفر في ذلك الوقت وأمّا عند انتصاف النهار فنور الشمس أبيض فيكون نورها عليها السلام أصفر خلافاً له لتلك العلّة، ولأنّه نور الخوف لأنّ وقت الزوال تفتح أبواب السماء وتنظر الملائكة إلى الأرض ونور الخوف أصفر، وأما آخر النهار فهو نور المحبّة والشكر على أداء الفرائض كما يظهر من قوله عليه السلام فرحاً وشكراً لله عزّ وجلّ ونور المحبّة أحمر كما هو المتعارف.

واعلم أنّ مخالفينا لمّا رأوا أنّ الطعن على الثلاثة قد تكثر من طرقهم وبعد عن ساحة عزّ عليّ عليه السلام رام بعضهم أن يذكر له طعناً، حتّى يشارك الثلاثة فيه فجال في ميدان التفحّص فما وجد إلاّ أنّ علياً عليه السلام أغار فاطمة عليها السلام، بأن أراد أن يتزوّج عليها فشكته إلى أبيها فقال فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني فلا بأس أن نشير إليه فنقول:

روى الصدوق بإسناده إلى ابن أبي المقدام وزياد بن عبيد الله، قال أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال رحمك الله هل شيّعت الجنازة بنار ومشي معها بمجمرة أو قنديل أو غير ذلك ممّا يضاء به، قال فتغيّر لون أبي عبد الله عليه السلام من ذلك واستوى جالساً ثمّ قال إنّه جاء شقيّ من الأشقياء إلى فاطمة بنت محمّد ﷺ فقال لها أما علمت أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام خطب بنت أبي جهل فقالت حقّاً ما تقول فقال حقّاً ما أقول

ثلاث مرّات فدخلها من الغيرة ما لا تملك نفسها وذلك أنّ الله تبارك وتعالى كتب على النساءِ غيرة وجعل على الرجال جهاداً، وجعل للمحتسبة الصابرة منهنّ من الأجر ما جعل للمرابط المهاجر في سبيل الله فاشتدّ غمّ فاطمة عليها السلام من ذلك وبقيت متفكّرة حتى جاء الليل، فحملت الحسن على عاتقها الأيمن والحسين على عاتقها الأيسر وأخذت بيد أمّ كلثوم اليسرى بيدها اليمنى، ثمَّ تحوّلت إلى حجرة أبيها فجاء عليّ عليه السلام فدخل حجرته فلم ير فاطمة عليها السلام، فاشتدّ بذلك غمّه وعظم عليه ولم يعلم القصّة ما هي فاستحى أن يدعوها من منزل أبيها، فخرج إلى المسجد فصلّى فيه ما شاء الله ثمَّ جمع شيئاً من كثيب المسجد واتّكى عليه.

فلمّا رأى النبيّ صلى الله عليه وآله ما بفاطمة عليها السلام من الحزن أفاض عليه من الماء ولبس ثوبه ثمّ دخل المسجد فلم يزل يصلّي بين راكع وساجد وكلّما صلّى ركعتين دعا الله أن يذهب ما بفاطمة من الحزن والغمّ، وذلك أنّه خرج من عندها وهي تتقلّب وتتنفس الصعداء فلمّا رآها النبيّ صلى الله عليه وآله أنه لا يهنئها النوم وليس لها قرار قال لها قومي يا بنيّة، فقامت فحمل النبيّ صلى الله عليه وآله الحسن وحملت فاطمة عليها السلام الحسين وأخذت بيد أمّ كلثوم فانتهى إلى عليّ عليه السلام وهو نائم في المسجد فوضع النبيّ صلى الله عليه وآله رجله على رجل عليّ عليه السلام وغمزه وقال قم يا أبا تراب فكم ساكن أزعجته ادع لي أبا بكر من داره وعمر من مجلسه فخرج عليّ عليه السلام فاستخرجهما من منزلهما واجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا عليّ أما علمت أنّ فاطمة بضعة منّي وأنا منها فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي، قال فقال عليّ عليه السلام بلى يا رسول الله قال فما دعاك إلى ما صنعت فقال عليّ عليه السلام: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما كان ممّا بلغها شيء ولاحدّثت به نفسي، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: صدقت وصدقت فاطمة فعند ذلك تبسّمت حتّى رأى ثغرها، فقال أحدهما لصاحبه: إنّه لعجب ما دعاه إلى دعائنا هذه الساعة، قال ثمَّ أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله بيد عليّ فشبّك أصابعه بأصابعه فحمل النبيّ صلى الله عليه وآله الحسن وحمل عليّ الحسين وحملت فاطمة أمّ كلثوم فأدخلهم النبيّ صلى الله عليه وآله بيتهم، ووضع عليهم قطيفة واستودعهم الله ثمَّ خرج وصلّى بقيّة الليل.

فلمّا مرضت فاطمة عليها السلام مرضها الّذي ماتت فيه أتياها عائدين واستأذنا عليها فأبت أن تأذن لهما فلمّا رأى ذلك أبو بكر أعطى الله عهداً أن لا يظلّه سقف بيت حتى يدخل على فاطمة ويتراضاها فبات ليلته في البقيع ما أظلّه شيء ثمَّ إنّ عمر أتى

علياً عليه السلام فقال له: إنّ أبا بكر شيخ رقيق القلب، وقد كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار فله صحبة وقد أتيناها غير هذه المرّة مراراً، نريد الإذن عليها وهي تأبى أن تأذن لنا حتّى ندخل عليها فنتراضى فإن رأيت أن تستأذن لنا عليها فافعل، قال نعم فدخل عليّ عليه السلام على فاطمة فقال لها: يا بنت رسول الله قد كان من هذين الرجلين ما قد رأيت وقد تردّدا مراراً كثيرة ورددتهما ولم تأذني لهما وقد سألاني أن أستأذن لهما عليك، فقالت والله لا آذن لهما ولا أُكلّمهما من رأسي حتّى ألقى ربّي فأشكوهما إليه بما صنعاه وارتكباه مني.

قال عليّ عليه السلام: فإنّي ضمنت لهما ذلك قالت إن كنت قد ضمنت لهما شيئاً فالبيت بيتك والنساء تتبع الرجال لا أُخالف عليك بشيء، فأذن لمن أحببت فخرج عليّ عليه السلام فأذن لهما فلمّا وقع بصرهما على فاطمة عليها السلام سلّما عليها فلم تردّ عليهما، وحوّلت وجهها عنهما فتحوّلا واستقبلا وجهها حتّى فعلت مراراً وقالت يا علي جاف الثوب عليّ وقالت لنسوة حولها حوّلن وجهي، فلمّا حوّلن وجهها حوّلا وجوههما إليها فقال أبو بكر يا بنت رسول الله إنّما أتيناك ابتغاء مرضاتك واجتناب سخطك نسألك أن تعفي عنّا وتصفحي عمّا كان منّا إليك، قالت لا أُكلّمكما من رأسي كلمة واحدة أبداً حتى ألقى ربّي وأشكوكما إليه وأشكو صنعكما وفعالكما وما ارتكبتما مني قالا إنا جئناك معتذرين مبتغين مرضاتك فاغفري واصفحي عنا ولا تؤاخذينا بما كان منّا.

فالتفتت إلى عليّ عليه السلام وقالت إنّي لا أكلّمهما من رأسي كلمة حتى أسألهما عن شيء سمعا من رسول الله صلى الله عليه وآله فإن صدقا رأيت رأيي قالا اللّهم ذلك لها وإنا لا نقول إلّا حقاً ولا نشهدكما إلّا صدقاً، فقالت أنشدكما بالله اتذكران أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استخرجكما في جوف اللّيل بشيء كان حدث من أمر عليّ فقالا اللّهم نعم، قالت أنشدكما بالله فهل سمعتما النبيّ صلى الله عليه وآله يقول فاطمة بضعة منّي وأنا منها من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي قالا اللّهم نعم قالت الحمد لله ثمَّ قالت اللّهمَّ إني أشهدك فاشهدوا يا من حضرني أنهما قد آذياني في حياتي وعند موتي والله لا أكلمهما من رأسي كلمة واحدة حتى ألقى ربي فأشكوكما إليه بما صنعتما بي وارتكبتما مني.

فدعا أبو بكر بالويل والثبور وقال يا ليت أمي لم تلدني فقال عمر عجباً للنّاس

كيف ولّوك أمورهم وأنت شيخ قد خرفت تجزع لغضب امرأة وتفرح برضاها، وما يبلغ من غضب امرأة فقاما وخرجا فلمّا نعي إلى فاطمة عليها السلام نفسها أرسلت إلى أُمّ أيمن وكانت أوثق نسائها فقالت لها يا أم أيمن إنّ نفسي نعيت إليّ فادعي لي عليّاً فدعته لها فلمّا دخل عليها قالت له يا ابن عمّ أريد أن أُوصيك بأشياء فاحفظها عليّ فقال لها قولي ما أحببت قالت له تزوّج فلانة تكون لولدي مربيةً من بعدي مثلي واعمل نعشي فإني رأيت الملائكة قد صوّرته لي، فقال لها عليّ عليه السلام أريني كيف صورته فأرته ذلك كما وصفت له وكما أمرته به ثمّ قالت إذا قضيت نحبي فأخرجني من ساعتك أيّ ساعة كانت من ليل أو نهار ولا يحضرنّ من أعداء الله واعداء رسوله للصّلاة عليّ قال عليّ عليه السلام : أفعل فلمّا قضت نحبها وهي في جوف اللّيل أخذ عليّ عليه السلام في جهازها من ساعته كما أوصته به فلمّا فرغ من جهازها خرج مع الجنازة وأشعل النّار على جريدة النخل ومشى مع الجنازة بالنّار حتى صلّى عليها ودفنها ليلاً، فلمّا أصبح أبو بكر وعمر عاودا عائدين لفاطمة عليها السلام فلقيا رجلاً من قريش فقالا له من أين أقبلت قال عزّيت عليّاً بفاطمة قالا وقد ماتت قال نعم ودفنت في جوف الليل فجزعا جزعاً شديداً ثمّ أقبلا إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلقياه وقالا له والله ما تركت شيئاً من غوائلنا ومساوينا، وما هذا إلّا شيء في صدرك علينا هل هذا إلّا كما غسلت رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا ولم تدخلنا معك، وكما علّمت ابنك أن يصيح بأبي بكر أن انزل عن منبر أبي.

فقال لهما عليّ عليه السلام : أتصدّقاني إن حلفت لكما قالا نعم فحلف فأدخلهما المسجد فقال إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لقد آوصاني وتقدّم إليّ أنّه لا يطّلع على عورته أحد إلّا ابن عمّه فكنت أغسله والملائكة تقلّبه والفضل بن العباس يناولني الماء وهو مربوط العينين بالخرقة ولقد أردت أن أنزع القميص فصاح بي صائح من البيت سمعت الصّوت ولم أر الصورة لا تنزع قميص رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد سمعت الصوت يكرّر عليّ فأدخلت يدي من بين القميص فغسلته ثمّ قدم إليّ الكفن فكفنته ثمّ نزعت القميص بعدما كفّنته. وأمّا الحسن ابني فقد تعلمان ويعلم أهل المدينة أنّه كان يتخطّى الصفوف حتّى يأتي النبي صلى الله عليه وآله وهو ساجد فيركب على ظهره فيقوم النبيّ صلى الله عليه وآله وإحدى يديه على ظهر الحسن والأخرى على ركبته حتّى يتمّ الصلاة قالا نعم قد علمنا ذلك ثمّ قال تعلمان ويعلم أهل المدينة أن الحسن كان يسعى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ويركب رقبته ويدلي رجليه على صدر النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى يرى بريق خلخاليه من أقصى المسجد، والنبيّ صلى الله عليه وآله يخطب ولا يزال على رقبته حتّى يفرغ النبيّ صلى الله عليه وآله

من خطبته والحسن على رقبته فلمّا رأى الصبيّ على منبر أبيه غيره شقّ عليه ذلك والله ما أمرته بذلك ولا فعله عن أمري.

وأمّا فاطمة فهي المرأة التي استأذنت لكما عليها فقد رأيتما ما كان من كلامها لكما، والله لقد أوصتني أن لا تحضرا جنازتها ولا الصلاة عليها وما كنت الذي أُخالف أمرها ووصيّتها إليّ فيكما، فقال عمر إذن نحفر قبرها فقال عليّ عليه السلام: والله لو ذهبت تروم من ذلك شيئاً لعلمت أنّك لا تصل إلى ذلك حتّى يبدر عنك الذي فيه عيناك، فإنّي كنت لا أُعاملك إلّا بالسيف قبل أن تصل إلى شيء من ذلك، فوقع بين عليّ عليه السلام وبين عمر كلام فتلاحيا واجتمع المهاجرون والأنصار فقالوا والله ما نرضى بهذا أن يقال في ابن عمّ رسول الله وأخيه ووصيّه، وكادت أن تقع فتنة فتفرقا[1].

قال مؤلّف هذا الكتاب هذا الذي حصّلوه بعد غاية الفحص عن مطاعن عليّ عليه السلام ويا ليتهم سكتوا على هذا من غير أن يضيفوا إليه ما تشهد العقول والعادات بكذبه، بل قالوا إنّ فاطمة لمّا شكت علياً إلى أبيها من جهة أنّه يريد يخطب عليها بنت أبي جهل صعد النبيّ صلى الله عليه وآله المنبر وقال سمعت أن عليّاً يريد أن يتزوّج ابنة عدوّ الله على ابنة وليّ الله، وما كان هذا يجوز له إنّ فاطمة بضعة منّي، الحديث، وكل عاقل يجزم أن هذا لا يليق بمرتبة النبوّة وأن يخاصم لابنته من جهة الزوجيّة مع أنه صلى الله عليه وآله هو الذي أباحه وعمل به، والعادات جرت بقبح هذه المخاصمة ألا ترى أن المأمون لما كتبت إليه ابنته أُم الفضل تشكو من الجواد عليه السلام وأنّه يتسرّى عليها، كتب إليها إننا ما زوّجناه لنحرم عليه حلالاً وقد كان يمكنه أشدّ المنع لكنه لاحظ الشرع ومجاري العادات.

كيف لا يكون هذا والحال أن طوائف العامة والخاصة رووا أن عثمان قد ضرب رقيّة زوجته وهي بنت النبيّ صلى الله عليه وآله بزعمهم ضرباً مبرحاً حتى أثرت السياط في بدنها على غير جناية تستحقها، ولما أتت النبيّ صلى الله عليه وآله شاكية تكلّم عليها وقال لا يليق بالمرأة أن تشكو من زوجها وأمرها بالرجوع إلى منزله، ثمّ كرّر عليها الضرب فأتت النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ ردّها ثمّ ضربها الضرب الذي كان السبب في موتها فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أن يخرجها من منزل عثمان فأتى بها إلى بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وماتت فيه.

---

(١) علل الشرائع ج ١ ص ٢١٩ باب ١٤٩ ح ٢.

فإن قلت إذا كانت فاطمة عليها السلام مطهّرة معصومة من أدناس نساء الدنيا فكيف جاز منها إعمال هذه الغيرة البشرية من غير أن تتفحّص عن تحقيق الحال قلت الجواب عن هذا من وجوه . . .

الأول: أن هذا وأمثاله غير مناف للعصمة ولا للطهارة من الأدناس البشرية وذلك أن الله سبحانه غيور والنبيّ صلى الله عليه وآله كان يتمدح بأنه أغير على أهله من الصّحابة على أهلهم وكذلك الأئمة عليهم السلام ، ولا يخفى أن التمدّح بالغيورية إنّما كان من الأمور المباحة وإلاّ فالمحرمات ممّا لا يتمدح بها النبيّ صلى الله عليه وآله على الصّحابة بأنه أغير منهم لأن أفعل التفضيل لا معنى له حينئذ وتزويج ما فوق الواحدة مباح وليس بمستحبّ وإنّما الفضل في أصل التزويج والخروج به عن العزوبة، ولعلها عليها السلام خطر ببالها الشريف أن عليّاً عليه السلام إذا تزوج عليها وصارت ضرة لغيرها لزم منه تحمل عليّ عليه السلام ارتكاب الهموم والمشاقّ التي حصلت على النبيّ صلى الله عليه وآله من تعدد الأزواج والضرّات ووصل إليها أيضاً من أنواع الأذى ما كانت تشاهده في أزواج أبيها .

هذا وقد صدر من بنات الأنبياء ما هو أعظم وأشدّ فإنّ سارة من بنات الأنبياء عليهم السلام وألزمت إبراهيم عليه السلام أن يخرج عنها هاجراً وابنها إسماعيل إلى واد غير ذي زرع، ولا ينزل معهما بل يضعهما فيه وهو راكب ويرجع إليها، وقد أمر الله إبراهيم بأن يمتثل أمر سارة ولو كان محرّماً في الشريعة لما أمره به، فيستفاد من هذا كلّه أنّ أصل غيرة النساء على الرجال في هذا وأمثاله ليس من الأمر الحرام نعم لا يجب على الرجال قبوله إلّا أن يدلّ عليه بدليل من خارج كما وقع في شأن إبراهيم وزوجته سارة من الأمر.

الثاني: إنّ المعصومين عليهم السلام قد كانوا أحياناً يتنزّلون عن مراتبهم إلى مراتب البشر ويقع منهم الغضب والرضا والمحاورات المتعارفة في مجاري العادات، لحكم ومصالح يجوز أن يكون منها أن لا يظن بهم فوق مراتبهم كما وقع من الغلاة وأشباههم وهذا يظهر من تتّبع الأخبار كثيراً ومنها أيضاً أن يتعقبه المحبّة القويمة والخلّة المستقيمة كما روي[١] أنّه قد جرى بين الحسنين عليهما السلام نوع من الكلام بعث على الانقطاع، وبعده قيل للحسين عليه السلام أنت أصغر من أخيك فلم لا تمشي إليه وتصالحه، قال إنّي سمعت من جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من كان يسبق بالصلح

(١) مقامهم الشامخ يأبى عن صحة هذه الروايات مع كونها أخبار آحاد.

فهو السابق إلى الجنة وما أُحب أن أسبق أخي إلى الجنة فبلغ الحسن عليه السلام فأتى إلى أخيه الحسين عليه السلام .

الثالث: وهو الأظهر عندي أنها عليها السلام إنّما فعلته لمعرفتها بما يؤول إليه الأمر من إحضار النبي صلى الله عليه وآله لمن أحضر حتّى يكون باعثاً لإتمام الحجّة عليهما، فإذا ترتّب على مثل هذا أمثال هذه الحجج والفوائد فلا ريب أن فعله أحسن من تركه، كما وقع منها عليها السلام مرة أُخرى لفائدة جليلة، وهو ما رواه الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى أبي ذر رحمه الله قال كنت أنا وجعفر بن أبي طالب مهاجرين إلى بلاد الحبشة فأهديت لجعفر جارية قيمتها أربعة آلاف درهم فلمّا قدمنا إلى المدينة أهداها لعليّ عليه السلام تخدمه فجعلها عليّ عليه السلام في منزل فاطمة عليها السلام فدخلت فاطمة عليها السلام يوماً فنظرت إلى رأس علي عليه السلام في حجر الجارية فقالت يا أبا الحسن فعلتها فقال لا والله يا بنت محمّد ما فعلت شيئاً، فما الذي تريدين قالت تأذن لي في المسير إلى منزل أبي رسول الله، فقال لها قد أذنت لك فتجلببت بجلبابها وتبرقعت ببرقعها وأرادت النبيّ صلى الله عليه وآله، فهبط جبرائيل عليه السلام فقال يا محمّد إنّ الله يقرئك السلام ويقول إنّ هذه فاطمة تشكو عليّاً فلا تقبل منها في عليّ شيئاً، فدخلت فاطمة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: جئتني تشكي عليّاً قالت أي والله ربّ الكعبة، فقال لها إرجعي إليه فقولي له رغم أنفي لرضاك ثلاثاً فرجعت فاطمة عليها السلام إلى عليّ عليه السلام، فقالت يا أبا الحسن رغم أنفي لرضاك فقال عليّ عليه السلام شكوتني إلى خليلي وحبيبي رسول الله وا سوأتاه من رسول الله أُشهد الله يا فاطمة أن الجارية حرة لوجه الله تعالى وأن الأربعمائة درهم التي فضلت من عطائي صدقة على فقراء أهل المدينة ثمّ تلبّس وتنعّل وأراد النبيّ صلى الله عليه وآله .

فهبط جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمّد إنّ الله يقرئك السلام ويقول لك قل لعليّ إنّ الله يقرئك السلام ويقول لك قد أعطيتك الجنّة بعتقك الجارية في رضا فاطمة والنار بالأربعمائة دراهم التي تصدقت بها، فأدخل الجنّة من شئت برحمتي وأخرج من النار من شئت بعفوي فعندها قال عليّ عليه السلام : أنا قسيم الله بين الجنّة والنار، وترتّب مثل هذه الفائدة الجليلة على مثل هذا حسن جدّاً، وبالجملة فإن اندفعنا إلى ذكر بعض أوصاف الزهراء عليها السلام لطال الكتاب ولكنا من أهل طلب المحال.

وأول عداوة خرّبت الدنيا وبني عليها جميع الكفر والنّفاق إلى يوم القيامة هي عداوة عائشة لمولاتها الزهراء عليها السلام على ما روي عن الطّاهرين عليهم السلام وذلك لما روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يحبّ فاطمة حباً مفرطاً، وكان إذا اشتاق إلى الجنّة وثمارها

أتى إلى فاطمة عليها السلام وقبّلها، وما كان ينام ليلة إلّا بعد أن يأتي إليها ويشمّها ويقبّلها، وذلك أنه صلى الله عليه وآله لما عرج إلى السماء ودخل الجنة ناوله جبرائيل عليه السلام تفاحة من تفاحها فأكلها ولمّا نزل إلى الأرض واقع خديجة فكانت النطفة من تلك التفاحة، ومن ثم كان حمرة وجهها منها، وقد انتقلت إلى الأئمة عليهم السلام فكانت في وجوههم فغارت عليه عائشة وبغضت مولاتها فاطمة لهذا وسرت هذه العداوة من عائشة إلى أبي بكر فعادى مولاه أمير المؤمنين عليه السلام وعمر كان من أحباب أبي بكر لجامع النفاق فشركه في العداوة فاستمرت إلى يوم القيامة.

وأما قوله وأما عثمان فهو وإن شاركه في كونه ختناً. **أقول**: الأختان اللّتان أخذهما عثمان هما رقيّة تزوّجها عتبة بن أبي لهب فطلقها قبل أن يدخل بها ولحقها منه أذى فقال النبيّ صلى الله عليه وآله اللّهم سلّط على عتبة كلباً من كلابك فتناوله الأسد من بين أصحابه وتزوجها بعده بالمدينة عثمان بن عفان فولدت له عبد الله ومات صغيراً نقره ديك على عينيه فمرض ومات، وتوفيت بالمدينة زمن بدر فتخلف عثمان على دفنها ومنعه ذلك أن يشهد بدراً، وقد كان عثمان هاجر إلى الحبشة ومعه رقيّة، والاخرى أم كلثوم تزوجها أيضاً عثمان بعد أختها رقية وتوفيت عنده.

وقد اختلف العلماء لاختلاف الروايات في أنّهما هل هما من بنات النبيّ صلى الله عليه وآله من خديجة أو أنهما ربيبتاه[1] من أحد زوجيها الأوّلين، فإنه أولاً قد تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له جارية، ثم تزوجها أبو هالة الأسدي فولدت له هنداً بنت هالة، ثمَّ تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا الاختلاف لا أثر له لأنّ عثمان في زمن

(١) المشهور أن خديجة سلام الله عليها ولدت لرسول الله صلى الله عليه وآله أربعة بنات كلهن أدركن الإسلام وهاجرن وهن زينب وفاطمة عليها السلام ورقية وأم كلثوم وتزوج عثمان رقية بعد عتبة بن أبي لهب وعندما سار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بدر كانت ابنته رقية مريضة وتوفيت يوم وصول زيد بن حارثة مبشراً بظفر رسول الله صلى الله عليه وآله بالمشركين وكانت قد أصابتها الحصبة فماتت بها وتزوج عثمان بعدها أختها أمّ كلثوم وتوفيت عنده وقيل تزوج عثمان أولاً أمّ كلثوم ولم يدخل بها حتّى توفيت ثم تزوج رقية مكانها وتزوج أبو العاص بن الربيع زينب وتزوج أمير المؤمنين عليه السلام فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام . وجمع من أهل البحث والتنقيب من علماء الإسلام قالوا إنّ خديجة عليها السلام كانت عذراء ولم يتزوجها أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وآله ورقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة من أمها وكان عمرها عندما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله ثمانياً وعشرين سنة ورسول الله صلى الله عليه وآله في الخامسة والعشرين قال المؤرخ الفقيه ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب (ورجح كثيرون أنّها ابنة ثمان وعشرين)، انظر ج ١ ص ١٤ ط مصر وهذا القول أقرب إلى التحقيق والله العالم.

النبيّ ﷺ قد كان ممّن أظهر الإسلام وأبطن النّفاق وهو ﷺ قد كان مكلفاً بظواهر الأمور كحالنا نحن أيضاً وكان يميل إلى مواصلة المنافقين رجاء الإيمان الباطنيّ منهم، مع انه ﷺ لو أراد الإيمان الواقعيّ لكان أقلّ قليل، فإنّ أغلب الصّحابة كانوا على النفاق لكن كانت نار نفاقهم كامنة في زمنه، فلما انتقل إلى جوار ربّه برزت نار نفاقهم لوصيه ورجعوا القهقرى، ولذا قال عليه السلام ارتدّ النّاس كلهم بعد النبيّ ﷺ إلّا أربعة سلمان وأبو ذر والمقداد وعمّار وهذا مما لا إشكال فيه.

وإنما الإشكال في تزويج علي عليه السلام أم كلثوم لعمر بن الخطاب وقت تخلفه[1] لأنه قد ظهرت منه المناكير وارتد عن الدين ارتداداً أعظم من كل من ارتدّ، حتى إنّه قد وردت في روايات الخاصة أن الشيطان يغل بسبعين غلاً من حديد جهنّم ويساق إلى المحشر فينظر ويرى رجلاً أمامه تقوده ملائكة العذاب وفي عنقه مائة وعشرون غلاً من أغلال جهنم فيدنو الشيطان إليه ويقول ما فعل الشقيّ حتى زاد علي في العذاب وأنا أغويت الخلق وأوردتهم موارد الهلاك، فيقول عمر للشيطان ما فعلت شيئاً سوى أني غصبت خلافة علي بن أبي طالب، والظّاهر أنّه قد استقلّ سبب شقاوته ومزيد عذابه، ولم يعلم أن كل ما وقع في الدنيا إلى يوم القيامة من الكفر والنفاق واستيلاء أهل الجور والظلم إنّما هو من فعلته هذه، وسيأتي لهذا مزيد تحقيق إن شاء الله تعالى.

(١) ومما هو جدير بالذكر هنا إنّ الشيخ الأعظم رئيس المذهب الشيخ المفيد قدس سره أنكر تزويج عمر أمّ كلثوم في (المسائل السروية) وقال: إنّ الخبر الوارد بتزويج أمير المؤمنين عليه السلام ابنته من عمر لم يثبت وطريقته من الزبير بن بكار ولم يكن موثوقاً به في النقل وكان متهماً فيما يذكره من بغضه لأمير المؤمنين عليه السلام وغير مأمون والحديث نفسه مختلف فتارة يروى أن أمير المؤمنين عليه السلام تولى العقد له على ابنته وتارة يروى عن العباس أنّه تولى ذلك عنه وتارة يروى أنّه كان عن اختيار وإيثار وتارة يروى أنّه لم يقع العقد إلاّ بعد وعيد من عمر وتهديد لبني هاشم.
ثم بعض الرواة يذكر إنّ عمر اولدها ولداً سماه زيد وبعضهم يقول إنّ لزيد بن عمر عقباً ومنهم من يقول أنّه قتل ولا عقب له ومنهم من يقول أنّه وأمه قتلا ومنهم من يقول أن أمه بقيت بعده ومنهم من يقول إنّ عمر أمهر أمّ كلثوم أربعين ألف درهم ومنهم من يقول أمهرها أربعة آلاف ومنهم من يقول كان مهرها خمسمائة درهم وهذا الاختلاف مما يبطل الحديث ثم أنّه لو صح لكان له وجهان لا ينافيان مذهب الشيعة في ضلال المتقدمين على أمير المؤمنين عليه السلام انظر إلى آخر ما ذكره قدس سره في المجلد التاسع من البحار ص ٦٢٥ ط أمين الضرب وللسيد المرتضى علم الهدى قدس سره أيضاً تحقيقات تناسب المقام في كتابه النفيس القيم (الشافي) فراجع.

فإذا ارتد على هذا النحو من الارتداد فكيف ساغ في الشريعة مناكحته وقد حرّم الله تعالى نكاح أهل الكفر والارتداد وأتفق عليه علماء الخاصة.

فنقول قد تفصّى الأصحاب عن هذا بوجهين عاميّ وخاصيّ.

أما الأول: فقد استفاض في أخبارهم عن الصّادق عليه السلام لما سئل عن هذه المناكحة فقال إنّه أوّل فرج غصبناه، وتفصيل هذا أن الخلافة قد كانت أعزّ على أمير المؤمنين عليه السلام من الأولاد والبنات والأزواج والأموال، وذلك لأن بها انتظام الدين وإتمام السنّة ورفع الجور وإحياء الحقّ وموت الباطل، وجميع فوائد الدّنيا والآخرة، فإذا لم يقدر على الدفع عن مثل هذا الأمر الجليل الذي ما تمكن من الدفع عنه زمان معاوية وقد بذل عليه الأرواح وسفك فيه المهج، حتى إنّه قتل لأجله ستين ألفاً في معركة صفين وقتل من عسكره عشرون ألفاً، وواقعة الطفوف أشهر من أن تذكر، فإذا قبلنا منه العذر في ترك هذا الأمر الجليل وقد كان معذوراً كما سيأتي الكلام فيه عند ذكر أسباب تقاعده عليه السلام عن الحرب في زمان الثّلاثة إن شاء الله تعالى، والتقيّة باب فتحه الله سبحانه للعباد وأمرهم بارتكابه وألزمهم به، كما أوجب عليهم الصّلاة والصّيام حتّى إنّه ورد عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام لا دين لمن لا تقيّة له، فقبل عذره عليه السلام في مثل هذا الأمر الجزئي، وذلك أنّه قد روى الكليني رحمه الله عن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال لما خطب إليه قال له أمير المؤمنين عليه السلام إنها صبيّة، قال فلقي العبّاس فقال له ما لي أبي بأس، قال وما ذاك قال خطبت إلى ابن أخيك فردّني أما والله لأُعورنّ زمزم ولا أدع لكم مكرمة إلا هدمتها ولأُقيمن عليه شاهدين بأنه سرق ولأقطعنّ يمينه، فأتاه العباس وأخبره وسأله أن يجعل الأمر إليه فجعل إليه.

وأما الشبهة الواردة على هذا وهي أنّه يلزم أن يكون عمر زانياً في ذلك النكاح وهو ممّا لا يقبله العقل بالنظر إلى أم كلثوم، فالجواب عنها من وجهين:

أحدهما: إنّ أمّ كلثوم لا حرج عليها في مثله لا ظاهراً ولا واقعاً وهو ظاهر، وأمّا هو فليس بزان في ظاهر الشريعة لأنّه دخول ترتّب على عقد بإذن الوليّ الشرعي، وأما في الواقع وفي نفس الأمر فعليه عذاب الزاني، بل عذاب كل أهل المساوىء والقبائح الثاني أنّ الحال لما آل إلى ما ذكرنا من التقيّة فيجوز أن يكون قد رضي بتلك المناكحة رفعاً لدخوله في سلك غير الوطء المباح.

وأمّا الثاني: وهو الوجه الخاصي فقد رواه السيّد العالم بهاء الدين عليّ بن

عبد الحميد الحسينيّ النجفيّ في المجلد الأوّل من كتابه المسمّى بالأنوار المضيئة، قال ممّا جاز لي روايته عن الشيخ السعيد محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ رفعه إلى عمر بن أذينة قال قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ إنّ النّاس يحتجّون علينا أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ زوّج فلاناً ابنته أمّ كلثوم وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ متّكياً فجلس وقال أتقبلون أن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ أنكح فلاناً ابنته، إنّ قوماً يزعمون ذلك ما يهتدون إلى سواء السبيل ولا الرشاد، ثم صفق بيده وقال سبحان الله ما كان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقدر أن يحول بينه وبينها كذبوا لم يكن ما قالوا إنّ فلاناً خطب إلى عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بنته أمّ كلثوم فأبى فقال للعبّاس والله لئن لم يزوجني لأنزعن منك السقاية وزمزم، فأتى العبّاس علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ فكلّمه، فأبى عليه فألحّ عليه العبّاس، فلما رأى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مشقة كلام الرجل على العبّاس وأنّه سيفعل معه ما قال، أرسل إلى جنيّة من أهل نجران يهوديّة يقال لها سحيفة بنت حريرية، فأمرها فتمثّلت في مثال أمّ كلثوم وحجبت الأبصار عن أُم كلثوم بها، وبعث بها إلى الرجل فلم تزل عنده حتّى إنّه استراب بها يوماً، وقال ما في الأرض أهل بيت أسحر من بني هاشم، ثم أراد أن يظهر للناس فقتل فأخذت الميراث وانصرفت إلى نجران وأظهر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أمّ كلثوم.

أقول: وعلى هذا فحديث أوّل فرج غصبناه محمول على التقيّة والاتقاء من عوام الشيعة كما لا يخفى.

ظلمة حالكة في ما بقي من فضائل الشيخين: اعلم أنّ من أقوى الدلائل والمناقب التي ذكروها لأبي بكر هي حكاية الغار، لأنها المصرّح بها في محكم القرآن حيث قال: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، الآية.

ويعجبني نقل كلام وقع إليّ من جانب شيخنا الشيخ المفيد نور الله ضريحه، قال رأيت فيما يرى النائم كأني اجتزت في بعض الطرق فإذا أنا بحلقة كبيرة دائرة وفيها رجل يعظ، فقلت من هذا فقيل عمر بن الخطّاب فاستفرجت النّاس فأفرجوا لي فدخلت إليه فقلت أتأذن لي في مسألة فقال سل، فقلت أخبرني عن فضل صاحبك عتيق بن أبي قحافة من قول الله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾، فإنّي أرى من ينتحل مودتكما يذكر أنّ له فضلاً كثيراً، فقال الدّلالة على فضل صاحبي عتيق بن أبي قحافة من هذه الآية من ستّة أماكن:

الأول: أن الله عَزَّوَجَلَّ ذكر النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر أبا بكر فجعله ثانيه فقال: ﴿ثَانِيَ

ٱثۡنَيۡنِ﴾ الثاني: وصفهما بالاجتماع في مكان واحد لتأليفه بينهما فقال: ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ الثّالث: أنّه قد أضافه إليه بذكر الصحبة ليجمع بينهما في الرتبة، ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ الرابع: إنّه أخبر عن شفقته عليه ورفقه به لمكانه عنده، فقال: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ﴾ الخامس: إنّه اخبر عن كون الله معهما على حدّ سواءٍ ناصراً لهما ودافعاً عنهما، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾، السادس: إنّه أخبر عن نزول السكينة على أبي بكر لأن الرسول ﷺ لم تفارقه السكينة قط فقال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ فهذه ستّة أماكن لا يمكنك ولا غيرك الطعن فيها على وجه من الوجوه ولا سبب من الاسباب، فقلت له قد حررت كلامك هذا واستقصيت البيان فيه وأتيت بما لا يقدر أحد أن يزيد عليه غير أنّي بعون الله سأجعله كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف.

أما قولك إنّ الله تعالى ذكر النبيّ وذكر أبا بكر فجعله ثانيه فهو عند التحقيق إخبار عن العدد فقط ولعمري لقد كانا اثنينَ فما في ذلك من الفضل، ونحن نعلم ضرورة أن مؤمناً ومؤمناً اثنان ومؤمناً وكافراً اثنان، فما أرى في ذلك العدد طائلاً يعتمد عليه.

وأما قولك إنّه وصفهما بالإجتماع في مكان واحد فهو كالفضل الأول وأضعف لأنّ المكان يجمع المؤمنين والكفّار كما يجمع العدد المؤمنين والكفّار وذلك أن مسجد النبيّ ﷺ أفضل وأشرف من الغار وقد جمع النبيّ والمنافقين والكفار، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨﴾ [المعارج: ٣٦-٣٨]، وأيضاً فان سفينة نوح عليه السلام أفضل وأشرف من الغار وقد حملت النبيّ والشيطان والبهيمة، والمكان لا يدل على ما ادعيت من الفضل، فبطلّ فضلان.

وأمّا قولك إنّه اضافه إليه بذكر الصحبة فهو كالفضلين الأوّلين وأضعف وذلك أن اسم الصحبة يقع بين المؤمنين والكفار قال الله عزّ وجلّ حكاية عن بعض أنبيائه: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾ [الكهف: ٣٧] فسمّاه صاحباً وهو كافر، وقد سمّت العرب الحمار أيضاً صاحباً فقالت في ذلك:

إن الحمار مع الحمير مطيّة ... وإذا خلوت به فبئس الصّاحب

وسموا أيضاً الجماد صاحباً فقالوا من ذلك للسيف:

زرت هنداً وذاك بعد اجتناب ... ومعي صاحب كلوم اللّسان

فإذا كان اسم الصّحبة قد وقع بشهادة كتاب الله عز وجل بين نبيّ وكافر، وبشهادة لسان العرب بين عاقل وبهيمة وبين جماد وحيوان، فأيّ فضل لصاحبك فيه؟

وأما قولك إنّه قال: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ فهو وبال عليه ومنقصة له، وذلك دليل على خطائه، لأن قوله لا تحزن نهي له وذلك أن صورة النهي عند العرب قول القائل لا تفعل كما أنّ صورة الأمر عندهم قول القائل إفعل، وليس يخلو حزن أبي بكر من أن يكون طاعة أو معصية فلو كان طاعة لم ينه النّبيّ ﷺ عنه فثبت أنّه معصية ويجب عليك أن تستدل على انّه انتهى لأنّ في الآية دليلاً على عصيانه بشهادة النبيّ ﷺ وليس فيها دليل على أنّه قد انتهى.

وأمّا قول النبيّ ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، فعلى الاختصاص وعبّر عن نفسه بلفظ الجمع ونون العظمة وذلك مشهور في كلام العرب قال الله عز وجل : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ﴿لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣] وقد قالت الشيعة في ذلك قولاً غير بعيد وهو أنّهم قالوا إنّ أبا بكر قال له يا رسول الله ما معك أخوك علي بن أبي طالب وذلك أنّه خلّفه على الفراش فقال له رسول الله ﷺ لا تحزن إنّ الله معنا، أي معي ومع أخي عليّ بن أبي طالب.

وأمّا قولك إنّ السّكينة نزلت على أبي بكر فهو كفر محض لان الله تعالى أخبر أن الذي أنزل عليه السكينة هو الذي أيّده بالجنود ودلّ على ذلك بحرف العطف، فقال عز وجل : ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فإن كان أبو بكر هو صاحب السّكينة فهو صاحب الجنود وهذا إخراج للنبيّ ﷺ من النبوة، وبعد فقد أخبر الله عز وجل أنّه أنزل السكينة على نبيّه في مكانين وكان معه فيهما قوم مؤمنون فشركهم معه فيها، فقال في موضع ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦]، وقال في موضع آخر ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦]، ولمّا كان في هذا الموضع خصّه وحده بالسكينة، فقال عز وجل : ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠] فلو كان معه في الموضع مؤمن لشركه معه في السّكينة كما شرك من تقدّم فدل إخراجه من السكينة على خروجه من الإيمان، فلم يحر جواباً وتفرّقوا واستيقظت انتهى. **أقول**: إنّما أجرى الله سبحانه تلك الاستدلالات من الآية على لسان عمر ليسمع الجواب عنها، وإلاّ فهو عاجز عن تقرير مثل هذه الاستدلالات.

ومن عجيب ما رووه في كتبهم أن النبيّ ﷺ ما صحب أبا بكر في الغار إلّا

خوفاً منه أن يدلّ الكفار عليه رواه أبو القاسم نصر بن الصّباح في كتاب النور والبرهان، رواه عن ابن شهاب قال حدثنا شهاب بن عمر(معمر خ ل) عن أبي يحيى عن محمد بن إسحاق قال: قال حسان قدمت مكّة معتمراً وناس من قريش يعذّبون أصحاب محمّد ﷺ يقول حسان في هذا الحديث ما هذا لفظه: فأمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام فنام على فراشه وخشي من ابن أبي قحافة أن يدلهم عليه فأخذه معه ومضى به إلى الغار. **أقول**: ويقوي هذا أنّه لمّا كان معه في الغار وسمع أصوات المشركين أراد الكلام لأن يدل على النبيّ ﷺ فقال لا تحزن، ثم إنه مد رجله إلى باب الغار كي يعلموا بمكانهما، فخرجت حيّة لدغته في رجله، فبكى فأبرأها النبيّ ﷺ بدعائه لئلّا يرفع صوته.

المنقبة الثانية من مناقب الشيخين كونهما ضجيعين لرسول الله ﷺ وقد روي أنّه مر فضال بن الحسن بن فضال الكوفي بأبي حنيفة وهو في جمع كثير يملي عليهم من فقهه وحديثه، فقال لصاحب له والله لا أبرح حتى أُخجل أبا حنيفة، فقال صاحبه الذي كان معه إنّ أبا حنيفة ممن قد علت حاله وظهرت حجّته، قال: مه هل رأيت حجّة علت على حجّة مؤمن، ثم دنا منه فسلّم عليه فردّ وردّ القوم بأجمعهم، فقال يا أبا حنيفة إنّ أخاً لي يقول إنّ خير النّاس بعد رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، وأنا أقول أبو بكر خير النّاس وبعده عمر؛ فما تقول أنت رحمك الله فأطرق ملياً ثمَّ رفع رأسه، فقال كفى بمكانهما من رسول الله ﷺ كرماً وفخراً أما علمت أنهما ضجيعاه في قبره فأي حجّة تريد أوضح من هذا فقال له إنّي قد قلت ذلك لأخي فقال والله لئن كان المكان لرسول الله ﷺ دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما بحق، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله ﷺ فقد أساءا وما أحسنا إذ رجعا في هبتهما ونسيا عهدهما فأطرق أبو حنيفة ساعة ثمَّ قال له لم يكن له ولا لهما خاصة، ولكنّهما نظرا في حق عائشة وحفصة فاستحقا الدّفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما فقال فضّال قد قلت له ذلك فقال أنت تعلم أن النبيّ ﷺ مات عن تسع نساء ونظرنا فكان لكل واحدة منهن تسع الثمن. ثمَّ نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك، وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله ﷺ وفاطمة بنته تمنع الميراث، فقال أبو حنيفة: يا قوم نحّوه عنّي فإنه رافضي خبيث لعنه الله تعالى.

أقول: ويوضح هذا ما رووه في الجمع بين الصحيحين للحميدي وغيره أن

النبيّ ﷺ لمّا هاجر إلى المدينة أقام ببعض دور أهلها واستعرض مربداً للتمر كان لسهل وسهيل كانا يتيمين في حجر سعد بن زرارة ليشتريه فوهباه له.

وروى الحميدي رواية أُخرى وهو أن النبيّ ﷺ أراد أن يشتري موضع المسجد من قوم بني النجّار فوهبوه له، وقد تضمن القرآن كون البيوت للنبيّ ﷺ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ومن المعلوم أن زوجته عائشة لم يكن لها دار بالمدينة ولا لأبيها ولا لقومها لأنّهم من أهل مكة ولا روى أحد أنّها بنت بيتاً لنفسها، ومع هذا فلما ادعت حجرة النبيّ ﷺ بعد وفاته التي دفن فيها صدقها أبو بكر وسلّمها إليها بمجرّد سكناها أو دعواها، ومنع فاطمة عليها السلام عن فدك ولم يصدّقها مع شهادته لها بالعصمة والطّهارة وردّ شهودها بأن أباها وهبها ذلك في حياته ومنع فاطمة من ميراثها وأعطى ابنته الحجرة ميراثاً، ودفن أمواتهم فيها وضربوا المعاول عند رأسه.

وأعجب من هذا أن جماعة من جهّالهم ظن أن البيت لعائشة بإضافته إليها في المحاورات ولم يدر أنّه من باب قوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ [الطلاق: ١]، ومعلوم أن البيوت إنّما هي للأزواج(١).

---

(١) وإنما أضاف الله تعالى البيوت إليهن لاختصاصهن بسكناها لأنّ الإضافة يكفي فيها أدنى ملابسة والمراد من البيوت هو بيوت الأزواج وأضيفت إلى الزوجات بملابسة السكنى ولو كان ملكاً لهن لما جاز اخراجهن عند الفاحشة وقد أباح الله تعالى اخراجهن عند اتيانهن بالفاحشة بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ [النساء: ١٩] فكذا الحال في إضافة البيت إلى عائشة في المحاورات. ونظير هذه الآية الشريفة في إضافة البيوت إلى النساء قوله تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ومن العجب إنّ بعض المفسرين منهم مال إلى الاستدلال بها على أن عائشة كانت مالكة لحجرتها وذكر أن إضافة البيوت إليهم يشير إلى التمليك.

وهو خطأ محض واستدلال على نزعة التعصب البغيض لأنّ إضافة البيوت لا يفيد إلاّ الاختصاص من جهة السكنى مضافاً إلى أنّه معارض بقوله تعالى: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وهو أدل على ملك النبي ﷺ فإن الآية ظاهرة في الملك إذ شأن الرجال ملك مساكنهم كما هو الغالب بخلاف النساء ولاسيما ذوات الازواج ومجرد إضافة البيوت إليهن لا تستلزم الانتقال إليهن كما هو واضح.

وروى الطبري المؤرخ الشهير في تاريخه: أن النبي ﷺ قال إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري. انظر تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٣٥ ط مصر سنة ١٣٥٧هـ ونظير هذا الخبر كثير في كتبهم وصحاحهم فلاحظ.

وحيث انجرّ الكلام إلى هنا فلا بأس بذكر بعض أحوال فدك من طريقهم، لأنّه منه يظهر أيضاً فضائل الشيخين، فنقول ذكر صاحب التاريخ المعروف بالعباسيّ في حوادث سنة ثماني عشرة ومئتين أن جماعة من ولد الحسن والحسين عليهما السلام رفعوا قصّة إلى المأمون يذكرون فدك والعوالي[١] وأنّها كانت لأُمّهم فاطمة عليها السلام ومنعها أبو بكر بغير حقّ، فسألوا المأمون إنصافهم وكشف ظلامتهم، فأحضر المأمون مائتي عالم من علماء الحجاز والعراق وغيرهم من علماء الجمهور، وتوكّل عليهم في أداء الصدق وسألهم عما عندهم من الحديث في ذلك، فروى غير واحد منهم عن بشر بن الوليد والواقدي وبشر بن عتاب في أحاديث يرفعونها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله إنّه لما افتتح خيبر اصطفى لنفسه قرى من قرى اليهود فنزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآيات: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦]، فقال محمّد صلى الله عليه وآله: ومن ذو القربى وما حقّه فقال فاطمة تدفع إليها فدك، فدفع إليها فدك ثمّ أعطاها العوالي بعد ذلك فاستغلّتها حتى توفي أبوها.

فلما بويع أبو بكر منعها وكلّمته فاطمة عليها السلام في ردّها، فقالت إنّ أبي دفعها إليّ فقال لا أمنعك ما أعطاك أبوك، وأراد أن يكتب لها كتاباً فاستوقفه عمر بن الخطّاب، وقال إنها امرأة فادعها بالبيّنة على ما ادعت فأمرها أبو بكر أن تفعل فجاءت بأم أيمن وأسماء بنت عميس مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام فشهدوا لها جميعاً بذلك، فكتب لها أبو بكر فبلغ ذلك عمر فأخبره أبو بكر الخبر، فأخذ الصحيفة فمحاها، فقال إنّ فاطمة امرأة عليّ بن أبي طالب زوجها وهو جارّ إلى نفسه النفع ولا يكون بشهادة امرأتين دون رجل، فأرسل أبو بكر إلى فاطمة عليها السلام فأعلمها ذلك، فحلفت بالله الذي لا إله إلا هو أنهم ما شهدوا إلا بالحقّ، فقال أبو بكر لعلّك أن تكوني صادقة ولكن أحضري شاهداً لا يجرّ إلى نفسه النفع فقالت فاطمة عليها السلام ألم تسمعا من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أسماء بنت عميس وأمّ أيمن من أهل الجنّة، فقالا: بلى، فقالت امرأتان من أهل الجنة تشهدان بباطل فانصرفت صارخة تنادي أباها وتقول: قد أخبرني أبي عليه السلام أنّي أوّل من يلحقه فوالله لأشكونّهما إليه، فلم تلبث أن مرضت فأوصت علياً عليه السلام أن لا يصلّيا عليها وهجرتهما فلم تكلّمهما حتى ماتت.

---

(١) ذكر العالية والعوالي في غير موضع الحديث وهي أماكن بأعلى أراضي المدينة والنسبة إليها علوي على غير قياس وأدناها من المدينة على أربعة أميال وأبعدها من جهة نجد ثمانية أميال كذا ذكر ابن الأثير في النهاية.

ثمَّ أحضر في يوم آخر ألف رجل من أهل الفقه والعلم وشرح لهم الحال وأمرهم بتقوى الله ومراقبته، فتناظروا واستظهروا ثمَّ افترقوا فرقتين، فقالت طائفة منهم الزوج عندنا جارّ إلى نفسه فلا شهادة له، ولكنّا نرى يمين فاطمة عليها السلام قد أوجبت لها ما ادعت مع شهادة المرأتين، وقالت طائفة نرى اليمين مع الشهادة لا توجب حكماً، ولكن شهادة الزوج عندنا جائزة ولا نراه جارّاً إلى نفسه، وقد وجب بشهادته مع شهادة المرأتين لفاطمة عليها السلام ما ادّعت، فكان اختلاف الطائفة إجماعاً منهم على استحقاق فاطمة عليها السلام فدك والعوالي، فسألهم المأمون بعد ذلك عن فضائل لعليّ بن أبي طالب عليه السلام فذكروا منها طرفاً جليلاً وسألهم عن فاطمة عليها السلام فرووا لها عن أبيها فضائل جميلة، وسألهم عن أمّ أيمن وأسماء بنت عميس فرووا عن نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم أنّهما من أهل الجنّة.

فقال المأمون أيجوز أن يقال أو يعتقد أن عليّ بن أبي طالب مع ورعه وزهده يشهد لفاطمة عليها السلام بغير حق وقد شهد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الفضائل أو يجوز مع علمه وفضله أن يقال إنّه يمشي على شهادة وهو يجهل الحكم فيها، وهل يجوز أن يقال أن فاطمة عليها السلام مع طهارتها وعصمتها وأنّها سيّدة نساء العالمين وسيّدة نساء أهل الجنة كما رويتم تطلب شيئاً ليس لها، تظلم فيه جميع المسلمين وتقسم عليه أو يجوز أن يقال عن أمّ أيمن وأسماء بنت عميس أنهما شهدتا بالزور وهما من أهل الجنّة، وأنّ الطعن على فاطمة وشهودها طعن على كتاب الله وإلحاد في دين الله، ثمَّ عارضهم المأمون بحديث رووه أن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أقام منادياً بعد وفاة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ينادي من كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دين أو عدة فليحضر فحضر جماعة فأعطاهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما ذكروه بغير بيّنة؛ وإنّ أبا بكر أمر منادياً ينادي بمثل ذلك فحضر جرير بن عبد الله وادّعى على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عدة فأعطاه أبو بكر ما ادعاه بغير بيّنة وحضر جابر بن عبد الله وذكر أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم وعده أن يحثو له ثلاث حثوات من مال البحرين، فلمّا قدم مال البحرين بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أعطاه أبو بكر ثلاث حثوات بغير بيّنة.

وفي الجمع بين الصّحيحين في الحديث التاسع من أفراد مسلم في مسند جابر وإن جابراً قال فعددتها فإذا هي خمسمائة، فقال أبو بكر لجابر خذ مثلها، فتعجّب المأمون من ذلك فقال أما كانت فاطمة وشهودها يجرون مجرى جرير بن عبد الله وجابر بن عبد الله ثم جعل فدك والعوالي في يد محمّد بن يحيى بن عليّ بن

الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعمرها ويستغلّها ويقسم دخلها بين ورثة فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله.

ومما يقال في هذا المقام أنّهم رووا في صحاحهم أنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام ممدوح مزكّى زمن حياته وبعد وفاته وأنّه أفضل الصّحابة وإن جاز الشكّ على الموصوف بتلك الصفات فإنّما هو شك فيمن أسندوا إليه تلك الروايات وتكذيب لأنفسهم فيما صحّحوه مع أنّهم رووا عن عطية عن أبي سعيد قال لمّا نزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦] دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدك.

ومما يقال أيضاً أن علياً عليه السلام مع اتّصافه بتلك الصفات كيف يترك زوجته المعظّمة تطلب شيئاً لا يثبت لها ولا تقبل في الشرع شهادة شهودها وكيف يقدم على الشهادة لها مع أن شهادته في الشّريعة غير جائزة لها.

وممّا يعجب منه في اعتذارهم لِأبي بكر ما قاله المحمود الخوارزمي في كتاب الفائق قال إنّ فاطمة صادقة وإنّها من أهل الجنّة قال فكيف نشك في دعواها فدك والعوالي وكيف يجوز أن يقال عنها إنّها أرادت ظلم جميع المسلمين وأصرّت على ذلك إلى الوفاة، فقال الخوارزمي ما هذا لفظه كون فاطمة صادقة في دعواها وأنّها من أهل الجنة لا يوجب العمل بما تدّعيه إلا ببيّنة لأن حالها لا يكون أعلى من حال النبيّ صلى الله عليه وآله ولو إدّعى النبيّ صلى الله عليه وآله مالاً على ذمّيّ وحكَّم حكماً ما كان للحكم أن يحكم له لنبوّته وكونه من أهل الجنّة إلا ببيّنة.

أقول هذا الكلام مما تضحك منه العقول ويكشف عن أنّهم ما صدقوا نبيّهم في التحريم والتحليل والعطاء والمنع، مع أنّهم ما عرفوا ثبوت البيّنة وصحّة العمل بها إلا من نبيّهم فكيف يكون ثبوت صدقه الآن في الدعوى على الذّميّ بالبيّنة مع أنّهم ذهبوا إلى أن حاكم الشرع يجوز له العمل بما علم وهو من جملة أسباب الحكم.

ومما يقال أيضاً من طرائف ما تجدد لفاطمة عليها السلام معهم أنّها لمّا رأت تكذيبهم لها وشكّهم فيها وفي شهودها بأنّ أباها وهبها ذلك في حياته أرسلت إلى أبي بكر ورووا أنّها حضرت بنفسها تطلب فدك بطريق الميراث من أبيها لأن المسلمين أجمعوا على أن فدك كان لأبيها أو لها.

فمن الروايات في ذلك ما ذكره البخاري في صحيحه في الجزء الخامس من أجزاء ثمانية بإسناده أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة من فدك وما بقي من خمس

خيبر، فقال أبو بكر إنّ رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركناه صدقة، وإنّما يأكل آل محمّد عليهم السلام من هذا المال وإنّي والله لا أُغيّر شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فغضبت فاطمة عليها السلام في ذلك على أبي بكر فلم تكلّمه حتّى توفيت وعاشت بعد النبيّ ﷺ ستة أشهر فلما ماتت دفنها زوجها عليّ عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها أبو بكر وصلّى عليها عليّ عليه السلام .

وروى مسلم في صحيحه هذا الحديث أيضاً في الجزء الثالث وهذا بزعم أبي بكر وصاحبه يقتضي أن محمداً ﷺ أهمل أهل بيته الذين قال الله له عنهم: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وفي القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، فيلزم على هذا أنّه لم ينذر عشيرته ولا وقى أهله ولا عرَّفهم أنّهم لا يرثونه ولا عرف علياً عليه السلام ولا عبّاساً ولا أحداً من بني هاشم ولا أزواجه ولا سمعوا بهذا الحديث الذي رواه أبو بكر مدّة حياة نبيّهم ولا بعد وفاته، حتى خرج بعضهم يطلب ميراثه وبعضهم يرضى بذلك الطلب، وخرجت ابنته الطاهرة المعصومة تطلب ظلم جميع المسلمين على قولهم مع مخالطتها لأبيها سراً وجهراً وليلاً ونهاراً ولا أسمعها ولا أسمع زوجها ذلك الحديث وأسمعه أبا بكر ما هذا إلّا شيء عجاب ما سمعنا بهذا في كل الملل والأديان.

وبعض الجمهور لما صحّ عنده عموم آية الإرث وما طاوعته نفسه على تكذيب أبي بكر ذكر للحديث تأويلاً، وهذا هو الإمام الرازي في تفسيره الكبير عند قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ بعد أن نقل الحديث الذي رواه أبو بكر نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة، قال يحتمل أن يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورّث، والتقدير أن الشيء الذي تركناه صدقة لا نورث، ويكون المراد أن الأنبياء إذا عزموا على التصدّق بشيء فبمجرد العزم على ذلك يخرج ذلك الشيء عن ملكهم فلا يرثه وارثهم انتهى والكلام على هذا التأويل واسع الميدان.

والعجب أنّهم شهدوا في هذه الأحاديث أن فاطمة عليها السلام هجرت أبا بكر وصاحبه إلى وقت الموت، وخرجت من الدنيا غاضبة عليهما مع أن مسلماً روى في صحيحه في الجزء الرابع من ثلثه الأخير ورواه أيضاً مسلم في صحيحه في الجزء الرابع من آخره ورواه الحميدي في الجمع بين الصّحيحين ورواه صاحب كتاب

الجمع بين الصّحاح الستّة في الجزء الثالث ورووه كلهم عن رسول الله ﷺ قال فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها فقد أغضبني وأنه قال فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة.

ويعجبني نقل مباحثة جرت بين شيخنا البهائي قدّس الله روحه وبين عالم من علماء مصر وهو أعلمهم وأفضلهم، وقد كان شيخنا البهائي رحمه الله يظهر لذلك العالم أنّه على دينه فقال له ما تقول الرافضة الذين كانوا قبلكم في الشيخين فقال له البهائي رحمه الله قد ذكروا لي حديثين فعجزت عن جوابهم، فقال ما يقولون، قلت يقولون إنّ مسلماً روى في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال من آذى فاطمة فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فقد كفر وروى أيضاً مسلم بعد هذا الحديث بخمسة أوراق أنّ فاطمة عليها السلام خرجت من الدنيا وهي غاضبة على أبي بكر وعمر فما أدري ما التوفيق بين هذين الحديثين، فقال له العالم دعني الليلة انظر، فلمّا صار الصبح جاء ذلك العالم وقال للبهائي رحمه الله ألم أقل لك إنّ الرافضة تكذب في نقل الأحاديث، البارحة طالعت الكتاب فوجدت بين الخبرين أكثر من خمسة أوراق، هذا اعتذاره عن معارضة الحديثين.

فإن قلت هذا الحديث الذي ادّعيتم أن أبا بكر قد اختلقه مرويّ عندكم فما الجواب عنه وذلك أنّه قد روى الصدوق بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنّة وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً به وإنّه ليستغفر لطالب العلم من في السمٰوات ومن في الأرض حتى الحوت في البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر وإنّ العلماء ورثة الأنبياء وإنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظّ وافر.

والجواب بعد صحة الرواية وبعد أن لا نحملها على التقيّة بوجوه.

الأول: أنّهم لم يقصدوا إلى توريث الدراهم والدنانير لأولادهم وأهل ميراثهم مثل غيرهم من النّاس فإنهم يقصدون إلى جمع الأموال وتبقيتها بعدهم لأهل ميراثهم أما إذا بقي من الأنبياء شيء من الميراث اتفاقاً فلا بأس به ولا ينافي الحديث.

الثاني: أن الأنبياء من حيث النبوّة لم يورّثوا إلّا العلم أما من حيث الإنسانيّة والبشريّة فيجوز أن يخلّفوا أشياء من الأموال ومن هذا قال بعض المحقّقين: العلماء أولاد روحانيّون للأنبياء لأنهم يقتبسون العلوم من مشكاة أنوارهم ويرثون ملكات أرواحهم كما أنّ الأولاد الحقيقيّة والأقارب الصوريّة يرثون الأموال بل النسبة

الأولى آكد من الثانية ولذلك كان حقّ المعلّم الربانيّ على المتعلم أولى من حقّ أبيه الجسماني عليه والحاصل أنّه من باب تعليق الحكم على الوصف المشعر بالعليّة.

الثالث: أنّهم لم يخلّفوا جنس الدرهم والدينار الذّي يخلفه أهل الثروات أمّا غيرهما من الأملاك والزراعات والمنازل فلا بأس بأن يخلفوها وممّا يقال أيضاً في هذا المقام ما رواه الشيخ أسعد في كتاب الفائق بإسناده إلى عروة عن عائشة أنّها قالت لمّا بلغ فاطمة أن أبا بكر قد أظهر منعها فدك وضعت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في حفدة من نسائها تطأ ذيولها تمشي مشية رسول الله ﷺ حتّى دخلت على أبي بكر وهو في جماعة من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثمَّ أجهش القوم بالبكاء فخطبت خطبة بليغة أظهرت فيها الشكاية من أبي بكر وصاحبه ومن المهاجرين والأنصار في ترك نصرتهم لها في ميراثها وفي آخرها ثمّ انكفأت إلى قبر أبيها وهي تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت حاضرها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ أهلك فاشهدهم ولا تغب

وقالت فيها: أفعلى عمد تركتم كتاب الله واتّخذتموه وراءكم ظهرياً إذ يقول الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] مع ما اقتص الله من خبر زكريّا عليه السلام إذ قال: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥-٦]، وقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١]، ثمَّ عطفت على قبر أبيها وبكت وتمثّلت بقول صفيّة:

وكان قربك بالآيات يؤنسنا ... فغاب عنّا فكل الخير محتجب
وكنت بدراً ونوراً يستضاء به ... عليك ينزل من ذي العزّة الكتب
فجبهتنا[١] رجال واستخف بنا ... مذ غبت عنّا ونحن اليوم نغتصب
أبدت رجال لنا فحوى صدورهم ... لمّا مضيت وحالت دوننا الكتب
فقد رزئنا بما لم يرزه أحد ... من البريّة لا عجم ولا عرب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت ... منّا الشؤون بتهمال[٢] لها سكب[٣]

أقول والله لو وفدت بهذا الكلام على ملك من ملوك الكفار لما ردّها عما طلبت

---

(١) جبهه كمنعه ضرب جبهته وردّه ولقيه بما يكرهه.
(٢) هملت عينه فاضت دموعاً. (٣) سكب الماء سكباً صبه.

ولكان أعطاها من ماله مضاعف ما أرادت إذ منعها عما طلبت لكن سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وهذا كلام وقع في البين فلنرجع إلى فضائل الشيخين.

فنقول روى صاحب كتاب الاحتجاج طاب ثراه أن المأمون بعدما زوّج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر عليه السلام كان في مجلس وعنده أبو جعفر عليه السلام ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة فقال له يحيى بن أكثم ما تقول يابن رسول الله في الخبر الذي روي أنّه نزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمّد إنّ الله عزّ وجلّ يقرئك السلام ويقول لك سل أبا بكر هل هو عنّي راض فأنا عنه راض، فقال أبو جعفر عليه السلام يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذه مثال الخبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع قد كثرت عليَّ الكذّابة وستكثر فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النّار، فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه عليَّ كتاب الله عزّ وجلّ وسنّتي فخذوا به وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به وليس يوافق هذا الحديث كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، فالله عزّ وجلّ خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سرّه هذا مستحيل في العقول.

ثمَّ قال يحيى بن أكثم وقد روي أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض مثل جبرائيل وميكائيل في السّماء، فقال وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه لأنّ جبرائيل وميكائيل ملكان مقربان لم يعصيا الله قطّ ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزّ وجلّ وإن أسلما بعد الشرك، وكان أكثر أيّامهما الشّرك بالله فحال أن يشبّها بهما قال يحيى بن أكثم وقد روي أيضاً أنّهما سيّدا كهول أهل الجنّة فما تقول فيه، قال عليه السلام وهذا الخبر محال أيضاً لأن أهل الجنة كلهم يكونون شباباً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أميّة لمضّادة الخبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام بأنهما سيدا شباب أهل الجنّة، فقال يحيى بن أكثم وروي أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنّة، فقال عليه السلام وهذا أيضاً محال لأن في الجنة الملائكة المقربين وآدم ونوح ومحمّد وجميع الأنبياء والمرسلين لا يضيء بأنوارهم حتى يضيء بنور عمر.

فقال يحيى قد روي أن السكينة تنطق على لسان عمر، فقال عليه السلام إنّ أبا بكر أفضل من عمر، فقال على رأس المنبر إنّ لي شيطاناً يعتريني فإذا ملت فسددوني، فقال يحيى قد روي أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال لو لم أبعث لبعث عمر، فقال عليه السلام كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ

وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧]، فقد أخذ الله ميثاق النبيّين فكيف يمكن أن يبدّل ميثاقه وكل الأنبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين فكيف يبعث بالنّبوّة من أشرك وكان أكثر أيّامه مع الشّرك بالله، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نبّئت وآدم بين الروح والجسد.

فقال يحيى بن أكثم وقد روي أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال ما احتبس عليَّ الوحي قطّ إلّا ظننته قد نزل على آل الخطاب فقال عليه السلام وهذا محال أيضاً لأنه لا يجوز أن يشكّ النبيّ صلى الله عليه وآله في نبوّته، وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] فكيف يمكن أن تنتقل النبوّة ممّن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به قال يحيى قد روي أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال لو نزل العذاب لما نجى منه إلا عمر بن الخطاب فقال عليه السلام وهذا أيضاً محال لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فأخبر سبحانه أنّه لا يعذّب أحداً ما دام فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وما داموا يستغفرون الله تعالى، إلى غير ذلك من الأخبار الموضوعة الذي استقصاؤها يفضي إلى الملال.

ولا تعجب من كثرة الأخبار الموضوعة فإنّهم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله قد غيّروا وبدّلوا في الدين ما هو أعظم من هذا كتغييرهم القرآن وتحريف كلماته وحذف ما فيه من مدائح آل الرسول والأئمة الطاهرين وفضائح المنافقين وإظهار مساويهم كما سيأتي بيانه في نور القرآن[1] فإن قلت العجب العجيب والأمر الغريب قبول النّاس مبتدعائهم بعد

(١) القرآن الّذي أنزله الله تعالى على رسوله وجعله معجزة باقية له إلى يوم القيامة هو القرآن الموجود بين أيدينا الآن لا زيادة فيه ولا نقصان ولا تحريف ولا تغيير وكل ما ورد من أخبار الآحاد من طرقنا وطرق أهل السنّة وظاهره وقوع التحريف والنقصان فإنما هو عند التحقيق إمّا تفسير أو تأويل لبعض الآيات أو مخالف للقرآن يجب طرحه وبعض تلك الأخبار من دس أعداء الدين وخصماء الإسلام.

وما ذكرناه هو الّذي ذهب إليه علماء الإسلام قديماً وحديثاً وعليه اجماع الإمامية ولا يعتد بخلاف عدة من الأخباريين ومن اغتر بكلامهم من غيرهم.

قال السيّد المرتضى علم الهدى قدس سره (من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتدّ بخلافهم فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة وظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته) انظر مجمع البيان ج ١ ص ١٥ ط صيدا وإلى التبيان للشيخ الطوسي قدس سره ج ١ ص ٣ ط نجف وإلى تفسير البلاغي رحمه الله ج ١ ص ٢٥.

وما ذكره المصنف رحمه الله هنا وفيما يأتي مبني على مسلك أصحاب الحديث وجري على طريقة الأخباريين التي لا يعبأ بها.

النبيّ ﷺ مع حدوث العهد به وسبب وضع الأخبار الكثيرة في مدائح المتخلّفين وآل أميّة وآل أبي سفيان مع أنّهم رووا عن النبيّ ﷺ الأخبار الدالّة على نفاقهم وخبث سريرتهم.

قلت الجواب عن هذا إجمالاً وتفصيلاً أمّا الأوّل فقد روي مستفيضاً عن النبيّ ﷺ من طريق العامّة والخاصّة أنّه قال كذب عليّ في حياتي وستكثر عليّ الكذّابة بعد فوتي ألا فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النّار، حتى قال جماعة من الرواة إنّه لا خبر متواتر اللفظ عنه ﷺ سوى هذا بعد اختلافهم في تواتر الحديث المشهور وهو قوله إنّما الأعمال بالنيّات ولكل امرئ ما نوى.

وقد وقعت مباحثة بين السيّد المرتضى قدّس الله روحه وجماعة من الجمهور، حيث ذكروا أن الشيعة يقولون ويروون أن النّاس كذبوا على رسول الله ﷺ بعد فوته ومن ذا الذي يقدر على أن يتعمّد الكذب عليه فتلا المرتضى هذا الحديث وقال فهذا خبر مسند عن النبيّ ﷺ فهو إما صدق وإما كذب، فإن كان صدقاً تمّ المطلوب وإن كان كذباً فهو من الأخبار المكذوب بها على النبيّ ﷺ وهذا من الأجوبة الحاضرة كجواب شيخنا البهائي رحمه الله لمّا تباحث مع بعض علماء المخالفين، فقال له لم جوّزتم أيّها الشيعة قتل عثمان مع أنّه كان من أكابر الصحابة وقال النبيّ ﷺ في أصحابه أصّحابي كالنّجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم، فقال البهائي رحمه الله جوّزنا قتله بهذا الحديث الذي قلته لأن الذي قتله وسعى فيه هم الصّحابة محمّد بن أبي بكر وأضرابه وهؤلاء من الصّحابة فلما ارتكبوا القتل ارتكبنا نحن التجويز.

وهذا ممّا يناسب جواب الصّادق عليه السلام وقد سئل في مجلس الخليفة عن الشيخين فقال هما إمامان عادلان قاسطان كانا على الحقّ فماتا عليه عليهما رحمة الله يوم القيامة، فلما قام من المجلس تبعه بعض أصحابه وقال يابن رسول الله قد مدحت أبا بكر وعمر هذا اليوم فقال أنت لا تفهم معنى ما قلت فقال بيّنه لي فقال عليه السلام أمّا قولي هما إمامان فهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١]. وأما قولي عادلان فهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] وأما قولي قاسطان فهو المراد من قوله عزّ من قائل: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] وأما قولي كانا على الحقّ فهو من المكاونة أو الكون ومعناه أنّهما كاونا على حقّ غيرهم لأن الخلافة حق عليّ بن أبي طالب وكذا ماتا عليه فإنهما لم يتوبا بل استمرا على أفعالهما القبيحة إلى أن ماتا وقولي عليهما رحمة الله المراد به النبيّ ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ

أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهو القاضي والحاكم والشّاهد على ما فعلوه يوم القيامة، قال فرّجت عنّي فرّج الله عنك.

وممّا يناسب هذا أيضاً جواب بعض مشايخنا المعاصرين وكان رجلاً مزاحاً فسأله سلطان البصرة يوماً بحضور جماعة من علماء الجمهور وكان ذلك السلطان منهم أيضاً فقال يا شيخ أيّما أفضل فاطمة عليها السلام أم عائشة فقال ذلك الشيخ عائشة أفضل فقال ولم هذا فقال لقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: ٩٥]، وعائشة خرجت من المدينة إلى البصرة وجهّزت العساكر وجاهدت علياً وبني هاشم وأكابر الصّحابة حتى قتل بسببها خلق كبير، وأما فاطمة عليها السلام فقد لزمت بيتها وما خرجت منه إلّا إلى المسجد لطلب فدك والعوالي من أبي بكر ولمّا منعها منه استقرّت في مكانها إلى يوم موتها فضحك السلطان والحاضرون وقال السلطان هذا يا شيخ تشنيع لطيف. ومثل هذه الجوابات كثير وسنفرد له نوراً إن شاء الله تعالى.

فإن قلت قوله صلى الله عليه وآله: أصحابي كالنجوم بأيّهم إقتديتم إهتديتم، أهو حديث صحيح أم خبر مختلق قلت بل هو حديث صحيح ويدلّ عليه ما رواه الرازي عن أبيه عن الرضا عليه السلام قال سئل عن قول النبيّ صلى الله عليه وآله أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم وعن قوله عليه السلام دعوا لي أصحابي فقال هذا صحيح يريد من لم يغيّر بعده ولم يبدّل قيل وكيف نعلم أنهم غيّروا وبدّلوا قال لما يروونه من أنّه صلى الله عليه وآله قال ليذادنّ رجال من أصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تذاد(١) غرائب الابل عن الماء فأقول يا ربّ أصحابي أصحابي فيقال لي إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول بعداً لهم وسحقاً أفترى هذا لمن لم يغيّر ولم يبدّل.

وأما الجواب التفصيلي فهو أن النّاس إنّما قبلوا مبتدعات عمر وأصحابه لما قاله بعض المحققين من العارفين بضلالة الضالّين، فقال إنّ السبب في ذلك هو أن المنافقين وهم أكثر المسلمين قد كان لهم طرف وافر من التعصّب على أهل البيت عليهم السلام لعلل وأسباب يطول شرحها وكون أكثر البلاد إنّما فتحت في خلافة عمر، فلما خرجوا من الكفر إلى الإسلام صادفوا مبتدعات عمر المحدثة ولم يكونوا عالمين بسنن النبيّ صلى الله عليه وآله فتلقوا سنن عمر رهبة ورغبة من نوّابه، كما تلقنوا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله فنشأ عليها الصغير ومات عليها الكبير ولم يعتقد أصحاب البلاد التي فتحت أن عمر يقدم على تغيير شيء من سنن نبيّهم، ولا أن

---

(١) ذاده ذوداً وذياداً دفعه.

أحداً يوافقه على ذلك فأضلّ عمر نوّابه وأضل نوّابه من تبعهم، فما أقرب وصفهم يوم القيامة بما تضمّنه كتابهم: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

وأمّا الأخبار الموضوعة في مدائح المتخلفين وأضرابهم، فمن جملة أسبابه ما روي في كتاب سليم بن قيس وهذا لفظه: وكتب معاوية إلى ولاته في جميع الأرضين أن لا يجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة ولا لأهل ولايته الذين يروون فضله ويتحدّثون بمناقبه، وكتب إلى عماله انظروا إلى من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته والذين يروون فضله ويتحدّثون بمناقبه فأدنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم وشرّفوهم، واكتبوا إليّ بما يروي كل رجل منهم فيه باسمه واسم أبيه وممّن هو ففعلوا ذلك حتى كثر في عثمان الحديث وبعث إليهم بالصلات والكسى وأقطع أكثرهم القطائع من العرب والموالي، وكثروا في كل مصر وتنافسوا في المنازل والضياع واتّسعت عليهم الدنيا فليس أحد يأتي على مصر أو قرية فيروي في عثمان مناقب وفضلاً إلّا كتب اسمه وأُعطي عطايا جزيلة ثمّ كتب إلى عمّاله إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل قرية ومصر وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا النّاس إلى الرواية في أبي بكر وعمر فإن فضلهما وسوابقهما أحبّ إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجّة أهل هذا البيت وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرأ كلّ أمير وقاض كتابه على النّاس فاشتغل النّاس بوضع الروايات والمناقب وعلّموه غلمانهم وصبيانهم، وتعلّموه كما يتعلمون القرآن حتّى علّموه بناتهم ونساءهم وخدّامهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثمّ كتب نسخة إلى جميع عماله إلى جميع البلدان أن انظروا إلى من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان ولا تجيزوا له شهادة، ثمّ كتب كتاباً آخر من اتّهمتموه ولم تقم عليه بيّنة أنّه منهم فاقتلوه فقتلوهم على التهم والظنون والشبه تحت كل كوكب[١] حتى أنّه كان الرجل يسقط[٢] بكلمة فتضرب عنقه ولم يكن ذلك البلاء في بلد أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما الكوفة، حتى إنّه كان الرجل من شيعة عليّ من أهل المدينة وغيرها يأتيه من يثق به فيدخل بيته ويلقي عليه

(١) ذهبوا تحت كلّ كوكب أي تفرقوا. (٢) سقط بكلامه اخطأ.

ستره ويخاف خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتّى يأخذ عليه الأيمان المغلّظة ليكتمنّ عليه، وجعل الأمر لا يزداد إلا شدّة وكثر عدد محبّيهم وأظهروا الأحاديث الكاذبة من أصحابهم من الزور والبهتان فلبَّسوا على النّاس ولا يتعلّمون إلّا منهم ومضى عليه قضاتهم وولاتهم وكان أعظم النّاس في ذلك فتنة وبليّة القرّاء المذبذبين الذين يظهرون الكذب ويختلقون الأحاديث ليحظوا بذلك عندهم وعند ولاتهم ويدنوا مجالسهم ويصيبون بذلك الأموال والقطائع والمنازل حتى صارت أحاديثهم شائعة كثيرة، فوقعت بيد من لا يستحل الكذب فقبلوها وهم يرون أنّها حق ولو علموا أنّها باطل لم يرووها ولم يتديّنوا بها ولم يبغضوا من خالفهم فصار الصدق كذباً والكذب صدقاً، وقد قال رسول الله ﷺ لتشملنّكم بعدي فتنة يربو فيها الوليد ويشبّ عليها الكبير تجري النّاس عليها تتخذونها سنّة فإذا غيّر منها شيء قيل أتى النّاس منكراً غيّرت[1] السنّة. وكان عادة المتخلّفين من الأموية والعباسيّة أنّهم إذا مالت طباعهم إلى فعل محرم طلبوا من علمائهم من يروي لهم حديثاً في مدحه والراوون عندهم كثيرون لأجل الصلات والقطائع.

كما روي أن الخليفة المهديّ العباسيّ كان مولعاً بلعب الحمام وبالمراهنة عليه ثمَّ طلب من يروي له حديثاً في مدحه وجوازه فأتى إليه وهب بن وهب القرشي وحفص بن غياث القاضي ورويا له في مدحه كثيراً من الأحاديث فأعطاهم أموالاً جزيلة، فلما خرجا من عنده قال أعطيتهما وأعلم أن لحييهما لحيي كذّاب، وقد نقل هذا المضمون جماعة من علماء الجمهور وقواعدهم وعاداتهم إلى هذا الوقت على نحو ما سلف.

نور علوي

يكشف عن سبب تقاعد أمير المؤمنين عليه السلام في خلافة المتخلّفين، مع أنّهم على ما ذكرنا من الارتداد بعد النبيّ ﷺ وتغيير سنّته، والواجب على المتمكّن من المنع على مثله أن يبذل الجهد والطاقة فيه وقد تقدم أن علياً عليه السلام أشجع النّاس وبه قد كانت تضرب الأمثال، فكيف ساغ له الجلوس والحال على ما وصفت؟ قلت ربّما وقع فيه خلاف بين الأصحاب فبعضهم قال الذي أقعده هو العجز وعدم التمكن من الدفاع، وبعضهم قال السبب فيه هو عهد عهده إليه رسول الله ﷺ في ترك

---

(١) بحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٨٠.

المجاهدة معهم أقول وهذان القولان كلاهما حقّ والعلل الشرعيّة معرّفات لا مؤثّرات وقد روت الخاصّة بل والعامّة أيضاً لتقاعده عليه السلام عللاً متكثّرة.

منها ما رواه الكليني والصدوق قدّس الله روحيهما بإسنادهما إلى الصادق عليه السلام قال قلت ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل فلاناً وفلاناً؛ قال آية في كتاب الله عز وجل: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥] قال قلت وما يعني بتزايلهم قال ودائع المؤمنين في أصلاب قوم كافرين، وكذلك القائم عليه السلام لن يظهر أبداً حتّى تخرج ودائع الله عز وجل فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله فقتلهم. أقول إنّ أكثر المؤمنين والشيعة إنّما خرجوا من أصلاب أولئك الأقوام المرتدّين فلو حاربهم علي عليه السلام كما فعل يوم البصرة وصفين والنهروان لضاع المؤمنون في تلك الأصلاب وأما المقتولون في المواطن الثلاثة فلم يكن في أصلابهم أحد من المؤمنين بعلم الله تعالى فلذا قتل منهم الألوف وأوصلهم الحتوف[1].

ومنها ما رواه الرمّاني قال سألت الرضا عليه السلام فقلت يابن رسول الله أخبرني عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمَ لم يجاهد أعداءه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثمَّ جاهد في أيّام ولايته فقال لأنّه اقتدى برسول الله صلى الله عليه وآله في تركه جهاد المشركين بمكّة ثلاث عشرة سنة بعد النبوة وبالمدينة تسعة عشر شهراً وذلك لقلة أعوانه عليهم فلما لم تبطل نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله مع تركه الجهاد لم تبطل ولاية عليّ عليه السلام بتركه الجهاد خمساً وعشرين سنة إذ كانت العلة المانعة لهما من الجهاد واحدة، وسئل أبو عبد الله عليه السلام ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتلهم، قال للذي سبق في علم الله أن يكون وما كان له أن يقاتلهم وليس معه إلا ثلاثة رهط من المؤمنين. أقول قوله عليه السلام للذي سبق في علم الله معناه والله أعلم أن الله تعالى قد علم بأفعالهم الاختيارية وعلمه تعالى ليس علة لها بل وقوعها منهم على طريق الاختيار في المستقبل علة لتعلّق العلم بها في الأزل فالعلم تابع للمعلوم وليس علّة له كما توهّمه مجوس هذه الأمّة وهم الأشاعرة.

ومنها ما رواه الصدوق رحمه الله باسناده إلى ابن مسعود قال اجتمع النّاس في مسجد الكوفة فقالوا ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الثلاثة كما نازع طلحة

---

(١) الحتوف جمع الحتف بمعنى الموت.

والزبير وعائشة ومعاوية فبلغ ذلك علياً عليه السلام فأمر أن ينادى الصلاة جامعة فلما اجتمعوا صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال معاشر النّاس إنّه بلغني عنكم كذا وكذا قالوا صدق أمير المؤمنين قد قلنا ذلك قال فإن لي بستّة من الأنبياء أسوة فيما فعلت قال الله عزّ وجلّ في محكم كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، قالوا ومن هم يا أمير المؤمنين قال أوّلهم إبراهيم عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨]، فإن قلتم إنّ إبراهيم اعتزل قومه لغير مكروه أصابه منهم فقد كفرتم وإن قلتم اعتزلهم لمكروه رآه منهم فالوصيّ أعذر، ولي يابن خالته لوط أسوة، إذ قال لقومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] فإن قلتم إنّ لوطا كانت له بهم قوة فقد كفرتم وإن قلتم لم يكن له بهم قوة فالوصيّ أعذر ولي بيوسف عليه السلام أسوة إذ قال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣] فإن قلتم إنّ يوسف دعا ربه وسأله السجن ليسخط ربه فقد كفرتم وإن قلتم إنّه أراد بذلك لئلّا يسخط ربه عليه فاختار السجن فالوصيّ أعذر ولي بموسى عليه السلام أسوة إذ قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: ٢١] فان قلتم إنّ موسى عليه السلام فرّ من قومه بلا خوف كان له منهم فقد كفرتم وإن قلتم أن موسى خاف فالوصيّ أعذر ولي بأخيه هارون عليه السلام أسوة إذ قال لأخيه ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]، فإن قلتم لم يستضعفوه ولم يشرفوا على قتله فقد كفرتم وإن قلتم استضعفوه وأشرفوا على قتله فلذلك سكت عنهم فالوصيّ أعذر ولي بمحمّد صلى الله عليه وآله أسوة حين فرّ من قومه ولحق بالغار من خوفهم وأنامني على فراشه فان قلتم فر من قومه لغير خوف منهم فقد كفرتم، وإن قلتم خافهم وأنامني على فراشه ولحق هو بالغار من خوفهم فالوصيّ أعذر.

ومنها ما رواه عن زرارة قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما منع أمير المؤمنين عليه السلام أن يدعو النّاس إلى نفسه قال خوفاً أن يرتدّوا قال عليّ[1] أحسب في هذا الحديث قال ولا يشهدون أن محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومنها ما رواه ابن قيس قال يابن أبي طالب ما منعك حين بويع أخو بني تيم وأخو عديّ وأخو بني أميّة أنّ تقاتل وتضرب بسيفك فإنّك لم تخطبنا خطبة مذ قدمت

---

(١) اسم أحد الرواة الذين هم في سلسلة السند.

العراق إلا قلت فيها والله إنّي أولى النّاس بالنّاس، وما زلت مظلوماً[1] منذ قبض رسول الله ﷺ فما منعك أن تضرب بسيفك دون من ظلمك، قال قد قلت فاسمع الجواب، لم يمنعني من ذلك الجبن ولا كراهة المغازي ولا أن أكون لا أعلم بأنّ ما عند الله خير لي من الدنيا بما فيها ولكن منعني من ذلك أمر رسول الله ﷺ وعهده إليّ أخبرني بما أحدث الأمة بعده فلم أكن بما صنعوا حين عاينته بأعلم به منّي ولا أشدّ يقيناً به منّي قبل ذلك بل أنا بقول رسول الله ﷺ أشدّ يقيناً بما عاينت وشاهدت فقلت لرسول الله ﷺ فما تعهد إليّ إذا كان ذلك قال فإن وجدت أعواناً فانبذ إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكف يدك واحقن دمك حتّى تجد على

---

(١) هذه الكلمة الشريفة - أعني قوله ما زلت مظلوماً - من الكلمات التي كان أمير المؤمنين عليه السلام يقولها ويكررها طيلة حياته منذ قبض رسول الله كما يدل على ذلك صدر الحديث المذكور أعني قوله فإنك لم تخطبنا خطبة مذ قدمت العراق إلا قلت فيها الخ ولكن يد الوضع والاختلاق وضعت زيادة وألصقتها بآخر الحديث وذكروا أنه قال: ما زلت مظلوماً منذ كنت صغيراً أن عقيلاً ليرمد فيقول: لا تذروني حتى تذروا علياً فاضطجع وأذرى وما بي رمد.
لا أدري كيف رضي المفتعل بهذه الفرية البينة؟ فإن أمر المؤمنين عليه السلام ولد ولعقيل عشرون سنة وهل يعتقد أحد أو يظن أن إنساناً له من العمر ذلك المقدار إذا اقتضى صلاحه شرب الدواء يمتنع منه إلا إذا شرب مثله أخوه البالغ سنة واحدة أو سنتين كلا لا يفعله أحد وإن بلغ الغاية في الخسة والضعف فكيف بمثل عقيل المتربي بحجر أبي طالب والمرتضع در المعرفة خصوصاً مع ما يشاهده من الآيات الباهرة من أخيه الإمام منذ ولادته فلا يسيغ وجدان عاقل أن يقبل ذلك الحديث بل يجزم بالوضع والاختلاق إن الضغائن والاحقاد تحبذ لمن تخلق بها التردد في العمى والخبط في الضلال من دون روية وتفكير ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].
نعم كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول غير مرة: ما زلت مظلوماً من دون تلك الزيادة يعني بذلك دفعه عن حقه الواجب على الأمة القيام به والميل عنه وتعطيل أحكام الله بالأخذ من غيره وتقديم من ليس له قدم باتت في كل مكرمة ولا نص من صاحب الشريعة ولا فقه ناجع ولا اقدام في الحروب وحيث أن في هذه الكلمة حطاً بمن ناواه زحزحوها عنهم وألصقوها بالسيد الكريم وما أسرع أن عاد السهم فكان كالباحث عن حتفه بظلفه.
فالجيل المنقب كشف عن نواياهم السيئة وعن اختلاق تلك الزيادة وعرف الملاء افتعال الحديث وبعده عن الصواب انظر إلى كتاب (الشهيد مسلم بن عقيل) لسيدنا العلامة الحجة السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم النجفي مد ظله ص ٣٦ط نجف تجد هذا التحقيق فيه بأحسن بيان وأوفى عبارة.

إقامة كتاب الله وسنّتي أعواناً، وأخبرني أن الأمّة ستخذلني وتتّبع غيري وأخبرني أنّي منه بمنزلة هارون من موسى، وأن الأمة سيصيرون بعده بمنزلة هارون ومن تبعه وبمنزلة العجل ومن تبعه؛ فقال موسى: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾ [طه: ٩٢-٩٣]، ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾ [الأعراف: ١٥٠] وقال: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٤] وإنّما يعني أن موسى أمر هارون حين استخلفه عليهم إن ضلّوا ثم وجد أعوانا أن يجاهدهم، وإن لم يجد أعواناً أن يكفّ يده ويحقن دمه ولا يفرّق بينهم، وإنّي خشيت أن يقول ذلك أخي رسول الله ﷺ فرقت بين الأمة ولم ترقب قولي وقد عهدت إليك إن لم تجد أعواناً فكف يدك واحقن دمك ودم أهل بيتك وشيعتك، فلما قبض رسول الله ﷺ مال النّاس إلى أبي بكر فبايعوه وأنا مشغول بغسل رسول الله ﷺ، ثم شغلت بالقرآن وآليت على نفسي أن لا أرتدي برداء إلا للصّلاة حتى أجمعه في كتاب ثمّ حملت فاطمة ثمّ أخذت بيد ابني الحسن والحسين فلم أدع أحداً من أهل بدر وأهل السابقة ومن المهاجرين والأنصار إلّا ناشدتهم الله في حقي ودعوتهم إلى نصرتي فلم يستجب لي من النّاس إلا أربعة رهط: الزبير وسلمان وأبو ذر والمقداد ولم يبق معي من أهل بيتي أحد أطول به وأقوى.

وأما حمزة فقتل يوم أُحد وجعفر قتل يوم مؤتة، وبقيت بين حليفين خائفين ذليلين حقيرين العباس وعقيل وهم قريبوا عهد بالإسلام[1] وأكرهوني وقهروني فقلت كما قال هارون لأخيه ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾ [الأعراف: ١٥٠]، فلي بهارون أسوة حسنة، ولي بعهد رسول الله ﷺ حجّة قوية، وساق الحديث إلى أن قال ويلك يابن قيس كيف رأيتني صنعت حين قتل عثمان إذ وجدت أعواناً أهل رأيت منّي فشلاً أو جبنا أو تقصيراً في وقعتي يوم البصرة لما بغوا عليّ فنفرت إليهم في اثني عشر ألفاً وهم عشرون ومائة ألف فنصرني الله عليهم، وقتلهم بأيدينا وشفى صدور قوم مؤمنين، وكيف رأيت يابن قيس وقعتنا بصفين وإنّ الله قتل منهم بأيدينا خمسين ألفاً في صعيد واحد إلى النّار، وكيف رأيت يوم النهروان إذ لقيت المارقين وهم يومئذ مذبذبين كما قال الله عزّوجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

(١) في البحار وكانا قريبي عهد بكفر.

يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، فقتلهم الله بأيدينا في صعيد واحد إلى النّار لم يبق منهم إلا عشرة ولم يقتلوا من المسلمين غير عشرة، وساق كلامه إلى أن قال أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو وجدت يوم بويع أخو تيم الذي عيّرتني بدخولي في بيعته أربعين رجلاً كلهم على مثل بصيرة الأربعة الذين وجدت لما كففت يدي ولناهضت، ولكن لم أجد خامساً قال الأشعث قلت فمن الأربعة قال سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير ابن صفية قبل نكثه بيعتي، فإنه بايعني مرّتين.

أمّا الأولى فالتي وفى بها فإنّ عتيقاً لما بويع أتاني أربعون رجلاً من المهاجرين والأنصار فبايعوني فأمرتهم وفيهم الزبير أن يصبحوا عند بابي محلّقين رؤوسهم عليهم السلاح فما وفى ولا صدقني غير أربعة سلمان وأبو ذر والمقداد والزّبير وأما البيعة الأُخرى فإنّه أتاني هو وصاحبه طلحة بعدما قتل عثمان فبايعاني غير مكرهين ثم رجعا عن دينهما مدبرين ناكثين مكابرين حاسدين فقتلهما الله إلى النّار وأمّا الثلاثة سلمان وأبو ذر والمقداد فثبتوا على دين محمّد ﷺ، الحديث.

أقول هذه الأخبار تكشف لك عن أسباب تقاعده عليه السلام وأنّ القولين السّابقين كلاهما حقّ وذلك أن النبيّ ﷺ وإن أمره بالتّقاعد في زمن الثلاثة لكن ما أمره به إلّا بشرط عدم المعاون ولذا أمره بالمجاهدة زمن معاوية لما يعلم من حصول المظاهر والمعاون ولم يأمره النبيّ ﷺ بارتكاب المذلّة وتحمّل المهانة، ولكن علم أنّ الصلاح في ترك منابذتهم تلك المدة.

وأمّا شجاعة عليّ عليه السلام فلم تكن بأشدّ من شجاعة النبيّ ﷺ وما تقول من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنّسبة إلى عليّ عليه السلام فتقول هو بالنّسبة إلى النبيّ ﷺ أوجب فلم ترك منابذة الكفّار بمكّة وبعد قدومه إلى المدينة حتّى قويت شوكته وحصل له المعين وقوي الإسلام، فعليّ عليه السلام إنّما ترك جهاد جماعة كانوا متجاهرين بالإسلام.

وأما النبيّ ﷺ فإنما ترك جهاد أهل عبادة الأصنام فما توردون من الاعتراض علينا بالنسبة إلى قعود علي عليه السلام فنحن نورده عليكم بالنّسبة إلى قعوده ﷺ وممّا يوضح بعض ما قلناه أن الحسين عليه السلام كان من الشجاعة بمكان لا يدانى فيه، كيف لا وقد سبق أنّ النبيّ ﷺ ورثه شجاعته وسخاوته، ولما صار لطلب حقّه وقلت أعوانه وكثرت الأعداء عليه أُصيب بتلك المصيبة التي صدعت أركان الدين وزلزلت السمٰوات والأرض، وهي كالحجة على أن علياً عليه السلام إنّما قعد عن المنازلة لمثل هذا

مع أنّ علياً عليه السلام قد كان له قوّة إلهيّة وبها قلع باب خيبر وقوّة بشريّة ولم يكن بها قادراً على كسر قرص الشعير اليابس فبالنظر إلى القوة الأولى قد كان قادراً لولا تلك الموانع من ارتداد النّاس عن الدين ومن جهة الودائع التي كانت في أصلاب المرتدّين وأما بالنّظر إلى القوة الثانية فهو كغيره من أفراد البشر يوصف بالعجز ونحوه.

نور سماوي

يكشف عن ثواب يوم قتل عمر بن الخطّاب، رويناه من كتاب الشيخ الإمام العالي أبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري قال المقتل الثاني يوم التّاسع من شهر ربيع الأول[1] أخبرنا الأمين السيّد أبو المبارك أحمد بن محمّد بن أردشير الدّستاني قال أخبرنا السيّد أبو البركات بن محمّد الجرجاني قال أخبرنا هبة الله القميّ واسمه يحيى

---

(١) لا يخفى على القارىء العزيز ما في هذه الرواية من المخالفة لما هو المشهور بين المؤرخين من أن عمر بن الخطاب توفي في أواخر ذي الحجّة سنة (٢٣هـ) فقيل توفي في ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجّة وقيل طعن يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجّة ودفن يوم الأحد هلال محرم سنة (٢٤هـ) وقيل توفي لأربع بقين من ذي الحجّة وقيل أن وفاته كانت في غرة المحرم سنة (٢٤هـ) وقيل طعن لسبع بقين من ذي الحجّة وقيل لست بقين منه وقيل غير ذلك.
انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ط مصر سنة (١٣٥٧هـ)، وتهذيب الأسماء للنووي ج ٢ ص ١٤ وابن الأثير ج ٣ ص ٢٠ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٦ ط مصر سنة (١٣٧١هـ) وغيرها من الكتب الكثيرة ولكن يظهر من النووي في تهذيب الأسماء أن في تاريخ الطعن على عمر ومدة خلافته ووفاته أقوال أُخر ولا يبعد أن يكون منها القول بكون قتله في اليوم التاسع من ربيع الأوّل كما أنّه يظهر من العلاّمة عبد الجليل الرازي في كتاب (النقض) المؤلف في حدود سنة (٥٦٠هـ) أن قتل عمر في اليوم التاسع منه كان مشهوراً بين الشيعة انظر ص ٣٨٠ وتعليق الفاضل المعاصر المحدث عليه.
والرواية التي نقلها المصنف لا تخلو من المناقشات التي لا سعة في المقام لذكرها ولاسيما ما في ذيل الرواية من قوله: وأمرت الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن الخلق ثلاثة أيام ولا أكتب عليهم شيئاً من خطاياهم) فإن ظاهر هذه الفقرات مخالف لقواعد المذهب وأصوله المسلمة ولا بد من تأويلها وتوجيهها وإخراجها عن ظاهرها.
ونقل هذه الرواية العلاّمة المجلسي رحمه الله في البحار عن السيّد ابن طاووس رحمه الله انظر المجلد العشرين ص ٣٣٠ ط أمين الضرب وفيها زيادات في آخر الرواية وذكر اثنين وسبعين اسماً ليوم التاسع من ربيع الأول.
والذي يهون الخطب إنّ هذه الرواية لم نجدها في الجوامع الحديثية المعتبرة كالكتب الأربعة - عند الإمامية ولذا يشكل الاعتماد على جميع فقراتها.

قال حدثنا أحمد بن إسحاق بن محمّد البغداديّ، قال حدّثنا الفقيه الحسن بن الحسن السامريّ أنّه قال كنت أنا ويحيى بن أحمد بن جريح البغداديّ فقصدنا أحمد بن إسحاق القميّ وهو صاحب الإمام الحسن العسكري عليه السلام بمدينة قم فقرعنا عليه الباب فخرجت إلينا من داره صبيّة عراقيّة فسألناها عنه فقالت هو مشغول وعياله فإنّه يوم عيد، قلنا سبحان الله الأعياد عندنا أربعة عيد الفطر وعيد النحر والغدير والجمعة، قالت روى سيّدي أحمد بن إسحاق عن سيّده العسكري عن أبيه عليّ بن محمّد عليهما السلام أنّ هذا يوم عيد وهو من خيار الأعياد عند أهل البيت عليهم السلام وعند مواليهم، قلنا فاستأذني بالدخول عليه وعرّفيه مكاننا، قال فخرج علينا وهو متّزر بمئزر له متّشح بكسائه يمسح وجهه فأنكرنا عليه ذلك فقال لا عليكما إنّني كنت أغتسل للعيد فإن هذا اليوم وهو يوم التاسع من شهر ربيع الأول يوم عيد فأدخلنا داره وأجلسنا على سرير له ثمّ قال لنا إنّي قصدت مولاي أبا الحسن العسكريّ عليه السلام مع جماعة من إخواني في مثل هذا اليوم وهو اليوم التاسع من ربيع الأوّل فرأينا سيّدنا عليه السلام قد أمر جميع خدمه أن يلبس ما يمكنه من الثياب الجدد وكان بين يديه مجمرة يحرق فيها العود قلنا يابن رسول الله هل تجد في هذا اليوم لأهل البيت فرحاً فقال عليه السلام وأيّ يوم أعظم حرمة من هذا اليوم عند أهل البيت وأفرح.

وقد حدّثني أبي عليه السلام أن حذيفة دخل في مثل هذا اليوم وهو اليوم التاسع من شهر ربيع الأوّل على رسول الله صلى الله عليه وآله قال حذيفة فرأيت أمير المؤمنين عليه السلام مع ولديه الحسن والحسين عليهما السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله يأكلون والرسول صلى الله عليه وآله يتبسّم في وجوههما ويقول كلا هنيئاً مريئاً لكما ببركة هذا اليوم وسعادته فإنه اليوم الذي يقبض الله فيه عدوّه، وعدوّ جدّكما ويستجيب دعاء أمّكما، فإنّه اليوم الذي يكسر فيه شوكة مبغض جدّكما وناصر عدوّه كما كلا فإنّه اليوم الذي يفقد فيه فرعون أهل بيتي وهامانهم وظالمهم وغاصب حقّهم كلا فإنّه اليوم الذي يفرح الله فيه قلبكما وقلب أمكما قال حذيفة قلت يا رسول الله في أُمّتك وأصحابك من يهتك هذا الحرم قال رسول الله صلى الله عليه وآله جبت من المنافقين يظلم أهل بيتي ويستعمل في أُمّتي الرياء ويدعوهم إلى نفسه ويتطاول على الأمة من بعدي ويستجلب أموال الله من غير حلّه وينفقها في غير طاعته ويحمل على كتفه درّة الخزي ويضلّ النّاس عن سبيل الله ويحرف كتابه ويغيّر سنّتي ويغصب إرث ولدي وينصب نفسه علماً ويكذّبني ويكذب أخي ووزيري ووصيّي وزوج ابنتي، ويتغلب على ابنتي ويمنعها حقّها وتدعو فيستجاب لها الدّعاء في مثل هذا اليوم.

قال حذيفة قلت يا رسول الله أدع الله ليهلكه في حياتك قال يا حذيفة لا أُحبّ أن أجترئ على الله، لما قد سبق في علمه لكنّي سألت الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل لليوم الذي يقبضه فيه إليه فضيلة على سائر الأيام ويكون ذلك سنة يستنّ بها أحبّائي وشيعة أهل بيتي ومحبّوهم فأوحى الله عَزَّوَجَلَّ إليّ فقال يا محمّد إنّه قد سبق في علمي أن يمسّك وأهل بيتك محن الدنيا وبلاؤها وظلم المنافقين والمعاندين من عبادي ممّن نصحتهم وخانوك ومحضتهم وغشوك وصافيتهم وكاشحوك، وأوصلتهم وخالفوك وأوعدتهم فكذّبوك، فإنّي بحولي وقوتي وسلطاني لأفتحنّ على روح من يغصب بعدك علياً وصيّك وولي حقّك من العذاب الأليم ولأُوصلنه وأصحابه قعراً يشرف عليه إبليس فيلعنه ولأجعلنّ ذلك المنافق عبرة في القيامة مع فراعنة الأنبياء وأعداء الدين في المحشر، ولأحشرنّهم وأولياءهم وجميع الظلمة والمنافقين في جهنم ولأُدخلنهم فيها أبد الآبدين، يا محمّد أنا أنتقم من الذي يجترئ علي ويستترك كلامي ويشرك بي ويصدّ النّاس عن سبيلي، وينصب نفسه عجلاً لأُمّتك ويكفر بي أنّي قد أمرت سكان سبع سمواتي من شيعتكم ومحبيكم أن يتعيّدوا في هذا اليوم الذي أقبضه إليّ فيه وأمرتهم أن ينصبوا كراسي كرامتي بإزاء بيت المعمور ويثنوا عليّ ويستغفروا لشيعتكم من ولد آدم، يا محمّد وأمرت الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن الخلق ثلاثة أيام من أجل ذلك اليوم ولا أكتب عليهم شيئاً من خطاياهم كرامة لك ولوصيك يا محمّد إني قد جعلت ذلك اليوم عيداً لك ولأهل بيتك وللمؤمنين من شيعتك، وآليت على نفسي بعزّتي وجلالي وعلوّي في رفيع مكاني أن من وسَّع في ذلك اليوم على أهله وأقاربه لأزيدنّ في ماله وعمره ولأعتقنّه من النّار ولأجعلن سعيه مشكوراً وذنبه مغفوراً وأعماله مقبولة، ثم قام رسول الله ﷺ فدخل بيت أم سلمة. فرجعت عنه وأنا غير شاكّ في أمر الشيخ الثاني حتى رأيته بعد رسول الله ﷺ قد فتح الشرّ وأعاد الكفر والارتداد عن الدين وحرّف القرآن.

أقول: وذكر صاحب الاستيعاب وهو من رجال العامّة، قال ذكر الواقدي قال أخبرني نافع عن أبي نعيم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال غدوت مع عمر بن الخطاب إلى السوق وهو متكئ على يدي، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال ألا تكلّم مولاي يضع عني من خراجي، قال كم خراجك قال دينار قال ما أرى أن أفعل إنك لعامل محسن وما هذا بكثير ثم قال له عمر ألا تعمل لي رحىً قال بلى قال فلمّا ولّى قال أبو لؤلؤة لأعملنّ لك رحىً يتحدث بها ما بين المشرق والمغرب قال فوقع في نفسي قوله قال فلما كان في النّداء لصلاة الصبح وخروج عمر

إلى النّاس قال ابن الزبير وأنا في مصلاّي وقد اضطجع له أبو لؤلؤة فضربه بالسكين ست طعنات إحداهن تحت سرته هي قتلته، فصاح لعبد الرحمن بن عوف فقال قم فصلّ بالنّاس واحتملوا عمر فقالوا له لم لا تولّي الخلافة لعليّ بن أبي طالب قال إنّ ولّوها الأجلح[١] سلك بهم الطريق المستقيم يعني عليّ بن أبي طالب، وقال له ابنه ما يمنعك أن تقدم علياً قال أكره أن تحملها حياً وميتاً. أقول انظر إلى هذا الجواب والاعتذار والإقرار منه حال موته بأنه قد كان متحمّلاً للخلافة غير قابل لها وإلا فلو كان من أهلها كان أعرف بمواقعها، ولا كان يحتاج إلى ذلك التلبيس المذكور في حكاية الشورى التي خربت بناء الإسلام وهدمت أركان الدين وأحزنت سيد الموحدين، حيث قال في خطبته الشقشقيّة:

أما والله لقد تقمّصها فلان وإنّه ليعلم أن محلّي منها محل القطب من الرّحى ينحدر عنّي السّيل ولا يرقى إليَّ الطيرِ فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذىً وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده.

شتّان ما يومي على كورها ويوم حيّان أخي جابر

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطّرا ضرعيها فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها[٢] ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة إنّ أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحّم فمني النّاس لعمر الله بخبط وشماسٍ وتلوّن واعتراض، فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم، فيا لله وللشورى متى اعترض الرّيب فيّ مع الأول منهم حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر، لكني أسففت إذ أسفّوا وطرت إذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هنٍ وهنٍ إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله تعالى خضم الإبل نبتة الرّبيع إلى أن انتكث عليه فتله وأجهز عليه

---

(١) جلح جلحاً انحسر شعره عن جانبي رأسه فهو أجلح.

(٢) الكلم بمعنى الجرح كأنه يقول خشونتها تجرح جرحاً غليظاً وفي نسخة: كلامها بالضم الأرض الغليظة.

عمله وكبت به بطنته فما راعني إلّا والنّاس كعرف الضبع إلي ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشقّ عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أُخرى وقسط آخرون كأنّهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه حيث يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها أما والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألاّ يقاروا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز[1] قال وقام إليه رجل من أهل السّواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه فلمّا فرغ من قراءته قال له ابن عبّاس رضي الله عنه يا أمير المؤمنين لو إطردت مقالتك من حيث أفضيت، فقال هيهات يابن عبّاس تلك شقشقة هدرت ثمَّ قرّت قال ابن عبّاس والله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على ذلك الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ حيث أراد منه.

أقول: لا يخفى ما في هذه الخطبة البليغة من الذمّ لمن تقدّمه من الثلاثة ومن يكون على مثل هذه الحال كيف يكون قد رضي بأبي بكر وصاحبيه وبايعهما طوعاً كما يقول جماعات العامّة، ومن هذا ذهب بعضهم إلى أن هذه الخطبة من قول السيّد الرضيّ رحمه الله جامع نهج البلاغة، ويردّ هذا القول أنّ صاحب كتاب معاني الأخبار قد نقلها مسندة ومفسّرة بتفسير الحسن بن سعيد العسكريّ وهو من أعيان الجمهور، وتاريخ وفاة صاحب كتاب معاني الأخبار قبل ولادة المرتضى أخي الرّضي الذي هو أكبر من الرّضي رحمهما الله تعالى، وقد نقلها صاحب كتاب الغارات مسندة بأسانيدهم، وتاريخ الفراغ من ذلك الكتاب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلون من شوّال سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وهذه هي السنة التي ولد فيها المرتضى الموسويّ، وهو أكبر من أخيه الرّضي كما عرفت وقد اعترف ابن أبي الحديد في الشرح أنّه اطلع عليها في نسخة تاريخها قبل ولادة الرّضي مع أن طبقة كلامه عليه السلام لا تخفى على من

(١) قال الشيخ محمّد عبده عفطة العنز ما تنثره من أنفها كالعطفة عفطت تعفط من باب ضرب غير أن أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة والأشهر في العنز النفطة بالنون يقال ما له عافط ولا نافط أي نعجة ولا عنز كما يقال ما له ثاغية ولا راغية والعفطة الحبقة أيضاً لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين عليه السلام هو ما تقدم.

له أدنى معرفة بعلم البلاغة فإنّ كلامه عليه السلام كما قيل فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق وحينئذ فلا بأس بالإشارة إلى حلّ ألفاظها وإلاّ فبسط الكلام فيها يحتاج إلى كتاب بانفراده.

قوله عليه السلام أما والله لقد تقمّصها فلان، يعني أبا بكر لبس الخلافة متكلفاً لها وليس هو من أهلها وقوله عليه السلام محلّ القطب من الرّحى، معناه أن مدار الرّحى ومناط عملها إنّما هو على القطب ولولاه لكانت الرّحى صخرة موضوعة على صخرة لا ينتفع بها بوجه من الوجوه وقوله عليه السلام ينحدر عنّي السيل شبّه علومه وحكمه الواصلة إلى النّاس بالماء الجاري من المحلّ المرتفع إلى المكان المنخفض فالمراد بالسّيل علومه ومنافعه.

وقوله عليه السلام ولا يرقى إليّ الطّير معناه أن الطير لو أراد الطّيران إلى أدنى درجة من درجات كماله لم يبلغها، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، وقوله عليه السلام فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، معناه أنّي أرخيت بيني وبين الخلافة ثوباً ولم أطلبها، وكذا طويت عنها كشحاً معناه أني أعرضت عن طلبها إعراضاً، والكشح هو الخاصرة.

وقوله عليه السلام وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، معناه أنّي شرعت أنظر وأتأمل بين أن أصول بيد مقطوعة، وهو كناية عن قلّة الناصر والمعين والطخية اللّيلة المظلمة السّوداء، وهي خلافة الثلاثة كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، وقد ورد في الحديث تفسير الظلمات بخلافاتهم، وقوله عليه السلام يهرم فيها الكبير ويشبّ فيها الصغير معناه أن الكبير يسرع إليه الهرم كما أنّ الصغير يسرع إليه الشيب بسبب هذه الطّخية العمياء. ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه الكدح التعب أي المؤمن يتعب نفسه في هذه الطّخية إلى أن يلقى ربّه.

وقوله عليه السلام على هاتا أحجى أي على الطّخية أولى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، الشجى ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه والمراد به هنا المصيبة المانعة من لذيذ الأكل والشرب وقوله عليه السلام أرى تراثي نهباً، التراث الميراث والمراد به الخلافة فإنّها ميراثه من النبيّ صلى الله عليه وآله أو المراد ما هو أعمّ يتناول فدك والعوالي، فإنّه بعد فاطمة عليها السلام صار ميراثاً له، قوله عليه السلام حتى إذا مضى الأوّل

وهو أبو بكر لسبيله فأدلى بها إلى فلان يعني أنّه دفعها إلى عمر بطريق النص والوصية وقوله عليه السلام شتّان، البيت وهو للأعشى يقول تفرق ما بين يوميّ يوم سروري وهو منادمتي لأخي حيّان، ويوم شدتي وركوبي على متن ناقتي في البراري والقفار، فهو عليه السلام قد استعار هذا ليوميه يوم فرحه لما كان نديمه النبيّ صلى الله عليه وآله ويوم تعبه وهو يوم ركوبه المشاقّ والحروب وحده بلا معاون ونصير.

وقوله عليه السلام فيا عجباً بينا هو يستقلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته أي يا قوم اعجبوا عجباً بين أوقات أبي بكر يقول أقيلوني أقيلوني فلست بخيركم وعليّ فيكم رواه الجمهور عن أبي بكر، إذ عقدها لعمر بعد وفاته، وفي هذا دلالة على أن تلك الاستقالة كانت خدعة منه، ومن ثم قال بعض المحققين معنى استقالته الأمر بقتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يعني ما دام عليّ فيكم موجوداً فأنا لست بخيركم فاقتلوه حتى أكون أنا الخليفة من غير منازع، وفي هذا دلالة على مخالفة أبي بكر للنبيّ صلى الله عليه وآله لأنهم يزعمون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مات ولم يوص إلى أحد، ولا ريب أن هذا بأعتقادهم كان هو الأولى حتى يكون الاختيار مفوّضاً إلى النّاس فكيف لم يصنع أبو بكر مثل صنعه إن هذا إلّا خلاف بيّن، وقوله عليه السلام لشد ما تشطّرا ضرعيها، شبّه عليه السلام الخلافة بناقة لها ضرعان وكأن كل واحد منهما أخذ منها ضرعاً لنفسه يحلب منه.

وقوله عليه السلام فصيرها في حوزة خشناء الحوزة الطّبيعة والمراد أن صاحب تلك الطبيعة فظّ غليظ القلب وقوله يغلظ كلمها معناه أنّ تلك الطبيعة يعظم جرحها وهو كناية عن إيذائه المؤمنين ويكثر العثار فيها أي يقع في الأحكام الشرعيّة في زمن خلافة الثاني عثار كثير وهو الغلط في الأحكام حتّى كان يعتذر من كثرة أغاليطه بقوله: كلّ النّاس أفقه من عمر حتى المخدرات تحت الحجال، وقوله لولا عليّ لهلك عمر في سبعين موضعاً. قوله عليه السلام فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحّم، يقال شنق البعير يشنقه أي كفه بزمامه حتى ألزق ذفراه بقادمة الرحل، والمعنى أن صاحب تلك الطبيعة الخشنة التي يكثر منها العثار في الأحكام والاعتذار عن الغلط في المسائل كراكب الصعبة إن كفها بزمامها خرم أنفها وشقّه لأنها لا تقف بسهولة، وان أرخى لها الزمام أسلس لها تقحم في أودية الهلاك، وهذه طبيعة المتخلّف الثاني مع أنّه لم يرد كفها وهي كالنّاقة الصعبة فلا جرم رمت به في وادي الضلال.

وقوله عليه السلام فمني النّاس لعمر الله بخبط وشماس وتلوّن واعتراض، مني على

المجهول بمعنى ابتلي يقال مني بكذا ابتلي به، والخبط مسّ الشيطان والشماس الامتناع من قبول الحق بسبب تسويلات عمر ووساوسه لهم، والتلوّن عدم الثبوت على هيئة وصفة واحدة، والاعتراض المنع والأصل فيه أن الطريق إذا اعترض فيه بناء أو غيره منع السابلة من السلوك، وهو قد اعترض لهم في طريق الحقّ فمنعهم عن سلوكه قوله عليه السلام فصبرت على طول المدة وشدّة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم.

وطول مدّة خلافتهما هو أن مدّة خلافة أبي بكر سنتان وستة أشهر وأيام ومدة خلافة الثاني عشر سنين فصبر عليها فلما أراد الله أن يقبضه إلى ما هيّأ له من أليم العذاب جعل عمر الخلافة في ستة رجال وجعل علياً عليه السلام منهم، وهم علي عليه السلام وسعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة وعثمان، ودعا أبا طلحة زيد بن سعد الأنصاري فقال له كن في سبعين «خمسين خ ل» رجلاً من قومك فاقتل من أبى أن يرضى أن يكون سن هؤلاء الستّة، وإن اختلفوا فالحقّ في القوم الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فقال العبّاس لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ذهب الأمر منا لأنّ عبد الرحمن كانت بينه وبين عثمان مصاهرة وأمور توجب أنّه لا يختار عليه أحداً فقال عليّ عليه السلام أنا أعلم ذلك ولكن أدخل معهم في الشورى لأن عمر قد استصلحني الآن للإمامة، وكان يقول من قبل إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال إنّ النبوّة والإمامة لا تجتمعان في بيت واحد، وإني أدخل في ذلك ليظهر أنّه كذّب نفسه لما روى أولاً، وكان مقصد عمر من هذه الشّورى قتل عليّ بن أبي طلب عليه السلام لعلمه بأنه لا يطيع عبد الرحمن بن عوف، فانظر إلى شدّة عداوته لأهل البيت عليهم السلام ومن جملة مكائده في هذه الوصية أنّه لم يوص إلى ابنه عبد الله بن عمر، وقيل له في ذلك فقال إنّه لم يعرف يطلّق زوجته فكيف أُولّيه الخلافة وكان إخراجه مكيدة على النّاس وباعثاً لهم على قبول الشّورى.

وقوله عليه السلام فيا لله وللشّورى متى اعترض الريب فيّ مع الأول حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر، أي فيا ربّ أنت المغيث والمعين والمخلص من شدّة الشّورى ومشقّتها يا ربّ وأين أنا من الشّورى وما لي وللشّورى متى اعترض الشكّ فيّ بمساواة أبي بكر حتى قرنني عمر بمن هو أدنى منه ومن صاحبه الأوّل، وقوله عليه السلام لكني أسففت إذ أسفّوا وطرت إذا طاروا، أسفّ الرجل أي تتبع مداقّ الأمور وهرب من صاحبه وطلب الأمور الدنيّة، والمعنى أنّهم حين أرادوا المكر والخدعة تابعتهم تقيّة من القتل وطرت معهم إلى مطالبهم لما طاروا تقيّة أيضاً.

قوله عليه السلام فصغى رجل منهم لضغنه أي مال رجل من أهل الشّورى وهو سعد بن أبي وقّاص من الحقّ إلى الباطل لحقده وحسده لعليّ عليه السلام فمال عنه إلى عثمان، ومال الآخر لصهره مع هن وهن أي مال الرّجل الآخر وهو عبد الرحمن بن عوف لمصاهرة بينه وبين عثمان مال إليه لأنه كان زوجاً لأخت عثمان من أمّه، وهي كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهذا الميل أيضاً ليس لمجرد المصاهرة بل كان معه شيء من البغض والحسد لعليّ عليه السلام، وهو المراد بقوله: مع هن وهن أي مع شيء وشيء.

قوله عليه السلام إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، يعني: حتى بايعوا عثمان وقام بأمر الخلافة نافخاً جنبيه من البغض والحسد، أو من الأكل والشرب والنثيل الروث والمعتلف الأكل ومعناه أن غرض عثمان وحاجته الأكل والرّوث يعني يأكل ويروث.

وقوله عليه السلام وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله تعالى خضم الإبل نبتة الربيع أي اتفّق مع عثمان بنو أبيه وهم بنو أميّة بن عبد الشمس يأكلون مال الله تعالى من غير مبالاة كأكل الإبل نبات الرّبيع، كان يصرف مال الله تعالى على نفسه وعلى أقاربه حتى إنّه أعطى منه أصهاره أربعمائة ألف درهم، حتى وصل الأمر إلى أن قال له المهاجرون والأنصار إما أن تخلع نفسك من الخلافة أو نقتلك فاختار القتل على خلع نفسه فقتلوه، وكان مطروحاً في خندق اليهود إلى ثلاثة أيام فلا يستحل أحد دفنه ولا يقدم أحد على ذلك خوفاً من المهاجرين والأنصار، حتى نهبه بنو أميّة ودفنوه، وقيل كان مطروحاً في مزبلة اليهود ثلاثة أيام حتى أكلت الكلاب إحدى رجليه فاستأذنوا علياً عليه السلام فأذن في دفنه، وهذا الذي في المدينة هو عثمان بن مظعون لا عثمان بن عفان، فإنّ قبره الآن غير معلوم.

قوله عليه السلام إلى أن انتكث عليه فتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته، النّكث هو النقض والبطنة كثرة الأكل قوله عليه السلام فما راعني إلا والنّاس إلي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب حتّى لقد وطئ الحسنان وشقّ عطفاي، أي فما اعجبني أمر مثل هذا الأمر وهو اجتماع النّاس على بيعتي وتواليهم وازدحامهم مثل عرف الضبع، وينثالون بمعنى ينصبّون علي كانصباب الماء وشق عطفاي أي شق جانبا ثوبي من كثرة ازدحام النّاس.

قوله كربيضة الغنم أي كاجتماع الغنم حول راعيها وقوله عليه السلام فنكثت طائفة ومرقت أُخرى وقسط آخرون، أي نقضت بيعتي وهم أهل البصرة ومرقت أُخرى وهم

أهل النهروان وقسط آخرون وهم أهل صفّين وقد أخبره النبيّ ﷺ بقوله: إنك يا عليّ ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين، رواه العامة والخاصة قوله عليه السلام لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألاّ يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، أي لولا حضور الحاضر لأجل بيعتي وقيام الحجّة عليّ بسبب وجود المعين والنّاصر، ولولا ما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا أي لا يلبثوا ولا يداهنوا على ظلم الظالمين والكظّة بالكسر البطنة وشيء يعتري من امتلاء البطن ولا سغب مظلوم أي على جوعه وتعبه الذي أصابه من ظلم الظالم. قوله عليه السلام لألقيت حبلها على غاربها هو جواب الشرط أي لتركت الخلافة أو الأُمّة ولألقيت زمامها على ظهرها قوله عليه السلام ولسقيت آخرها بكأس أوّلها أي لخليتهم يشربون من كأس الحيرة والجهالة بعد عثمان كما شربوه أوّلاً في زمن الثلاثة وقوله عليه السلام تلك شقشقة هدرت، الشقِشقة بالكسر شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج، شبّه هذه الخطبة بها لأنها إنّما صدرت منه حين هاجت نفسه الشريفة من ظلم الظالمين(١).

وأمّا الكتاب الذي دفعه الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فروي أنّه قد كان فيه عدة مسائل، منها أنّه سأله ما الحيوان الذّي خرج من بطنه حيوان آخر وليس بينهما نسب فأجابه بأنه يونس بن متّى خرج من بطن الحوت، ومنها ما الشيء الذي قليله مباح وكثيره حرام، فقال عليه السلام نهر طالوت لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ومنها ما العبادة التي إن فعلها أحد استحقّ العقوبة، وإن لم يفعلها أيضاً استحقّ العقوبة، فأجاب بأنها صلاة السّكارى، ومنها ما الطائر الذي لا فرخ له ولا أصل ولا فرع، فقال هو طائر عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ [المائدة: ١١٠].

فلينظر إلى هذه الخطبة وما اشتملت عليه من الشكاية ممّن تقدّمه، والعجب العجيب من جماعة المخالفين كيف أحبّوا عليّاً وعمر وكيف جمعوا بين حب عليّ وعمر في قلب واحد مع أن حبّهما مما لا يجتمعان أبداً كما سيأتي تحقيقه، وأعجب من هذا دعواهم حبّ عليّ ومعاوية واعتقادهم الخير في كليهما مع أن كل واحد منهما قد كفّر الآخر واستحلّ قتله، ولعمرك لو تمكّن معاوية في حرب صفين من قتل عليّ عليه السلام لقتله بيده كما أن ولده الخبيث لما تمكّن من قتل ولده الحسين عليه السلام قتله

(١) وسميت هذه الخطبة الشريفة بالشقشقية لقوله عليه السلام فيها إنّها شقشقة هدرت ثم قرت.

وأسر حريمه وفعل فعلته الشنيعة، ولكن جوابهم أنّهما مجتهدان قد أخطأ واحد منهما، ويقولون المخطئ هو معاوية لكن المجهتد المخطئ لا عقاب عليه في اجتهاده الخطأ.

فنقول لهم أولاً إن معاوية كان أعلم منكم بأحوال عليّ عليه السلام وإستحقاقه الخلافة لأن الخلافة عند كافّة المسلمين طريق ثبوتها، أمّا النص كما يقوله الإماميّة أو الإجماع كما تقولونه أنتم وبعد قتل عثمان لم يحصل الاتّفاق والبيعة إلا لعليّ عليه السلام فهو بعد عثمان خليفة واجب الطاعة بإجماع كلّ المسلمين ومعاوية كان أعرف بهذا الأمر من كلّ أحد، وقد رويتم أنتم في أخباركم عن معاوية طرفاً وافراً من علمه وإظهاره استحقاق عليّ عليه السلام الخلافة دونه وكذا علم أكابر أصحابه مثل عمرو بن العاص وأشباهه كما رويتم في كتبكم عن عدي بن أرطاة قال: قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله أيّنا أدهى قال عمرو أنا للبديهة وانت للرويّة قال معاوية قضيت لي على نفسك وأنا أدهى منك في البديهة، قال عمرو فأين دهاؤك يوم رفعت المصاحف، قال بها غلبتني يا أبا عبد الله أفلا اسألك عن شيء تصدقني فيه، قال والله إنّ الكذب لقبيح فسل عمّا بدا لك أصدقك، فقال هل غششتني منذ نصحتني قال لا قال بلى والله لقد غششتني أما إنّي لا أقول في كلّ المواطن ولكن في موطن واحد قال وأي موطن هذا قال يوم دعاني عليّ بن أبي طالب للمبارزة فاستشرتك فقلت ما ترى يا أبا عبد الله فقلت كفو كريم فاشرت عليَّ بمبارزته وأنت تعلم من هو فعلمت أنّك غششتني قال يا أمير المؤمنين دعاك رجل إلى مبارزته عظيم الشرف جليل الخطر فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين إما أن تقتله فتكون قد قتلت قتّال الأقران وتزداد به شرفاً إلى شرفك وتخلو بملكك وإمّا أن تعجل إلى مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، قال معاوية هذه أشرّ من الأولى والله إنّي لأعلم أنّي لو قتلته دخلت النار ولو قتلني دخلت النار قال له عمرو فما حملك على قتاله قال الملك عقيم ولن يسمعها منّي أحد بعدك. فهذا اعتراف صريح من معاوية بأن علياً عليه السلام هو القابل للخلافة وهي له.

وقد قال له عمرو بن العاص قصيدة[1] في وصف حاله مع معاوية لما وعده معاوية إمارة مصر وكذب عليه أولها:

---

(١) هي القصيدة المسماة بالجلجلية كتبها عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان في جواب كتابه إليه يطلب خراج مصر ويعاتبه على امتناعه عنه ولمّا سمع معاوية هذه الأبيات، لم =

معاوية الحال لا تجهل وعن سنن الحق لا تعدل

إلى أن قال:

وعلّمتكم كشف سوءاتكم لردّ الغضنفرة المقبل
وقلت لكم أن تشيلوا الرّماح عليها المصاحف بالقسطل
ولولاي كنت شبيه النساء تعاف الخروج من المنزل
خلعت الخلافة من حيدر كخلّ النعال من الأرجل
وألبستها فيك يابن اللئام كلبس الخواتيم في الأنمل
ولا لك فيها ولا ذرة ولا لجدودك من أوّل
ورقّيتك المنبر المشمخر بلا جذب سيف ولا منصل
وكم قد سمعنا من المصطفي وصايا مخصصة في علي
وفي يوم خمّ رقي منبراً وبلّغ والصحب لم ترحل
وأمنحه إمرة المؤمنين فنال بها شرف الأطول
وفي كفه كفّه معلناً ينادي باسم العزيز العلي
فمن كنت مولاه هذا أخي عليّ له الآن نعم الولي
فوال مواليه يا ذا الجلال وعاد معادي أخي المرسل

إلى أن قال:

فإن قيل بينكما نسبة فأين الحسام من المنجل[1]
وأين الثريّا وأين الثرى وأين معاوية من علي
وقد بتّ تذرق ذرق النعام حذار[2] الغضنفرة الأصول

= يتعرض له بعد ذلك وتسمى بالجلجلية لما في آخرها: (ففي عنقي علق الجلجل) مثل يضرب انظر لسان العرب ج ١٣ ص ١٢٩ ط مصر والجلجل الجرس الصغير يعلق في أعناق الدواب ونقل تلك القصيدة برمتها حضرة العلاّمة الكبير شيخنا الاميني دام ظله في كتاب القيم النفيس (الغدير) ج ٢ ص ١١٤ وذكر ترجمة عمرو بن العاص بن وائل الابتر ابن الابتر شانىء محمّد وآل محمّد في الجاهلية والإسلام وأحد دهاة العرب الخمس الّذي منه بدأت الفتن وإليه تعود انظر من صفحة (١٢٠) إلى (١٧٦) تجد ترجمة مفصلة على نحو التحقيق والتحليل.

(١) المنجل بكسر الميم ما يحصد به الزرع. (٢) حذاراً من البطل المقبل خ ل.

وعلى نحو هذه الأبيات من مدح عليّ عليه السلام وذم معاوية وهي قصيدة طويلة قال في آخرها:

فإن أك فيها بلغت المنا ففي عنقي علّق الجلجل

وأمّا ثانياً فلأنّ اجتهاد معاوية قد قتل في معركة واحدة على ما تقدّم ستين ألفاً من عسكره وعشرين ألفاً من عسكر عليّ عليه السلام فإذا كان صاحب هذا الاجتهاد معذوراً فلم لا تعذرون الشيعة في لعن عمر وصاحبيه فإن مجتهديهم قد اجتهدوا في جواز هذا السبّ واللعن وجوّزوه بل ربّما صرّح بعضهم بوجوبه وتوجيهه أنّ الله سبحانه قد كلفنا بالتوحيد والإقرار بالرسالة والإمامة فإن هذه الثلاثة من أركان الدين.

فأما التوحيد فهو مركّب من إيجاب وسلب تجمعهما كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله، فأمّا من قال إنّ الله إله ولكن له شريك فهو مشرك ليس بمسلم بالإجماع، وكذا رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله مركبة من إيجاب وسلب أيضاً، وهو أنّ محمّداً رسول الله وأن من ادّعى الرسالة غيره ليس بنبيّ مثل مسيلمة الكذّاب ونحوه، فمن شرك بينهما لا يكون مسلماً أيضاً وكذلك الإمامة تابعة لهما في التركيب؛ فيجب على القائل بها أن يقول علي هو الخليفة والإمام وإنّ من ادعى الخلافة غيره ليس بإمام، بل هو كاذب فكما يجب علينا التبرّي من الأصنام ولعنها ولعن من اتّخذها آلهة وكما يجب التبري من مسيلمة ولعنه يجب أيضاً التبرّي واللعن على من ادعى الإمامة وليس لها بأهل فكما عذرتم معاوية في ذلك الاجتهاد الذي سفكت فيه الدماء فاعذروا الشيعة في هذا الاجتهاد وإن كان خطأ ولا تقولوا بأن من ثبت أنّه لعن واحداً من الخلفاء الثلاثة وجب إحراقه لأن هذا منكم محض عناد وتعصّب فإنّ معاوية سبّ علياً عليه السلام على المنابر وقذف فاطمة واستمر السبّ والقذف ثمانين سنة إلى خلافة ابن عبد العزيز حتى كان هو الذي رفعه بلطائف الحيل فإذا جاز مثل هذا بالإجتهاد جاز للشيعة ما قلناه أيضاً بالإجتهاد.

ومن العجب أنّ كل متخلّف من خلفاء الجور قد زاد على الأوّل في مخالفته للنبيّ صلى الله عليه وآله أما أبو بكر فقد خالفه بالنص على عمر فإنهم يزعمون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم ينص على أحد وأمّا عمر فقد خالف النبيّ صلى الله عليه وآله وخالف شيخه أبا بكر في أمر الشورى بل كان الواجب عليه متابعة أحدهما، وأما عثمان ومعاوية فقد زادا على الكلّ وليت شعري إذا كان صلاح الأمّة في ترك النص على واحد بزعمكم كما

تقولونه بالنسبة إلى النبيّ ﷺ فكيف أبو بكر لم يراع هذا الأصلح ولم يترك النصّ على عمر اقتداءً بالنبيّ ﷺ ما هذا إلّا عجب عجيب وأمر غريب.

وممّا يناسب هذا المقام نقل حديث ونقل بعض الأشعار؛ أمّا الحديث فقد رواه رئيس المحدّثين محمّد بن يعقوب رحمه الله بإسناده إلى يونس بن يعقوب قال كان عند أبي عبد الله الصّادق عليه السلام جماعة من أصحابه فيهم حمران بن أعين ومؤمن الطاق وهشام بن سالم والطيّار وجماعة من أصحابه فيهم هشام بن الحكم وهو شابّ، فقال أبو عبد الله عليه السلام يا هشام قال لبّيك يابن رسول الله قال ألا تحدّثني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته، قال هشام جعلت فداك يابن رسول الله إنّي أجلّك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك فقال أبو عبد الله الصّادق عليه السلام إذا أمرتكم بشيء فافعلوه، قال هشام بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة وعظم ذلك عَليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة في يوم الجمعة فأتيت المسجد فإذا أنا بحلقة كبيرة وإذا أنا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء متّزر بها من صوف وشملة مرتد بها والنّاس يسألونه، فاستفرجت النّاس فأفرجوا لي ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت أيها العالم أنا رجل غريب أتأذن لي فأسألك عن مسألة، قال نعم قال قلت له ألك عين قال يا بنيّ أي شيء هذا من السؤال فقلت هكذا مسألتي فقال يا بنيّ سل وإن كانت مسألتك حمقاء، قلت أجبني فيها قال فقال سل قلت ألك عين قال نعم قلت: فما تصنع بها قال أرى بها الألوان والآشخاص قال قلت: ألك أنف قال نعم قال قلت له فما تصنع به قال أشم به الرائحة، قال قلت ألك لسان قال نعم قلت فما تصنع به قال أتكلّم به قال قلت: ألك أذن قال: نعم قلت فما تصنع بها قال أسمع بها الأصوات، قال قلت ألك يد قال: نعم قلت: وما تصنع بها قال أبطش بها قلت ألك قلب قال نعم قلت وما تصنع به قال أُميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح، قال قلت أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب قال لا قلت وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة قال يا بنيّ إنّ الجوارح إذا شكت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته أو لمسته ردته إلى القلب فتيقن اليقين وأبطل الشك قال فقلت إنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح قال نعم قال فقلت يا أبا مروان إنّ الله تبارك وتعالى ذكره لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح وينفي ما شكّت فيه ويترك هذا العالم كلّهم في حيرتهم وشكّهم ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكّك قال فسكت ولم يقل شيئاً.

قال ثمّ التفت إلي فقال أنت هشام فقلت لا فقال لي أجالسته قلت لا قال فمن أين أنت، قلت من أهل الكوفة قال فأنت إذاً هو ثمّ ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه

وما نطق حتى قمت فضحك أبو عبد الله عليه السلام ثمَّ قال يا هشام من علمك هذا، قال قلت: يابن رسول الله جرى على لساني، قال يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى(١).

أقول: من الأمور الغريبة أنّ واحداً من جماعات المسلمين لو كان صاحب أولاد وعيال وأطفال فمات ولم يوص إلى أحد يتكفّل أحوالهم وضبط أموالهم لذمّه العقلاء من أهل عصره كما هو المعروف الآن، فكيف جاز للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يخرج من الدّنيا ويدع هذه الأُمّة الكثيرة بلا راع ولا داع ولا وصيّ ولا وليّ، إنّ هذا من الأمر الطريف.

وأمّا الأشعار فهي أنّ الشيخ العالم العامل الشيخ صالح الجزائري كتب إلى الشّيخ المحقّق خاتمة المجتهدين شيخنا الشيخ بهاء الدين تغمده الله برحمته كتابة هذا لفظها: ما قول سيّدي وسندي ومن عليه بعد الله وأهل البيت معوّلي ومعتمدي في هذه الأبيات لبعض النّواصب بتر الله أعمارهم وخرّب ديارهم، فالمأمول من أنفاسكم الفاخرة وألطافكم الظّاهرة أن تشرّفوا خادمكم بجواب منظوم تكسر سورة هذا الناصب وشبهته وأمثاله من الطّغاة، نصر الله بكم الإسلام بمحمّد وآله الكرام يقول:

أهوى عليّاً أمير المؤمنين ولا	أرضى بسبّ أبي بكر ولا عمرا
ولا أقول إذا لم يعطيا فدكاً	بنت النبيّ رسول الله قد كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به	يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

فأجابه الشيخ بهاء الدين طاب ثراه: الثقة بالله وحده إلتمست أيها الأخ الأفضل الصفي الوفي الألمعيّ الزكيّ والذكيّ أطال الله بقاك وأدام في معارج القرار تقاك الإجابة عما هذر به هذا المخذول فقابلت التماسك بالقبول وطفقت أقول:

يا أيّها المدّعي حبّ الوصيّ ولم	تسمح بسبّ أبي بكر ولا عمرا
كذبت والله في دعوى محبّته	تبّت يداك ستصلى في غد سقرا
فكيف تهوى أمير المؤمنين وقد	أراك في سبّ من عاداه مفتكرا
فإن تكن صادقاً فيما نطقت به	فابرأ إلى الله ممّن خان أو غدرا

(١) نقله الطبرسي أيضاً في احتجاجه عن يونس بن يعقوب، ونصّ الأنوار كان فيه بعض الألفاظ المشوّشة، فقمنا بتصحيحها عنه.

وأنكر النصّ في خم وبيعته ... وقال إنّ رسول الله قد هجرا
أتيت تبغي قيام العذر في فدك ... أتحسب الأمر بالتمويه مستترا
إن كان في غصب حقّ الطهر فاطمة ... ستقبل العذر ممّن جاء معتذرا
فكل ذنب له عذر غداة غده ... وكلّ ظلم ترى في الحشر مغتفرا
فلا تقولوا لمن أيّامه صرفت ... في سبّ شيخكم قد ضلّ أو كفرا
بل سامحوه وقولوا لا نؤاخذه ... عسى يكون له عذر إذا اعتذرا
فكيف والعذر مثل الشمس إذ بزغت ... والأمر متّضح كالصبح إذ ظهرا
لكنّ إبليس أغواكم وصيّركم ... عمياً وصمّاً فلا سمعاً ولا بصرا

وحيث انتهى الحال إلى هنا فلا بأس بذكر يوم الغدير والكشف عنه.

نور غديري

يتضمّن حكاية يوم الغدير ونصّ النبيّ ﷺ فيه على عليّ عليه السلام بالخلافة والإمامة. اعلم أن النصّ من الله ومن رسوله ﷺ على أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير ممّا تواتر عند شيعة أهل البيت عليهم السلام نقلوه عن أئمّتهم المعصومين عليهم السلام بالأسانيد المتكثّرة حتى بلغ حدّ التواتر وأهل البيت أدرى بما فيه كما أن أهل كلّ إمام هم أعلم بأقوال إمامهم من غيرهم، فإنّ أصحاب أبي حنيفة أعرف بمذهب أبي حنيفة من أصحاب الشافعي، وكذلك أصحاب الشافعي أعرف بمذهبه من غيرهم، وأما مخالفوهم فقد اختلفوا في التفصّي عن يوم الغدير، فمنهم من أنكره رأساً وقال إنّ ذلك العام قد كان عليّ عليه السلام في اليمن أرسله النبيّ ﷺ لقبض الجزية من نصارى نجران، فهذا قد أنكر يوم الغدير من أصله وهذا هو الذّي ذهب إليه أكثر متأخّريهم وبعضهم قال به ولكن قدح في دلالة الألفاظ على النصّ بتأويل ركيك سيأتي إن شاء الله.

أمّا الجواب عن إنكاره فالظاهر أنّه غير محتاج إليه لأن الأحكام الشرعيّة إنّما وصلت إلينا وإليهم من صاحب الشرع بأخبار الآحاد ووجب علينا العمل بمضمونها وخبر الغدير قد نقل بالتّواتر إلينا وإليهم أمّا من طرقنا فهو إجماعي، وأمّا من طرقهم فمن خلع حبل التعصّب من عنقه ولم يلتفت على إنّا وجدنا آباءنا على أمّة، يظهر له تواتره أيضاً، وقد صنّف علماؤهم في يوم الغدير كتباً متعدّدة فممّن صنف فيه أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني الحافظ المعروف بابن عقدة وهو ثقة

عند أرباب المذاهب وجعل ذلك كتاباً مجرّداً سمّاه حديث الولاية، وذكر الأخبار عن النبيّ ﷺ بذلك وأسماء الرّواة من الصحابة وهذه أسماء من روي عنهم يوم الغدير، ونصّ النبيّ ﷺ على عليّ بالخلافة وإظهار ذلك عند الكافّة:

أبو بكر بن عبد الله، عمر بن الخطّاب، عثمان بن عفّان، عليّ بن أبي طالب عليه السلام، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوّام، عبد الرحمن بن عوف، سعيد بن مالك، العبّاس بن عبد المطلب، الحسن بن عليّ بن أبي طالب، الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن مسعود، عمّار بن ياسر، أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، سلمان الفارسي، أسعد بن زرارة الأنصاري، أبو أيّوب خالد بن يزيد الأنصاري، سهل بن حنيف الأنصاري، عثمان بن حنيف الأنصاري، حذيفة بن اليمان، عبد الله بن عمر بن الخطّاب، البراء بن عازب، رفاعة بن رافع الأنصاري، سمرة بن جندب، سلمة بن الاكوع السلمي، زيد بن ثابت الأنصاري، أبو ليلى الأنصاري أبو قدامة الأنصاري، سهل بن سعد الأنصاري، عديّ بن حاتم الطائي، ثابت بن زيد بن وديعة، سعد بن عجرة الأنصاري، أبو الهيثم التيهان الأنصاري، هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص الزهري، المقداد بن عمرو الكندي، عمر بن أبي سلمة، عبد الله بن أُبيّ، عبد الأسد المخزومي، عمر بن حصين الخزاعي، بريدة بن الخضيب الأسلميّ، جبلة بن عمرو الأنصاري، أبو هريرة الدوسي، أبو برزة نضلة بن عتبة الأسلمي، أبو سعيد الخدري، جابر بن عبد الله الأنصاري، جرير بن عبد الله، زيد بن أرقم الأنصاري، أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، أبو عمير بن عمرو بن محصن الأنصاري، أنس بن مالك الأنصاري، ناجية بن عمرو الخزاعي، أبو زينب بن عوف الأنصاري، يعلى بن مرّة الثقفي، سعد بن عبادة الأنصاري، حذيفة بن أسيد أبو سريحة الغفاري، عمرو بن الحمق الخزاعي، زيد بن حارثة الأنصاري، مالك بن الحويرث أبو سليمان، جابر بن سمرة السوراني، عبد الله بن ثابت الأنصاري، عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي، يزيد بن شراحيل الأنصاري، عبد الله بن يسر المازني، النعمان بن العجلان الأنصاري، عبد الرحمن بن يعمر الديلمي، أبو الحمراء خادم رسول الله ﷺ، أبو فضالة الانصاري، عطيّة بن بشر المازني، عامر بن ليلى الغفاري، أبو الطفيل عمر بن واثلة الكناني، عبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري، حسان بن ثابت الأنصاري، سعيد بن جنادة العوفي، عامر بن عمير النموي، عبد الله بن باميل، حية بن خويه العوفي، عقبة بن عامر الجهني، أبو ديب الشاعر،

أبو شريح الخزاعي، أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوني، أبو أُمامة الصيدي بن عجلان الباهلي، عامر بن ليلى بن ضمرة، جندب بن سفيان العجليّ، أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، وحش بن حرب، قيس بن ثابت الأنصاري، عبد الرحمن مديح حبيب بن بديل الخزاعي، فاطمة بنت رسول الله ﷺ، عائشة بنت أبي بكر أمّ المؤمنين، أمّ هانئ بنت أبي طالب، فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، أسماء بنت عميس الخثعميّة، ثمَّ ذكر ابن عقدة ثمانياً وعشرين رجلاً من الصحابة لم تذكر أسماؤهم أيضاً.

وقد صنف أبو سعد مسعود بن ناصر السجستاني كتاب الدراية في حديث الولاية وهو سبعة عشر جزءاً وهو من أوثق رجال المذاهب الأربعة وقد كشف عن يوم الغدير ونصّ النبيّ ﷺ على عليّ عليه السلام بعده ورواه عن مائة وعشرين نفساً من الصحابة منهم ستّ نساء وعدد أسانيد هذا الكتاب على ما قال صاحب الطرائف ألف وثلاثمائة وخمسة وثلاثون اسناداً وقد كان هذا في حجّة الوداع وهي آخر ما كان له من المواقف والأسفار فنعى إلى المسلمين نفسه وعرَّفهم أنه قد قرب انتقاله، فأقام باقي ذي الحجّة ومحرّماً وتوفّي في صفر وقيل في ربيع الأول وقد روى حديث يوم الغدير محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ من خمس وسبعين طريقاً، وأفرد له كتاباً سمّاه كتاب الولاية وقد ذكر أنّه إنّما صنفه للردّ على الحرقوصية يعني الحنبلية لأن أحمد بن حنبل من ولد حرقوص بن زهير الخارجيّ.

وممّن صنّف في حديث يوم الغدير الحاكم عبد الله بن عبيد الحسكاني كتاباً سمّاه كتاب دعاة الهداة إلى أداء حقّ الموالاة، وذكر محمد بن الحسن الطوسي في كتاب الاقتصاد وغيره أنّه قد روى خبر يوم الغدير من مائة وخمسة وعشرين طريقاً، ورواه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده من خمسة عشر طريقاً، ورواه الفقيه ابن المغازلي في كتاب المناقب من اثني عشر طريقاً، وقال ابن المغازلي بعد رواياته لخبر يوم الغدير: هذا حديث صحيح عن رسول الله ﷺ قد روي حديث غدير خم من نحو مائة نفس منهم العشرة وهو حديث ثابت تفرّد عليّ بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحد هذا كلامه، فمن روايات الفقيه ابن المغازلي في كتاب المناقب بإسناده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ بمنى وإنّي لأدناهم في حجّة الوداع قال لألفينكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّي في الكتيبة التي تضاربكم ثمَّ التفت إلى خلفه فقال أو عليّ أو عليّ ثلاثاً

فرأينا أن جبرائيل عليه السلام غمزه فأنزل الله تعالى على أثر ذلك فإما نذهبن بك «فإنا منهم منتقمون بعلي بن أبي طالب» إلى آخر الحديث.

ومن ذلك ما رواه أيضاً الفقيه الشافعي ابن المغازلي في كتاب المناقب بإسناده إلى الوليد بن صالح عن زيد بن أرقم، قال أقبل نبيّ الله في حجّة الوداع حتّى نزل بغدير الجحفة بين مكّة والمدينة فأمر بالدوحات فقمَّ ما تحتهن من شوك ثمَّ نادى الصلاة جامعة فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم شديد الحرِّ وساق الحديث إلى أن قال ثمَّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فرفعها فقال من كنت مولاه فعلي مولاه ومن كنت وليّه فهذا وليّه اللّهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه قالها ثلاثاً.

ومن ذلك ما رواه أبو بكر بن مردويه الحافظ عندهم باسناده إلى أبي سعيد الخدري أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يوم دعا النّاس إلى غدير خم أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقمّ وذلك يوم الخميس ثمَّ دعا النّاس إلى عليّ عليه السلام فأخذ بضبعه فرفعها حتى نظر النّاس إلى بياض إبط رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتفرقا حتى نزلت هذه الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين ورضى الربّ برسالتي والولاية لعليّ عليه السلام ثم قال: اللّهمَّ من كنت مولاه فعلي مولاه اللهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله - الحديث. وكذلك رواه أبو سعيد مسعود بن ناصر الحافظ السجستاني ومن ذلك ما رواه ابن المغازلي في كتابه أيضاً بإسناده إلى أبي هريرة قال من صام يوم ثماني عشرة من شهر ذي الحجّة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله بيد عليّ بن أبي طالب فقال ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قالوا بلى يا رسول الله، قال من كنت مولاه، فعليّ مولاه فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ ولو استقصينا الأخبار التي نقلها الجمهور في باب يوم الغدير لأفضى إلى تطويل الكتاب.

وأمّا التّأويل فقد قاله أكثر محقّقيهم، وحاصله أن المولى قد ورد في اللّغة لمعان منها النّاصر، ومنها المحبّ ومنها الأولى من كل أحد كما يقال مولى العبد وحينئذ فقوله صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فعليّ مولاه أي من كنت ناصره فعليّ ناصره فلا يستلزم الأولوية المطلقة والجواب عن هذا ظاهر فإنّ هذا القول منه صلى الله عليه وآله إنّما صدر بعد أن

قال للنّاس ألست أولى بكم من أنفسكم كما في الروايات من العامّة والخاصّة وحينئذ فقوله ﷺ من كنت مولاه فعليّ مولاه منزّل على تلك الأولوية لانتظامها معها في سياق واحد مع أن هذا المعنى الذي قالوه لا يحتاج إلى هذا التأكيد العظيم في ذلك الحر الشديد، وليس هو من خصائص عليّ عليه السلام لأنه يجب على كل مؤمن أن يحب وينصر من أحبه ونصره رسول الله ﷺ.

ولو سلّمنا أنّه أراد النّاصر كما زعمتم فالنّصرة لا يمكنه إجراؤها إلاّ إذا رجعت الأمور إليه وكان هو الخليفة، حتى يتمكّن من نصر من نصره النبيّ ﷺ، ولا كان يدع عثمان يخرج أبا ذر من المدينة ويفعل ما فعل وكذلك من تقدّمه من المتخلّفين ولكن باب التأويل واسع ولو فرضت أن النبيّ ﷺ نصّ على عليّ عليه السلام بأصرح من هذه الألفاظ لأمكن تأويلها، وحيث انجرّ الكلام إلى هنا فلنذكر الصلاة على محمد وآله وكذا لعن أعدائهم.

نور صلواتي

يكشف عن الصلاة على النبيّ ﷺ ولواحقها، روى العامّة والخاصّة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾، قالت الصّحابة يا رسول الله قد علمنا السّلام عليك، فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهمَّ صلِ على محمّد وآل محمّد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيد، وبارك على محمّد وآل محمّد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، رواه الثّعلبي في تفسيره والحميدي في الجمع بين الصّحيحين والبخاري في الجزء السادس ومسلم في الصّحيح وهذه هي الكيفيّة الكاملة للتصلية وأدنى ما يجزئ اللهمَّ صلِ على محمّد وآل محمّد وصلّى الله على محمّد وآل محمد ونحوهما.

وأما وجوب الصّلاة عليه إذا ذكر أو استحبابها ففيه خلاف بين الأصحاب والذي دلت عليه الأخبار الصحيحة هو الوجوب كلما ذكره ذاكر سواه اتّحد مجلس الذكر أو تعدد وسواء صلّى عليه سابقاً أم لا وسواء ذكر باسمه أو بلقبه أو بكنيته، بل وبالضمير الراجع إليه فإنه كناية عنه.

روى الكليني وغيره بالأسانيد المتكثرة عن النبيّ ﷺ أنّه قال من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ دخل النار فأبعده الله، فيجب الصّلاة عليه عند ذكره ولو كان السامع

مشغولاً بالصلاة الواجبة قطعها وصلّى عليه كما جاء في الرواية وهي على ما صلّى[١] وأمّا صلاة المخالفين وبعض صلاة عوام الشيعة وهي الصّلاة عليه وحده بدون ضم الآل فهي صلاة لا يقبلها الله سبحانه ولا هي الكيفية المأمور بها، روى بالأسانيد المعتبرة عنه ﷺ أنّه قال لا تصلوا عليَّ الصلاة البتراء، فقالوا يا رسول الله وما الصّلاة البتراء قال أن تقولوا اللهمَّ صلِ على محمّد بل قولوا اللهمَّ صلِ على محمّد وآل محمد وسمع الصّادق عليه السلام رجلاً يقول اللهمَّ صلِ على محمد فقال الصّادق عليه السلام لا تبترها ولا تظلمنا حقّنا قل وآل محمد.

وفي صحيح الأخبار أنّه قال من صلّى عليّ ولم يصلِ على آلي لم يجد ريح الجنّة وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة خمسمئة عام، وقال ﷺ إذا صلّى عليّ ولم يتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينها وبين السماء سبعون حجاباً يقول الله عزّ وجلّ لا لبّيك ولا سعديك يا ملائكتي لا تصعدوا دعاءه إلّا أن يلحق بنبيَّ عترته فلا يزال محجوباً حتّى يلحق بي أهل بيتي.

وأمّا ثواب الصلاة عليه فقد روي عن المعصومين عليهم السلام ما لا يكاد يدخل تحت قلم الضّبط، منها ما رواه أبو بصير عن الصادق عليه السلام قال إذا ذكر النبيّ ﷺ فأكثروا الصّلاة عليه فإنه من صلّى على النبيّ ﷺ صلاة واحدة صلّى الله عليه في

---

(١) المشهور عدم وجوب الصّلاة على النبي ﷺ كلما جرى ذكره للمتكلم والسامع سواء ذكره باسمه الشريف أم بلقبه أم بكنيته وقد إدعى جمع من الأساطين كالمحقق في المعتبر والعلاّمة في المنتهى الإجماع عليه.

وقال المحقق السبزواري في الذخيرة: (لم أطلع على مصرح بالوجوب من الأصحاب إلاّ أن صاحب كنز العرفان ذهب إلى ذلك).

وذهب جمع من المحدثين منهم المصنف وصاحب الحدائق والكاشاني إلى الوجوب وحكي عن الصدوق أيضاً، ووافقهم من المجتهدين شيخنا البهائي في مفتاح الفلاح، ومستند القول بالوجوب هو الأخبار والحكم بعدم الوجوب مع الجمود عليها وعدم المعارض لها مشكل ولكنها عند التأمل والتحقيق ظاهرة في تأكد الاستحباب.

ويشهد على نفي الوجوب اشتهار عدم الوجوب بين المسلمين والعادة تقضي بأنّ مثل هذا التكليف الّذي يعم به البلوى لو كان ثابتاً في الشرع لصار من ضروريات الدين فكيف خفي على أساطين الفقه حتّى ادعوا الإجماع مستفيضاً على عدم الوجوب فالروايات الواردة في الحث على الصّلاة على النبي ﷺ كلما جرى ذكره الشريف إنّما قصد بها تأكد الاستحباب وحسن الاحتياط بالصّلاة عليه وعلى آله الطاهرين عند ذكره أو سماعه من ذاكر غير خفي على أحد.

ألف صفّ من الملائكة، ولم يبق شيء ممّا خلقه الله إلا صلّى على ذلك العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برئ الله منه وملائكته ورسوله.

وينبغي أن تكتب الصلاة لا بلفظ الرمز كما هو المتعارف في هذه الأعصار، قال شيخنا الشّهيد الثاني قدّس الله روحه أول من كتب صلعم قطعت يده وأقل ما في الإخلال بها تفويت الثواب العظيم عليها، فقد ورد عنه ﷺ أنّه قال من صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب انتهى.

وفي الروايات أنّه لما نظر آدم إلى حواء قال يا ربّ زوّجني منها فقال جلّ اسمه هات مهرها يا آدم، فقال آدم يا رب ما أعلم قال الله تعالى يا آدم صلِّ على محمّد وآل محمّد عشر مرّات، فصلّى آدم كما أمره الله جلّ جلاله فزوَّجه بها. فإذا كانت الصّلاة مهر حوّاء فكيف لا يكون مهر حور العين.

وفي الروايات أيضاً أنّ الله تعالى قد خلق ملائكة سيّاحين في الأرض وليس لهم غرض إلّا تبليغ النبيّ ﷺ صلاة من يصلّي عليه ﷺ في أطراف الأرض يقولون له يا رسول الله فلان قد بلغك السّلام والصّلاة، فيقول النبيّ ﷺ وعلى فلان الصّلاة والسلام وكذلك يُبلغونه زيارات الزّائرين كما يبلغون الأئمة الطّاهرين عليهم السلام صلوات المصلّين وزيارات الزائرين وسلام المسلّمين، وروي أيضاً أنّ الله سبحانه قد خلق ريحاً تبلّغ النبيّ ﷺ سلام المسلّمين وصلاة المصلّين.

وروى أبو سعيد في كتاب الوفى لشرف المصطفى عن عليّ عليه السلام أنّه قال قال رسول الله ﷺ أكثروا عليّ الصّلاة قلت وهل تبلغك الصّلاة بعد أن تفارقنا، قال نعم يا عليّ إنّ الله تبارك وتعالى وكل بقبري ملكاً يقال له صلصائيل وهو في صورة الدّيك متن عرفه تحت عرش الرّحمن ومخاليبه في تخوم الأرض السّابعة، له ثلاث أجنحة إذا نشرها واحدها بالمشرق والآخر بالمغرب والآخر منتشر على أرض قبري فإذا قال العبد اللهمَّ صلِ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت وباركت وترحمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد لقطها كما يلقط الطير الحبّ ثمَّ يرفرف على قبري ويقول يا محمّد يا محمّد إنّ فلان بن فلان صلّى عليك وأقرأك السلام فيكتب له في رقّ من نور بالمسك الأذفر ويرفع له عشرون ألف حسنة ويمحى عنه عشرون ألف سيّئة، ويغرس له عشرون ألف شجرة، ومن كانت له حاجة إلى الله سبحانه وأراد قضاءها فليعمل ما قاله الصّادق عليه السلام وهو أن يصلّي على محمّد وآله في أوّلها

وآخرها ويذكر حاجته في الوسط، فإن الله سبحانه أكرم من أن يقبل الطرفين ويردّ الوسط وهذا من باب بيع الصفقة فإمّا أن يقبل الكلّ أو يردّ الكلّ والطرفان مقبولان فيقبل الوسط أيضاً.

وأما آله ﷺ فقد اختلف المسلمون في المراد بهم، والّذي اجتمعت عليه شيعتهم بسبب النقل المستفيض عن المعصومين أنّهم المعصومون عليهم السلام لا غير.

ويعجبني نقل كلام ذكره المحقق الدواني(١) وهو من علماء الجمهور في حواشي شرح الهياكل وهذه عبارته: آل الشخص من يؤول إلى ذلك الشخص فآله ﷺ من يؤل إليه ﷺ إما بحسب النسب أو النسبة أمّا الأوّل فهم الذين حرّم عليهم الصّدقة في الشّريعة المحمّدية وهم بنو هاشم وبنو المطّلب عند بعض الأئمّة وبنو هاشم فقط عند البعض وأمّا الثاني فهم العلماء إن كانت النسبة بحسب الكمال الصوري أعني العلم التشريعي فالأولياء والحكماء المتألّهون إن كانت النسبة بحسب الكمال الحقيقي أعني علم الحقيقة.

أقول: وكما حرم على الأوّل الصدقة الصورية حرم على الثاني الصدقة المعنويّة أعني تقليد الغير في العلوم والمعارف، فآله ﷺ من يؤول إليه إمّا بحسب نسبته لحياته الجسمانيّة كأولاده النسبيّة ومن يحذو حذوهم من أقاربه الصوريّة، أو بحسب نسبته لحياته العقليّة كأولاده الروحانيّة من العلماء الرّاسخين والأولياء الكاملين والحكماء المتألّهين المقتبسين من مشكاة أنواره سواء سبقوه زماناً أو لحقوه ولا شكّ أنّ النسبة الثانية أوكد من الأولى والثانية من الثانية أوكد من الأولى منها، وإذا اجتمع النسبتان بل النسب الثلاث كان نوراً على نور كما في الائمّة المشهورين من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين.

ثمَّ قال ويحتمل أن يكون مراد المصنفين جميع أفراد الآل أعني الصوريين

---

(١) هو المحقق الحكيم المتكلم الشهير المولى جلال الدين محمد بن أسعد الدواني المتوفى سنة (٩٠٨هـ) المنتهي نسبه إلى محمد بن أبي بكر كان في أوائل أمره على مذهب أهل السنة ثم صار من الشيعة وصنف رسالة فارسية سماها (نور الهداية) صرح فيها بتشيعه توجد نسختها اليوم في بعض مكتبات النجف الأشرف، والسيد القاضي نور الله الشهيد لم يطلع عليها فتمسك في إثبات تشيعه بما لا يخلو عن تعسف، راجع إلى كتاب مجالس المؤمنين تجد صدق ما قلناه.

انظر إلى تنقيح المقال ج ١ ص ٢٣٠ ط نجف وإلى الكنى والألقاب للقمي ج ٢ ص ٢٠٦ ط صيدا.

والمعنوية وأن يكون مرادهم المعنوية سواء كانا سابقين عليه بالزمان أو لاحقين له وسواء انتسبوا إليه في العلم بظاهر التشريع أو باطنه انتهى كلامه.

وشيخنا البهائي طاب ثراه بعد أن نقل حاصل هذا الكلام قال وهو ممّا يستوجب أن يكتب بالتبر على الأحداق لا بالحبر على الأوراق.

وبقي الكلام هنا في تحقيق مسألة علميّة في التشبيه الّذي في قوله كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، وحاصل تقريرها أنّ هنا إشكالاً وهو أن في التشبيه يعتبر كون المشبه به أقوى في وجه الشبه أو مساوياً، والصلاة هنا الثناء والعطاء والمنحة التي هي من آثار الرحمة والرضوان فتستدعي أن يكون عطاء إبراهيم والثناء عليه فوق الثناء على محمّد ﷺ أو مساوياً له وليس كذلك وإلاّ لكان أفضل منه والواقع خلافه، وقد تصدّى المحقّقون للجواب عنه من وجوه:

أوّلها: أن يكون المراد تشبيه أصل الصلاة بالصلاة لا الكميّة بالكميّة كما في ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]، والمراد في أصله لا في قدره ووقته وردّه شيخنا الشهيد قدّس الله روحه بأنّ الكاف للتشبيه وهو صفة مصدر محذوف أي صلاة مماثلة للصلاة على إبراهيم، والظاهر أن هذا يقتضي المساواة إذ المثلان هما المتساويان في الوجوه الممكنة.

وثانيها: أن الصّلاة بهذا اللفظ جارية في كلّ صلاة على لسان كل مصلٍّ إلى انقضاء التكليف، فيكون الحاصل لمحمّد ﷺ بالنسبة إلى مجموع الصلوات أضعافاً مضاعفة وأورد عليه أيضاً بأنّ التشبيه واقع في كلّ صلاة تذكر في حال كونها واحدة فالإشكال قائم.

وثالثها: أن مطلوب كلّ مصلٍّ المساواة لإبراهيم في الصلاة فكلّ منهم طالب صلاة مساوية للصلاة على إبراهيم وإذا اجتمعت هذه المطلوبات كانت زائدة على الصلاة على إبراهيم.

ورابعها: أن الدّعاء إنّما يتعلق بالمستقبل فمتى وقع تشبيه بين لفظين فإنّما يقع في المستقبل وحاصله أن الدعاء إنّما يتعلق بالمستقبل ونبيّنا محمّد ﷺ كان الواقع قبل هذا أنّه أفضل من إبراهيم وهذا الدّعاء يطلب فيه زيادة على هذا الفضل مساوية لصلاته على إبراهيم فهما وإن تساويا في الزيادة إلا أن الأصل المحفوظ خالٍ من معارضة الزيادة.

وخامسها: أن المشبّه به المجموع المركّب من الصّلاة على إبراهيم وآله ومعظم

الأنبياء هم آل إبراهيم، والمشبه الصلاة على نبيّنا وآله فإذا قوبل آله بآلهم رجحت الصّلاة عليهم على الصّلاة على آله فيكون الفاضل من الصّلاة على آل إبراهيم لمحمّد ﷺ فيزيد به على إبراهيم، ويشكل بأنّ ظاهر اللّفظ تشبيه الصّلاة على محمّد ﷺ بالصّلاة على إبراهيم والصّلاة على آله بالصّلاة على آل إبراهيم تطبيقاً بين المسمّيين والآلين فكلّ تشبيه على حدته فلا يؤخذ من أحدهما للآخر.

وسادسها: أن التشبيه إنّما هو في صلاة الله على محمّد وفي صلاته على إبراهيم وآله فقوله اللهمَّ صلّ على محمّد على هذا منقطع عن التشبيه وفي هذين الجوابين هضم لآل محمد كما قيل، وقد قدّمنا الدلائل على أفضلية عليّ عليه السلام على الأنبياء، وهو واحد من الآل فيكون السؤال عند الإمامية باقياً بحاله.

وسابعها: أنّه ﷺ من آل إبراهيم فهو داخل في الصّلاة المشبّه بها منضمّاً إلى غيره، والصّلاة المشبّه مختصة به وحده فصارت الأولى أفضل بهذا الاعتبار وعلى هذا نزّلوا الجواب عن الإشكال الوارد على ظاهر قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]، بإرادة الحسين عليه السلام من الذبح العظيم كما روي تفسيره عنهم عليهم السلام وحاصل الإشكال أنّ الحسين عليه السلام أفضل من إسماعيل فكيف يكون فداءً له.

والجواب أن الحسين وحده وسائر المعصومين عليهم السلام من أولاد إسماعيل فالحسين عليه السلام إنّما صار فداء لهذه السلسلة الطاهرة وهو واحد منها والأصوب في الجواب عن هذا الإشكال هو ما رواه الصدوق طاب ثراه في عيون أخبار الرضا بإسناده إلى الفضل بن شاذان، قال سمعت الرضا عليه السلام يقول لمّا أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه تمنّى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده بيده فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب فأوحى الله عزّ وجلّ إليه يا إبراهيم من أحبّ خلقي إليك، فقال يا رب ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد ﷺ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه يا إبراهيم هو أحبّ إليك أم نفسك قال بل هو أحبّ إليّ من نفسي، قال فولده أحبّ إليك أم ولدك، قال بل ولده قال فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أم ذبح ولدك بيدك في طاعتي، قال يا ربّ بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي.

قال يا إبراهيم إنّ طائفة تزعم أنّها من أُمة محمّد ﷺ ستقتل الحسين ابنه من

بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لذلك وتوجع قلبه وأقبل يبكي فأوحى الله عَزَّوَجَلَّ إليه يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧] وحاصله أنّ الفداء بمعنى التعويض وهو معناه اللّغويّ.

وثامنها: أن القوّة في التشبيه هنا ترجع إلى الظّهور والوضوح، والصّلاة على إبراهيم ظاهرة مشهورة عند أرباب الملل والأديان إجابة لدعائه، حيث قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، يعني ذكراً جميلاً، ومن هذا كانت الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ينسبون أنفسهم إليه وإلى دينه، فيكون هذا التشبيه من باب قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: ٣٥]، لأن نور المشكاة محسوس مشاهد لكلّ أحد.

وتاسعها: أنّ الكاف للتعليل مثلها في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقد بقيت هنا وجوه أُخرى ذكرناها في شرحنا الصغير على الصّحيفة السجّاديّة. إذا انتقش هذا على صحيفة بالك فاعلم أن شيخنا الشهيد قدّس الله روحه بعد أن ذكر بعض هذه الوجوه قال قلت كلّ هذا بناء على أن صلاتنا عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تفيده زيادة في رفع الدّرجة ومزيد الثواب وقد أنكر هذا جماعة من المتكلّمين وخصوصاً الأصحاب وجعلوا هذا من قبيل الدعاء بما هو واقع امتثالاً لأوامر الله تعالى وإلاّ فالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قد أعطاه الله من الفضل والجزاء والتفضيل ما لا يؤثر فيه صلاة مصلٍّ وجدت أو عدمت، وفائدة هذا الامتثال إنّما يعود إلى المكلّف فيستفيد به ثواباً كما جاء في الحديث من صلّى عليَّ صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشراً وحينئذ فيظهر ضعف الجواب الرابع من طلب المنافع في المستقبل فإنّ هذا كله في قوّة الإخبار عن عطاء الله تعالى وحينئذ يكون جواب التّشبيه للأصل بالأصل سديداً ويلزمه المساواة في الصلاتين ولكن تلك الأمور موهبيّة فجاز تساويهما فيها وإن تفاوتا في الأمور الكسبيّة المقتضية للزّيادة فإنّ الجزاء على الأعمال هو الذي تتفاضل فيه العمّال لا المواهب التي يحوز بسببها كلّ واحد تفضّلاً خصوصاً على قواعد العدليّة وهب أن الجزاء كله تفضّل كما تقوله الأشعريّة إلاّ أن الصّلاة هنا موهبيّة محضة ليست باعتبار الجزاء، فالّذي يسمّى جزاء عند العمل وإن لم يكن مسبّباً عن العمل هو الّذي يتفاضلان فيه، هذا واضح انتهى كلامه طاب ثراه.

ويخطر بالبال التكلّم عليه من وجوه أوّلها إنّ قوله إن الله أعطى من الفضل والجزاء ما لا يؤثّر فيه صلاة مصلٍّ وجدت أو عدمت قد دلّت الأخبار على نقيضه، فإنّ درجات نواله تعالى ممّا لا تقف إلى حد، وكلّ درجة فوقها درجة ونبيّنا ﷺ قد امتاز عن سائر الأنبياء عليهم السلام بزيادة القبول للفيوض الربانيّة، وكان ﷺ يقول إن ربّي قد وعدني درجة لا تنال إلاّ بدعاء أُمّتي، وكان يطلب الدعاء من صلحاء المؤمنين وأكابر المتّقين مع أن دعاءنا له ﷺ وطلبنا مزيد نوال الله سبحانه له إنّما هو من جملة أعماله ﷺ التي يستحق بها مزيد القرب والدرجات، لأنه ﷺ قد استنقذنا من ورطة الهلاك وقد كان النّاس على شفا جرف من النّار فأخذ بأيديهم وبلّغهم إلى أقصى درجات المقرّبين وكذلك أولاده المعصومون عليهم السلام فقد استحقوا بهذا منّا الصّلاة وطلب الرحمة من الله تعالى، فدعاؤنا لهم من جملة أعمالهم، ولا شكّ أن أعمالهم ممّا يوجب مزيد الثواب لهم بلا خلافٍ منّا، وليس هذا إلّا من باب دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب، فإنّه مما يوجب مزيد الأجر للدّاعي والمدعو له، وقد أُورد على هذا بأنه منافٍ لقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

والجواب عن تلك الشبهة كما قلنا هو جواب عن هذه أيضاً، فإنّ المؤمن لمّا صار مؤمناً باختياره وفعل ما حبّب به نفسه إلى المؤمنين حتّى قدم المؤمنون على الدعاء له بظهر الغيب سواء كان حيّاً أو ميّتاً كان دعاء الداعي من جملة أعمال المدعوّ له، وفي الحديث القدسيّ: ممّا أوحى الله عزّ وجلّ إلى مُوسى على نبينا وآله وعليه السلام أن قال له يا موسى ادعني بلسان لم تعصني به، قال يا ربّ كيف ذاك ولساني قد عصيتك به قال اطلب من إخوانك الدعاء فإنك لم تعصني بلسان أحد منهم، وموسى عليه السلام قد كان من أُولي العزم المقرّبين ودرجته بالنسبة إلى دعاء أُمّته كدرجة نبينا ﷺ بالنسبة إلى دعائنا كما يستفاد من ظاهر بعض الروايات.

وثانيها: أنّه طاب ثراه قد فسر الصّلاة بالعطاء والمنحة التي هي من آثار الرحمة والعطاء والمنحة التي نطلبها للنبيّ وأهل بيته ليست مخصوصة بما تتعلق بهم وحدهم، بل هو عطاء يزيد في علوّهم ويرفع شرفهم فوق شرف الأنبياء عليهم السلام، وأكمل هذا وأهمّه هو مقام شفاعتهم للمذنبين من أُمّتهم، ومقام شهادتهم على تبليغ سائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام كما روي في الأخبار الصحيحة ونحو هذين، وهذا الدعاء وإن كان لهم صورة إلّا أنّه في المعنى ترجع فائدته إلينا وإليهم، فإلينا بقبول شفاعتهم في حقّنا للخلاص من أليم العذاب، وإليهم بإظهار قبول شفاعتهم وحصول

ملتمسهم على رؤوس الأشهاد بحضور الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين والعباد الصالحين.

ولا ريب أن قبول الالتماس من أرفع الدرجات كما أن ردّه من أعظم النكبات ولا تظنّ أن أعلى الدرجات هو أعالي الجنان والجلوس مع الحور والغلمان فإنّ هذا من لذّات البدن وذاك من لذات الروح، وهم عليهم السلام إنّما كان مطمح أنظارهم هو طلب اللّذة المعنويّة، كما قاله سيّد الموحدين عليه أفضل التسليمات: ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك[1] وفي القرآن العزيز بعد أنّ ذكر سبحانه اللذّات الحسيّة من الأشجار والأنهار والحور والغلمان قال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، فإنّه لذة معنويّة كما عرفت والإشارة إلى نقيضه واقعة بقوله تعالى حكاية عن دخول جهنّم: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وذلك أن الخزي عذاب روحاني وحرارة نار جهنّم وما أُعد فيها من العقارب والأفاعي عَذاب جسمانيّ، والأوّل أفظع وأشدّ هولاً من الثاني ولذا لم يقل من تدخل النار فقد أحرقته أو عذّبته أو نحو ذلك.

والحاصل أن هذا الدعاء الخاصّ بالصّلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله من باب ما ورد في أدعية الصّلاة: وتقبّل شفاعته في أُمّته وارفع درجته، فإنّ رفع الدرجة وإن كان أعمّ إلا أنّه هنا كالتفسير والبيان لقبول الشّفاعة على ما عرفت مع أنّه ورد في الروايات أن معنى السلام على المعصومين عليهم السلام هو سلامتهم وسلامة دينهم وشيعتهم في زمن القائم عليه السلام هذا مما يتعلّق بالأدعية وتزيد التأثيرات فيه كما لا يخفى.

(١) هذه الكلمات الشريفة منسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام واستدلوا بها كثيراً في الكتب الإستدلالية الفقهية وغيرها ويظهر من كلمات العلاّمة الفيض الكاشاني أنّها رواية مرسلة وذكرها شيخنا الاعظم الانصاري قدس سره في كتاب الطهارة في مقام الاستدلال أيضاً ولكن لم توجد تلك الكلمات الشريفة مسنداً في الجوامع الحديثية لأصحابنا ويحتمل إنّها متخذة من بعض الروايات الواردة بذلك المضمون بعبارات مختلفة ويستظهر من ملاحظة السياق في بعض المواضع كونها مناجاة حيث أنّه وقع في أولها كلمة (إلهي) ولكن كتب الأدعية والمناجاة الموجودة بأيدينا اليوم خالية عنها. وذكر الشيخ المحدث أستاذ فن الحديث شيخنا الحر العاملي في حاشية منه في هامش الوسائل في مقدمة العبادات في باب ما يجوز قصده من غايات النية وما يستحب اختياره منها على ما في النسخة الصحيحة من الوسائل ما هذا لفظه: (يروى عن علي عليه السلام أنّه قال ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك ولا يحضرني الآن أن أحداً من أصحابنا رواه في كتاب من كتب الحديث نعم بعض المتأخرين وكأنه من روايات العامة)، والله الموفق.

وثالثها: إنّ قوله طاب ثراه وتلك الأمور موهبيّة فجاز تساويهما، يرد عليه أنّك قد فسّرت الصّلاة بالعطاءِ الّذي هو من آثار الرحمة، فنعود ونقول ما هذا العطاء وأيّ شيء ذلك العطاء الذي فضل الله فيه إبراهيم على محمّد ﷺ بل ساواه فيه؟ إن كان هو في عالم الدنيا فهذا عالم محسوس مشاهد وهو ﷺ قد فضّل على سائر الأنبياء في جميع الكمالات وإن كان في النشأة الأُخرى فقد روي أنّ الحوض والكوثر ومقام الشفاعة وقسمة الجنان والنّيران والشهادة للأنبياء بالتبليغ والسبق بدخول الجنّة وكل كمال هناك إنّما هو آيل إليه ﷺ وإلى أهل بيته من غير مشاركة أحد فأين هذا العطاء الموهبي الذي تساويا فيه مع أن المواهب التي تتفاوت فيها الدرجات إنّما تكون مسبّبة عن الأعمال والإخلاص فيها، ومن ثمَّ فضلت ضربة ابن عبد ود أعمال الأمّة إلى يوم القيامة، ولا خلاف في أن أعماله ﷺ قد فضلت أعمال الأنبياء فتكون مواهب الله سبحانه أزيد وأكثر وبالجملة اعتقادنا في هذه المسألة هو أن الصّلاة على النبيّ ﷺ مما يعود نفعها إلينا وإليه بما عرفت والله أعلم.

خاتمة هذا النور في لعن المخالفين والمتخلفين

اعلم أنّه قد ورد الخلاف هنا أيضاً وهو أن المؤمن إذا لعن من يستحقّ اللعن من ظالمي أهل البيت وغيرهم فهل يكون هذا اللعن ممّا يزيد في عذابهم أم أن الله سبحانه قد بلغ بهم إلى أقصى دركات العذاب بحيث يكون اللعن لا يزيدهم عذاباً وإنما يزيد المؤمن ثواباً؛ والأولى بل هو المستفاد من الأخبار هو أرجحيّة القول الأول، وذلك أن رئيس الظالمين هو إبليس اللعين وقد روي في وصف مجيئه إلى يحيى بن زكريّا أنّه قد كان على رأسه بيضة، فقال له يحيى عليه السلام ما هذه البيضة التي على رأسك فقال أتوقّى بها لعنات المؤمنين، وذلك أن كلّ لعنة تأتي إليّ منهم كالشّهاب الثّاقب فأتوقّى منها بهذه البيضة.

وأمّا أخوته الثلاثة المتخلّفون فمن أسباب تضاعف عذابهم بلعن اللاّعنين هو أن أسباب ظلمهم وجورهم وما أحكموه في زمانهم قد امتدّ إلى يوم القيامة على كلّ المؤمنين، ولو قلت لك إن ظلمهم على آحاد المؤمنين أعظم منه على أمير المؤمنين عليه السلام لكان قريباً من الصواب، وذلك أن اشتباه الأحكام في هذه الأيّام وانتشار أعلام الجور وانزواء الحقّ وأهله إنّما جاء من قبلهم، وكذلك استتار الأئمة عليهم السلام على ما حقّقناه سابقاً وهو الّذي أثار الفتن وصدع أركان الدين، ففي كلّ ساعة وفي كلّ لحظة يحصل للمؤمن ألم من هذه الجهات فيلعنهم، فيكون لعنه

مقارناً لإيذاء المتخلّفين له فكيف لا يكون سبباً في مزيد عذابهم بل ولو لعنهم من غير تذكر تألّم لكان كذلك أيضاً لمقارنته لحالات الظلم، ومن هذا قال الصّادق عليه السلام: والله ما أُريقت محجمة دم في الإسلام إلى يوم القيامة إلّا وهي في أعناقهما.

وفي الأخبار ما هو أغرب من هذا وهو أنّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام إذا ظهر وأتى المدينة أخرجهما من قبريهما فيعذّبهما على كل ما وقع في العالم من الظلم المتقدّم على زمانيهما كقتل قابيل هابيل وطرح إخوة يوسف له في الجبّ ورمي إبراهيم في نار نمرود، وإخراج موسى خائفاً يترقب وعقر ناقة صالح وعبادة من عبد النيران، فيكون لهما الحظ الأوفر من أنواع ذلك العذاب.

ولعلّك تقول إنّ هذا ينافي العدل إذ هما لم يحضرا تلك الأعصار، ولم يكونا من أسباب ما وقع فيها من الظّلم كما كانا أسباباً لاستمرار الظلم بعد زمانهما إلى يوم القيامة، فنقول هذا لا ينافيه بوجه، وذلك أن الله سبحانه قد أخبر النبيّ الصّادق بأنّ كل من يغصب خليفتك من بعدك، ويجترئ على ابنتك بمنعها حقها وميراثها يكون شريكاً للظّالمين في عذابهم، والنبيّ صلى الله عليه وآله قد أسمعهما مثل هذا فقدما على أسباب العذاب بعد العلم والسّماع من الصّادق الأمين باختيار منهما، فيكون ذلك العذاب قد استحقّاه وقبلاه، فلا يكون من أنواع الظّلم في شيء، وليس إلا من قبيل تخليد الكفّار في النّار إلى ما لا نهاية له مع أن أعمارهم التي كانت مدة زمان كفرهم أقلّ قليل.

وذلك أن الله سبحانه قد قرّر مثل هذا العذاب بإزاء تلك المعصية وطول زمان المعصية وقصره مما لا مدخل له في طول العذاب وقصره، وكذلك أزمنة الطاعات والثواب المترتب على فعلها.

نور في ابتداء خلق الدنيا

روى الثقات من أصحابنا عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ موسى سأل ربّه عزّ وجلّ أن يعرّفه بدء الدنيا منذ كم خلقت فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام تسألني عن غوامض علمي، فقال يا ربّ أُحبّ أن أعلم ذلك، فقال تعالى يا موسى خلقت الدنيا منذ مائة ألف عام عشر مرّات وكانت خراباً خمسين ألف عام ثمّ بدأت في عمارتها فعمرتها خمسين ألف عام، ثمّ خلقت فيها خلقاً على مثال البقر يأكلون رزقي ويعبدون غيري

خمسين ألف عام ثمَّ أفنيتهم كلهم في ساعة واحدة، ثمَّ خربت الدنيا خمسين ألف عام ثمَّ بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام ثمَّ خلقت فيها بحراً فمكث البحر خمسين ألف عام ثمَّ خلقت دابّة وسلّطتها على ذلك البحر فشربته في نفس واحد، ثمَّ خلقت خلقاً أصغر من الزنبور وأكبر من البق، فسلّطت ذلك الخلق على هذه الدابّة فلدغها وقتلها فمكثت الدنيا خراباً خمسين ألف عام، ثمَّ بدأت في عمارتها فمكثت خمسين ألف سنة، ثم خلقت الدنيا كلها آجام القصب وخلقت السلاحف وسلّطتها عليه، فأكلها حتى لم يبق منه شيء ثمّ أهلكتها في ساعة واحدة، فمكثت الدنيا خراباً خمسين ألف عام، ثمَّ بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام ثمَّ خلقت ثلاثين آدم في ثلاثين ألف سنة من آدم إلى آدم ألف سنة، فأفنيتهم كلهم بقضائي وقدري، ثمَّ خلقت فيها خمسين ألف ألف مدينة من فضّة بيضاء، وخلقت في كلّ مدينة مائة ألف قصر من الذهب الأحمر، فملأتها خردلاً وكان الخردل يومئذ ألذّ من الشهد وأحلى من العسل وأبيض من الثلج ثمَّ خلقت طيراً واحداً أعمى وجعلت رزقه في كلّ سنة حبّة من خردل فأكلها حتّى فنيت، ثم خربتها فمكثت خراباً خمسين ألف عام ثمَّ خلقت أباك آدم عليه السلام بيدي يوم الجمعة وقت الظهر ولم أخلق من الطين غيره وأخرجت من صلبه النبيّ صلى الله عليه وآله.

أقول المراد بالدنيا في هذا الحديث هو ما سوى الله سبحانه من أصناف المخلوقات كلّها فتشمل الأفلاك والعناصر والنفوس الناطقة وغيرها، وهذا هو مذهب كافّة أهل الملل كالمسلمين واليهود والنصارى والمجوس، وأما حكماء الفلاسفة فقد ذهبوا في القدم والحدوث إلى مذاهب كثيرة، فذهب أرسطو ومن تبعه من متأخري الفلاسفة كالفارابي وابن سينا إلى أن الأجسام قديمة بذواتها وصفاتها، وتفصيل مذهبهم أنّهم قالوا الأجسام تنقسم إلى فلكيات وعنصريات أما الفلكيات فإنها قديمة بموادّها وصورها الجسميّة والنوعية وأعراضها المعيّنة من المقادير والأشكال وغيرها إلاّ الحركات والأوضاع الشخصيّة فإنها حادثة قطعاً، ضرورة أن كل حركة مسبوقة بأُخرى لا إلى نهاية، وكذا الأوضاع المعيّنة التابعة لها، وأما مطلق الحركة والوضع فقديم أيضاً لأن مذهبهم أن الأفلاك متحرّكة حركة مستمرّة من الأزل إلى الأبد بلا سكون أصلاً.

وأمّا العناصر فقديمة بموادّها وصورها الجسمية بنوعها، وذلك لأنّ المادّة لا تخلو عن الصورة الجسميّة التي هي طبيعة واحدة نوعية لا تختلف إلاّ بأمور خارجة

عن حقيقتها يكون نوعها مستمر الوجود بتعاقب أفرادها أزلاً وأبداً، وبصورها النوعيّة بجنسها وذهب بعضهم إلى أنّها قديمة بذواتها محدثة بصفاتها، وهو قول من تقدّم أرسطو من الحكماء وهؤلاء قد اختلفوا في تلك الذوات القديمة فمنهم من قال إنّه جسم واختلف في ذلك الجسم أيّ الأجسام هو، فقال ثاليس الملطي إنّه الّذي هو المبدع الأوّل، ومنه أبدع الجواهر كلها من السماء والأرض وما بينهما، وقال صاحب الملل والنحل وكأنّه أخذ مذهبه من الكتب الإلهية، ففي التوراة أن الله تعالى خلق جوهرة ونظر إليها نظر الهيبة فذابت وصارت ماء فحصل البخار وظهر على وجهها بحسب الحركة زبد وارتفع منها دخان وحصل من زبدها الأرض ومن دخانها السماء، وقيل الأرض، وحصلت البواقي بالتلطيف وقيل النار، وحصلت البواقي بالتكثيف وقيل البخار وحصلت العناصر بعضها بالتلطيف وبعضها بالتكثيف وقيل الخليط من كل شيء لحم وخبز وغير ذلك، ومنهم من قال إنّه ليس بجسم، فقالت الثنويّة من المجوس النور والظلمة، فإنّهما قديمان وبدء العالم من امتزاجهما، وقال الحرنانيون منهم القائلون بالقدماء الخمس النفس والهيولى وقد عشقت النفس بالهيولى لتوقف كمالاتها عليها فحصل من اختلاطهما أنواع المكوّنات، وقيل هي الوحدة فإنّها تحيّرت وصارت الواحدات نقطاً ذوات أوضاع واجتمعت النقط فصارت خطّاً، واجتمعت الخطوط فصارت سطحاً واجتمعت السطوح فصارت جسماً وذهب جالينوس إلى التوقّف في الكلّ إذ يحكى عنه أنّه قال في مرضه الذي توفي فيه لبعض تلامذته اكتب عنّي أنّي ما علمت أن العالم قديم أو حادث وأنّ النفس الناطقة هي المزاج أو غيره، وقد طعن فيه أقرانه بذلك حين أراد من سلطان زمانه تلقيبه بالفيلسوف، هذا محصّل مقالتهم وأمّا الشبه التي استندوا إليها في تصحيح هذه المذاهب الفاسدة فمذكورة في كتب الحكمة وكذا الأجوبة عنها.

فإن قلت لعلّه قد روي في الأخبار أنّ الله تعالى لم يزل خلاّقاً وهذا الحديث بظاهره ينافي الحدوث قلت الجواب عنه من وجهين الأوّل أنّ معناه والله أعلم أنّه لم يزل متّصفاً بهذه الصّفة وهو صفة الخلاقيّة باعتبار القدرة على الخلق، فإنّ القادر على الشيء يوصف به وإن لم يصدر منه ذلك الفعل ويدل عليه ما روي في الأخبار: وكان خالقاً إذ لا مخلوق وعالماً إذ لا معلوم وقادراً إذ لا مقدور والثاني أنّ الخلق بمعنى الإيجاد تارة، وبمعنى التقدير أُخرى وفي المثل إنّي إذا خلقت فريت أي إذا قدرت أمضيت قال الصدوق طاب ثراه: وفي قول أئمتنا عليهم السلام إنّ أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين وخلق عيسى عليه السلام من الطين كهيئة الطير، وخالقه

في الحقيقة الله عَزَّوَجَلَّ أقول وعلى هذا ينزل قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] وهذا في الحقيقة، راجع إلى العلم، فإنّه عزّ سلطانه قد علم بالمخلوقات قبل إيجادها كعلمه بعد إيجادها.

وأما قوله سبحانه في الحديث القدسي: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت لأُعرف، فالخلق في قوله فخلقت بمعنى الإيجاد، وقد أُورد على هذا الحديث إشكال وحاصله أن الخفاء لا يكون إلاّ مع وجود أحد يخفى عليه الشيء حتى يتّصف ذلك الشيء بالخفاء، كما يقال هذا الشيء مخفيّ عن فلان، وخفي عليه الشيء الفلاني ولم يكن في عالم الأوّل مخلوق حتى يتّصف سبحانه بالخفاء فكيف قال مخفيّاً والجواب عن هذا الإشكال من وجهين:

الأوّل: إنّ أرباب اللغة قد صرحوا بأنّ خفيَ بمعنى ظهر قال في الصحاح نقلاً عن الأصمعي خفيت للشيء أُخفيه كتمته، وخفيته أيضاً أظهرته وهو من الاضداد ونقل عن أبي عبيدة أيضاً مثله، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ [طه: ١٥] في قراءة من قرأ بفتح الهمزة أي أُظهرها وفي نهاية ابن الأثير فالمعنى حينئذ إنّي كنت كنزاً ظاهراً فخلقت الخلق ليعرفوني على هذا الظهور الذي أنا عليه، ولو لم أكن بهذه الغاية من الظهور لما توصلوا إلى معرفتي بعد خلقي إيّاهم. الثاني أن يكون الخفاء بمعناه الآخر وهو الأنسب بالكنز ولكن المبادىء إنّما تطلق عليه سبحانه باعتبار غاياتها ولوازمها ومعناه حينئذ إني كنت كنزاً مستوراً ومحتجباً تحت سرادق العز والجلال فأحببت أن أبرز من تحت هذا الحجاب، فخلقت الخلق وأظهرت نفسي لهم من تحت السرادقات ليعرفوني فإنّه سبحانه لمّا خلق مخلوقاته تنزّل من ذلك الحجاب إلى غاية الظهور وأزال الموانع التي لو بقيت بعد خلق الخلق على ما كانت عليه قبله لم تصل إلى أقرب درجة من مراتب معرفته العقول الطامحة بل انبسط معهم في الخطاب وعاتبهم على ما جنوا أرفق عتاب، فقال عزّ من قائل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقال: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، حتى قالت المنافقون واليهود إن ربّ محمّد قد افتقر، وإنه صار عاجزاً فطلب النصر فقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: استقرضكم وله خزائن السمٰوات والأرض، واستنصركم وله جنود السمٰوات والأرض وفي الحديث القدسي: يابن آدم ما أقلّ حياءك! اتحبّب إليك بالإحسان

وتتبغّض إلي بالمعاصي، خيري إليك نازل وشرّك إليّ صاعد حتى كأني المحتاج إليك وأنت الغني عني، ويكفيك في لطيف خطابه قوله: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠]، إلى غير ذلك من الآيات والأخبار وهو الّذي أطلع أبناء التراب على جناب قدسه العزيز وأدناهم إلى حماه المكين الحريز حتّى أسند صفاته المتعالية إليهم وأفعالهم الحميدة إليه مع نقصها عن قابليّة الكمال.

روي في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول يوم القيامة: يابن آدم مرضت فلم تعدني، قال يا ربّ كيف أعودك وأنت ربّ العالمين قال أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنّك لو عدته لوجدتني؟ يابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا ربّ وكيف أُطعمك وأنت ربّ العالمين قال أما علمت أنّه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنّك لو سقيته لوجدت ذلك عندي وأمثال ذلك من الأخبار كثيرة.

نور سماوي يكشف عن ابتداء خلق السموات وكيفيتها وما يتبع ذلك

اعلم وفّقك الله أنّ الفلاسفة وجمعاً كثيراً من علماء الإسلام قد مهّدوا أصلاً فاسداً ولفّقوا له دلائل أوهن من بيت العنكبوت وبنوا عليه فروعاً كثيرة لا تكاد تحصى وذلك أنّهم نظروا إلى أن الله تقدّس وتعالى[1] واحد حقيقي من جميع الجهات ليس للتركيب فيه مدخل بوجه من الوجوه لا خارجاً ولا عقلاً ولا وهماً ولا غير ذلك لأنّ كل مركب محتاج إلى أجزائه التي تركّب منها وأطالوا في البراهين على هذا، والبرهان الذي ذكرنا في أول هذا الكتاب متناول له أيضاً كما لا يخفى، فلما ثبتت وحدته الحقيقيّة قالوا إنّ هذا الواحد الحقيقي لا يجوز أن يكون مبدأً إلاّ لفعل واحد وإلا لزم تعدّد الجهات فيه، فذهبوا إلى أن الصادر منه جوهر واحد وهو العقل الأول فهو مخلوقه لا غير، وذلك أنّه واحد فلا يصدر منه إلاّ واحد وهذا الصّادر

---

(١) ليت المصنف قدس سره لم يتعرض لهذه المباحث العقلية المهمة في كتابه لكونها خارجة عن فنه الّذي نشأ عليه وتدخل في العلم الّذي لم يكن متخصصاً فيه وبسبب ذلك تحامل على عدة من معاصريه وحكم في تضاعيف كلماته - كما يأتي - على خروج جمع من أهل عصره عن الدين من حيث لا يشعرون مع إنّ البحث في المطالب العلمية غير مقام الاعتقاد.

الأول له اعتبارات ثلاثة وجوده في نفسه ووجوبه بالغير وإمكانه لذاته فيصدر عنه بكلّ اعتبار أمر فباعتبار وجوده يصدر عقل وباعتبار وجوبه يصدر نفس وباعتبار إمكانه يصدر جسم هو الفلك الأول، وكذلك يصدر من العقل الثاني عقل ثالث ونفس ثانية وفلك ثان وهكذا إلى العقل العاشر الّذي في مرتبة التاسع من الأفلاك، وهو فلك القمر ويسمّى العقل الفعّال المؤثّر في هيولى العالم السفليّ المفيض للصور والنفوس على البسائط وعلى المركّبات بحسب الاستعدادات المسبّبة عن الحركات الفلكيّة والاتّصالات الكوكبيّة، ويلزم على هؤلاء أن هذه الاعتبارات إن كانت وجوديّة فلا بدّ لها من مصادر متعددة، وإلا بطل أصلهم، وهو أن الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد، وإن كانت اعتباريّة امتنع أن تصير جزءاً مصوراً لأمور وجوديّة، فإن أُجيب بأنّها ليست جزءاً من المؤثر، بل هي شروط التأثير والشرط قد يكون أمراً اعتبارياً، قلنا فليكن هذه الاعتبارات من السلوب والإضافات عارضة للمبدأ الأوّل فيكون بحسبها مصدراً لأمور متعددة كالمعلول الأوّل، فيبطل ما ذهبوا إليه، مع أنّ إسناد الفلك الثامن مع ما فيه من الكواكب المختلفة المقادير المتكثّرة كثرة لا تحصى إلى جهة واحدة في العقل الثاني كما زعموه مشكل جدّاً كما قيل وكذلك إسناد الصور والأعراض التي في عالمنا هذا مع كثرتها إلى العقل الفعّال أشكل من الأوّل كما لا يخفى.

وبالجملة فهذه العقول العشرة عندهم أنّها جواهر مجرّدة عن المكان والمدّة والمادّة فهذه السماوات التي تمدح الله عزّوجلّ بخلقها نسبوها إلى أمر وهمي لم يتمّ عليه دليل عقل كما اعترف به المحققون، والأدلة النقليّة من الكتاب والسنّة والإجماع والدليل العقليّ أيضاً ينادي بتكذيبه وأنّه لا مؤثّر في إيجاد الموجودات إلاّ الله سبحانه ولعمرك إن هذه الطائفة أشرّ من المجوس فإنّ المجوس أثبتوا له سبحانه شريكاً يفعل الشرّ سموه أهرمن وهو بلغتهم الشيطان، وفاعل الخير هو يزدان وهو بلسانهم الواجب تعالى، فقد أثبتوا له كلّ أفعال الخير وأما المشركون بالأصنام فقد حكى الله سبحانه عنهم ما اعتقدوه، حيث قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وكذلك سائر طوائف الكفّار على ما سيأتي إنّ شاء الله تعالى عند ذكر الفرق الإسلاميّة وغيرها، وهؤلاء الحكماء الذين بلغوا من مراتب الإدراك إلى أن قالوا إنا لا نحتاج إلى إرسال الأنبياء عليهم السلام إنّما يرسلهم الله تعالى إلى أهل العقول الناقصة وأمّا نحن فقد كملت أحلامنا وعقولنا قد عزلوا الله سبحانه عن عالم ملكوته كلاً ورأساً وليتهم ذهبوا إلى ما ذهبت إليه المجوس وطوائف الكفّار،

والعجب أنّ جماعة من أهل عصرنا ممّن يتديّن بدين الإسلام قد وافقوهم على هذه الهفوات وخرجوا عن الدين من حيث لا يشعرون وهذا كلّه إنّما جاء من جهة التعويل على العقول الناقصة.

وأمّا المتأخرون من الحكماء ومن حذا حذوهم من طوائف المسلمين فلمّا رأوا قول قدمائهم بمكان من الشرك والبعد عن قول أهل الملل والأديان أوّلوا قول قدمائهم وقالوا لا مؤثّر في الوجود إلاّ الله معناه أن تلك العقول المجردة هي آلات ووسائط بين الله سبحانه وبين مخلوقاته تسبّب بها إلى خلق ما خلق كما يتسبّب النجّار إلى قطع خشبته بالمنشار وكالوالدين في حصول الأولاد وهذا تأويل لكلام من لا يرضى به وقد صرّح بخلافه مع أنّ مفاسده كثيرة لا تحصى.

وأعجب من هذا كلّه أنّ من وافق الفلاسفة من علماء الإسلام كيف غفل عن هذا المعنى وهو أنّ كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم لم تهمل شيئاً ممّا يحتاج إليه الخلق وممّا لا يحتاجون إليه حتى إنّ الأئمة عليهم السلام رووا في أدنى الأمور كالكنيف وأضرابه ضروباً من الأخبار عن جدّهم صلى الله عليه وآله، وذكروا آداب الأكل والشرب والجلوس إلى غير ذلك وأهملوا هذا الأمر العظيم الذي يدور عليه مدار الخلق والإيجاد، وبه يتحقق الكفر والإلحاد، وكيف لم تذكر هذه العقول وأفاعيلها في آية من الآيات ولا في حديث من الأحاديث ولا في تاريخ من التواريخ، ولا نقله خلف عن سلف وكذا ما سيأتي من اعتقادات الحكماء ومتابعيهم من أهل الإسلام كيف أهملها الشارع ولم يتعرّض لها بوجه من الوجوه.

ومن الطرائف في هذا المقام أن أنجس المخلوقات وأدناها شرفاً هو الكلب مع أنّه سبحانه لمّا أمر صاحبه بتعليمه للصيد لم يرض له بتعليم صاحبه الذي يعلّمه، بل قال عزّ من قائل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [المائدة: ٤] أي من العلم الذي أمركم على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله أن تعلموه الكلاب من اتباع الكلب الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره، ولا يعتاد أكل ما أمسكه، وقوله: «مكلّبين» مشتقّ من الكلب، أي حال كونكم صاحبي كلاب أو معلّمي كلاب فإذا لم يحسن في الشرع تعليم الكلب إلّا من العلوم الإلهيّة فكيف جاز لكم أيّها الحكماء والعلماء أن تعلّموا الإنسان الذي هو أشرف المخلوقات الذي تمدح الله عند تمام خلقه بقوله: فتبارك الله أحسن الخالقين، العلم الذي توهّمته عقولكم وحصلته أوهامكم وزعمتم أنّه علم ولم يذكر في شيء من الكتب السماويّة وما سمعنا أيضاً الهيولى والصورة ولا الجزء الذي لا

يتجزّأ في شيء من الأخبار[١] وإن هذا أقلّ فساداً مما تقدّم.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الأفلاك التي أثبتها الحكماء والرياضيّون بالأرصاد بسبب اختلاف الحركات تسعة أفلاك كليّة. ولكنّها تشتمل على أفلاك جزئيّة وأوّل تلك الكلّيّات عندهم هي فلك الأفلاك[٢] وهو المسمى عندهم بالفلك الأطلس، لأنه غير مكوكب قالوا وهذا هو الذي يسمى بالعرش المجيد في لسان الشرع، وتحته فلك الثوابت قالوا وهو المسمّى بالكرسي في الشرع، ثم فلك زحل ثم فلك المشتري ثمَّ فلك المرّيخ ثمَّ فلك الشمس ثمَّ فلك عطارد، ثمَّ فلك القمر وهو السماء الدنيا، قالوا دلّ على ترتيبها الحجب فما هو أسفل يحجب ما هو أعلى، أي يصير ساتراً له عنّا إذا وقع على محاذاته، فإنّهم وجدوا القمر يحجب سائر السيّارة فعلم أنّه تحت الجميع ووجدوا عطارد يكسف الزهرة والزهرة المريخ والمرّيخ المشتري، والمشتري زحل وزحل بعض الثوابت.

وأما الشمس فإنها لا تنكسف إلاّ بالقمر ولا يتصوّر كسفها بشيء من الكواكب لأنّها تستتر بشعاعها إذا قربت منها لكن لها اختلاف المنظر دون العلويّة فهي تحتها وفوق القمر وبقي الاشتباه في أنّها فوق الزهرة وعطارد أو تحتهما إذ لا سبيل إلى

---

(١) عدم سماع الهيولى والصورة ولا الجزء الّذي لا يتجزأ في شيء من الأخبار لا يدل على عدم وجودها وعدم البيان في الأخبار لعدم كونها من أهداف الإسلام المقدسة كما هو شأن العلوم التي لم تكن من أغراض الدين والقرآن المبين.
قال أستاذنا الإمام كاشف الغطاء قدس سره: (الإسلام عقيدة وعمل يعني تهذيب للروح وتكميل للقوة العاقلة ولا علاقة له بالعلوم الطبيعية وخواص المادة، والمهمة التي جاءت بها الأديان ونزلت بها الكتب هي معالجة النفوس من الأمراض الخبيثة التي هي السبب الوحيد في ما يقع في الحياة الاجتماعية من الشرور وسفك الدماء كالحسد، والحرص، والطمع، والشهوة، ونظائرها وتبديلها باضدادها الموجبة للصحة والاستقامة وتعديل القوتين الغضبية والشهوية هذه هي مهمة الشرائع والأديان وأساس كلّ ذلك هو رسوخ الاعتقاد بالمبدأ المقدس الصانع والدينونة بأنّ من يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره.

(٢) جميع ما ذكره المصنف في هذا المقام وفيما يأتي مبني على الهيئة القديمة البطليموسية التي كانت مسلمة في عصره ولذا لم نتعرض لكلماته بالرد والانتقاد أو لبيان الصحة والسداد.
وتطبيق السماوات التي نطق بها القرآن الكريم مع الأفلاك التي تقول بها الهيئة القديمة وكذا تطبيقها مع الهيئة الجديدة - بل هي قديمة أيضاً - كلّ ذلك من الحدسيات ولا تطمئن النفس بها ولا فائدة فيها إلا لمن ارتكز في ذهنه إحدى الهيئتين واعتقد بإحداهما اعتقاداً راسخاً إما اجتهاداً أو تقليداً.

معرفة ذلك من الكسف لما عرفت من احتراقهما تحت الشعاع عند القران فلذلك عدل بطليموس إلى طريقة الاستحسان فقال هي كشمسة القلادة متوسطة بين السبعة السيّارة أعني بين العلويّة وبين السفليتين والقمر وقد زعم مؤيد الدين العرضي المهندس أن فلك الزهرة دون فلك عطارد، وفوق فلك الشمس، وزعموا أن هذه الأفلاك لها نفوس درّاكة في نهاية الإدراك وأنّ هذه الأفلاك عندهم أكمل من الأنبياء لأن شرف العناصر عندهم إنّما هو للتشبيه بالأفلاك، وقد سأل بعض تلامذة المولى صدر الدين الشيرازي المولى المذكور عن الأفلاك هل لها نفوس ناطقة أم لا فأجابه بأنه إذا كنت أنت على هذه الحالة الحقيرة من صغر البدن وقلّة الكمالات لك نفس ناطقة فكيف لا يكون للأفلاك نفوس ناطقة مع ما هي عليه من العظمة والجلالة، وزعموا أن حركاتها إراديّة اختياريّة، فصار الحاصل من هذا كلّه أن مذهبهم هو أنّ هذه الأفلاك بسائط لها نفوس ناطقة وحركات إراديّة اختياريّة وهذا كله مخالف لما ورد عن الأئمة الطاهرين عليهم أفضل الصلوات وهم أعلم بالأفلاك وغيرها من بطليموس وغيره، وكان علي عليه السلام يقول سلوني عن طرق السماوات فإنّي أعرف بها منّي بطرق الأرض، وذلك أنّهم علموها بالحسّ والعيان كما في الأخبار المستفيضة عنهم عليهم السلام من أن أرواحهم تزور العرش في كل ليلة جمعة، وأنّهم يستفيدون علوماً جديدة في كل زيارة، وهؤلاء الحكماء قد أخذوا ما قالوه عن آرائهم وعقولهم أو بالسماع من أمثالهم، وليس الرائي كالسامع فلنشرع في ما أردنا بيانه ولنذكر بعض الأخبار ليتضح بها الحال فنقول:

روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى الرضا عليه السلام قال كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في مسجد الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام فقال يا أمير المؤمنين إنّي أسألك عن أشياء فقال سل تفقّهاً ولا تسأل تعنّتاً، وأحدق النّاس بأبصارهم فقال أخبرني عن أوّل ما خلق الله تبارك وتعالى: قال خلق النور، قال: ممّ خلق السمٰوات قال: من بخار الماء قال: فممّ خلقت الأرض قال من زبد الماء، قال: فممّ خلقت الجبال قال من الأمواج، قال: فلم سميت المكّة أم القرى قال لأنّ الأرض دحيت من تحتها وسأله عن سماء الدنيا ممّ هي قال من موج مكفوف وسأله عن طول الشمس والقمر وعرضهما قال تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ وسأله كم طول الكوكب وعرضه، قال إثنا عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً وسأله عن ألوان السمٰوات السبع وأسمائها، فقال اسم السماء الدنيا رفيع وهي من ماء ودخان واسم السماء الثانية قيدوم وهي على لون النّحاس، والسماء الثالثة اسمها المادوم وهي

على لون الشبه والسماء الرابعة اسمها أرقلون وهي على لون الفضّة. والسماء الخامسة اسمها هيعون وهي على لون الذهب والسماء السادسة اسمها عروس وهي ياقوتة خضراء، والسماء السابعة اسمها عجماء وهي درّة بيضاء وسأله عن المدّ والجزر ما هما قال إنّ الله تعالى ملكاً موكّلاً بالبحار يقال له رومان فإذا وضع قدميه في البحر فاض الماء، وإذا أخرجهما غاض وسأله لم صار الميراث للذكر مثل حظّ الانثيين قال لأنّ السنبلة كان عليها ثلاث حبّات فبادرت إليها حواء فأكلت منها حبّة واطعمت آدم حبتين فمن ذلك ورث الذكر مثل حظّ الأُنثيين وسأله عن أول من قال الشعر فقال آدم فقال وما كان شعره قال لمّا نزل إلى الأرض من السّماء فرأى تربتها وسعتها وهواءها وقتل قابيل هابيل فقال آدم:

تغيّرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبّر قبيح
تغيّر كلّ ذي لون وطعم وقلّ بشاشة الوجه المليح

فأجابه إبليس:

تنحّ عن البلاد وساكنيها فبي في الخلد ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في قرار وقلبك من أذى الدنيا مريح
فلم تنفك من كيدي ومكري إلى أن فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبّار أضحى بكفّك من جنان الخلد ريح

وسأله عن بكاء آدم على الجنّة وكم كان دموعه التي خرجت من عينه، قال بكى مائة سنة وخرج من عينه اليمنى مثل دجلة ومن عينه اليسرى مثل الفرات[1] وسأله عن

(١) هذا الخبر طويل رواه الشيخ الصدوق رحمه الله في عيون أخبار الرضا عليه السلام انظر ص ١٣٧ ونقل مقداراً منه في الخصال ووزعه المحدث المجلسي رحمه الله في البحار على الأبواب المناسبة له ونقله برمته في المجلد الرابع من طبع أمين الضرب في باب أسئلة الشامي انظر ص ١١٠ وقوله خرج من عينه اليمنى مثل دجلة ومن عينه اليسرى مثل الفرات موجود في نسخة العيون المطبوعة في سنة (١٣١٧هـ) بايران والظاهر أنه - على تقدير وجوده في نسخة العيون - مجاز وتمثيل وكناية من كثرة بكاء آدم عليه السلام كما إنّ في بيان ألوان السماوات وأسمائها إشارات إلى بعض المعاني وذكرها أمير المؤمنين عليه السلام على حسب فهم السائل ولكن في النسخة المطبوعة من العيون في سنة (١٢٧٥هـ) على الحجر بايران أيضاً كتب من قوله وسأله عن بكاء آدم عليه السلام إلى قوله مثل الفرات علامة النسخة يعني إنّ هذه الفقرات غير موجودة في نسخ العيون إلاّ في بعضها. =

أوّل من وضع سكك الدراهم والدنانير فقال نمرود بن كنعان بعد نوح عليه السلام وسأله عن معنى هدير الحمام الراعبيّة فقال تدعو على أهل المعازف والقيان والمزامير والعيدان وسأله ما بال الماعز بادي العورة فقال لأنّ الماعز عصت نوحاً عليه السلام لمّا أدخلها السفينة فدفعها فكسر ذنبها والنعجة مستورة العورة لأن النعجة بادرت بالدخول إلى السفينة فمسح نوح عليه السلام يده على حيائها وذنبها فاستوت الألية، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة وغيرها، وتفصيل كلام أمير المؤمنين عليه السلام هنا ما رواه رئيس المحدّثين الشيخ الكليني طاب ثراه بإسناده إلى محمّد بن عطية، قال جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام من أهل الشام من علمائهم، فقال يا أبا جعفر جئت أسألك عن مسألة فأجابه عليه السلام وساق الكلام إلى أن قال، ولكنّ الله كان إذ لا شيء غيره وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء الذي خلق الأشياء منه وحلق الريح من الماء ثمّ سلّط الريح على الماء فشققت الريح متن الماءِ حتّى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقيّة ليس فيها صدع ولا ثقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجر، ثمَّ طواها فوضعها فوق الماءِ ثمَّ خلق الله النار من الماء فشققت النار متن الماء حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أنّ يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقيّة ليس فيها صدع ولا ثقب، وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥] ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٢٨-٣٠]، قال ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب ثمَّ طواها فوضعها فوق الأرض، ثمَّ نصب الخليقتين فرفع السماء قبل الأرض، وذلك قوله عزَّ ذكره: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، يقول بسطها فقال له الشامي يا أبا جعفر قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فقال له أبو جعفر عليه السلام فلعلّك تزعم أنهما كانتا رتقاً ملتزقتين ملتصقتين ففتقت إحداهما عن الأُخرى، فقال نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام استغفر ربك فإن قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾، يقول كانت السماء رتقاً لا تنزّل المطر،

= وذكر العلاّمة المجلسي رحمه الله هذا الخبر في البحار في باب الاحتجاجات في الموضع الّذي أوعزنا إليه نقلاً عن العيون وعلل الشرائع وليس فيه من قوله وسأله عن بكاء آدم إلى قوله مثل الفرات عين ولا أثر وأيضاً هذه الفقرات غير موجودة في العلل انظر ص ١٩٩ فيظهر من ذلك إنّ هذه الزيادة غير موجودة في النسخ الصحيحة من العيون والحاصل أنّه بعد البحث والتنقيب وإمعان النظر الدقيق يظهر إنّ الخبر مع ضعف في سنده لا يخلو من دس في متنه والله العالم.

وكانت الأرض رتقاً لا تنبت الحبّ فقال الشامي أشهد أنك من أولاد الأنبياء وأن علمك علمهم[١] وفي هذا الحديث دلالة على أنّ السمٰوات خلقت من الدخان كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، والأخبار في هذا المعنى كثيرة جدّاً ويدل أيضاً على أنّ الأرض مخلوقة زبد الماء.

والأخبار الكثيرة أيضاً دالّة عليه. روى عليّ بن إبراهيم في تفسيره أنّه قال أبو عبد الله عليه السلام لأبرش الكلبي يا أبرش هو كما وصف نفسه، كان عرشه على الماء والماء على الهواء، والهواء لا يحدّ ولم يكن يومئذ خلق غيرها، والماء يومئذ عذب فرات، فلمّا أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء، حتّى صارت موجاً ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد ثمّ دحا الأرض من تحته، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦]، وفي ذلك التفسير فسلّط العقيم على الماء فضربته فأكثرت الموج والزبد وجعل يثور دخانه في الهواء فلما بلغ الوقت الذي أراد به قال للزبد اجمد فجمد وقال للموج اجمد فجمد، فجعل الزبد أرضاً وجعل الموج جبالاً رواسي للأرض.

وبالجملة فالمحصّل من هذه الأخبار أنّ الماء أول مخلوق من هذه الأجسام كما تقدم في أوّل الكتاب وخلق من ذلك الماء الدخان الذي أثار منه السمٰوات كما أن خلق الأرض سابقاً على السماء إنّما هو من ذلك الزبد والمراد بالسماوات هنا السبع وإلاّ فالكرسيّ والعرش يأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى وفي قوله عليه السلام فرفع السماء قبل الأرض (اه) دفع لما توهمه بعض الملاحدة من التناقض بين الآيات في تقديم خلق السماوات على الأرض أو بالعكس فإنّ ظاهر هذه تقدّم خلق السماء لمكان قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد رفع السماء ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] وسوّاها وظاهر آيتين في القرآن العكس من هذا.

أما الأولى فقوله تعالى: ﴿لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

(١) الكافي ج ٨ ص ٦٦ ح ٦٧.

وأمّا الثانية فقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وحاصل الجواب الذي أشار إليه عليه السلام هو أنّ الله سبحانه خلق مادة الأرض وهي الزبد قبل خلق الدخان الّذي خلق منه السماء فلمّا خلق السماء من ذلك الدخان رجع إلى تسطيح الأرض ودحوها فدحاها ووسعها، ولم يكن قبل هذا الدحو إلاّ الأرض التي هي موضع الكعبة الآن ومنه سميت مكّة أم القرى لأنّ أرضها مادة لكلّ الأراضي، فتقدّم كلّ من السماء والأرض على الآخر باعتبار فلا تناقض.

وأُجيب عن رفع التنافي أيضاً بأنّ كلمة بعد في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، ليست للتأخر الزماني بل إنّما هو على جهة تعداد النعم والإذكار لها كما يقول القائل أليس قد أعطيتك وفعلت بك كذا وكذا، وبعد ذلك خالطتك، وربّما يكون بعض ما تقدّمَ في اللّفظ متأخّراً بحسب الزمان لأنّه لم يكن الغرض الإخبار عن الأوقات والأزمنة بل المراد ذكر النعم والتنبيه عليها وربّما اقتضت الحال إيراد الكلام على هذا الوجه وقد مال بعض أساتيدنا إلى أن وجه الجمع هو أنّ تسوية السماء التسوية المطلقة متقدّمة على دحو الأرض وأمّا تسويتها سبعاً فمتأخرة عنه، وقيل فيه وجوه أُخرى والمعوّل على ما أشار إليه الإمام عليه السلام.

فإن قلت الحكم بأنّ الماء أوّل مخلوق من الأجسام ينافي ما ورد في التوراة وما في تفسير عليّ بن إبراهيم الّذي لم يأخذ كلامه في ذلك التفسير إلاّ من الأخبار أما الّذي وجد في التوراة فهو أن مبدأ الخلق هو أنّ الله سبحانه وتعالى خلق جوهرة ثمَّ نظر إليها نظر الهيبة فذابت أجزاؤها فصارت ماء، فثار من الماء بخار كالدّخان فخلق منه السمٰوات، وظهر على وجه الأرض مثل زبد البحر فخلق منه الأرض ثمَّ أرساها بالجبال.

وأمّا الّذي ذكره عليّ بن إبراهيم قدّس الله روحه فقد ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، قال وذلك في مبدأ الخلق أن الربّ تبارك وتعالى: خلق الهواء ثم خلق القلم فأمره أن يجري فقال يا ربّ بما أجري فقال بما هو كائن ثمَّ خلق الظلمة من الهواء وخلق النور من الهواء، وخلق الماء من الهواء، وخلق العرش من الهواء، وخلق العقيم من الهواء، وهو الريح الشديد، وخلق النار من الهواء، وخلق الخلق كلّهم من هذه الستّة التي خلقت من الهواء.

قلت قد ذكرنا سابقاً الوجه في الجمع بين أسبقية الهواء على الماء بأنّ أسبقية

الماء إضافيّة بالنسبة إلى محسوسات الأجسام والهواء ليس بمحسوس، ومن ثمّ أنكر بعضهم وجوده بقي الكلام في الدرّة والهواء فيجوز أن يكون سبحانه قد كوّن الدرّة من الهواء فخلق الماء من الدرة هو خلق الماء من الهواء لانتهائه إليه فتأمّل، ولم يوافق الشرع من الحكماء على هذه المقالة سوى ثاليس الملطي الاسكندراني فإنّه قال بعد أن وحّد الصانع ونزّهه: لكنّه أبدع العنصر الّذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها وهو المبدع الأول وهو الماء ومنه أنواع الجواهر كلّها من السماء والأرض وما بينهما وذكر أن من جمود الماء تكوّنت الأرض ومن انحلاله تكوّن الهواء ومن صفوته تكوّنت النّار ومن الدخان والأبخرة تكونت السماء، وفي قوله عليه السلام في الخبر الأوّل: استغفر ربّك إلى آخر كلامه إبطال لما ذهب إليه الحكماء ومتابعوهم من علماء الإسلام من أصلين أصيلين بزعمهم.

الأوّل: إنّ الفلك عندهم لا يقبل الخرق ولا الألتيام فإن فتقه بالأمطار خرق له ومعراج نبيّنا صلى الله عليه وآله ببدنه الشريف سبع مرّات ممّا يبطله أيضاً وتأويلهم له بالمعراج الروحي زندقة وإلحاد[1] وأمّا الأمطار فمن أماكن مختلفة يأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى في نور المطر ولنرو هنا حديثاً واحداً وهو ما رواه عليّ بن إبراهيم بإسناده إلى الصّادق عليه السلام قال كان عليّ صلوات الله عليه يقوم في المطر أوّل ما يمطر حتّى يبتلّ رأسه ولحيته وثيابه فقيل له يا أمير المؤمنين الكن الكن فقال أنّ هذا ماء قريب العهد بالعرش ثم أنشأ يحدّث صلوات الله عليه فقال إن تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت أرزاق الحيوانات فإذا أراد الله عزّ ذكره أن ينبت به ما يشاء رحمة منه لهم أوحى الله إليه فمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتى يصير إلى السماء الدنيا فيما اظنّ فيلقيه إلى السّحاب والسّحاب بمنزلة الغربال ثم يوحي إلى الريح أن اطحنيه وأذيبيه ذوبان الماء ثم انطلقي به إلى موضع كذا وكذا فأمطري عليهم فيكون كذا وكذا عبابا وغير ذلك فتقطر عليهم على النحو الّذي يأمرها به فليس من قطرة تقطر إلّا ومعها ملك حتى يضعها موضعها، ولم ينزل من السماء قطرة من مطر إلّا بعدد معدود ووزن معلوم إلّا ما كان من أيام الطوفان فإنّه نزل ماء منهمر بلا وزن ولا عدد، وقال في آخره قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تشيروا إلى المطر ولا إلى الهلال، فإنّ الله عزّ وجلّ يكره ذلك.

الأصل الثاني لهم هو نفي الخلاء وأنّ الأفلاك ليس بينها فرجة بل مقعّر كلّ فلك

---

(١) الإشكال في مسألة المعراج مبني على الهيئة القديمة ولذا فتحوا باب التأويل فيها وأمّا على الهيئة الجديدة فليس فيها ادنى اشكال أصلاً.

مماسّ لمحدّب الفلك الآخر فإنّ الشامي كان يعتقد مثل هذا بالأخذ عن كتب الحكماء وأهل الرياضات فقال له عليه السلام استغفر ربك من هذا الذنب العظيم، فيدل على تحريم هذا الاعتقاد وأمثاله وعلى أن الجاهل في معرفته ليس بمعذور فأبطل عليه السلام الالتزاق والملاصقة وفي حديث زينب العطّارة المسند إلى الصادق عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وذكر الحديث إلى أن قال: والأرضون السبع ومن فيها ومن عليها عند السّماء الأولى كحلقة في فلاة قيّ، وهذا كله والسّماء الدنيا ومن عليها ومن فيها عند التي فوقها كحلقة في فلاة قيّ وهاتان السّماءان إنّ ومن فيهما ومن عليهما عند التي فوقهما كحلقة في فلاة قيّ، حتّى انتهى إلى السابعة وهنّ ومن فيهنّ وعليهنّ عند البحر المكفوف عن أهل الأرض كحلقة في فلاة قيّ، وهذه السبع والبحر المكفوف عند جبال البرد كحلقة في فلاة قيّ، وتلا هذه الآية ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣]، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند الهواء الّذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قيّ، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء عند حجب النور كحلقة في فلاة قيّ وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء وحجب النّور عند الكرسيّ كحلقة في فلاة قيّ، ثمَّ تلا هذه الآية ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء وحجب النور والكرسي عند العرش كحلقة في فلاة قيّ، وتلا هذه الآية ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وفي رواية الحسن الحجب قبل الهواء الّذي تحار فيه القلوب، وإذا كان الحال على هذا المنوال فأين الملاصقة والمماسة، وكيف نفوا الخلاء بدلائلهم العقليّة.

وقد روي أيضاً مستفيضاً أن غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام ومن بين السّماء إلى السماء كذلك أيضاً، ومن هنا إلى السّماء الدنيا مثلها فكيف الملاصقة والحال كما عرفت، والقيّ بكسر القاف والتشديد المفازة الخالية من الماء والكلأ، وقد ذهب الحكماء ومتابعوهم إلى أنّ الأفلاك غير ملونة.

واستدلّ عليه رئيس المشككين في كتاب الملخص بدليلين: الأول: لو كانت الأفلاك ملوّنة لحجبت الأبصار عن رؤية ما وراءها فكان يجب أن لا نرى الكواكب. الثاني: الأفلاك بسيطة والبسيط لا لون له. والجواب عن الأوّل على طريقتهم أنّا لا نسلّم أنّ كل لون حاجب فإنّ الماء له لون ولذلك يُرى وكذلك الزجاج والبلور وهما لا يحجبان، مع أنّ هذا الدليل لا يجري في الفلك الأعظم، وعن الثاني بمنع كلّيّة

الصغرى وبنقض كلّيّة الكبرى بالقمر وأما على طريقة الشرع فمنع الثاني ظاهر لأنّ الأخبار على ما عرفت إنّما هي دالة على عدم بساطة الأفلاك بل على تركّبها وتلونها كلّ سماء بلون كما في حديث أمير المؤمنين عليه السلام السابق.

وأمّا الأوّل فلا نسلم أن الثوابت في الفلك الثامن فإنّ في الأخبار ما ينافيه صريحاً وإنّ بيننا وبين الفلك الثامن جبالاً وبحوراً وأجساماً كثيفة تمنع مما قالوه مع أنّ قوله عز من قائل: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، ظاهر في أن هذه الكواكب إنّما هي في السّماء الدنيا لا غير. ومال إلى هذا شيخنا البهائي رحمه الله وكذا بعض مفسّري الجمهور، وما ذكره المنجمون والحكماء من ترتيب الكواكب في الأفلاك لم يدل عليه دليل من الشرع بل الأخبار على خلافه، ونقلها يفضي إلى التطويل لأنّ موضوع الكتاب ليس المباحثة معهم وإنّما موضوعه نقل الكائنات في الأفلاك والأرضين على طريقة الشرع، لكن لزم من هذا إبطال مذاهبهم المأخوذة من الحدس والرياضة.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الظاهر من هذه الأخبار وغيرها هو أنّ السمٰوات طبقات كما أنّ الأرض طبقات لكن روى عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام قال: قلت له أخبرني عن قول الله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧]، فقال هي محبوكة إلى الأرض، وشبّك بين أصابعه فقلت كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله يقول: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾ [الرعد: ٢] فقال سبحان الله أليس يقول بغير عمد ترونها قلت بلى قال فثمّ عمد ولكن لا ترونها قلت كيف ذلك جعلني الله فداك، قال فبسط كفّه اليسرى ثمّ وضع اليمنى عليها، فقال هذه أرض الدنيا وسماء الدنيا عليها فوقها قبّة، والأرض الثّانية فوق سماء الدنيا وسماء الثّانية فوقها قبّة، والأرض الثّالثة فوق سماء الثّانية وسماء الثّالثة فوقها قبّة، والأرض الرابعة فوق سماء الثّالثة وسماء الرّابعة فوقها قبّة، والأرض الخامسة فوق سماء الرّابعة وسماء الخامسة فوقها قبّة، والأرض السّادسة فوق سماء الخامسة وسماء السّادسة فوقها قبّة، والأرض السابعة فوق سماء السّادسة وسماء السّابعة فوقها قبّة وعرش الرحمن تبارك وتعالى فوق السماء السّابعة، وهو قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، فأمّا صاحب الأمر فهو رسول الله صلى الله عليه وآله والوصيّ بعد رسول الله قائم هو على وجه الأرض فإنّما يتنزّل الأمر إليه من بين

السموات والأرضين. قلت فما تحتنا إلّا أرض واحدة، فقال ما تحتنا إلّا أرض واحدة وإن الست لهنّ فوقنا.

أقول: لا يخفى ما في هذا الحديث من الإشكال(١) وعدم إمكان تأويله حتّى ينطبق على الأخبار وظواهر الآيات أو على أقوال الحكماء الرياضيين، وهذا لا يوجب ردّه بل يجب التسليم والانقياد له وإرجاعه إلى متشابهات الأخبار، فإنّ كلامهم صلوات الله عليهم كالقرآن له ظاهر وباطن، ومنه محكم ومتشابه وعامّ وخاصّ، ومطلق ومقيّد ومجمل ومبيّن إلى غير ذلك.

نعم قد وقع الخلاف بين أرباب الرياضي في الأرضين السبع، فقال بعضهم بأنّها طبقات سبع كما هو مدلول الأخبار، ومنهم من قال إنّها طبقة واحدة لكن تعدّدها باعتبار الأقاليم السبعة، وآخرون ذهبوا إلى أنّها ثلاث طبقات: الأرض الصرفة البسيطة، والطينيّة، والظاهرة التي عِلى وجه الأرض وهي مع كرة الماء كرة واحدة وثلاث كرات الهواء وكرة النّار ومنهم من جعل الأرض كرتين البسيطة وغيرها، والماء كرة، ومنهم من قسم الهواء كرتين، ومنهم من قسمه أربع كرات، وهذه الوجوه لا ينطبق شيء منها على ظواهر الأخبار.

نور عرشي

يكشف عن بعض أحوال العرش والكرسيّ. اعلم أنّ العرش في اصطلاح الحكماء ومتابعيهم هو الفلك التاسع كما عرفت، وهو المحيط بكلّ المخلوقات وليس فوقه شيء، ولذا سمّوه محدّد الجهات ومنتهى الإشارة، وأما في اصطلاح أهل الشرع، فيقال على معان:

أوّلها: علم الله عزّ وجلّ المحيط بكل شيء كإحاطة العرش الحسيّ بكل المخلوقات كما روينا في الأحاديث عن الصادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فقال السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي،

---

(١) ليس في هذا الحديث اشكال بناء على الهيئة الجديدة لانطباقه معها انظر إلى كتاب (الهيئة والإسلام) ص ٩٠ وص ١٤٩ قال العلاّمة الشهرستاني دام بقاؤه بعد نقل الحديث وكلام المصنف فيه: ولقد أصاب في مخالفة هذا الحديث مع الحكماء ولكنه اشتبه إذ حكم بمخالفته لظواهر الآيات والروايات فإنه لم يخض فيها خوض تحقيق ولم يغص غوص اجتهاد وتدقيق ولم يستنشق طيب الفلسفة الحديثة حتّى يفوز بما فزت به والحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

والعرش هو العلم الّذي لا يقدر أحد قدره، هذا العرش هو المراد من قوله سبحانه: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] فقد روي أن الثمانية الذين يحملون هذا العرش يوم القيامة أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين، فأمّا الأولون فهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأما الآخرون فهم محمّد ﷺ وعلي والحسنان عليهم السلام، لأنّهم عن حمل العرش بمعنى الجسم المخصوص في شغل شاغل، وقال الصدوق رحمه الله في الاعتقادات: وإنّما صار هؤلاء حملة العلم لأنّ الأنبياء الذين كانوا قبل نبيّنا ﷺ كانوا على شرائع الأربعة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وعن قبل هؤلاءِ صارت العلوم إليهم وكذلك صار العلم من بعد محمّد ﷺ لعليّ وابنيه.

وثانيها: الملك كما رواه ابن سدير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كلّ سبب ووضع في القرآن صفة على حدة، فقوله: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، يقول الملك العظيم.

وثالثها: عالم الإمكان وهو ما سوى الله سبحانه، روى في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، قال على كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء وذلك أنّ عرش السلطان هو محل جلوسه ومظهر عظمته، وهنا كل ذرّة من ذرات المخلوقات فيها من الشواهد على غرائب صنعه وظهور قدرته ما لا يدخل تحت العدّ والإحصاء.

وفي كلّ شيء له آية تدل على أنّه واحد

فكلّ مخلوق عرش له تعالى.

ورابعها: صفات الجلال والإكرام فإنّها مظهر قدرته وأسباب عظمته.

وخامسها: قلوب عباده المؤمنين فإنّ كل قلب منها عرش لمحلّ معرفته ومعدن عظمته. وفي الحديث القدسي: لا تسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن ومن هذا روي أن التفريق بين يوسف ويعقوب هو أنّ يعقوب قد شغف بحبّ يوسف فأدخل البيت غير صاحبه فرماه الله سبحانه بأيدي الفراق، وسمعت مشافهة من شيخنا الأجلّ صاحب التفسير الموسوم بنور الثقلين أن العرش يطلق في اصطلاح الأخبار على ستّين معنى ولعلّه قال سبعين.

وسادسها: المعنى المبحوث عنه هنا وهو الجسم العظيم المحيط بالسمٰوات والأرضين والكرسي أيضاً على ما عرفت من الأخبار السابقة، وفي بعضها أنّ الكرسي شامل للعرش وهو فوقه، وحينئذ فيحمل على أحد معاني العرش غير الجسم

المحيط ممّا يناسبه وروى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى أبي الصلت الهروي قال: سأل المأمون أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: و﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، فقال إنّ الله تبارك وتعالى: خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السماوات والأرض، وكانت الملائكة تستدل بأنفسها وبالعرش وبالماء على الله عزّ وجلّ ثمَّ جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم أنّه على كل شيء قدير ثم رفع العرش بقدرته ونقله فجعله فوق السماوات السبع، ثم خلق السمٰوات والأرض في ستّة أيّام وهو مستولٍ على عرشه وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين ولكنّه عزّ وجلّ خلقها في ستّة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، فتستدل بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره وقيل إنّه سبحانه علّم خلقه التثبّت والرفق في الأمور وروي ذلك عن سعيد بن جبير.

أقول: وهذا الجسم العظيم قد خلق من النور كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة، وفي بعضها أنّه مخلوق من الهواء كما تقدّم، ولا منافاة بينهما لإمكان أن يكون مركّباً من الأمرين إلاّ أنّ الجزء الغالب فيه هو النور، فلذا أضيف إليه وكذلك الكرسي، وفي الرواية عن الباقر عليه السلام عن علي بن الحسين عليه السلام قال إنّ الله عزّ وجلّ خلق العرش أرباعاً لم يخلق قبله إلّا ثلاثة أشياء: الهواء والقلم والنور، ثمَّ خلقه من أنوار مختلفة فمن ذلك النور نور أخضر اخضرّت منه الخضرة، ونور أصفر اصفرّت منه الصفرة ونور أحمر احمرّت منه الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النهار، ثمَّ جعله سبعين ألف طبق غلظ كل طبق كأوّل العرش إلى أسفل الأسفلين، ليس من ذلك طبق إلّا يسبّح بحمد ربّه ويقدّسه بأصوات مختلفة وألسنة غير مشتبهة، ولو أُذن للسان منها فأسمع شيئاً مما تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون، ولخسف البحار ولأهلك ما دونه، له ثمانية أركان على كل ركن منها من الملائكة ما لا يحصي عدهم إلاّ الله عزّ وجلّ يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، ولو [أحسّ] شيء ممّا فوقه ما قام لذلك طرفة عين بينه وبين الإحساس الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة، ثمَّ العلم وليس وراء هذا مقال وليسا في التركيب من الدخان كالسماوات السبع.

وأمّا كيفيّة عظمة هذا الجسم فلا يحيط بها إلّا علاّم الغيوب، وفي الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال لمّا خلق الله تعالى العرش خلق له ثلاثمائة وستّين ألف ركن، وخلق

عند كلّ ركن ثلاثمئة وستّين ألف ملك لو أذن الله لأصغرهم أنّ التقم السماوات السبع ما كان ذلك بين لهواته إلاّ كالرملة في المفازة الغضغاضة[١] فقال الله تعالى لهم يا عبادي احملوا عرشي هذا، فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه، فخلق الله مع كلّ واحد منهم واحداً فلم يقدروا أن يزعزعوه[٢] فخلق الله مع كلّ واحد عشرة فلم يقدروا أن يحرّكوه، فخلق بعدد كلّ واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا أن يحرّكوه، فقال عزّوجلّ لجميعهم: خلّوه عليّ أُمسكه بقدرتي، فخلوه فأمسكه بقدرته، ثمّ قال لثمانية منهم احملوه أنتم فقالوا لم نطقه نحن وهذا الخلق الكثير والجمّ الغفير فكيف نطيقه الآن دونهم، فقال الله عزّوجلّ : ذلك لأنّي أنا الله المقرّب للبعيد والمذلّل للعنيد والمخفّف للشّديد والمسهّل للعسير أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد أُعلّمكم كلمات تقولون بها يخفف عنكم، قالوا: وما هي يا ربّنا قال تقولون بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين فقالوها فحملوه وخفّ على كواهلهم كشعرة نابتة على كاهل رجل جلد قويّ، فقال الله لسائر تلك الأملاك: خلّوا على هؤلاء الثمانية عرشي ليحملوه وطوفوا أنتم حوله، وسبّحوني ومجّدوني وقدّسوني فإني أنا الله القادر على ما رأيتم وعلى كلّ شيء قدير.

وعن الصادق عليه السلام إنّ حملة هذا العرش أربعة أملاك أحدهم على صورة ابن آدم، يسترزق الله سبحانه لبني آدم، والثاني على صورة الديك يسترزق الله سبحانه للطيور، والثالث على صورة الأسد يسترزق الله سبحانه للسباع والرابع على صورة الثور يسترزق الله سبحانه للبهائم وهو قد نكس رأسه حياء من الله تعالى منذ عبد بنو إسرائيل العجل. ولا تنافي بين الأخبار لجواز أن يكونوا أربعة في وقت وثمانية في وقت آخر.

وروي عن زين العابدين عليه السلام أنّه قال إنّ لله ملكاً يقال له خرقائيل له ثمانية عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام فخطر له خاطر هل فوق العرش فزاده الله تعالى مثلها أجنحة أُخرى، فكان له ستّ وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام، ثمَّ أوحى الله إليه أيها الملك طر، فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل قائمة من قوائم العرش ثمَّ ضاعف الله له في الجناح والقوّة وأمره أن

(١) غضغض الماء: نقصه وتغضغض الماء نقص وغاض.

(٢) أي يحركوه زعزعه زعزعة حركه شديداً.

يطير، فطار مقدار ثلاثين ألف عام لم ينل أيضاً، فأوحى الله إليه أيها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوّتك لم تبلغ إلى ساق عرشي، فقال الملك سبحان ربّي الأعلى.

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البرّ والبحر قال وهذا تأويل ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، وإنّ بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الأُخرى خفقان الطير المسرع مسير ألف عام، والعرش يكسى كلّ يوم سبعين ألف لون من النّور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله سبحانه. وفي الخبر عن الصادق عليه السلام قال: إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كلّ سبب ووضع في القرآن صفة على حدة فقوله: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، يقول الملك العظيم وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] يقول على الملك احتوى وهذا ملك الكيفوفة في الأشياء ثمّ العرش في الأصل منفرد عن الكرسي، لأنهما بابان من أكثر أبواب الغيوب وهما جميعاً غيبان وهما في الغيب مقرونان لأنّ الكرسي هو الباب الظّاهر من الغيب الّذي منه مطلع البدع ومنه الأشياء كلها والعرش هو الباب الباطن الّذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والأين والمشيئة وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والبدء وهما في العلم بابان مقرونان لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلمه أغيب من علم الكرسي فمن ذلك قال: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، أي صفته أعظم من صفة الكرسي وهما في ذلك مقرونان قلت جعلت فداك فلم صار في الفضل جار الكرسي، قال إنّه صار جاره لأنّ علم الكيفوفية فيه وفيه الظاهر من أبواب البدع وأينيّتها وحدّ رتقها وفتقها فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه في الظرف، الحديث.

نور حجابي يكشف عن بعض ما فوق العرش

قد عرفت أن الحكماء والرياضيّين والمنجّمين وكثيراً من علماء الإسلام قد ذهبوا إلى أن العرش هو منتهى المخلوقات وليس فوقه شيء، وقد أكثروا عليه من الدلائل وليس دلائلهم هذا إلاّ كدلائلهم على الأحكام السابقة التي كذّبهم فيها القرآن والسنّة المتواترة نعم العرش منتهى مسافة العقول والأفهام فلا تصل إلى ما هو فوقه ولا حامت حول الكلام فيه والعرش في جهة الفوق كالثرى في جهة التحت، وقال الصادق عليه السلام: إذا انتهى الكلام إلى الثرى فقد انقطع علم العلماء، والظّاهر أنّ

المراد كون الثرى والعرش نهايتين للعلم الكسبي الّذي يمكن محاولته بالفكر والنظر وإن كان بعضه صحيحاً والآخر باطلاً، فإن العقول تتفاوت في الإدراك والأوهام تزيد وتنقص لأسبابها المألوفة كما قرّر في محله.

وأمّا العلم الإلهي الّذي آتاه النبيّ وأهل بيته عليهم السلام فقد تجاوز العرش وتحت الثرى، فقد روي عن الطاهرين عليهم السلام أنّ الله تعالى خلق مائة ألف قنديل وعلّقها، والعرش والسماوات والأرض وما فيها حتّى الجنّة والنّار كلّها في قنديل واحد ولا يعلم ما في القناديل الباقية إلاّ الله. وروى الصدوق قدّس الله روحه عن الرضا عليه السلام أنّه قال أترى أنّ الله لم يخلق بشراً غيركم بلى والله لقد خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين.

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال إنّ الشمس تقطع اثني عشر برجاً واثني عشر براً واثني عشر بحراً واثني عشر عالماً، وقال عليه السلام إنّ الله خلق اثني عشر ألف عالم كلّ عالم منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين ما يرى عالم [منهم أن الله عزّ وجلّ عالماً] غيرهم وإنّي الحجّة عليهم. ولا يخفى أن هذه العوالم لا تكون إلاّ فوق السماوات والأوّل صريح في كونها فوق العرش وأنّ العرش في بطن القناديل، فسبحان من جلّت عظمته ومنعت حوزته.

قال محيي الدين ابن العربي في الباب الثامن من الفتوحات: أن من جملة العوالم عالماً على صورنا إذا أبصره العارف يشاهد نفسه فيه، وقد أشار إلى ذلك عبد الله بن عبّاس فيما روي عنه في حديث الكعبة؛ إنّها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً، وإن في كلّ من الأرضين السبع خلقاً مثلنا حتّى إنّ فيهم ابن عبّاس مثلي. وصدقت هذه الرواية عند أهل الكشف وكلّ ما فيه حيّ ناطق وهو باقٍ لا يتبدّل، وإذا دخله العارفون فإنّما يدخلونه بأرواحهم لا بأجسامهم فيتركون هياكلهم في هذه الأرض ويتجردون، وفيها مدائن لا تحصى وبعضها يسمّى مدائن النور لا يدخلها من العارفين إلّا كلّ مصطفى مختار، وكلّ حديث وآية وردت عنها ممّا صرفها العقل عن ظاهرها وجدناها على ظاهرها في هذه الأرض انتهى.

وهذا العالم تسمّيه حكماء الإشراق الإقليم الثامن وعالم المثال وعالم الأشباح قال التفتازاني في شرح المقاصد: وعلى هذا بنوا أمر المعاد الجسماني فإن البدن المثالي الّذي تتصرّف فيه النفس حكمه حكم البدن الحسي في أنّ له جميع الحواس الظاهرة والباطنة فتلتذ وتتألم باللذّات والآلام الجسمانيّة.

وقال صاحب شرح حكمة الإشراق: إنّ الصور الخياليّة لا تكون موجودة في

الأذهان لامتناع انطباع الكبير في الصغير، ولا في الأعيان وإلاّ لرآها كلّ سليم الحسّ، وليست عدماً محضاً وإلاّ لما كانت متصوّرة ولا متميّزاً بعضها عن بعض، ولا محكوماً عليها بأحكام مختلفة، وإذاً هي موجودة فليست في الأعيان ولا في الأذهان ولا في عالم العقول لكونها صوراً جسمانيّة لا عقليّة فبالضرورة تكون موجودة في صقع، وهو عالم يسمّى بالعالم المثالي والخيالي متوسّط بين عالمي العقل والحسّ لكونه بالرتبة فوق عالم الحسّ ودون عالم العقل لأنّه أكثر تجرّداً من الحسّ وأقل تجرّداً من العقل، وفيه جميع الأشكال والصور والمقادير والأجسام وما يتعلق بها من الحركات والسكنات والأوضاع والهيئة وغير ذلك قائمة بذاتها متعلّقة لا في مكان ومحلّ، وإليه الإشارة بقوله: والحقّ في صور المرايا والصور الخياليّة أنّها ليست منطبعة، أي في المرآة والخيال ولا في غيرهما، بل هي صياصي أي أبدان معلّقة في عالم المثال ليس لها محلّ لقيامها بذاتها وقد يكون لها أي لهذه الصياصي المعلّقة لا في مكان مظاهر ولا يكون فيها لما بيّنا فصور المرآة مظهرها المرآة وهي معلّقة لا في مكان ولا في محل، وصورة الخيال مظهرها الخيال وهي معلقة لا في محل.

وأمّا الحجب فهي قسمان قسم منها تحت العرش وقسم منها فوقه؛ روي الصدوق رحمه الله مسنداً إلى وهب قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحجب فقال أوّل الحجب سبعة، غلظ كلّ حجاب منها مسيرة خمسمائة عام وطوله خمسمائة عام حجبة كلّ حجاب منها سبعون ألف ملك قوة كلّ ملك منها قوّة الثقلين، منها ظلمة ومنها نور ومنها دخان ومنها سحاب ومنها رعد ومنها برق ومنها ضوء ومنها رمل، ومنها جبل ومنها عجاج ومنها ماء ومنها أنهار، وهي حجب مختلفة غلظ كلّ حجاب مسيرة سبعين ألف عام، ثمّ سرادقات الجلال وهي ستون سرادقاً في كلّ سرادق سبعون ألف ملك بين كلّ سرادق وسرادق مسيرة خمسمائة عام، ثمّ سرادق الفخر ثمّ سرادق الكبرياء ثمّ سرادق العظمة ثمّ سرادق القدس ثمّ سرادق الجبروت ثمّ سرادق الفخر ثمّ سرادق النور الأبيض ثمّ سرادق الوحدانيّة وهي مسيرة سبعين ألف عام، ثمّ الحجاب الأعلى. وانقضى كلامه وسكت عليه السلام، ثمّ قال عمر لا بقيت ليوم لا أراك فيه يا أبا الحسن وقال عليه السلام إنّ لله سبعين ألف حجاب من نور لو كشف منها حجاب واحد لأحرقت سبحات جلاله ما في الكونين، والأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة، فدلّ هذا وأمثاله على أن العرش ليس هو منتهى المخلوقات بل فوقه ما هو أعظم منه بمراتب غير متناهية فلا تغفل.

نور قمري يتعلق بأحوال القمر

اعلم أنّ الّذي بيّنوه هو أنّ نور القمر مستفاد من نور الشمس ومستضيء به ويزيد وينقص نوره بالقرب من الشمس والبعد عنها كما هو مذكور في كتب الهيئة، ومن هذا تمّت المشابهة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس: ١-٢]، بأنّ المراد من الشمس رسول الله ﷺ ومن القمر أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ نور علمه مأخوذ من نور علم النبيّ ﷺ، ولكن سيأتي إن شاء الله تعالى في الأخبار ما يدل على أن للقمر نوراً ذاتياً غير مأخوذ من غيره، ولا منافاة بينهما لجواز اجتماع النورين فيه كما اجتمعا في المشبّه الّذي هو عليّ عليه السلام، فإنّ الله تعالى قد آتاه من العلم فنوناً كثيرة فأكملها النبيّ ﷺ في حياته وعند وفاته حيث أدخله تحت ثيابه، ولمّا خرج قيل له يا عليّ ما قال لك ابن عمّك قال علّمني ألف باب من العلم ينفتح من كلّ باب ألف باب.

وأمّا مادّة القمر وأجزاؤه فقد عرفت إجماع الفلاسفة ومتابعيهم على بساطة الكواكب وعدم تركّبها وأمّا أخبار أهل البيت عليهم السلام فقد روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى ابن مسلم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك لأيّ شيء صارت الشمس أشدّ حرارة من القمر، فقال إنّ الله تبارك وتعالى خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتّى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار، فمن ثمَّ صارت أشد حرارة من القمر وخلق القمر من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتّى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء، فمن ثمَّ صار القمر أبرد من الشمس، ويجوز أن يكون التركيب من الأطباق السبع لاستضاءة السماوات السبع، وأمّا العرش والكرسي فلهما نور غيرهما كما سيأتي.

فإن قلت إذا كان وجه القمر من صافي الماء فما هذا السواد والكلف الّذي على وجه القمر، قلت قد تحيّر أرباب علم الفلك في سببه على أقوال سبعة: الأوّل ما قيل إنّه خيال لا حقيقة له، وردّ بأنه لو كان كذلك لاختلف الناظرون فيه لاستحالة توافقهم كلّهم في خيال واحد، الثاني ما قيل من أنّه شبح ما ينطبع فيه من السفليّات من الجبال والبحار وغيرها وأُجيب عنه بأنّه يلزم أن يختلف القمر في قربه وبعده وانحرافه عما ينطبع فيه.

الثالث: إنّه السواد الكائن في الوجه الآخر وردّ بأنه يجب على هذا أن لا يرى هذا متفرّقاً، الرابع إنّ سببه التأذي من كرة النار لقرب ما بينهما وأجاب عنه ابن سينا في شفائه بأن هذا لا يلائم الأصول الحكميّة، فإن الأجرام الفلكيّة لا تنفعل عن الأجسام العنصريّة وأيضاً قالوا إنّ الفلك غير قابل للتسخّن عندهم. الخامس إن جزءاً منه لا يقبل النور كسائر أجزائه القابلة له قلنا فإذاً لا يطرد القول ببساطة الفلكيّات كما زعمتم، إذ القمر حينئذ مركّب من أجزاء متخالفة الحقائق، ويبطل على هذا جميع قواعدهم المبنيّة على بساطتها.

السادس: هو وجه القمر فإنه مصوّر بصورة إنسان أي بصورة وجه الإنسان، فله عينان وحاجبان وأنف وفم، وردّ بأنه يلزم أن يتعطل فعل الطبيعة عندهم لأن لكلّ عضو طلب نفع أو دفع ضرر، فإنّ الفم لدخول الغذاء والأنف لفائدة الشمّ والحاجبين لدفع العرق عن العينين، وليس القمر قابلاً لشيء من ذلك فيلزم التعطيل الدائم في ما زعمتم أنّه أحسن النظام وأبلغه، السابع وهو الّذي اختاره صاحب التذكرة وكثير من المتأخرين أن هذا الكلف أجسام سماويّة مختلفة معه في تدويره غير قابلة للإنارة بالتساوي حافظة لوضعها معه دائماً، فإذا كانوا على هذا النحو من الاختلاف في جزئي من جزئيّات الكواكب فكيف اطّلعوا على كلّيّاتها وأحاطوا بها، ما هذا إلاّ رجم بالغيب وقول مستند إلى الرّيب.

وأمّا سببه من طريق الأخبار فروى الصدوق قدّس الله روحه مسنداً إلى يزيد بن سلام قال ما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور، قال لمّا خلقهما الله عزّوجلّ أطاعا ولم يعصيا شيئاً فأمر الله عزّوجلّ جبرائيل أن يمحو ضوء القمر فمحاه فأثّر المحو في القمر خطوطاً سوداء ولو أن القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لما عرف الليل من النهار ولا النهار من الليل.

وروى القاسم بن معاوية قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنه لمّا أسري برسول الله صلى الله عليه وآله رأى على العرش لا إله إلا الله محمّد رسول الله أبو بكر الصدّيق فقال سبحان الله غيّروا كلّ شيء حتّى هذا قلت نعم قال إنّ الله عزّوجلّ لمّا خلق العرش كتب عليه لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين ولمّا خلق الماء كتب في مجراه لا إله إلاّ الله محمد رسول الله عليّ أمير المؤمنين ولما خلق الله عزّوجلّ الكرسيّ كتب على قوائمه لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين، ولمّا خلق الله عزّوجلّ اللوح كتب فيه لا إله إلّا الله محمّد

رسول الله عليّ أمير المؤمنين، ولما خلق الله إسرافيل كتب الله على جبهته لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين، ولمّا خلق السماوات كتب على أكنافها لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين، ولمّا خلق الله عَزَّوَجَلَّ الأرضين كتب في أطباقها لا إله إلاّ الله محمد رسول الله عليّ أمير المؤمنين ولمّا خلق الله عَزَّوَجَلَّ الجبال كتب على رؤوسها لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين ولمّا خلق الله عَزَّوَجَلَّ الشمس كتب الله عَزَّوَجَلَّ عليها لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين، ولما خلق الله عَزَّوَجَلَّ القمر كتب عليه لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين، وهو السواد الّذي ترونه في القمر، فإذا قال أحدكم لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، فليقل عليّ أمير المؤمنين. ولا منافاة بين هذين الخبرين لجواز أن يكون المحو الواقع في الحديث الأوّل بهذه الكتابة الواقعة في الحديث الثاني، وأمّا عدم مشاهدة هذا السواد في جرم الشمس فلعلّه باعتبار زيادة نورها لا يرى ما في وجهها كما هو شأن الأجسام المضيئة.

وقد وقع الخلاف بين أهل صناعة الفلك في أن فلك الشمس هل هو فوق فلك الزهرة وعطارد أو تحتهما، وذلك لما عرفت من أن الشمس عندهم لا تنكسف إلاّ بالقمر، ولا يتصوّر كسفها بشيء من الكواكب، لأنّها تستتر بشعاعها، ومن هذا أرجعوا الترتيب إلى شمسة القلادة، لكن قال ابن سينا وجماعة إنّهم رأوا الزهرة في وجه الشمس كالشّامة كاسفة لها، وذهب مؤيّد الدين العرضي وصاحب التحفة إلى أن فلك الزهرة دون فلك عطارد وفوق فلك الشّمس، وكذّبا ابن سينا في ما زعم، وقالا إنّ في وجه الشّمس نقطة سوداء فوق مركزها بقليل كالمحو في وجه القمر، فهذه النقطة هي الشّامة وأما الشامتان فجاز أن تكون إحداهما هذه النقطة والأُخرى عطارد هذا كلامهم.

أقول: بناء على هذه الأخبار يجوز أن يكون ذلك السواد المشاهد على وجه الشمس هو هذا المكتوب، فتارة يشاهد نقطة وتارة يشاهد نقطتان، وهذا المحو الّذي في القمر هو أحد معاني قوله عزّ من قائل: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الإسراء: ١٢]، ويستفاد من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا قال أحدكم لا إله إلّا الله محمّد رسول الله فليقل علي أمير المؤمنين، عموم استحباب المقارنة بين اسميهما عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إلاّ ما أخرجه الدليل كالتشهدات الواجبة في الصلوات لأنّها وظائف شرعيّة، وأما الأذان فهو وان كان من مقدمات الصّلاة إلاّ أنّه مخالف لها في

أكثر الأحكام، فلا يبعد القول من هذا الحديث باستحباب لفظ عليّ وليّ الله أو أمير المؤمنين أو نحو ذلك في الأذان لأن الغرض الإتيان باسمه كما لا يخفى(١).

ويؤيّد هذا ما رأيته في الطيف ليلة عيد شهر رمضان المبارك، والظاهر أنّها كانت ليلة الجمعة وقد حصل لي من النهار انكسار وخشوع وتضرّع، فرأيت كأنّي في بريّة

---

(١) الشهادة لعلي عليه السلام بالولاية وامرة المؤمنين في الأذان والإقامة ليست جزءاً منهما ولكن بقصد الاستحباب والرجحان المطلق من جهة العمومات مما لا اشكال فيه ولذا نجد أقوال أكابر فقهاء الإمامية متفقة قديماً وحديثاً قولاً وفعلاً على جواز هذه الشهادة فيهما إذا لم يكن بقصد الجزئية فلا يعبأ بتحريم بعض من ليس له رتبة الاجتهاد من أهل هذا العصر التعيس لهذه الشهادة في الأذان والإقامة وليس غرضه إلاّ تفرقة كلمة الشيعة والتهاب نار النفاق بينهم (لتشكره النقطة الرابعة) نسأل الله أن يهديه إلى سواء السبيل قال المرجع الأعلى للشيعة فقيه العصر على الاطلاق أستاذنا آية الله العظمى سيدنا الطباطبائي الحكيم أدام الله ظله في مستمسك العروة الوثقى ج ٤ ص ١٤ (لا بأس بالإتيان به بقصد الاستحباب المطلق لما في خبر الاحتجاج: إذا قال أحدكم لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله فليقل عليّ أمير المؤمنين بل ذلك في هذه الأعصار معدود من شعائر الايمان ورمز إلى التشيع فيكون من هذه الجهة راجحاً شرعاً بل قد يكون واجباً لكن لا بعنوان الجزئية من الأذان).

وقال سيدنا الإمام الأكبر السيّد شرف الدين العاملي قدس الله روحه في كتابه (النص والاجتهاد) ص ١٤٣ ط نجف (ويستحب الصّلاة على محمّد وآل محمّد بعد ذكره صلى الله عليه وآله وسلم كما يستحب إكمال الشهادتين بالشهادة لعلي بالولاية لله تعالى وإمرة المؤمنين في الأذان والإقامة وقد أخطأ وشذ من حرم ذلك وقال بأنه بدعة فإن كلّ مؤذن في الإسلام يقدم كلمة للأذان يوصلها به كقوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١] الآية أو نحوها ويلحق به كلمة يوصله بها كقوله: «**الصلاة والسلام عليك يا رسول الله**» أو نحوها وهذا ليس من المأثور عن الشارع في الأذان وليس ببدعة ولا هو محرم قطعاً لأنّ المؤذنين كلهم لا يرونه من فصول الأذان وإنما يأتون به عملاً بأدلة عامة تشمله وكذلك الشهادة لعلي بعد الشهادتين في الأذان فإنما هي عمل بأدلة عامة تشملها، على أن الكلام القليل من سائر كلام الآدميين لا يبطل به الأذان ولا الإقامة ولا هو حرام في اثنائهما، فمن أين جاءت البدعة والحرام؟ وما الغاية بشق عصا المسلمين في هذه الأيام؟).

وما ذكره المصنف رحمه الله من الرؤيا تأييداً لمرامه لا يكون دليلاً شرعياً ولاسيما في اثبات الأحكام الشرعية فإن على المجتهد استنباط الأحكام عن الأدلة المتعارفة من الكتاب والسنّة والإجماع والعقل لا بطريق الرؤيا وأمثاله كما هو معلوم ومبرهن في محله وكتبنا تفصيل ذلك في رسالة الاجتهاد والتقليد قال الفقيه الأعظم والمجتهد الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره: في كتابه (الحق المبين) إن الأحلام لا تكون شواهد الأحكام باتفاق علماء أهل الإسلام انظر ص ٨٣ ط طهران (١٣١٩هـ).

واسعة وإذا فيها بيت واحد النّاس تقصده من كلّ طرف، فقصدته معهم فرأيت رجلاً جالساً على باب ذلك البيت وهو يفتي النّاس بالمسائل، فسألت عنه فقالوا هذا هو رسول الله ﷺ فاستفرجت النّاس وتقدّمت إليه ﷺ، فقلت له يا جدّاه إنّه قد انتهى إليّ دعاء من جنابكم أنّه يقرأ أوّل الصلاة، وهو اللهمَّ إني أُقدّم إليك محمّداً بين يدي حاجتي وأتوجّه به إليك - الدعاء، ولم يذكر مع اسمك المبارك اسم عليّ بن أبي طالب والفقير يقرن بين اسميكما ويخاف أن يكون قد أبدع في الدعاء حيث إنّه لم ينقل إليه عنكم إلّا كما قلت، فقرن بين إصبعيه على ما أظن وقال إنّ ذكر اسم عليّ مع اسمي ليس ببدعة. والظاهر أنّه أمرني بما ورد في هذا الحديث من أنّك إذا ذكرت اسمي فاذكر معه اسم عليّ. فلما تيّقظت رأيت ذلك الدعاء في بعض الكتب وفيه اسم عليّ عليه السلام والذي يأتي على هذا أن يذكر اسم عليّ عليه السلام في الأذان وما شابهه نظراً إلى استحباب العامّ ولا يقصد أنّه وظيفة شرعيّة في خصوص هذا الموضع، وهكذا الحال في أكثر الأذكار مثلاً قول لا إله إلاّ الله مندوب إليه في كلّ الأوقات، فلو خصّ منه عدد في يوم معيّن لكان قد أبدع في الذكر وكذا سائر العبادات المستحبّة فتأمل[1].

---

(١) لا يخفى أنّه لو خص منه عدد في يوم معين ولكن لم ينسب ذلك إلى الشارع بل نظر في الاتيان به إلى عموم رجحان هذا الذكر في كلّ الأوقات ويشتغل به بعدد خاص في يوم معين بقصد عموم ذلك الرجحان فحينئذ لا يكون حراماً نعم إن اختار عدداً خاصاً في يوم معين ونسب ذلك إلى الشارع ويأتي بهذا العدد بقصد أنّه وارد بهذا النحو الخاص من الشرع يكون حراماً لكونه تشريعاً محرماً ولعله إلى ذلك أشار المصنف بالأمر بالتأمل. وممّا هو جدير بالذكر أنّه فرق بين البدعة والتشريع المحرم وإن غفل عن ذلك جمع كثير بل الأكثر فنقول:

إن البدعة عبارة عن إدخال ما علم وثبت أنّه ليس من الدين في الدين ومعلوم - من جهة الدليل الخاص أو العمومات والاطلاقات - أنّه ليس من الدين واقعاً كإتيان النوافل اليومية جماعة فإنها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النّار فحينئذ لا يمكن اتيان الفعل ولو بعنوان الرجاء واحتمال المحبوبية وأمّا التشريع فهو عبارة عما لم يثبت نفياً أو اثباتاً أنّه من الدين ولم يعلم أنّه من الدين واقعاً أو لا فإتيان الفعل ناسباً له إلى الشرع بعنوان أنّه منه تشريع محرم ولكن يمكن هنا اتيان الفعل بعنوان الرجاء واحتمال المحبوبية من دون نسبته إلى الشرع ولاسيما على القول بالتسامح في أدلة السنن ومع قيام دليل ضعيف عليه قاصر عن اثبات حكم شرعي نعم يمكن الاتيان الرجائي حيث لا احتمال للحرمة ومع قيام هذا الاحتمال لا معنى لرجاء الثواب بالاتيان مع احتمال العقاب عليه ولاسيما مع قيام دليل ضعيف قاصر على الحرمة.

=

بقي الكلام في خسوف القمر فقد قال الرياضيّون السبب فيه أنّه قد يكون القمر مقابلاً للشمس بقرب العقدتين فتكون الأرض حينئذ واقعة بينه وبين الشمس فتمنع الأرض ضوءها عنه فيرى كمداً كما هو لونه الأصلي، ولأنّ جرم الأرض أصغر كثيراً من جرم الشمس وذكروا أنّه يقابل جرم الأرض بثلاثمائة مرة، فيقع الظلّ الناشئ من الأرض مخروطاً قاعدته دائرة صغيرة على الأرض ورأسه على محاذاة جزء من أجزاء فلك البروج مقابلاً لجزء منه حل فيه الشمس، فإن لم يكن للقمر في حال المقابلة عرض بأن يكون في إحدى العقدتين انخسف كله لأنه أصغر من الأرض، بل من غلظ الظلّ حيث وصل إليه فيقع كلّه في داخله ومكث فيه زماناً، وإن كان له عرض، فإنّ كان ذلك العرض بقدر نصف قطر صفحة القمر ونصف قطر دائرة الظلّ لم ينخسف، وإن كان ذلك العرض أقلّ من مجموع النصفين انخسف بعضه، وذلك بقدر تقاطع القطرين أي تلاقيهما وتداخلهما، فإن فرض أن هذا العرض الأول يساوي فضل نصف قطر الظل على نصف قطر القمر انخسف كلّه، وماسّ سطحه دائرة الظلّ من داخل ولم يكن له مكث، وإن كان أقل من ذلك الفضل انخسف بتمامه ومكث بحسب وقوعه في الظلّ هذا محصّل ما قالوه في خسوف القمر.

وأما كسوف الشمس فقالوا إنّه عند اجتماع القمر بالشمس في النهار اجتماعاً مرئياً لا حقيقيّاً، إنّ لم يكن للقمر عرض مرئي يحجب بيننا وبين الشمس لوقوعه على

= فتلخص إنّ البدعة ما لا يمكن الاتيان بالفعل ولو رجاء أصلاً وأمّا التشريع فيمكن ذلك فيه باحتمال الرجاء والمحبوبية حيث لا أحتمال للحرمة نعم إن أتى به ناسباً له إلى الشارع ومستنداً إليه ولم يثبت كونه منه يكون تشريعاً محرماً كما عرفت فمما ذكرنا كله يظهر ما في كلام المصنف من النظر اعني قوله: (لكان قد أبدع في الذكر) فإن اطلاق البدعة عليه غير صحيح نعم إن أتى بالذكر بعدد معين ونسب ذلك إلى الشرع يكون تشريعاً محرماً وأمّا إذا لم ينسب إليه وأتى به من جهة الرجحان المطلق فلا تشريع ولا حرمة. ثم أنّه مع قطع النظر عما ذكرنا كله نقول أن القائل بأنّ الذكر الفلاني بعدد كذا في يوم كذا يؤثر كذا لا يقول إنّ غرض الشارع من أمره بالذكر هو هذا بل إنّما يدعي إنّ الفرد الفلاني أثره كذا والفرد بطبيعته مندوب إليه لا الفرد بما هو فرد فإن تعلق الحكم في الاذكار كغيره من الأحكام إنّما هو بالطبيعة بما هي بوجودها السعي من دون نظر إلى خصوصياتها الخارجة بلا شرط أن توجد في ضمن فرد معين أو غير معين فهي في ضمن عدد معين في يوم معين فرد من أفرادها كما إنّها في ضمن عدد غير معين في يوم غير معين فرد فالحكم بكون الأوّل بدعة أو تشريعاً دون الثاني تحكم وزور من غير دليل يدل عليه.

الخط الخارج من أبصارنا إليها، فلم نر ضوء الشمس بل نرى لون القمر الكمد في وجه الشّمس، فنظنّ أنّ الشّمس ذهب ضوؤها وهو الكسوف، فليس الكسوف تغيّر حال في ذات الشمس كالخسوف في ذات القمر، ولذلك أمكن أن يقع كسوف بالقياس إلى قوم دون قوم، ويكون ذلك بقدر صفحة القمر فربّما انكسفت الشمس كلها، إن كان أصغر منها وذلك لأنّه أقرب إلينا فيؤثّر قطره الزاوية التي تؤثّرها الشّمس كملاً فتحجب به عنّا بتمامها، وربما تكون الشمس وقت انكسافها في حضيضها فلقربها منّا تُرى أكبر ويكون القمر حينئذ في أوجه فلبعده عنّا يرى أصغر فلا يكسف جميع صفحتها، بل يبقى منها حلقة نور محيطة به وقد قيل إنّ تلك الحلقة النورانيّة رأت على وجهها في بعض الكسوفات مع ندرته وإن كان للقمر في ذلك الاجتماع عرض مرئي، فإن كان ذلك العرض بقدر مجموع نصف قطرهما لم يكسفها، وإن كان أكثر منهما فبالطريق الأولى، وإن كان أقلّ منهما كسفهما بقدر ذلك، هذا حاصل كلامهم في الكسوفين.

وأما الّذي ورد في الأخبار عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فروى الصدوق طاب ثراه عن زين العابدين عليه السلام أنّه قال: إنّ من الآيات التي قدّرها الله عزّ وجلّ للنّاس ممّا يحتاجون إليه البحر الّذي خلقه الله بين السماء والأرض، قال وإن الله تعالى قد قدّر منها مجاري الشمس والقمر والنجوم وقدّر ذلك على الفلك، ثمّ وكل بالفلك ملكاً معه سبعون ألف ملك يديرون الفلك، فإذا أداروه، دارت الشمس والقمر والنجوم معه فنزلت منازلها التي قدرها الله تعالى ليومها وليلتها، فإذا كثرت ذنوب العباد وأحبّ الله أن يستعتبهم بآية من آياته أمر الملك الموكّل بالفلك أن يزيل الفلك عن مجاريه، قال فيأمر الملك السبعين ألف ملك أن يزيلوا الفلك عن مجاريه، قال فيزيلونه فتصير الشمس في ذلك البحر الّذي كان فيه الملك، فيطمس ضوؤها ويتغيّر لونها، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يعظم الآية غمست في البحر على ما يحبّ أن يخوّف عباده بالآية، قال وذلك عند انكساف الشمس وكذلك يفعل بالقمر، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يجريها ويردّها إلى مجراها أمر الملك الموكّل بالفلك أن يردّ الفلك إلى مجراه فيرد الفلك وترجع الشمس إلى مجراها، قال فتخرج من الماء وهي كدرة والقمر مثل ذلك، قال ثمّ قال عليّ بن الحسين عليه السلام: أما إنّه لا يفزع للآيتين ولا يرهب إلّا من كان من شيعتنا، فإذا كان ذلك منهما فافزعوا إلى الله تعالى ثم ارجعوا إليه.

قال الصدوق رحمه الله إنّ الّذي يخبر به المنجّمون من الكسوف فيتّفق على ما يذكرونه ليس من هذا الكسوف في شيء وإنّما يجب الفزع إلى المساجد والصّلاة عند رؤيته، لأنّه مثله في المنظر وشبيه له في المشاهدة كما أن الكسوف الواقع مما ذكره سيّد العابدين عليه السلام، إنّما وجب الفزع فيه إلى المساجد والصّلاة لأنه آية تشبه آيات الساعة وكذلك الزلازل والرياح والظُلَم وهي آية تشبه آيات الساعة، فأمرنا بتذكّر القيامة عند مشاهدتها والرجوع إلى الله تبارك وتعالى بالتوبة والإنابة، والفزع إلى المساجد التي هي بيوته في الأرض، والمستجير بها محفوظ في ذمّة الله تعالى ذكره[١].

أقول: قوله عليه السلام البحر الّذي خلقه الله بين السماوات والأرض كما تضمّنه هذا الحديث موجود في كثير من الأخبار، وهو أنّ الله سبحانه خلق بحراً بين السماء والأرض وأمسكه بقدرته، وهذه الخضرة التي نراها هي خضرة ماء ذلك البحر ولا يحتاج هذا وأمثاله إلى التأويل حتّى ينطبق على مذهب الفلاسفة، لأنّ مثله يحوج إلى تأويل الأخبار كلّها من غير ضرورة، وتصديق هذا ما رواه صاحب كشف الغمة بإسناده إلى صفوان الجمّال، قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بالحيرة إذ أقبل الربيع، فقال أجب أمير المؤمنين فلم يلبث أنّ عاد فقلت دعاك فأسرعت الانصراف، فقال إنّه سألني عن شيء فالقَ الربيع فاسأله عنه كيف صار الأمر الّذي سألني عنه قال صفوان وكان بيني وبين الربيع لطف، فخرجت فأتيت الربيع فسألته عمّا دعا المنصور أبا عبد الله عليه السلام لأجله، فقال الربيع أخبرك بالعجب إن الأعراب خرجوا يجتنون الكمأة فأصابوا في البدو خلقاً ملقى، فأتوا به فأدخلته على المنصور لأُعجبه منه، فوضعته بين يديه، فلمّا رآه قال نحّه وادع لي جعفر بن محمّد، فدعوته فقال يا أبا عبد الله أخبرني عن الهواء ما فيه، فقال في الهواء موج مكفوف فقال فيه سكّان، قال نعم قال وما سكّانه قال خلق أبدانهم خلق الحيتان، رؤوسهم رؤوس الطير ولهم أعراف كاعراف الدّيكة، وبغابغ كبغابغ الديكة، وأجنحة كأجنحة الطير في ألوان أشدّ بياضاً من الفضة المجلوّة، فقال المنصور هلمّ الطشت فجئت بها وفيها ذلك الخلق فإذا هو والله كما وصف جعفر بن محمّد عليه السلام، فلمّا نظر إليه جعفر عليه السلام قال هذا هو الخلق الّذي يسكن الموج المكفوف، فأذن له بالانصراف فلمّا خرج قال ويلك يا ربيع هذا الشجا المعترض في حلقي من أعلم الناس.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١ ح ١٥٠٦.

وأمّا قوله عليه السلام ثمَّ وكّل بالفلك ملائكة يديرونه، فهو ممّا يدلّ على أن حركته ليست بالإرادة والاختيار منه كما قاله الفلاسفة ومتابعوهم من أن الأفلاك بأجمعها حية ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها، وأكثرهم على أن غرضها من حركاتها نيل التشبّه بجنابه والتقرّب إليه جل شأنه، وبعضهم على أن حركاتها لورود الشوارق القدسيّة عليها آناً فآناً، فهي من قبيل الطرب والرقص الحاصل من شدّة السرور والفرح، وقال إن البعوضة والنملة فما دونها حية فما ظنك بأجرام شريفة تنزل من حركاتها البركات، وهذا الكلام مصادم للإجماع والأخبار.

أمّا الأوّل فقال علم الهدى طاب ثراه في كتاب الغرر والدّرر: لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب فإنّها مسخرة ومدبّرة، وأمّا الثاني فالأخبار الدالّة عليه مستفيضة بل متواترة، منها ما رواه رئيس المحدّثين شيخنا الكليني طاب ثراه في باب حدوث العالم عن الصادق عليه السلام مع الزنديق، قال فيه أما ترى الشمس والقمر واللّيل والنهار يلجان فلا يشتبهان ويرجعان قد اضطرا ليس لهما مكان إلّا مكانهما فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعان وإن كانا غير مضطرّين فلمَ لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً، اضطرا والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما والّذي اضطرهما أحكم منهما وأكبر، الحديث[1].

نعم نقول إنّ الأفلاك كغيرها من سائر الجمادات لها شعور التسبيح والذكر والخضوع والانقياد لخالقها بلسان المقال لا بلسان الحال كما قاله المرتضى رحمه الله وشاهده قوله عزَّ من قائل: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وفي الخبر أن تسبيح الماء دويّه والرعد صوته والجدار سقوطه، وقد زار عابد عابداً فلمّا جلس معه في البيت إذا السقف يتفرقع فخاف الضيف، فقال له صاحب المنزل لا تخف فإنّ هذا السقف يسبّح الله ويعبده فقال الضيف نعم يا أخي ولكن أخاف أن تدركه الرقة فيسجد. ونظر بعض الأعلام إلى ظاهر الآية وقال إن تسبيح الحصا في يده صلى الله عليه وآله ليس معجزة له، بل المعجزة هنا إسماع الصحابة ذلك التسبيح وكذلك الوحوش والطيور والحيتان على ما روي من أن الطير لا يقع في الحبالة إلاّ عند غفلته عن ذكر الله والتسبيح، وكذلك السمك والوحوش والطيور.

وقوله عليه السلام وذلك عند انكساف الشمس وكذلك يفعل بالقمر فيه دلالة ظاهرة

(١) الكافي ج ١ ص ٧٢ باب حدوث العالم.

على أن الشمس والقمر في فلك واحد، ولا يعارض هذا سوى أقاويل المنجّمين ودلائلهم وإلاّ فقد تحققت أن الثوابت إنّما هي في السماء الأولى ولا نقول كلّ الكواكب فيها فإنّه قد روى في الأخبار أنّ من الكواكب ما يكون في غيرها روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى ابن مزاحم قال سئل علي عليه السلام عن الطارق، قال هو أحسن نجم في السماء وليس تعرفه الناس، وإنما سمّي الطارق لأنّه يطرق نوره سماء سماء إلى سبع سموات ثمّ يطرق راجعاً حتّى يرجع إلى مكانه، وعن الصادق عليه السلام أنّه قال لليمانيّ ما زحل عندكم في النجوم فقال اليماني نجم نحس، فقال أبو عبد الله عليه السلام لا تقل هذا فإنّه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الأوصياء عليهم السلام وهو النجم الثاقب الّذي قال الله في كتابه. فقال اليماني فما معنى الثاقب فقال: إنّ مطلعه في السماء السابعة وإنّه ثقب بضوئه حتّى أضاء في السماء الدنيا فمن ثمَّ سماه الله النجم الثاقب.

أقول يمكن أن يكون هذا هو الطارق بعينه ويكون معنى قوله عليه السلام: «لا تعرفه النّاس» أنّهم لا يعرفون صفاته وعلاماته وانتهاء أنواره وإن عرفوا اسمه وبعض أحكامه، فإنّ الكواكب التي عرفوها بالإرصاد هي السبعة السيّارة، وعرفوا من الثوابت ألفاً واثنين وعشرين أو خمساً وعشرين ثوابت، رصدوها وعيّنوا مواضعها طولاً وعرضاً بالنسبة إلى منطقة البروج، وأمّا غير المرصودة من الثوابت فغير محصورة.

وروى رئيس المحدّثين شيخنا الكليني طاب ثراه عن الصادق عليه السلام قال إنّ الله عزّ وجلّ خلق نجماً في الفلك السابع فخلقه من ماء بارد وسائر النجوم الستّة الجاريات من ماء حارّ وهو نجم الأنبياء والأوصياء وهو نجم أمير المؤمنين عليه السلام يأمر بالخروج من الدنيا والزهد فيها ويأمر بافتراش التراب وتوسّد اللّبن وأكل الجشب وما خلق الله نجماً أقرب إلى الله منه وهذا النجم هو زحل، وفيه دلالة على خطأ المنجّمين في طبائع الكواكب وفي سعودها ونحوسها، فإنّ زحل عندهم أنحس الكواكب كما عرفت.

وأما قول الصدوق رحمه الله إنّ الّذي يخبر به المنجّمون من الكسوف فهو غير هذا، فلا يخفى ما فيه، إذ المنجّمون يخبرون بأكثر الكسوفات بل بكلّها على ما هو المشاهد منهم في هذه الأعصار، نعم قد يخبرون عنه فلا يقع ولكن كل ما يقع يخبرون عنه قبل وقوعه وسيأتي تحقيق الجواب عنه في النور الآتي إن شاء الله تعالى.

إذا عرفت هذا فاعلم أن بعض المحقّقين ممّن قال بمقالة المنجّمين وأهل الفلسفة من حياة الأفلاك والكواكب وإنّ كلّ واحد من السيارات السبع مدبّر لفلكه كالقلب في بدن الحيوان، وإنّ كلّ كوكب منها ينزل مع أفلاكه منزلة حيوان واحد ذي نفس واحدة يتعلّق بالكواكب أوّل تعلقها، وبواسطة الكواكب يتعلّق بالأفلاك كما تتعلّق نفس الحيوان بقلبه وبأعضائه الباقية بعد ذلك، فالقوّة المحرّكة منبعثة عن الكوكب الّذي هو كالقلب في أفلاكه التي هي كالجوارح والأعضاء الباقية، قد استدل على حياة القمر وتصرّفه في فلكه بالفقرات المذكورة في أوّل دعاء الهلال من الصحيفة السجّادية، وهي قوله عليه السلام : أيّها الخلق المطيع الدائب السريع، المتردّد في منازل التقدير المتصرّف في فلك التدبير، ووجه الاستدلال بأمور:

الأوّل: من جهة الخطاب وتوجيهه إليه وذلك لا يكون إلاّ لصاحب الحياة

الثاني: وصفه بالسرعة فإنّ المراد بحركته السريعة أمّا الحركة الذاتية التي يدور بها على نفسه كما قال به جمع كثير من محقّقي الحكماء في كلّ الكواكب وفرّع عليه المحقّق الطوسي طاب ثراه كون المحو المرئي في وجه القمر شيئاً غير ثابت في جرمه وإلاّ لتبدّل وضعه وأما حركته العرضيّة التي بتوسّط فلكه وهو الأظهر لأنّ الأولى غير محسوسة ولا معروفة والحمل على المحسوس المتعارف أولى وسرعة حركة القمر بالنسبة إلى سائر الكواكب.

أما الثوابت فظاهر لكون حركتها من ابطأ الحركات، حتّى إن أكثر القدماء لم يدركوها، ومن أدركها من قدمائهم ومتأخّريهم قال إنّها تتمّ الدورة في ثلاثين ألف سنة، وقيل إنّها تتمّ الدورة في ستّة وثلاثين ألف سنة بناء على أن بطليموس وجد بالرصد أنّها تقطع في كلّ سنة جزءاً واحداً، وقيل تتمّ الدورة في ثلاثة وعشرين ألف سنة وسبعمائة وستّين سنة بناء على ما وجده المتأخّرون في زمان المأمون من أنّها تقطع درجة واحدة في كلّ ست وستين سنة، وقيل تتمّها في خمسة وعشرين ألف سنة ومائتي سنة بناء على أن جماعة من محقّقي المتأخّرين وجدوها تقطع جزءاً واحداً في كلّ سبعين سنة، وهذا هو الموافق للرصد الجديد الّذي بمراغة، وأمّا السيارات فلأنّ زحل يتمّ الدورة في ثلاثين سنة، والمشتري في اثنتي عشرة سنة، والمرّيخ في سنة وعشرة أشهر ونصف وكلاً من الشمس والزهرة وعطارد في قريب من السنة.

وأمّا القمر فيتمّ الدورة في قريب من ثمانية وعشرين يوماً، وقال شيخنا البهائي رحمه الله : لا يبعد أن يكون وصفه عليه السلام القمر بالسرعة باعتبار حركته المحسوسة

على أنّها ذاتيّة له بناءً على تجويز بعض الحركات للسيارات في أفلاكها من قبيل حركة الحيتان في الماء كما ذهب إليه جماعة، ويؤيّده ظاهر قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ودعوى امتناع الخرق على الأفلاك لم تقترن بالثبوت، وما لفّقه الفلاسفة لإثباتها أوهن من بيت العنكبوت لابتنائه على عدم قبول الأفلاك بأجزائها الحركة المستقيمة ودون ثبوته خرط القتاد، والتنزيل الإلهي الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ناطق بانشقاقها، وما ثبت من معراج نبيّنا ﷺ بجسده المقدّس إلى السماء السابعة فصاعداً شاهد بانخراقها.

الثالث: من قوله عليه السلام: المتصرّف في فلك التدبير. فإن ظاهر التصرّف الحياة والإدراك كما هو ظاهر والجواب أمّا عن الأول فبأنّ الخطاب لا يدلّ على الحياة لأنّه قد تعارف نداء الأطلال والمنازل وأمّا عن الثاني فبأنّ خالقه ومدبره ومقدّره هو الّذي يحركه بسرعة وبطء وأمّا عن الثالث فبأنّ إضافة الفلك إلى التدبير من قبيل إضافة الظرف إلى المظروف أي الفلك الّذي هو محلّ التدبير نظراً إلى أن ملائكة سماء الدنيا يدبّرون أمر العالم السفلي كما ذكره جماعة من المفسّرين في قوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥].

نور شمسي

اعلم وفّقك الله أنّ من أعظم نعم الله تعالى على عباده خلق الشمس ضياءً لهم وللسعي إلى المعايش ولنضج الأثمار ولمعرفة الأوقات وغير ذلك من الفوائد وهذا النور الّذي هو فيها هل هو ذاتي لها أم حصل لها من جسم آخر كالعرش كما حصل للقمر نور منها، ولعلّ في الأخبار دلالة على الأمرين، ووجه الجمع ما تقدّم في القمر وقد روى شيخنا الكليني عطّر الله مرقده بسند صحيح عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروونه من الرؤية[1] فقال

(١) المراد من الرؤية هو رؤية الله تعالى بالبصر وأحالها في الدنيا والآخرة من المسلمين قوم وأجازها في النشأتين آخرون. وذهبت الإمامية تبعاً لائمة العترة الطاهرة إلى الأوّل ووافقهم المعتزلة وأمّا الاشاعرة من أهل السنّة فذهبوا إلى الثاني وقالوا بامكانها في الدارين مجمعين على وقوعها في الدار الآخرة وأن جميع أهل الجنّة سيرونه فيها بأبصارهم واختلفوا في وقوعها في الدنيا فمنهم من قال بوقوعها من رسول الله ﷺ ومنهم من قال بعدم وقوعها أصلاً ومنهم من توقف. وتدل البراهين العقلية ونصوص الكتاب والسنّة على مذهب الإمامية وصنف أصحابنا رضوان الله عليهم في هذه المسألة كتباً مستقلة وأحسن كتاب ألف فيها هو =

الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من نور الشمس ليس دونها سحاب، وهذا الحديث يحتمل الأمرين لأن قوله عليه السلام جزء من سبعين جزءاً يجوز أن يكون المراد في المقابلة والمعادلة، ويجوز أن يكون في الاكتساب والاستفاضة منه(١).

وروى الصدوق رحمه الله بإسناده إلى أبي ذر الغفاري قال كنت آخذاً بيد النبيّ صلى الله عليه وآله ونحن نتماشى جميعاً، فما زلنا ننظر إلى الشمس حتّى غابت فقلت يا رسول الله أين تغيب قال في السماء، ثمَّ ترفع من سماء إلى سماء حتّى ترفع إلى السابعة العليا حتّى تكون تحت العرش فتخرّ ساجدة فتسجد معها الملائكة الموكّلون بها، ثمَّ تقول يا رب من أين تأمرني أن أطلع من مغربي أو من مطلعي، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، يعني بذلك صنع الربّ العزيز في ملكه بخلقه، قال فيأتيها جبرائيل عليه السلام بحلّة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره في الشتاء أو ما بين ذلك في الخريف والربيع، قال فتلبس تلك الحلّة كما يلبس أحدكم ثيابه ثمَّ تنطلق بها في جوّ السماء حتّى تطلع من مطلعها، قال النبيّ صلى الله عليه وآله فكأني بها قد حبست مقدار

= الأثر القيم النفيس كتاب (حول الرؤية) لسيدنا الإمام المجتهد الأكبر السيّد شرف الدين العاملي قدس سره المطبوع بمطبعة العرفان في صيدا - لبنان سنة (١٣٧١هـ).
وذكر قدس سره من وجوه الأدلة العقلية على امتناع الرؤية ما هذا لفظه: إنّ الرؤية بالعين الباصرة لا تكون في حيز الممكنات ما لم تتصل اشعة البصر بالمرئي ومنزهو الله تعالى من أشاعرة وغيرهم مجمعون على امتناع اتصال شيء ما بذاته جل وعلا. ثم قال قدس سره وللإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمّد العسكري عليه السلام أسلوب آخر في تقرير هذا الوجه يوافق رأي الفلاسفة من أهل هذا العصر أخرجه ثقة الإسلام أبو جعفر الشيخ محمد بن يعقوب الكليني في باب ابطال الرؤية من كتاب التوحيد من أصول الكافي بسنده إلى أحمد بن إسحاق قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث اسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس. فكتب عليه السلام: لا تجوز الرؤية عقلاً ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر فإذا انقطع الهواء عن الرائي أو المرئي لم تصح الرؤية. وذكر قدس سره في ذيل الصفحة: الهواء كنه المعنى الّذي يعبر عنه فلاسفة اليوم بالأثير الممتد عندهم من عين الرائي إلى المرئي انظر إلى صفحة (٤) من ذلك الأثر الخالد.

(١) الكافي ج ١ ص ٩٨ باب في إبطال الرؤية.

ثلاث ليال ثمّ لا تكسى ضوءاً وتؤمر أن تطلع من مغربها، فذلك قوله عزّوجلّ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: ١-٢]؛ والقمر كذلك من مطلعه ومجراه في أفق السماء ومغربه وارتفاعه إلى السماء السابعة ويسجد تحت العرش وجبرائيل يأتيه بالحلّة من نور الكرسي، فذلك قوله عزّوجلّ: ﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، قال أبو ذر رضي الله عنه ثمّ اعتزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فصلينا المغرب.

وأما حركة الشمس فقد عرفت أنّها بالجبر والاضطرار لا بالشعور والاختيار كما قاله الحكماء والمنجّمون، روى الصدوق رحمه الله عن محمّد بن مسلم أنّه سأل أبا جعفر عليه السلام عن ركود الشمس فقال يا محمّد ما أصغر جثتك وأعضل مسألتك وإنّك لأهل الجواب، إنّ الشمس إذا طلعت جذبها سبعون ألف ملك بعد أن أخذ بكلّ شعبة منها خمسة آلاف من الملائكة من بين جاذب ودافع حتّى إذا بلغت الجو وجازت الكوّة قلبها ملك النور ظهراً لبطن فصار ما يلي الأرض إلى السماء وبلغ شعاعها تخوم العرش، فعند ذلك نادت الملائكة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله، والحمد لله الّذي لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذلّ وكبّره تكبيراً، فقلت له جعلت فداك أحافظ على هذا الكلام عند زوال الشمس فقال نعم حافظ عليه كما تحافظ على عينيك، فإذا زالت الشمس صارت الملائكة من ورائها يسبّحون الله في ذلك الجوّ إلى أن تغيب.

أقول يستفاد من هذا الحديث أسرار: **الأوّل** إن نور الشمس إذا زالت يشرع في النقصان إلى أن تغيب، فظهر أن السبب فيه قلب ملك النور لها وكون قفاها صار إلينا وضوؤها أقلّ من ضوء وجهها، **الثاني** أنّ حركة الشمس من ابتداء الزوال يكون أسرع من حركتها أوّل النهار كما هو المشاهد فظهر سببه أيضاً وهو أنّها في أوّل النهار كانت صاعدة ومن الزوال صارت هابطة، وحركة الهبوط أسرع من حركة الصعود كما لا يخفى، وقد لحظ الشارع هذا فجعل لفريضة الظهر قدمين وللعصر أربعة، وذلك أنّ الجسم الآخذ في الهبوط كلّما توغّل فيه أسرع في الحركة فيكون أربعة أقدام للعصر موازية لقدمي الظهر في الزمان.

الثالث: إنّ هذا الركود هو زمان قلب ملك النور لها ظهراً لبطن، وقد سئل الصادق عليه السلام عن الشمس كيف تركد كلّ يوم ولا يكون لها يوم الجمعة ركود، قال لأن الله عزّوجلّ جعل يوم الجمعة أضيق الأيّام قال لأنّه لا يعذّب المشركون في ذلك

اليوم لحرمته عنده وعلّة أُخرى رواها حريز بن عبد الله قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل فقال له جعلت فداك إن الشمس تنقض ثمّ تركد ساعة من قبل أن تزول، فقال: إنّها تؤامر أتزول أم لا تزول فهذه ثلاث علل لركود الشمس، وتفصيل العلّة الثانية ما رواه محمد بن إسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام قال قلت له بلغني أن يوم الجمعة أقصر الأيام، قال كذلك هو قلت جعلت فداك كيف ذلك، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله يجمع أرواح المشركين تحت عين الشمس، وعذّبت أرواح المشركين بركود الشمس فإذا كان يوم الجمعة لا يكون ركود، ورفع عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة فلا يكون للشمس ركود.

بقي الكلام في تحقيق الركود هنا لما يرد على ظاهره من أن كلّ نقطة من مدار الشمس محاذية لسمت رأس أفق من الآفاق، فيلزم سكون الشمس دائماً لو سكنت حقيقة عند الزوال، وتخصيص الركود بأفق خاصّ كمكّة أو المدينة مع بعده يستلزم سكونها في البلاد الأُخر بحسبها في أوقات أُخر، فإن ظهر مكّة مثلاً يكون وقت الضحى في بلاد أفق آخر فيلزم ركودها في ضحى ذلك الأفق، ولا يلتزمه أحد ومن ثمَّ قال بعض محقّقي مشايخنا رحمهم الله تعالى الوجه في ركود الشمس قبل الزوال تزايد شعاعها آناً فآناً وانتقاص الظلّ إلى حد ما ثمَّ انتقاص الشعاع وتزايد الظلّ.

وقد ثبت في محلّه أن كلّ حركتين مختلفتين لا بدّ بينهما من سكون، فبعد بلوغ نقصان الظلّ إلى الغاية وقبل أخذه في الازدياد لا بدّ وأن يركد شعاع الشمس في الأرض ساعة، ثمَّ يزيد وهذا ركودها في الأرض من حيث شعاعها بحسب الواقع وقد حصل بتبعيّة الظلال، والحاصل أن المراد بركود الشمس حين الزوال عدم ظهور حركتها بقدر يعتدّ بها عند الزوال وعدم ظهور تزايد الظلّ حينئذ بخلاف الساعات السابقة واللاّحقة، وعبّر عن ذلك بالركود بناء على الظاهر وفهم العوام، هذا كلامهم قدّس الله أرواحهم.

ويمكن أن يقال إنّك قد تحقّقت العلّة في ركود الشمس وهو تعذيب أرواح الكفّار، وأرواح الكفّار إنّما تعذب في نار الدنيا وهي وادي برهوت في حضرموت اليمن كما أنّ أرواح المؤمنين تنعم في وادي السلام الواقع في ظهر الكوفة، وتعذيب أرواح الكفّار في ساعة ركود الشمس في حرارتها إنّما هو نوع خاص من العذاب، وحينئذ فينبغي أن يكون مناط الركود هو بلاد التعذيب وما شابهها وهو اليمن ومكّة والمدينة والعراق وما والاه وكون هذا السكون في ضحى بلاد أُفق آخر ممّا نلتزمه

ونقول به، مع أنّ مبنى هذا كلّه إنّما هو على كرويّة الأرض ودونه خرط القتاد كما سيأتي إن شاء الله تعالى، فظهر من هذا أن الفلك ليس منتظم الحركة لا يخرج عن وضعه كما قاله الفلاسفة، وسيأتي لهذا مزيد تحقيق إذا وصلت النوبة إلى أنوار الأرض إن شاء الله تعالى، وحيث انتهى الحال بنا إلى هذا المقال فلا بأس بذكر العلم المتعلق بالنجوم وحقيقته أو إبطاله.

نور نجومي

في بيان العلم الّذي انكب عليه النّاس في هذه الأعصار في أكثر بلاد الإسلام وأخذوا ساعات سعودهم ونحوسهم منه وهو علم النجوم، وتحقيق الكلام فيه لا يتمّ إلاّ بنقل كلام أعيان الأصحاب والأخبار الواردة فيه عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام، حتّى يظهر أن اتفاق الأصحاب إنّما جاء من قبل اتّفاق الأخبار، فنقول قال شيخنا المفيد نور الله ضريحه في كتاب المقالات(١) أقول إن الشمس والقمر وسائر النجوم أجسام ناريّة لا حياة لها ولا موت ولا تميز خلقها الله تعالى لينتفع بها عباده، وجعلها زينة لسمواته وآيات من آياته، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾

---

(١) وقد برز هذا الكتاب القيم - اعني أوائل المقالات مع شرح اعتقادات الصدوق أو تصحيح الاعتقاد أيضاً للشيخ الأكبر رئيس المذهب الشيخ المفيد قدس سره إلى عالم المطبوعات سنة (١٣٦٤هـ) بتبريز باهتمام حضرة العلاّمة المتضلع خطيبنا الشهير المحقق الحاج ميرزه عباسقلي الواعظ الجرندابي دامت افاضاته مع تعليقات نفيسة منه دام بقاؤه على الكتابين ثم باشر بطبعهما ثانياً في سنة (١٣٧١) بتبريز وعلق أيضاً على الكتابين تعاليق نافعة مع زيادات مهمة لم تكن في الطبعة الأولى ونحن نقدر لسماحته تحمل أعباء هذه المشقات الكادحة والجهود الجبارة مع عبقرية فذة في سبيل نشر الكتابين والتعليق عليهما، وما نقله المصنف رحمه الله من كتاب المقالات هو الفصل الّذي لم يكن موجوداً في النسخة التي طبع الكتاب منها ولكن وجده العلاّمة الشيخ فضل الله الزنجاني من كتاب فرج المهموم المطبوع بالنجف الأشرف في المطبعة الحيدرية سنة (١٣٦٨هـ) للسيد صاحب الكرامات السيّد ابن طاووس الحسني رحمه الله وألحقه بآخر أوائل المقالات انظر ص ١١٧ ط ٢ تبريز وهذا الفصل موجود في كتاب فرج المهموم المخطوط الموجود في مكتبتنا.

[فصلت: ١٢]، فأمّا الأحكام على الكائنات بدلائلها والكلام على مدلول حركاتها فإنّ العقل لا يمنع منه ولسنا ندفع أن يكون الله تعالى اعلمه بعض أنبيائه، وجعله علَماً له على صدقه، غير أنّا لا نقطع عليه ولا نعتقد استمراره في النّاس إلى هذه الغاية، وأمّا ما نجده من أحكام المنجّمين في هذا الوقت وإصابة بعضهم فيها فإنّا لا ننكر أن يكون ذلك بضرب من التجربة وبدليل عادة، وقد يتخلّف أحياناً ويخطىء المعتمد عليه كثيراً، ولا يصحّ إصابته فيه أبداً لأنّه ليس بجار مجرى دلائل العقول ولا براهين الكتاب وأخبار الرسول، وهذا مذهب جمهور متكلّمي أهل العدل وإليه ذهب بنو نوبخت رحمهم الله تعالى من الإماميّة، وأبو القاسم وأبو عليّ من المعتزلة هذا كلامه طاب ثراه.

وقال سيّدنا المرتضى أعلى الله مقامه في دار المقامة في جواب المسائل السلاريّة بعد ما أبطل كون النجوم مؤثّرة بدلائل وبراهين وأمّا الوجه الآخر وهو أن يكون الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل أفعالاً مخصوصة عند طلوع كوكب أو غروبه أو اتّصال ما أو مفارقة فقد بيّنا أنّ ذلك ليس بمذهب المنجمين البتّة وإنّما يتحملون الآن بإظهاره وإنّه قد كان جائزاً أن يجري الله العادة بذلك لكن لا طريق إلى العلم بأنّ ذلك قد ثبت ووقع ومن أين لنا طريق أن الله تعالى أجرى العادة بأن يكون زحل أو المرّيخ إذا كان في درجة الطالع كان نحساً، وأن المشتري إذا كان كذلك كان سعداً وأي شيء خبّر به واستفيد من جهته، فإن عوّلوا في ذلك على التجربة وأنّا جرّبنا ذلك ومن كان قبلنا فوجدناها على هذه الصفة، وإذا لم يكن موجباً فيجب أن يكون معتاداً.

قلنا ومن سلّم لكم صحة هذه التجربة وانتظامها واطرادها وقد رأينا خطأكم فيها أكثر من صوابكم وصدقكم أقلّ من كذبكم، فإن نسبتم الصحّة إذا اتّفقت منكم إلى الاتفاق الّذي يقع من التخمين والرجم فقد رأينا من يصيب من هؤلاء أكثر ممن يخطىء وهو على غير أصل معتمد ولا قاعدة صحيحة، فإن قلتم سبب خطأ المنجّم زلل دخل عليه في أخذ الطالع أو في سير الكواكب قلنا ولم لا كانت إصابته سببها الاتفاق والتخمين وإنّما كان يصح لكم هذا التأويل والتخريج لو كان على صحّة أحكام النجوم دليل قاطع هو غير إصابة المنجّم، فأما إذا كان دليل صحة الأحكام الإصابة فقد كان دليل فسادها الخطأ.

وممّا أفحم به القائلون بصحّة الأحكام ولم يحصل عنه منهم جواب أن قيل لهم في شيء بعينه خذوا الطالع واحكموا هل يؤخذ أو يترك، فإن حكموا إمّا بالأخذ أو الترك خولفوا وفعل خلاف ما أخبروا به وقد أعضلتهم هذه المسألة.

ثمَّ قال إنّ من معجزات الأنبياء عليهم السلام إخبارهم بالغيوب فكيف يقدر عليها غيرهم فيصير ذلك مانعاً من أن يكون ذلك معجزاً لهم، ثمَّ قال والفرق بين ذلك وبين سائر ما يخبرون به من تأثيرات الكواكب في أجسامنا، فالفرق بين الأمرين أنّ الكسوفات واقترانات الكواكب وإنفصالها طريقة الحساب وسير الكواكب، وله أصول صحيحة وقواعد سديدة وليس كذلك ما يدّعونه من تأثيرات الكواكب في الخير والشر والنفع والضرر ولو لم يكن من الفرق بين الأمرين إلّا الإصابة الدائمة المتّصلة في الكسوفات وما يجري مجراها ولا يكاد يتّفق خطأ البتّة، فإن الخطأ المعهود الدائم إنّما هو في الأحكام الباقية حتّى إنّ الصواب هو العزيز فيها وما يتّفق بقلّة فيها من إصابة فقد يتفق من المنجّمين أكثر منه، فحمل أحد الأمرين على الآخر قلّة دين وحياء انتهى.

وقال في الغرر والدرر قد أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تكذيب المنجّمين والشهادة بفساد مذاهبهم وبطلاَن أحكامهم، ومعلوم من دين الإسلام ودين الرسول صلى الله عليه وآله ضرورة التكذيب لما يدّعيه المنجمون والإزراء عليهم والتعجيز لهم، وفي الروايات عنه صلى الله عليه وآله ما لا يحصى كثرة، وكذا عن علماء أهل بيته عليهم السلام وخيار أصحابه فما زالوا يتبرأون من مذاهب المنجمين ويعدّونها ضلالاً ومحالاً، هذا كلامه طاب ثراه.

وقال العلاّمة قدّس الله روحه في المنتهى التنجيم حرام، وكذلك تعلّم النجوم مع اعتقاد أنّها مؤثرة أو أن لها مدخلاً في التأثير في النفع والضرر، وبالجملة كلّ من يعتقد ربط الحركات النفسانيّة والطبيعية بالحركات الفلكيّة والاتّصالات الكوكب كافر، وأخذ الأُجرة على ذلك حرام، وأمّا من يتعلّم النجوم ليعرف قدر سير الكواكب وبعده وأحواله من التربيع والكسوف وغيرهما فإنّه لا بأس به انتهى.

وقال شيخنا الشهيد رحمه الله في قواعده كلّ من اعتقد في الكواكب أنّها مدبّرة لهذا العالم وموجدة ما فيه فلا ريب أنّه كافر، وإن اعتقد أنّها تفعل الآثار المنسوبة إليها والله سبحانه هو المؤثّر الأعظم كما يقوله أهل العدل فهو مخطىء، إذ لا حياة لهذه الكواكب ثابتة بدليل عقلي ولا نقلي، وبعض الأشعريّة يكفرون هذا كما يكفرون الأوّل، وأوردوا على أنفسهم عدم إكفار المعتزلة وكلّ من قال بفعل العبد، وفرّقوا بأن الإنسان وغيره من الحيوان يوجد فعله من أن التذلّل ظاهر عليه فلا يحصل منه اهتضام بجانب الربوبيّة بخلاف الكواكب فإنّها غائبة عنا، فربّما أدّى ذلك إلى اعتقاد استقلالها وفتح باب الكفر.

وأما ما يقال من أن استناد الأفعال إليها كاستناد الإحراق إلى النار وغيرها من العاديات، بمعنى أن الله تعالى أجرى عادته أنّها إذا كانت على شكل مخصوص أو وضع مخصوص يفعل بها ينسب إليها ويكون ربط المسببات بها كربط مسببات الأدوية والأغذية بها مجازاً باعتبار الربط العادات الفعليّ الحقيقي فهذا لا يكفر معتقده، ولكنّه مخطيء أيضاً وإن كان أقل خطأ من الأوّل، لأن وقوع هذه الآثار عندها ليس بدائم ولا أكثريّ.

وقال في الدروس ويحرم اعتقاد تأثير النجوم مستقلة أو بالشركة، والإخبار عن الكائنات بسببها أمّا لو أخبر بجريان العادة أن الله تعالى يفعل كذا عند كذا لم يحرم وإن كره، على أن العادة فيها لا تطرد إلّا فيما قلّ، وأما علم النجوم فقد حرّمه بعض الأصحاب ولعله لما فيه من التعرّض للمحظور من اعتقاد التأثير، أو لأن أحكامه تخميناً، وأمّا علم هيئة الأفلاك فليس حراماً بل ربما كان مستحبّاً لما فيه من الاطّلاع على حكم الله وعظم قدرته.

وقال شيخنا الشيخ عليّ قدّس الله روحه التنجيم الإخبار عن أحكام النجوم باعتبار الحركات الفلكيّة والاتّصالات الكوكبيّة التي مرجعها إلى القياس والتخمين، إلى أن قال وقد ورد عن صاحب الشرع النهي عن تعلّم النجوم بأبلغ وجوهه، حتّى قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه إيّاكم وتعلّم النجوم إلاّ ما يهتدى به في برّ أو بحر، فإنّها تدعو إلى الكهانة والمنجّم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار.

إذا تمهّد (تقرّر خ ل) ذلك فاعلم أن التنجيم مع اعتقاد أن للنجوم تأثيراً في الموجودات السفليّة ولو على جهة المدخليّة حرام، وكذا تعلم النجوم على هذا الوجه بل هذا الاعتقاد كفر في نفسه نعوذ بالله منه، أما التنجيم لا على هذا الوجه مع التحرّز عن الكذب فإنّه جائز فقد ثبت كراهية التزويج وسفر الحجّ في العقرب وذلك من هذا القبيل نعم هو مكروه لئلا ينجرّ إلى الاعتقاد الفاسد وقد ورد النهي مطلقاً حسماً للمادة.

وقال شيخنا البهائي عطّر الله مرقده ما يدّعيه المنجمون من ارتباط بعض الحوادث السفلية بالأجرام العلوية أن زعموا أن تلك الاجرام هي العلّة المؤثّرة في تلك الحوادث بالاستقلال وأنّها شريكة في التأثير فهذا لا يحلّ للمسلم اعتقاده، وعلم النجوم المبتني على هذا كفر والعياذ بالله، وعلى هذا حمل ما ورد في الحديث

من التحذير عن علم النجوم والنهي عن اعتقاد صحته، وإن قالوا إنّ اتصالات تلك الأجرام وما يعرض لها من الأوضاع علامات على بعض حوادث هذا العالم مما يوجده الله تعالى بقدرته وإرادته كما أن حركات النبض واختلاف أوضاعه علامات يستدّل بها الطبيب على ما يعرض للبدن من قرب الصحة أو اشتداد المرض ونحو ذلك، وكما يستدل باختلاج بعض الأعضاء على بعض الأحوال المستقبلة فهذا لا مانع منه ولا حرج في اعتقاده وما روي من صحّة علم النجوم وجواز تعلّمه محمول على هذا المعنى وأمّا السّيد الأجل ابن طاووس طاب ثراه فقد صنّف رسالة نفى فيها تأثيرات الكواكب وأثبت فيها كونها علامات ودلائل على الحوادث، وجوّز تعليمها وتعلّمها والنظر فيها.

إذا عرفت هذا فاعلم أن محصّل كلام الأصحاب هو هذا وهو أن المفيد طاب ثراه أثبت كون الإصابة في علم النجَوم إنّما هي مبنيّة على التجربة، وأما المرتضى طاب ثراه فقد نفاه حتّى التجارب فهو قد نفى علم النجوم أصلاً ورأساً، نعم أثبت الكسوفات ونحوها بالحساب وليس هو من علم النجوم في شيء، وأمّا العلاّمة ومن تأخر عنه فقد قالوا بأنّه علم لكن يحرم تعلّمه إلاّ لمعرفة قدر سير الكوكب وبعده وبعضهم حرّمه مطلقاً وأما السيّد ابن طاووس وشيخنا البهائي فقد جوزا تعلّمه وتعليمه على وجه خاص وهو كون النجوم علامات والّذي دلّت عليه الأخبار هو أن هذا العلم علم شريف وأنّ النجوم علامات على الكائنات، ولكن قد ورد النهي من الشارع عن هذا العلم مطلقاً فههنا ثلاث مقامات:

المقام الأول: في أن علم النجوم علم شريف من أشرف العلوم وقد علّمه الله تعالى لأنبيائه والأوصياء منهم وتصديقه ما رواه السيّد ابن طاووس بإسناده إلى قيس بن سعد قال كنت كثيراً ما أُساير أمير المؤمنين صلوات الله عليه إذا سار إلى وجه من الوجوه فلمّا قصد أهل النهروان وصرنا بالمدائن وكنت يومئذ مسايراً له إذ خرج إليه قوم من أهل المدائن ودهاقينهم معهم براذين قد جاؤوا بها هدية إليه فقبلها، وكان فيمن تلقّاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى سرسقيل[1] وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى وترجع إلى قوله فيما سلف فلمّا بصر بأمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) وفي رواية عن الاصبغ بن نباتة إنّ اسمه سرسفيل سوار وفي آخرها قال لأمير المؤمنين عليه السلام مد يدك فأنا اشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأنك الإمام والوصي المفترض الطاعة.

قال يا أمير المؤمنين لترجع عمّا قصدت، قال ولم ذاك يا دهقان قال يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطوالع، فنحس أصحاب السعود وسعد أصحاب النحوس ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاستخفاء والجلوس، وإنّ يومك هذا يوم مميت قد اقترن فيه كوكبان قتّالان، وشرق فيه بهرام في برج الميزان، وانقدح من برجك النيران وليس الحرب لك بمكان، فتبسمّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ثمَّ قال أيّها الدهقان المنبئ بالأخبار والمحذّر من الأقدار ما نزل البارحة في آخر الميزان وأيّ نجم حلّ في السرطان، قال سأنظر ذلك وأخرج من كمّه اصطرلاباً وتقويماً، قال له أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله أنت مسير الجاريات قال لا قال فأنت تقضي على الثابتات قال لا، قال فأخبرني عن حلول الأسد وتباعده عن الطالع والمراجع، وما الزهرة من التوابع والجوامع، قال لا علم لي بذلك قال فما بين السواري إلى الداري وبين الساعات إلى المعجزات، وكم قدر شعاع المبدرات ولِمَ يحصل العجز في الغدوات، قال لا علم لي بذلك، قال فهل علمت يا دهقان أنّ الملك اليوم انتقل من بيت إلى بيت بالصين، وانقلب برج ماچين واحترقت دور بالزنج وطفح جبّ سرانديب وتهدّم حصن الأندلس وهاج نمل الشح وانهزم مراق الهندي وفقد ديدان اليهود بأيلة، وهدم بطريك الروم بروميّة وعمي راهب عمورية، وسقطت شرافات القسطنطينيّة أفعالم أتت بهذه الحوادث وما الحوادث وما الّذي أحدثها شرقيّها أو غربيّها من الفلك، قال لا علم لي بذلك قال فهل علمت أنّه سعد اليوم إثنان وسبعون عالماً في كلّ عالم سبعون عالماً منهم في البرّ وبعض في الجبال وبعض في العمران وما الّذي أسعدهم، قال لا علم لي بذلك، قال يا دهقان أظنّك قد حكمت على اقتران المشتري وزحل لما استنارا لك في الغسق وظهر تلألؤ شعاع المرّيخ وتشريقه في السحر وقد سار فاتّصل جرمه بجرم تربيع القمر، وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلّهم يولدون اليوم واللّيلة، ويموت مثلهم وأشار بيده إلى جاسوس في عسكره لمعاوية فقال ويموت هذا فإنّه منهم، فلمّا قال ذلك ظنّ الرجل أنّه قال خذوه فأخذه شيء بقلبه وتكسّرت نفسه في صدره فمات لوقته، فقال عليه السلام يا دهقان ألم أزل عين التقدير في غاية التصوير، قال بلى يا أمير المؤمنين، قال يا دهقان أنا أخبرك أنّي وصحبي هؤلاء لا شرقيّون ولا غربيون إنّما نحن ناشئة القطب وما زعمت أنّه البارحة انقدح من برجي النيران فقد كان يجب أن تحكم معه لي لأنّ نوره وضياءه عندي ولهبه ذاهب عنّي، يا دهقان هذه قضية عيص فاحسبها وولدها إنّ كنت عالماً بالأكوار والأدوار، قال لو علمت ذلك لعلمت أنّك تحصي عقود القصب في هذه

الأجمة ومضى أمير المؤمنين عليه السلام فهزم أهل النهروان وقتلهم وعاد بالغنيمة والظفر. فقال الدهقان ليس هذا العلم بما في أيدي أهل زماننا هذا علم مادته من السماء[1].

وروى شيخنا الطبرسي قدّس الله روحه في كتاب الاحتجاج عن أبان بن تغلب قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل رجل من أهل اليمن فسلّم عليه، فردّ عليه أبو عبد الله عليه السلام فقال ما صناعتك يا سعد، فقال جعلت فداك أنا من أهل بيت نظر في النجوم لا يقال إنّ باليمن أحداً أعلم بالنجوم منّا، فقال أبو عبد الله عليه السلام ما اسم النجم الّذي إذا طلع هاجت الإبل، فقال اليماني لا أدري، فقال له أبو عبد الله عليه السلام صدقت فما اسم النجم الّذي إذا طلع هاجت البقر، فقال اليماني لا أدري، فقال له أبو عبد الله عليه السلام صدقت فما اسم النجم الّذي إذا طلع هاجت الكلاب، فقال اليماني لا أدري والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة وهو الدلالة على أنّ علم النجوم من أشرف العلوم، ويستفاد منه أيضاً أنّ النجوم علامات على ما في هذا العالم.

وروى ابن طاووس باسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال قد كان علم نبوّة نوح عليه السلام بالنجوم وروى أيضاً بإسناده إلى عطا قال قيل لعليّ بن أبي طالب عليه السلام هل كان للنجوم أصل، قال نعم نبيّ من الأنبياء قال له قومه إنّا لا نؤمن لك حتّى تعلمنا بدء الخلق وآجاله، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى غمامة فأمطرتهم واستنقع حول الجبل ماءاً صافياً، ثمَّ أوحى الله إلى الشمس والقمر والنجوم أن تجري في ذلك الماء، ثمّ أوحى الله إلى ذلك النبيّ أن يرتقي هو وقومه على الجبل فارتقوا الجبل فقاموا على الماء حتّى عرفوا بدء الخلق وآجاله بمجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنّهار وكان أحدهم يعلم من يموت ومتى يمرض ومن ذا الّذي يولد له ومن ذا الذي لا يولد له، فبقوا كذلك برهة من دهرهم ثمَّ إنّ داود عليه السلام قاتلهم على الكفر، فأخرجوا إلى داود عليه السلام في القتال من لم يحضر أجله ومن حضر أجله خلّفوه في بيوتهم، وكان يقتل من أصحاب داود عليه السلام ولا يقتل من هؤلاء أحد فأوحى الله عزّ وجلّ إليه إنّي كنت علّمتهم بدء الخلق وآجاله إنّما أخرجوا إليك من لم يحضر أجله ومن حضر أجله خلّفوه في بيوتهم فمن ثمَّ يقتل من أصحابك ولا يقتل منهم أحد، قال داود عليه السلام يا ربّ على ماذا علمتهم، قال على مجاري الشمس والقمر

(١) بحار الأنوار ج ٥٥ ص ٢٢٩.

والنجوم وساعات الليل والنّهار، قال فدعا الله فحبس الشمس عليهم فزاد في النهار واختلطت الزيادة بالليل والنّهار فلم يعرفوا قدر الزيادة، فاختلط حسابهم وقال عليه السلام فمن ثمَّ كره النظر في علم النجوم.

وروى أيضاً بإسناده إلى يونس بن عبد الرحمن قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك أخبرني عن علم النجوم ما هو، قال هو علم من علم الأنبياء قال فقلت كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعلمه، فقال كان أعلم الناس، وروى أيضاً في كتاب مسائل الصباح بإسناده إلى الريّان بن الصلت أن الصباح سأل الرضا عليه السلام عن علم النجوم، فقال هو علم من أصل صحيح وذكروا أنّ أوّل من تكلم بالنجوم إدريس عليه السلام وكان ذو القرنين بها ماهراً وأصل هذا العلم من عند الله عزّ وجلّ ، ويقال إن الله بعث النجم الّذي يقال له المشتري إلى الأرض في صورة رجل، فأتى بلد العجم فعلمهم في حديث طويل فلم يستكملوا ذلك، فأتى بلد الهند فعلم رجلاً منهم فمن هناك صار علم النجوم بها، وقد قال قوم هو علم من علم الأنبياء خصّوا به لأسباب شتّى فلم يستدرك المنجّمون الدقيقة فيها فشابوا الحقّ بالكذب.

وروى أيضاً عن الصادق عليه السلام قال في السماء أربعة نجوم لا يعلمها إلاّ أهل بيت من العرب وأهل بيت من الهند يعرفون منها نجماً واحداً فبذلك قام حسابهم، أقول المراد بالعرب أوصياء محمّد صلى الله عليه وآله كما أن المراد ببيت الهند أوصياء إدريس عليه السلام ، أو الّذي علّمه المشتري من أهل الهند، وروى أيضاً بإسناده إلى الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ [القمر: ١٩]، قال كان القمر منحوساً بزحل. فهذه جملة من الأخبار الدالة على كونه علما، وعلى استمرار بعض أحكامه ووقوعه في أيدي المنجمين، وأنّ النجوم علامات على آثار القادر المختار لكن لا يعرفها على الاطّراد والتحقيق إلّا من كان كاملاً في العلوم، وليس هو إلاّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، وقد كان دانيال له معرفة عظيمة فيه وكان منجّم بخت نصّر وكان له كتاب في النجوم بقي إلى هذا الآن وليس هذا العلم إلاّ كباقي العلوم الحقّة كالحديث والفقه فإنّه لا يعرفهما كما هما إلّا من آتاه الله الحكم وفصل الخطاب.

وأما هؤلاء المنجّمون فقد وقع بأيديهم منه أحكام قليلة قد شيب صدقها بكذبها كما أشير إليه سابقاً، فمن هذا قصرت معرفتهم عن الإحاطة بما أحاط به الأئمة عليهم السلام ووقع الخلف في أكثر إخباراتهم فهي ليست اتّفاقية أو بالتجارب كما قاله شيخنا المفيد طاب ثراه.

المقام الثاني: قد تحققت أنّ السيد ابن طاووس وشيخنا البهائي قدس الله روحيهما ذهبا إلى جواز تعلّمه وتعليمه إذا كان الاعتقاد على كونه علامة، ولكن ظاهر الأخبار النهي عنه مطلقاً وتحريمه وإن كان على سبيل كونه علامة[1]. روى

---

(١) وقد أمر الإمام الصادق عليه السلام عبد الملك بن أعين بإحراق كتب علم النجوم وهو كناية عن عدم الاعتداد بهذا العلم والعمل بمقتضاه في أحكام النجوم وسعدها ونحسها كما في خبره المروي في من لا يحضره الفقيه (قال قلت لأبي عبد الله إني قد ابتليت بهذا العلم فأريد الحاجة فإذا نظرت إلى الطالع ورأيت الطالع الشر جلست ولم أذهب فيها وإذا رأيت الطالع الخير ذهبت في الحاجة فقال لي تقضى قلت نعم فقال أحرق كتبك). ولعل أمره عليه السلام بإحراق كتبه لأنّ حكمة الله تعالى تقتضي أن لا يعلم النّاس الأمور قبل وقوعها لأنّ العلم بها قبل وقوعها يؤدي في الأكثر إلى الفساد في الجامعة البشرية واختلال أمور النّاس فيها وإضرار بعضهم على بعض إلا من كان من أهل الورع والتقى وقليل ما هم وهذا ضرر عظيم وفساد كبير على خلاف مقتضى حكمة الله في انتظام الأمور وإقدام النّاس على الأعمال الدنيوية والأخروية بشوق أكيد وإيمان قوي ورابط الجأش وقوله في الرواية: (فقال لي تقضى قلت نعم) قال سيدي الوالد الماجد قدس سره في حواشيه على كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري رحمه الله إنّ قوله فقال لي تقضي على بناء المعلوم أي تحكم بالحوادث وتخبر بالأمور الآتية أو الغائبة أو تحكم بأنّ للنجوم تأثيراً أو بأنّ لهذا الطالع أثراً وهذا التوجيه هو ما استظهره العلاّمة المجلسي رحمه الله ومال إليه المصنف قدس سره - يعني الشيخ الأعظم الأنصاري رحمه الله أو على بناء المجهول والمستتر فيه راجع إلى الحاجة أي إذا ذهبت في الطالع الخير تقضى حاجتك وهذا ما استظهره شارح روضة الكافي الشيخ المحقق محمّد حسين بن قارياغدي قدس سره ولا يخفى أنّه بناء على هذا لا وجه لما أتى به الشيخ الأعظم الأنصاري رحمه الله بعد هذا بقوله: ثم إنّ مقتضى الاستفصال في رواية عبد الملك بين القضاء بالنجوم بعد النظر وعدمه أنّه لا بأس بالنظر إذا لم يقض به بل أريد به مجرد التفأل إن فهم الخير والتحرز بالصدقة إنّ فهم الشر انتهى كلام الوالد الماجد قدس سره. وشرح روضة الكافي الّذي نقل عنه أنّه استظهر كون قوله تقضى على بناء المجهول شرح كبير نفيس ضخم على روضة الكافي يدل على تبحر الشارح وعلمه المتدفق ونسخته موجودة في مكتبتنا ولم اطلع إلى الآن على نسخة غيرها ولعل الباحث يجد نسخة منها في زوايا المكتبات، وذكر شيخنا البحاثة الأكبر دام ظله هذا الشرح في الذريعة بعنوان (البضاعة المزجاة) انظر الذريعة ج ٣ ص ١٢٧ ط النجف.

وقال في ذلك الشرح ما هذا لفظه: (الظاهر أن قوله عليه السلام تقضى بالبناء للمفعول والمستتر فيه راجع إلى الحاجة واحتمال كونه بصيغة المخاطب المعلوم أي تحكم النّاس بأمثال ذلك وتخبرهم بأحكام النجوم وسعدها ونحسها بعيد جداً كما إنّ تأويل الخبر بأنّ المراد تحكم بأنّ للنجوم تأثيراً تعسف وتحكم). =

الصدوق قدّس الله روحه بإسناده إلى عبد الله بن عوف قال لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى النهروان أتاه منجّم فقال له يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار، فقال أمير المؤمنين عليه السلام ولم ذاك، قال: لأنّك إن سرت هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذى وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت كل ما طلبت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتدري ما في بطن هذه الدابّة أذكر أم أنثى، قال إن حسبت علمت قال له أمير المؤمنين عليه السلام من صدّقك على هذا القول كذب بالقرآن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، ما كان محمّد صلى الله عليه وآله يدّعي ما ادّعيت أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء، والساعة التي من سار فيها حاق به الضرّ من صدّقك بهذا استغنى بقولك عن الاستعانة بالله عزّ وجلّ في ذلك الوجه وأحوج إلى الرغبة إليك في دفع المكروه عنه، وينبغي له أن يولّيك الحمد دون ربّه عزّ وجلّ فمن آمن لك بهذا فقد اتّخذك من دون الله نداً وضداً، ثم قال اللهمّ لا طير إلاّ طيرك ولا خير إلاّ خيرك ولا إله غيرك بل نكذّبك ونخالفك ونسير في الساعة التي نهيت عنها.

وروى السيّد الرضي في نهج البلاغة قال ومن كلام له عليه السلام: أيّها النّاس إياكم وتعلم النجوم إلّا ما يهتدى به في برّ أو بحر فإنها تدعو إلى الكهانة، والمنجّم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار، سيروا على اسم الله وعونه، . . . والحديث طويل، وفي الاحتجاج عن هشام بن الحكم في خبر الزنديق الّذي سأل أبا عبد الله عليه السلام عن مسائل وكان فيما سأله ما تقول في علم النجوم، قال هو علم قلّت منافعه وكثرت مضراته لأنّه لا يدفع به المقدور ولا يتّقى به

= وممن وافق مع الشارح المذكور في استظهار قوله تقضى على بناء المجهول هو الشيخ العلاّمة المولى مراد التفرشي المتوفى (١٠٥١) في التعليقة السجادية حيث قال (قوله فقال لي تقضى): استفهام محذوف الأداة والظاهر أنه على صيغة المجهول أي اتقضى حاجتك ويحتمل أن يكون على صيغة المعلوم أي أتحكم بصحة ذلك والأمر باحراق الكتب النجومية كناية عن عدم الاعتداد بهذا العلم وقد يحمل ذلك على المنع من اعتقاد أن تكون النجوم مؤثرة والظاهر بقاؤه على إطلاقه). ويظهر من العلاّمة المجلسي الأوّل في شرحه الفارسي على من لا يحضره الفقيه أنّه أيضاً استظهر كون قوله تقضى على بناء المجهول فراجع والله العالم بحقائق الأمور.

المحذور، وإن أخبر المنجّم بالبلاء لم ينجع التحرّز من القضاء وإن أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجّم يضاد الله في علمه بزعمه أنّه يرد قضاء الله عن خلقه.

وفي الخصال عن أبي الحصين قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الساعة فقال: عند إيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر، وروى فيه بإسناد آخر عن الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن خصال وساق الحديث إلى أن قال: وعن النظر في النجوم، وروى ابن طاووس رحمه الله في كتاب فتح الأبواب قال ذكر الشيخ الفاضل محمّد بن علي بن محمّد في كتاب له في العمل ما هذا لفظه دعاء الاستخارة عن الصادق عليه السلام تقوله بعد فراغك من صلاة الاستخارة تقول: اللهمَّ إنك قد خلقت أقواماً يلجأون إلى مطالع النجوم لأوقات حركاتهم وسكونهم وتصرّفهم وعقدهم، وخلقتني أبرأ إليك من اللجأ إليها ومن طلب الاختيارات بها، وأتيقَّن أنّك لم تطلع أحداً على غيبك في مواقعك ولم تسهل له السبيل إلى تحصيل أفاعيلها، وأنّك قادر على نقلها في مداراتها في سيرها عن السعود العامة والخاصة إلى النحوس ومن النحوس الشاملة والمفردة إلى السعود لأنّك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أمّ الكتاب، ولأنّها خلق من خلقك وصنعة من صنعك، وما أسعدت من اعتمد على مخلوق مثله واستمد الاختيار لنفسه وهم أوُلئك ولا أشقيت من اعتمد على الخالق الّذي هو لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك - الدعاء، ويظهر من هذا الخبر ومن غيره أيضاً أنّ التطير والتفؤّل بالنجوم إنّما هو لمن يعتمد ويتوكّل على الله سبحانه فإن من تطيّر من شيء وقع في ضرره ولا يخلصه إلا التوكّل والصدقة، روى الصدوق رحمه الله بسند صحيح عن ابن أبي عمير أنّه قال كنت انظر في النجوم وأعرفها وأعرف الطالع فيدخلني من ذلك شيء، فشكوت ذلك إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فقال إذا وقع في نفسك شيء فتصدّق على أوّل مسكين ثمَّ امض فإن الله عزّ وجلّ يدفع.

وروى رئيس المحدّثين شيخنا ابن يعقوب الكليني عن الصادق عليه السلام قال كان بيني وبين رجل قسمة أرض وكان الرجل صاحب نجوم وكان يتوخّى ساعة السعود فيخرج فيها وأخرج أنا في ساعة النحوس فاقتسمنا فخرج لي خير القسمين فضرب الرجل يده اليمنى على اليسرى، ثمَّ قال ما رأيت كاليوم قطّ قلت: ويل لك ما ذاك، قال إنّي صاحب نجوم أخرجتك في ساعة النحوس وخرجت أنا في ساعة السعود ثمَّ

قسمنا فخرج لك خير القسمين، فقلت ألا أُحدّثك بحديث حدثني به أبي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سرّه أن يدفع الله عنه نحس يومه فليفتتح يومه بصدقة يذهب الله بها عنه نحس يومه ومن أحبّ أن يذهب الله عنه نحس ليلته فليفتتح ليلته بصدقة يدفع الله عنه نحس ليلته، فقلت إني افتتحت خروجي بصدقة فهذا خير لك من النجوم، والأخبار الواردة بهذا المضمون ستّ وعشرون نقلناها في كتاب نوادر الأخبار.

المقام الثالث: فيما استدل به ابن طاووس رحمه الله على جواز تعلّمه وتعليمه، روى من كتاب التجمل عن محمّد وهارون ابني أبي سهل أنّهما كتبا إلى أبي عبد الله عليه السلام: إنّ أبانا وجدناه كان ينظر في النجوم فهل يحلّ النظر فيها، قال نعم، الحديث، والجواب أنّه خبر مرسل ومجهول فلا يعارض الأخبار النقيّة مع أن النظر فيه لا يستلزم جواز تعلمه والعمل بما فيه كما لا يخفى.

بقي الكلام في الكسوفات يخبر بها المنجمون وأنّ سببها إما حيلولة القمر أو حيلولة الأرض ويتّفق على ما يقولون، وقد عرفت أن المرتضى رحمه الله مع كونه قد ذهب إلى إنكار علم النجوم وأنه لا حقيقة له كالسحر، قال بحقيّة قولهم في الكسوفات لكنّه أخرجها من قواعد النجوم وأدخلها في طريقة الحساب، وهذا لا إشكال فيه إنّما الإشكال في أن الوارد عن الأئمة عليهم السلام في سبب الكسوفات هو ادخال الشمس والقمر ورميهما في ذلك البحر تبعاً لرمي الفلك فيه عند معاصي العباد وإرادة الله تعالى أن يهدّدهم ويستعتبهم[1] ويمكن التوفيق بما عرفت من أن

(١) سئل عن شيخنا وأستاذنا المجتهد الأكبر كاشف الغطاء قدس الله روحه أنّه ما يقول شيخنا الإمام إنّ علماء الهيئة ذكروا أن سبب الخسوف هو حيلولة الأرض بين القمر والشمس وسبب الكسوف هو حيلولة القمر بين الأرض والشمس وبهذا يعلم المنجمون وقت الخسوف والكسوف فحينئذ أي ربط بين ما ذكروه وبين ما في بعض الأخبار بأنّ سببهما كثرة الذنوب وهاتان من علامة غضب الله فكيف يعلم المنجمون وقت غضب الله فلو فرضنا عدم وجود إنسان في الدنيا لا يكون خسوف ولا كسوف؟

فأجاب قدس سره بما هذا لفظه: ما ذكره علماء الهيئة في سببهما كاد يكون محسوساً أو كالمحسوس أمّا ما ورد في الأخبار من أن سببهما كثرة الذنوب فهو مضافاً إلى ضعفها المانع من جواز التعويل عليها ومعارضة بعض الأحاديث النبوية لها الواردة في الخسوف المقارن لموت إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله واعتقاد النّاس إنّ ذلك لموت إبراهيم فردعهم النبي صلى الله عليه وآله وخطب قائلاً: إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياة أحد =

النجوم وأوضاعها علامات على الأفعال الصادرة من القادر المختار فيجوز أن يكون وقت هذه الحيلولة هو علامة الغضب وإرادة تهديد العباد، فيقارنه إلقاء الفلك في ذلك البحر لأنّ بعض علامات غضب الله سبحانه معلومة من الشرع فلتكن هذه مستندة إلى العقل والحدس، والله أعلم بحقائق غيبه.

بقي الكلام في بيان أن علم النجوم إذا كان من أشرف العلوم فلم ورد النهي البليغ من صاحب الشرع عن الخوض فيه وعن تعلّمه وتعليمه وتصديق العالم به حتّى قال من صدّق منجّماً فقد كذّب بما أنزل الله على محمّد، قلت الحكم والمصالح موجودة قطعاً وإن خفي أكثرها عنّا ولعل ما ندركه بهذه العقول القاصرة أمور:

أحدها أنّ من أعظم معجزات الأنبياء عليهم السلام هو الإخبار بالمغيّبات، فإذا فتحنا باب جواز تعلّم النجوم وأخبر المنجّم بما هو غائب عن الحواس مستقبل المجيء في الأوقات صغرت معجزات الأنبياء والأئمّة عليهم السلام في الأنظار خصوصاً عند عوام الناس، وثانيها أنّ الخوض في هذا العلم يؤول إلى اعتقاد التأثير كما مرّ تحقيقه في كلام الأصحاب لأنّ النجوم عندهم ناطقة حيّة يرون هذه الآثار تترتب على أوضاعها فينجرّ بهم الحال إلى تأثيرها، وقد عرفت أنّه كفر ولا ريب أنّ ما يؤدي إلى الكفر حرام قطعاً.

وثالثها إنّك قد عرفت أنّه علم شريف ولا تحتمله عقول أكثر النّاس ولا حواصلهم فربّما ذهبوا إلى دعوى الأمور الفاسدة من النبوّة والإمامة كما اتّفق لبعض المنجّمين من ذوي العقول الناقصة بسبب تلك الإخبارات ونحوها، ورابعها أنّه يرفع التوكّل على جناب الحق ويؤول إلى إبطال قضاء الله وقدره ومحوه وإثباته مع أنّه كلّ يوم في شأن وخامسها أن الّذي وقع إلى أيدي النّاس من علم النجوم إنّما هو الحثالة[1] منه التي لا

= الخ، يمكن تأويلها وحملها على إرادة المعنى الكنائي، وهي أن كثرة الذنوب هي التي تطمس نور شمس الهداية وتذهب بنور أقمار العقول فالذنوب هي التي ينخسف بها قمر العقل وينكسف شمس المعرفة فلا يبقى للعقل ولا للمعارف أثر كما تنكسف الشمس بحيلولة القمر والقمر بحيلولة الأرض وهذا معنى حسن ومقبول عند ذوي العقول وإن ابيت فطرح تلك الأخبار هو الأصح والله العالم).

وهذا السؤال والجواب أدرجناهما في الفردوس الأعلى يوم كنا في النجف الأشرف نتشرف بالحضور لدى أستاذنا الإمام قدس سره انظر ص ٧١ ط ٢ تبريز.

(١) الحثالة بالضم: ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذي قشارة إذا نقي وحثالة الدهن ثفله فكأنه الرديء من كلّ شيء.

ينتفع منها بشيء، وهذه الحثالة كثيراً ما يغلط المنجمون فيها وقد شاهدنا جماعات كثيرة من المنجمين ومن يعمل بأحكامهم في تعب عظيم ومشقّة شديدة من ملاحظات الساعات والأوقات للخروج والدخول والإقامة والسفر والأكل والشرب ولبس الثياب والكلام ونحو ذلك، ومع هذه المشاق الدنيوية لم تبلغ أعمارهم إلاّ نصف الأعمار المتعارفة أو أقل منه وجماعة منهم قد خلدوا في سجن الملوك والسلاطين أكثر أعمارهم فلم يقدروا على الاهتداء إلى تخليص أنفسهم من عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة أشدّ وأبقى لو كانوا يعلمون.

وقد كان بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى إذا أتى بثوب جديد يقول للخادم أخّره حتّى تأتي الساعة المنحوسة عند المنجمين فأتني به ألبسه، فيؤخره الخادم إلى أنحس ساعاتها فيلبسه فيكون عليه مباركاً إلى أن يصير خلقاً، وبلغ من العمر أضعاف أعمار المنجّمين قدس الله روحه في جنّات النعيم، نعم قد رخّص من علم النجوم معرفة ما يهتدي به المسافرون وهذا يعرفه أكثر عوام النّاس وكذلك ورد في أخبار غير نقيّة السند ملاحظة برج العقرب عند إرادة التزويج والسفر إلى مكّة، فمعرفة مثل هذا لا بأس به مع أنّه يمكن دفع نحوسة مثل هذا بالصدقة برغيف وفلس من الفلوس، مع أن صدقة الرغيف أولى في نظر الشارع من ملاحظة برج العقرب، فليأت به وليترك الخوض في ذلك العلم أو الذهاب إلى أهله لسؤالهم عن تلك الساعة المستلزم لزيارة المنجّم والإتيان إليه مع ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن إتيان العرّاف وقال من أتاه وصدقه فقد برئ ممّا أنزل الله على محمد، وقد نص أهل اللغة على أن العراف المنجّم وبالجملة فعلم يكون الرغيف خيراً منه لا يكون الخوض فيه إلاّ لداعي الخسّة وأضرابه.

نور في بعض الأمور التابعة للكواكب

منها المجرّة وهي الدائرة المسمّاة عند العوام بسبيل التبانين، وعند الآخرين بمجر الكبش، وسببه على ما قاله الحكماء احتراق حدث من الشمس في تلك الدائرة في بعض الأزمان السالفة، وأجاب عنه بعضهم بأنّه إنّما يصحّ إذا كانت الشمس موصوفة بالحرارة والإحراق، وكان الفلك قابلاً للتأثّر والاحتراق، وقال بعضهم إن السبب فيه هو أنّه بخار دخاني واقع في الهواء، ويرد عليه أنّه يلزم منه اختلافها في الصيف والشتاء لقلّة المدد في أحدهما وكثرته في الآخر، وقيل إنّه كواكب صغار متقاربة متشابكة لا تتمايز حسّاً، بل هي لشدّة تكاثفها وصغرها صارت كأنها لطخات

سحابية، قال الآمديّ بعد نقل هذه الأقوال: والغرض من نقل هذه الاختلافات إبداء ما ذكروه من الخرافات ليتحقق ويتبين للعاقل الفطن أنّه لا حجّة لهم فيما يقولونه ويعتقدونه ولا معوّل على ما ينقلونه من أوائلهم ويعتمدونه وإنّما هي خيالات فاسدة وتمويهات باردة يظهر ضعفها بأوائل النظر ثمَّ البعض بالبعض يعتبر.

وأمّا أخبار الأئمّة الطاهرين عليهم السلام فقد ورد في الرواية عن الصادق عليه السلام أن وقت الطوفان في أيّام نوح عليه السلام لمّا أمر الله سبحانه السماء بماء منهمر انشقّت السماء ونزل الماء منها دفعة لا قطرة قطرة، فلما بلغ الطوفان كمال حدّه أمر الله السماء فأمسكت ماءها، فتلاءمت واندملت فهذه المجرّة هي أثر ذلك الاندمال، كالجرح الّذي يندمل ويبقى أثره.

ومنها قوس الله وتسمّيه عامّة الناس قوس قزح تبعاً للحكماء والمنجّمين، وهو وإن كان عندهم من كائنات الجوّ لا تعلق له بالسماء لكن لمّا كان في الشرع قد ذكر من السماويّات ذكرناه هنا وسببه على ما قالوه أنّه إذا وجد في خلاف جهة الشمس أجزاء مائيّة شفّافة صافية وكان وراءها جسم كثيف إما جبل أو سحاب مظلم، ثمّ كانت الشمس في أفق الآخر فإذا أدبرنا على الشمس ونظرنا إلى تلك الأجزاء وانعكس شعاع البصر عنها إلى الشمس فنرى في كلّ من تلك الأجزاء ضوءها دون شكلها، لأنّا نعلم بالتجربة أن الصقيل الّذي ينعكس منه شعاع البصر إذا صغر جدّاً أدّى الضوء واللّون دون الشكل فكانت تلك الأجزاء على هيئة قوس مستضيئة أقل من نصف الدائرة، وبحسب ارتفاع الشمس ينتقص هذا القوس لانتقاص الأجزاء التي تنعكس منها الأشعّة البصريّة إلى الشمس من الطرفين وأما اختلاف ألوانها فقيل إنّ السبب فيه أن الناحية العليا منها لما قربت من الشمس قوي فيها الإشراق فيرى أحمر ناصعاً وأمّا الناحية السفلى فلما بعدت عنها كانت أقل إشراقاً فيرى فيها حمرة إلى سواد، وهو الأرجواني وما توسّط بينهما فإن لونه متولد من ذينك اللونين وهو الكراسيّ هذا ما قالوه.

وأما الأخبار الواردة فيه فهو أنّ الصادق عليه السلام سئل وقيل له ما تقول في قوس قزح، فقال عليه السلام لا تقل قوس قزح فإن قزح اسم الشيطان بل قل قوس الله، ولم يكن قبل نوح عليه السلام في السماء وذلك أنّه لمّا ذهب الطوفان خاف نوح عليه السلام من طوفان آخر فأوحى الله عزّ وجلّ إليه يا نوح إنّي خلقت خلقي لعبادتي وأمرتهم بطاعتي فقد عصوني وعبدوا غيري واستوجبوا بذلك غضبي فغرقتهم، وإنّي جعلت قوساً أماناً

لعبادي وبلادي وموثقاً منّي بيني وبين خلقي يأمنون به إلى يوم القيامة من الغرق، ومن أوفى بعهده منّي ففرح نوح عليه السلام بذلك وتباشر، وكانت القوس فيها سهم ووتر فنزع الله عزّ وجلّ السهم والوتر من القوس، وجعله أماناً لعباده وبلاده من الغرق، قال ابن الأثير في الحديث لا تقولوا قوس قزح فإنَّ قزح من أسماء الشيطان، قيل سمّي به لتسويله للنّاس وتحسينه إليهم المعاصي من التقزيح وهو التحسين، وقيل من القزح وهي الطرايق والألوان التي في القوس، الواحدة قزحة أو من قزح الشيء إذا ارتفع كأنّه كرة ما كانوا عليه من عادات الجاهليّة، وأن يقال قوس الله فيرفع قدرها كما يقال بيت الله وقولوا قوس وأمان من الغرق.

نور ملكي يكشف عن بعض أحوال الملائكة

قال الله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]، قال بعض المفسّرين المراد بقوله: يزيد في الخلق أي في خلق أجنحتهم كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ليلة المعراج لجبرائيل عليه السلام ستمائة جناح، وسيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى، والملائكة أجسام نورانيّة أي مخلوقة من النور، وقيل إنّها مخلوقة من الريح ماديّة لا مجردة أقدرها الله تعالى على التشكّل بالأشكال المختلفة وأن كان لها شكل واحد في ابتداء الخلق، كما روي أنّ جبرائيل عليه السلام كان يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله بصورة دحية الكلبي، فقال صلى الله عليه وآله له يوماً يا جبرائيل أُحب أن أراك بصورتك الأولية فقال لا تطيق يا رسول الله، فقال بلى، فقال نعم آتيك غداً فلمّا أن كان الغد أتى جبرائيل عليه السلام فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا هو قد نزل من السماء ونشر جناحين له جناح في المشرق وجناح في المغرب وملأ ما بين الخافقين ببدنه فلم يتمكّن من النظر إليه حتّى غشي عليه، فتصور بصورة أُخرى ثمَّ أفاق النبيّ صلى الله عليه وآله من غشيته وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجب من كثرة الملائكة وعظم خلقتهم، وبديع صنائع الله فيهم وقال عليه السلام منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافّون لا يتزايلون، ومسبّحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النّسيان، ومنهم أُمناء الله على وحيه وألسنته إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، وفيهم الحفظة لعباده والسدنة لأبواب جنانه، ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم

والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم ملتفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزّة وأستار القدرة، الحديث[١].

وقال عليه السلام أيضاً: إن لله تبارك وتعالى ملائكة لو أن ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة اجنحته ومنهم من لو كلّفت الإنس والجنّ أن يصفوه ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته، وكيف يوصف من ملائكته من سبع مئة عام ما بين منكبيه وشحمة أُذنه، ومنهم من يسدّ الأفق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه، ومنهم من السماوات إلى حجزته، ومنهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهوى الأسفل والأرضون إلى ركبتيه ومنهم من لو أُلقي في نقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم من لو ألقيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

فإن قلت قوله عليه السلام لا يغشاهم نوم العيون، لعلّك تقول إنّه بظاهره ينافي قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فإنّه سبحانه قد تمدّح بهذه الحالة فلا ينبغي أن يشارك فيها وأجاب بعض المحقّقين بأن حالة السنة وهو أول النعاس تأخذ الملائكة، والتمدّح إنّما هو بمجموع الأمرين لا بكل واحد والّذي أظنّ أن الجواب التحقيقي هذا، وهو أنّ مثل هذه الحالات لا تأخذه معناه أنّها ليست لها عليه تصرّف ولا تسلّط ولا هي قابلة أن تكون من حالاته فلا يتّصف هو بقبولها ولا تتّصف بأنّها من الحالات القابلة له، لأن من تداولت عليه حالات الغفلة لا يكون ربّاً وهو ظاهر بخلاف أنواع الملائكة فإنّ حالة النوم من الأحوال القابلة لاتّصافهم بها بالنظر إلى الإمكان والمخلوقيّة، ولو لحقتهم لم تكن ذلك الاختلال اللازم هناك لازماً هنا لكن خالقهم كلّفهم بهذه الحالة فقبلوا تكليفه وامتثلوا أمره فأقدرهم على القيام بهذه الحالة بخلاف البشر فإنّ أبدانهم لا تقدر على القيام بها ولم تكن المصلحة الإلهيّة موجودة بإقدارهم عليها فمن كانت حالته من غيره كيف تكون حالته معارضة لمن كانت حالته من نفسه وليس هذا إلّا من قبيل ما تمدّح الله به من بعض نعوته كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، فنقول هنا إنّ الله ليس بظلاّم والأنبياء والأئمّة لهم هذه الصّفة أيضاً فقد شاركوه فيما تمدّح به، والجواب عن هذا كلّه واحد بما عرفت فتحفظ على هذا فإنه ينفعك في مواطن كثيرة تأتي إن شاء الله تعالى في تضاعيف هذا الكتاب.

(١) نهج البلاغة ص ٣٤ خ١.

وقد ورد في الأخبار جواب آخر رويناه بإسنادنا إلى الصدوق رحمه الله قال حدّثني أبي رضي الله عنه، قال حدثنا سعد بن عبد الله بإسناده إلى داود العطّار، قال قال لي بعض أصحابنا أخبرني عن الملائكة أينامون فقلت لا أدري، فقال يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ثمَّ قال ألا أُطرفك عن أبي عبد الله عليه السلام فيه بشيء فقلت بلى فقال سئل عن ذلك فقال: ما من حيّ إلاّ وهو ينام ما خلا الله وحده عزّ وجلّ والملائكة ينامون، فقلت يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، فقال أنفاسهم تسبيح، فالفترة هي الكفّ عن إظهار الأمر والنهي واللّغة تدل على ذلك أيضاً كما قاله الصدوق يقال فتر فلان عن طلب فلان وفتر عن حاجته، وإنّما ذلك تراخ عنه وكفّ لا بطلان الشخص والعين، ومنه قول الرجل أصابتني فترة أي ضعف وحينئذ فمعنى قوله عليه السلام لا يغشاهم نوم العيون، أنّه لا يغشاهم النوم كما يغشى غيرهم بأن يشغلهم عن التسبيح والتقديس، وهذا من باب ما روي في باب صفات النبيّ صلى الله عليه وآله وخواصه من أن عينه تنام وقلبه لا ينام انتظاراً للوحي الإلهي، فالنوم وإن اعتراه لكن لا يعطّله عن مراقبة ربّه سبحانه كما يعطّل غيره.

فإن قلت ما فائدة تعدّد الأجنحة في الملائكة وزيادتها على المعتاد وهو الجناحان قلت يجوز أن يكون لزيادة القدرة والقوّة على الطيران والمسارعة إلى قطع المسافات السماويّة، فإن الوحي الّذي يتلقاه جبرائيل من العرش وحواليه فيسعى به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فيما هو أسرع من ارتداد طرف العين وغلظ كلّ سماء مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام على ما تقدّم، ويجوز أن تكون فائدة التعدّد ما روي أن صنفاً من الملائكة لهم ستّة أجنحة فجناحان يلفّون بهما أجسادهم، وجناحان يطيرون بهما في الأمر من أمور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله، وحينئذ فكلّ جناحين لفائدة من الفوائد، وبهذا يظهر فائدة الجناح الثالث في قوله: ﴿أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١] فيكون الثالث لفائدة أُخرى غير الطّيران، وأما محلّه فيجوز أن يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدّهما بقوّة.

وأمّا في جانب الكثرة فلا يعلم عددهم سواه وفي الخبر عن الصادق عليه السلام وقد سئل إن الملائكة أكثر أم بنو آدم، فقال والذي نفسي بيده لملائكة الله في السماوات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلاّ وفيها ملك يسبّحه

ويقدّسه، ولا في الأرض شجر ولا مدر إلاّ وفيها ملك موكّل يأتي الله كلّ يوم بعملها وما منهم أحد إلّا ويقرّ كلّ يوم بولايتنا أهل البيت ويستغفر لمحبينا، ويلعن أعداءنا ويسأل الله تعالى أنّ ينزلّ عليهم العذاب. . ويكفي بهم كثرة أن مع كلّ قطرة مطر ملكاً يضعها الموضع المأمور به ولا يصعد إلى السماء إلى يوم القيامة، بل يبقون في الأرض يسبّحون الله ويقدّسونه، وثوابه لشيعة أهل البيت، وفي الروايات أنّ أكثر أماكنهم المساجد.

واعلم أنّ الملائكة على كثرتهم لا يخلو أحد منهم من خدمة خاصّة، وكلّ منهم له مقام معلوم كما حكاه تعالى عنهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]، وهو مقام في السماوات، فإن كلّ جماعة منهم له مكان خاصّ وعبادة خاصّة والمثل ولله الأمثال العليا، كما أنّ السلطان له أتباع وكل صنف منهم قد وكّل بخدمة فمنهم من أولاه على رعيّته للحماية والحِراسة والاطّلاع على ما يأتون ويذرون، وجماعة نسبهم إليه لكن على طريق التشريك بخدمته، وخدمة رعيّته كالوزير وأضرابه، وجماعة منهم اختصّهم به من غير شركة، وذلك كأصحاب السلطان المخصوصين لديه، ومن ذلك انقسمت الملائكة إلى ملائكة كروبيين أي مقربين لديه، ذوي قوة على امتثال أوامره من التّقديس مأخوذ من الكرب وهو القوة أو من الكرب وهو الحزن لشدّة خوفهم من جنابه تعالى، وذلك أنّه كلما زيد في قرب الوزير زيد في خوفه من السّلطان لاطلاعه على حقائق بطشه، وإلى ملائكة روحانيين أي أنّهم يشبهون الأرواح في اللطافة فهم ألطف من باقي الملائكة، وهؤلاء النوعان هما سادات الملائكة وهما المشار إليهم في الحديث الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله مررنا ليلة المعراج بملائكة من ملائكة الله عزّ وجلّ خلقهم الله كيف شاء ووضع وجوههم كيف شاء، ليس شيء من أطباق وجوههم إلّا وهو يسبّح الله ويحمده من كلّ ناحية بأصوات مختلفة، أصواتهم مرتفعة بالتّسبيح والبكاء من خشية الله، فسألت جبرائيل عنهم فقال كما ترى خلقوا، إن الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلمه قط ولا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقهم ولا خفضوها إلى ما تحتهم خوفاً من الله وخشوعاً فسلّمت عليهم فردوا عليّ إيماءً برؤوسهم لا ينظرون إليّ من الخشوع، فقال لهم جبرائيل هذا محمّد نبيّ الرحمة أرسله الله إلى العباد رسولاً ونبياً وهو خاتم النبيين وسيّدهم أفلا تكلمونه قال فلمّا سمعوا ذلك من جبرائيل أقبلوا علي بالسّلام وبشّروني وأكرموني بالخير لي ولأُمّتي.

وأمّا سبب تفاوت مراتبهم في القرب فقد ورد في الروايات عن

الصادق عليه السلام: أنّ الله سبحانه عرض ولايتنا على الملائكة فمن بادر إليها وعقد قلبه عليها صار من المقرّبين وسيأتي أنّ أنواع المخلوقات إنّما صارت نوعين لهذا، ومن هذا قال جبرائيل عليه السلام أقرب الخلق إلى الله انا وإسرافيل، وقسم منهم قد شركوا في الخدمات، فمنهم ملائكة العرش قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]، ومنهم جبرائيل عليه السلام فإنّه السفير بين الله وأنبيائه وهو الساعي في تبليغ الوحي.

فإن قلت أخبرني كيف يتلقى جبرائيل الوحي الإلهي وكيف يبلغه، قلت قد ورد في الأخبار على وجوه:

الأوّل: ما روي أنّ جبرائيل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله في وصف إسرافيل هذا حاجب الربّ وأقرب خلق الله منه، واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء، فإذا تكلّم الربّ تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه، ثمَّ أُلقي إلينا نسعى به في السماوات والأرض.

الثاني: ما روي أيضاً أنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبرائيل عليه السلام من أين تأخذ الوحي قال آخذه من إسرافيل، قال ومن أين يأخذه إسرافيل، قال يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين، قال ومن أين يأخذه ذلك الملك، قال يقذف في قلبه قذفاً.

الثّالث: ما ورد في الأسانيد النقيّة حدَّث به الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه علي بن الحسين عن الحسين بن علي عن عليِّ بن أبي طالب عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللّوح عن القلم عن الله تبارك وتعالى قال: ولاية عليّ بن أبي طالب حصني من دخله أمن عذابي، وهذا الاختلاف منزّل على تعدد الكيفيات وينبغي أن يراد باللّوح والقلم في هذا السند الملكان فإنّه قد ورد لهما في الأخبار معان متعدّدة وثمَّ ذهب الصدوق طاب ثراه في اعتقاداته إلى أن اللّوح والقلم ملكان، والحقّ أنّ هذا من جملة معانيهما وقوله عليه السلام في الحديث السابق من ياقوتة حمراء من جملة معانيه أيضاً ومن هذا النوع الملكيّ الروح، وهو المراد من قوله سبحانه: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]، على ما في الروايات الصحيحة.

منها ما رواه الصفّار عن هشام بن سالم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، قال خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممّن مضى غير محمّد صلى الله عليه وآله، وهو مع الأئمّة عليهم السلام يوفقهم

ويسدّدهم وليس كلما طلب وجد. وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ له سبعين ألف وجه لكلّ وجه سبعون ألف لسان، لكلّ لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلّها يخلق الله تعالى بكلّ تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة ولم يخلق الله خلقاً أعظم من الروح غير العرش ولو شاء أن يبلع السماوات السبع والأرضين السبع بلقمة واحدة لفعل، وعن الصادق عليه السلام أن الملائكة تقف كلها في صف واحد يوم القيامة ويقف هو في صف وهذا النوع يجوز أن يكون منحصراً في فرد ويجوز أن يكون متعدّد الأفراد وكل فرد منه متعبّد بنوع خاص من التعبّدات ومن هذا النوع ميكائيل عليه السلام سمّي به لأنه يكيل السّحاب من ماء البحر ويرسل معه جماعة من الملائكة إلى الموضع الّذي أُمر فيه.

وروى الصدوق طاب ثراه عن جعفر بن البختري عن الصادق عليه السلام قال إنّ الله تبارك إذا أراد أن ينفع بالمطر أمر السّحاب أن يأخذ الماء من تحت العرش، وإذا لم يرد النبات أمر السحاب فأخذ الماء من البحر، قيل إن ماء البحر مالح، قال إنّ السّحاب يعذبه فهذا الحديث[1] دالّ على أن ماء المطر يأتي من أماكن مختلفة

(١) الروايات التي نقلها المصنف رحمه الله في هذا العنوان أعني عنوان (نور ملكي) مختلفة فإن بعضها أخبار آحاد ضعيفة لا يمكن الركون إليها ولبعضها معانٍ أُخرى صحيحة غير ما يتراءى من ظاهرها لأنّها من الأخبار المتشابهة ومن باب تشبيه المعقولات بالمحسوسات، وأئمة أهل البيت عليهم السلام بينوها للناس على حسب مراتب افهامهم ولكن المصنف رحمه الله بناء على مسلكه من الجمود على الظواهر أبقاها على ظاهرها وكذا الخير الوارد في المطر وأن السحاب يأخذ الماء من تحت العرش وأن مع كلّ قطرة مطر ملكاً يضعها الموضع المأمور به ولا يصعد إلى السّماء إلى يوم القيامة مع أن للعرش معاني عديدة فأخذ السحاب الماء من تحت العرش له معنى غير ما هو ظاهر الرواية.
والغرض إنّ لأمثال هذه الروايات معاني دقيقة صحيحة ذكرها المحققون من علمائنا في كتبهم ومصنفاتهم الممتعة فلا ينبغي لاحد الاعتراض على الإمامية بمجرد ما يرى إنّ المصنف رحمه الله حملها على ظاهرها في هذا الكتاب.
والحاصل إنّ بعض الروايات التي ذكرها المصنف رحمه الله في هذا العنوان وكذا الروايات التي يأتي ذكرها في النور المشتمل على ذكر العجائب الواقعة بين السّماء والأرض وأيضاً الروايات التي يأتي ذكرها في ذيل عنوان (نور أرضي) إنّما نقلها من دون نظر إلى تميز مسندها من مرسلها وإلى اسنادها وطرقها هل هي صحيحة معتبرة يمكن الركون إليها والاعتماد عليها أو لا؟
وأضف إلى ذلك أنّه انكر الأمور الطبيعية والأسباب المادية بل نظر إلى العلل المعنوية وهذا أمر عجيب من المصنف رحمه الله ومن هو على مسلكه فإن من المحقق في محله إنّ للأشياء =

لمصالح كثيرة، وقد تقدم أن المطر الّذي يكون أوائل المطر يجيء من تحت العرش، وقال النبيّ ﷺ ما أتى على أهل الدّنيا يوم واحد منذ خلقها الله عزّ وجلّ إلا والسماء فيها تمطر فيجعل الله ذلك حيث يشاء، وقال رسول الله ﷺ ما خرجت ريح قطّ إلاّ بمكيال إلاّ زمن عاد، فإنها عتت على خزّانها فخرجت في مثل خرق الإبرة فأهلكت قوم عاد، وما نزل مطر قط إلّا بوزن إلّا زمن نوح عليه السلام فإنه عتى على خزّانه فخرج في مثل خرق الإبرة فأغرق الله فيه قوم نوح.

أقول: هذا العتوّ منهما إنّما هو غضب لله سبحانه، فإن قلت كيف يكون مثل خرق الإبرة من الماء والهواء باعثاً لغرق آلاف من النّاس وإهلاكهم. قلت يجوز أن يكون الضمير في قوله فأغرق الله فيه راجعاً إلى الماء الّذي قد خرج من الخزّان لأجل الغرق لا إلى الماء العاتي وحده الّذي هو خرق الإبرة، ويجوز أن يكون المراد بخرق الإبرة موضع خروج الماء العاتي لا قدر الماء الخارج وحينئذ فيكون قد

= والموجودات في العالم أسباباً طبيعية وأخرى روحانية ولا ينبغي الإذعان بإحداهما والإنكار للأخرى والمصنف رحمه الله نظر في تلك المباحث التي ذكرها في تلك العناوين التي أوعزنا إليها إلى الأمور المعنوية والعلل العالية واعرض عن لفت النظر إلى الأسباب الطبيعية كما يأتي في تلك العناوين الآتية وأبى الله إلاّ أن يجري الأمور بأسبابها والعالم الطبيعي عالم الأسباب والمسببات المادية ومع ذلك لا بد لها من أسباب معنوية لعدم القوام لها بدونها ولكن المصنف رحمه الله انكر على من قال بالأسباب الطبيعية زعماً منه أن القول بها ينافي العلل العالية وهذا داء عضال منذ قرون ابتلي به جمع من أهل الجمود فجمع قصروا نظرهم إلى العلل المادية فقط وغفلوا عن العلل العالية وجمع آخر اكتفوا بالنظر إلى العلل الباطنية المعنوية وتحاملوا على الفريق الأوّل تحاملاً عجيباً حتّى آل الأمر إلى الحكم بالخذلان والنفاق وكلا الفريقين خبطوا خبط العشواء.

ليت شعري أنّهم هلّا تأملوا أن لكل موجود مادي طبيعي عللاً أربعة والعلة الفاعلية غير العلة المادية والعلة الغائية غير العلة الصورية ومن ذكر في سبب المطر والرعد والبرق أسبابها الطبيعية فقد قصر نظره على العلة المادية فقط ومن ذكر الأسباب المعنوية من أن الرعد صوت الملك والبرق سوطه وأمثال ذلك من التعبيرات عن العلل الحقيقية فقد نظر إلى العلة الفاعلية للأشياء فلا ينبغي الخلط بين النظرين والاكتفاء بأحد الطرفين بل يلزم النظر إلى الجهتين معاً الجهة المعنوية والجهة المادية.

وسيأتي في التعليق على عنوان (نور أرضي) نقل كلمات قيمة نفيسة لأستاذنا الإمام كاشف الغطاء قدس سره ينبغي ملاحظتها وإمعان النظر فيها وجعلها نصب العين فإنها قاعدة كلية وقانون عام في أمثال هذه المباحث وميزان مستقيم في هذه الروايات الواردة في كتب الحديث وغيرها.

خرج من مثل هذا المكان الضيق ماء كثير وهواء كثير في مدّة كثيرة، فكان بانضمامه إلى ذلك الماء والهواء باعثاً لإهلاكهم وغرقهم، مع أنّ الله سبحانه قد أهلك العظيم بالحقير والكثير بالقليل، فسبحان من هو قادر على أن يدخل الدنيا في بيضة من غير ترقيق للدنيا ولا تعظيم للبيضة[1] وجواب آخر في الهواء رواه الكليني طاب ثراه في

---

(١) روى الشيخ الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد في باب القدرة مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام قال قيل لأمير المؤمنين عليه السلام هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغر الدنيا أو يكبر البيضة قال إنّ الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز والذي سألتني لا يكون. هذا الحديث الشريف صريح في أن الّذي سأله ذلك الرجل ممتنع بالذات محال والمحال لا شيئية له ولا وجود له فليس بمقدور (والله على كلّ شيء قدير) لامتناع اجتماع المتنافيين ذاتاً وعموم القدرة ثابت والفيض المطلق شامل ولكن الممتنع لا ذات له ولا وجود له وإنما يخترع العقل في وهمه مفهوماً يجعله عنواناً لأمر باطل الذات كشريك الباري واللاشيء، واجتماع النقيضين أو يركب بين معان ممكنة آحادها تركيباً ممتنعاً فإن كلاً من المتناقضين كالحركة والسكون أمر ممكن خارجاً وعقلاً وكذا معنى التركيب والاجتماع أمر ممكن عيناً وذهناً وأمّا اجتماع المتنافيين فلا ذات له في الخارج ولا في العقل لكن العقل يتصور مفهوم اجتماع النقيضين على وجه التلفيق ويجعله عنواناً ليحكم على أفراده المقدرة بامتناع الوجود ومن هنا اطلق على المستحيل أنّه شيء وإلا فهو لا ماهية له ولا معنى فلا تعلق للقدرة به. ومثل الحديث المتقدم ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد أيضاً بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا تصغر الأرض ولا تكبر البيضة؟ فقال له: ويلك إنّ الله لا يوصف بالعجز ومن اقدر ممن يلطف الأرض ويعظم البيضة.

يدل هذا الحديث الشريف على إنّ إدخال العظيم أو تعظيم الصغير بنحو التكاثف والتخلل وما يجري مجراهما وأن تلطيف الأرض إلى حد تدخل في البيضة أو تعظيم البيضة إلى حد تدخل فيها الأرض غاية القدرة. وممّا ذكرناه يعلم أن ما ذكره الإمام عليه السلام في جواب السائل: (أيقدر ربك أن تدخل الدنيا كلّها في بيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا)؟

جواب اقناعي على حسب فهم السائل حيث ذكر الإمام عليه السلام في الجواب كما في الحديث المشهور الّذي رواه الشيخ الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد أيضاً من سؤال الديصاني عن هشام بن الحكم رحمه الله أيقدر ربك أن يدخل الدنيا كلّها في بيضة؟

يا هشام كم حواسك قال خمس قال أيها أصغر قال الناظر قال وكم قدر الناظر قال مثل العدسة أو أقل منها فقال له يا هشام فانظر امامك وفوقك فاخبرني بما ترى فقال أرى سماء وأرضاً ودوراً وقصوراً وبراري وجبالاً وأنهاراً فقال له أبو عبد الله عليه السلام إنّ الّذي قدر أن يدخل الّذي تراه العدسة أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلّها في البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة.

=

الروضة عن الباقر عليه السلام في حديث قال فيه وأمّا الريح العقيم فإنّها ريح عذاب تخرج

= وكذا جواب الإمام عليه السلام أيضاً اقناعي في الخبر الّذي رواه محمد بن أبي نصر قال جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال هل يقدر ربك أن يجعل السماوات والأرض وما بينهما في بيضة؟ قال: نعم وفي أصغر من البيضة قد جعلها الله في عينك وهي أقل من البيضة لأنك إذا فتحتهما عاينت السّماء والأرض وما بينهما ولو شاء لأعماك عنها.

قال بعض العلماء: (إن السؤال في ذلك وهو إدخال الكبير مع كبره في الصغير مع صغره وإن كان من قبيل المتنافيين فكان حقيقة الجواب عنه أن يقال إنّ هذا أمر محال والمحال غير مقدور عليه إذ لا ذات له ولا شيئية إلاّ أنه عليه السلام عدل عنه إلى ما ذكره لقصور الأفهام العامية عن إدراك ذلك الوجه فالذي أفاده عليه السلام وجه اقناعي مبناه على المقدمة المشهورة لدى الجمهور إنّ الرؤية بدخول المرئيات في العضو البصري فاكتفى في الجواب بهذا القدر لقبول الخصم له وتسليمه إياه).

ويدل على صحة ما ذكره الحديثان الأولان اللذان ذكرناهما ولكن في قوله: لقصور الأفهام العامية الخ نظر فإن المخاطب في إحدى الروايتين هو هشام بن الحكم المتكلم الأكبر المتضلع الفهم فلا يكون وجه عدول الإمام حينئذ عن الجواب الحقيقي هو قصور فهمه عن إدراك ذلك الوجه، فلا بد من التعمق وإمعان النظر.

فالتحقيق إنّ جواب الإمام عليه السلام في الخبرين ليس باقناعي بل جواب حقيقي يظهر ذلك لمن يمعن النظر في الجوابين وقد ذكر بعض المحققين ما هذا لفظه: هذه الأحاديث كلّها متفقة لا تنافي ولا تناقض فيها وأن الجواب في كلّ منها بحسب ما يقتضيه المقام وحال السائل وكلامهم عليهم السلام اصله واحد وقد أُمروا أن يكلموا النّاس على قدر عقولهم وبيان ذلك إنّ الحديثين الأخيرين يدلان على ما دل عليه الحديثان الأولان على وجه لطيف ومعنى شريف وتوضيحه: إنّ الظاهر من حال الديصاني في مناظرة هشام معه أنّه كان مناظراً مجادلاً كما يظهر من سياق كلامه مع مثل هشام بن الحكم وجواب الإمام عليه السلام له على هذا النحو يدل على أنّه كان يعلم إنّ ما سأل عنه محال والقدرة لا تتعلق بالمحال لنقصه عن الاستعداد لتعلق القدرة به فعدوله عليه السلام إلى ما يدل على كمال القدرة مع وجوده وعدم لزوم المحال فيه مع كونه نظيراً لما أراده السائل فيه الفصاحة والبلاغة والالزام لمن عرف عليه السلام من حاله أنّه يفهم ذلك وحال هشام في فهمه كحال الديصاني وإلا فمثل هشام مع العلم بحاله لا يخفى عليه إنّ السائل أراد غير ما أجابه عليه السلام به ولم يراجعه في ذلك لاجل دفع ما يورده السائل من أنّه اراد غير ما تضمنه الجواب وحاصل الكلام انه عليه السلام نبهه على إنّ الله سبحانه قادر على أن يدخل الدنيا في البيضة مثل دخول ما تراه بناظرك في الناظر وهو بهذا القدر وذلك بحيث لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا كما إنّ ما يراه الناظر يدخل تحت قدرته بحيث لا يكبر الناظر ولا يصغر ما ينظره وعلى هذا النحو ما في الحديث الآخر من قول الرضا عليه السلام نعم وفي أصغر من البيضة قد جعلها الله في عينك وهي أصغر من البيضة ففيه تنبيه للسائل على كمال قدرته تعالى

من تحت الأرضين السبع، وما خرجت منها ريح قطّ إلّا على قوم عاد حين غضب الله عليهم فأمر الخزّان أن يخرجوا منها على قدر سعة الخاتم قال فعتت على الخزّان فخرج منها على مقدار منخر الثور تغيّظاً منها على قوم عاد فضج الخزّان إلى الله عزّوجلّ من ذلك فقالوا ربّنا إنّها قد عتت عن أمرنا إنّا نخاف أن تهلك من لم يعصك من خلقك وعمّار بلادك فبعث الله عزّوجلّ إليها جبرائيل فاستقبلها بجناحه فردّها إلى موضعها، وقال لها اخرجي على ما أُمرت به وأهلكي قوم عاد ومن كان بحضرتهم وحينئذ فيجوز أن يكون في الماء مثل ذلك كما لا يخفى.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام السحاب غربال المطر لولا ذلك لأفسد كلّ شيء وقع عليه، وسأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام عن الرعد أيّ شيء يقول، قال إنّه بمنزلة الرجل يكون في الإبل فيزجرها هاي هاي (ها هي ها هي خ ل) كهيئة ذلك قال قلت جعلت فداك فما حال البرق قال مخاريق الملائكة تضرب السّحاب فتسوقه إلى الموضع الّذي قضى الله عزّوجلّ فيه المطر، وقال عليه السلام الرعد صوت الملك والبرق سوطه وروي أن الرعد صوت ملك أكبر من الذباب وأصغر من الزنبور فينبغي لمن سمع صوت الرعد أن يقول سبحان من يسبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وقد ذكر الحكماء للأمطار والرعد والبرق أسباباً أخرى ستأتي إنّ شاء الله تعالى، ومن الملائكة كتّاب الأعمال فإنّه سبحانه بمقتضى حكمته لضبط أعمال الخلائق وأفعالهم وأقوالهم وكل على كلّ واحد ملكين يكتبان أعماله كما قال سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، فرقيب كاتب الحسنات على يمين المكلّف وعتيد كاتب السيئات معه على يساره وسيأتي تمام الكلام فيهما إن شاء الله تعالى عند أنوار المكلّفين.

ومن أنواع الملائكة ملائكة قد وكّل الله كلّ واحد منهم بحراسة ابن آدم من التردي في الآبار أو مواضع الهلاك أو السّباع، فإذا جاء الأجل بعدوا عنه وقالوا

بما هو ممكن وغير محال وأن ما سأل عنه غير ممكن لا ينبغي أن يسأل عنه لما ذكر من كونه محالاً فظهر كون الأحاديث كلّها متفقة لا تنافي بينها وإلا فكيف يتصور أن يخفى على الإمام عليه السلام ما أراده السائل حتّى يجيبه بغير ما دل عليه سؤاله ومع ذلك لا يفرق هشام والسائل بين السؤال والجواب وينقل مثل هذا اجلاء العلماء من غير تعرض لدفع ما ذكر وما ذلك إلاّ لفهمهم وجه ذلك والله اعلم. فالقارىء الكريم بعد الاحاطة بما ذكرنا كله والتأمل فيما نقلناه تعرف ما في تعبير المصنف رحمه الله بقوله: (فسبحان من هو قادر على أن يدخل الدنيا في بيضة من غير ترقيق الدنيا ولا تعظيم البيضة) من المسامحة ونسبة المحال إليه سبحانه وتعالى والله الهادي وهو المرشد إلى الصراط السوي.

أنت وهو. ومنهم من وكله الله سبحانه بحراسة ثمر الأشجار وحمل النخيل عن الدوابّ والآفات ولذا كره البول والغائط تحت الأشجار المثمرة لمكان الملائكة، ومن ثمَّ قال الصادق عليه السلام ألا ترى أن للشجرة أُنساً وقت الثمرة، وهذا الأُنس بالملائكة ومنهم من يسكن الهواء ومن ثمّ ورد النهي من صاحب الشرع بكراهة تطميح البول في الهواء، ومنهم من يسكن المياه، ومن ثمَّ كره البول في الماء مطلقاً، وكره أيضاً دخول المياه بغير إزار لمكان سكّانه من الملائكة، ومنهم جماعة ملازمون الأبواب والمساجد يكتبون أوّل داخل وآخر خارج، ومنهم جماعة ورد في الروايات أن الإنسان إذا أراد زيارة مولانا الحسين عليه السلام بعث الله إليه جماعة من الملائكة لإعانته على قضاء حوائجه ويشيعونه ذهاباً وإياباً، ويلازمون عتبة بابه إذا رجع وثواب تقديسهم له، فإذا مات لازموه في قبره للأنس وخرجوا معه من قبره إلى أرض القيامة.

ومنهم من هو بصورة الديك روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ لله تبارك وتعالى ديكاً رجلاه في تخوم الأرض السّابعة [السفلى] ورأسه عند العرش وباقي عنقه تحت العرش، وملك من ملائكة الله عزّ وجلّ خلقه الله تبارك وتعالى ورجلاه في تخوم الأرض السّابعة مضى مصعداً فيها مدى الأرضين حتّى خرج منها إلى أفق السّماء، ثمَّ مضى فيها مصعداً حتّى انتهى قرنه إلى العرش، وهو يقول سبحانك ربّي، ولذلك الديك جناحان إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب، فإذا كان في آخر الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح، يقول سبحان الملك القدوس الكبير المتعال القدوس لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم، فإذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض كلها وخفقت بأجنحتها وأخذت في الصراخ، فإذا سكن ذلك الديك في السماء سكنت الديكة في الأرض فإذا كان في بعض السحر نشر جناحيه فجاوز المشرق والمغرب وخفق بهما وصرخ بالتّسبيح فيقول سبحان الله العظيم سبحان الله العزيز القهّار، سبحان ربّ العرش المجيد سبحان ربّ العرش الرفيع، فإذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض فإذا هاج هاجت الديكة في الأرض تجاوبه بالتسبيح والتقديس لله عزّ وجلّ، ولذلك الديك ريش أبيض كأشدّ بياض ما رأيته قطّ، وله زغب أخضر تحت ريشه الأبيض كأشدّ خضرة ما رأيتها قطّ، فما زلت مشتاقاً إلى أن أنظر إلى ريش ذلك الديك[1].

(١) التوحيد للصدوق ص ٢٨٠ ح ٤.

وروى عن النبيّ ﷺ قال: إنّ لله تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة نصف جسده الأعلى نار ونصفه الأسفل ثلج، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفىء النار، وهو قائم ينادي بصوت له رفيع سبحان الله الّذي كفّ حرّ هذه النار فلا تذيب هذا الثلج، وكفّ برد هذا الثلج فلا يطفئ حرّ النّار، اللهمَّ يا مؤلّفاً بين الثلج والنار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك[1].

وروى أيضاً بإسناده إلى ابن نباتة قال جاء ابن الكوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين والله إنّ في كتاب الله عزّ وجلّ لآية قد أفسدت علي قلبي وشككتني في ديني فقال عليه السلام له ثكلتك أمّك وعدمتك وما تلك الآية، قال قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١] فقال له أمير المؤمنين عليه السلام يا ابن الكوا إنّ الله تبارك وتعالى خلق الملائكة في صور شتّى، إنّ لله تبارك وتعالى ملكاً في صورة الديك أبحّ أشهب براثنه في الأرض السابعة السفلى، وعرفه مثنيّ تحت العرش له جناحان جناح في المشرق وجناح في المغرب، واحد من نار والآخر من ثلج فإذا حضر وقت الصّلاة قام على براثنه ثمَّ رفع عنقه من تحت العرش ثمَّ صفق بجناحيه كما تصفق الديوك في منازلكم فلا الّذي من النّار يذيب الثلج ولا الّذي من الثلج يطفئ النّار فينادي أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً سيد النبيين وأن وصيّه سيد الوصيين، وأن الله سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح، قال: فتخفق الديكة بأجنحتها في منازلكم فتجيبه على قوله وهو قوله عزّ وجلّ : ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ من الديكة في الأرض[2]، وبالجملة فهم ممّا لا تتناهى أنواعهم وسيأتي بعض أنواعهم إن شاء الله تعالى في تضاعيف هذا الكتاب.

والحاصل أنّ لكلّ نوع منهم مقاماً من التكليف وأما حدّهم في عالم الملكوت الّذي لا يتعدّونه ففي الروايات عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ لمّا أُسري به إلى السماء انتهى به جبرائيل إلى نهر يقال له النور، وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، فلمّا انتهى به إلى ذلك النهر فقال له جبرائيل اعبر يا محمّد على بركة الله فقد نوّر الله لك بصرك ومدّ لك أملك، فإن هذا نهر لم يعبره أحد لا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل غير أن لي في كلّ يوم اغتماسة فيه ثمَّ أخرج منه فأنفض

---

(١) التوحيد للصدوق ص ٢٨٠ ح ٤.

(٢) التوحيد ص ٢٨٢.

أجنحتي، فليس من قطرة تقطر من أجنحتي إلّا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً مقرباً له عشرون ألف وجه وأربعون ألف لسان وكلّ لسان يلفظ بلغة لا يفقهها اللسان الآخر، فعبر برسول الله ﷺ حتّى انتهى إلى الحجب والحجب خمسمائة حجاب، من حجاب إلى حجاب مسيرة خمسمائة عام، ثم قال تقدم يا محمّد: فقال له يا جبرائيل ولم لا تكون معي، قال ليس لي أن أجوز هذا المكان، فتقدم رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يتقدم حتّى سمع ما قال الربّ تبارك وتعالى أنا المحمود وأنت محمّد، شققت اسمك من اسمي فمن وصلك وصلته ومن قطعك بتكته انزل على عبادي فأخبرهم بكرامتي إيّاك، وأني لم أبعث نبياً إلّا جعلت له وزيراً وأنك رسولي وأن علياً وزيرك فهبط رسول الله ﷺ وكره أن يحدّث النّاس بشيء كراهة أن يتّهموه لأنّهم كانوا حديثي عهد بالجاهليّة والخبر طويل.

أقول: هذا النهر إنّما هو فوق العرش، وأيضاً قد سئل الصادق عليه السلام ما فضل جدّك على سليمان بن داود الّذي سخّر له الريح غدوّها شهر ورواحها شهر، فقال عليه السلام: إنّ سليمان كان يقطع الشهرين بيوم واحد وأمّا جدّي فقد قطع مسير خمسين ألف سنة بساعة واحدة، ولمّا رجع إلى لحافه كان حاراً لم يبرد لقصر زمان سفره، ومن العرش إلى الأرض لا يبلغ هذه المسافة.

إذا عرفت هذا كلّه فاعلم أنّ الأخبار قد تظافرت بأنّ الملائكة طعامهم التحميد وشرابهم التقديس، وليس لهم شهوة الحيوان ولا ميل إلى أنواع اللذات الدنيويّة، فإذا كان الله قد خلقهم على هذا المنوال فما لهم من الفضل في أنفسهم حتّى يفضلوا غيرهم من صلحاء المؤمنين على أن المعتزلة وأبا عبد الله الحليمي والقاضي أبا بكر من الأشاعرة ذهبوا إلى تفضيل الملائكة العلويين على الأنبياء عليهم السلام، وأما الملائكة السفليّة فلا خلاف في تفضيل الأنبياء عليهم.

قلت قد أشكل هذا المعنى على جماعة من الأصحاب حتّى إنّ شيخنا المعاصر أدام الله أيامه ذهب إلى أنّ الملائكة لهم نوع من الميل إلى اللذات الحسيّة لكنهم يجاهدون أنفسهم ويمنعونها عن الإرادات البشرية حتّى يكون لهم جزيل من الثواب ويستحقوا محامد الثناء والتفضيل، والجواب التحقيقي عند هذا القاصر غير هذا، وحاصله أنّ الله سبحانه قد اقدر الملائكة على أنواع العبادات كما أقدر البشر عليها وإن كانت قوة الملائكة على العبادات أشد وأكثر، والبشر مع قدرتهم على أكثر أنواع العبادات من الواجبات والسنن قد فتروا عنها وأقبلوا على تركها، وأما الملائكة فقد

أقبلوا على فعلها والإتيان بما وصلت إليه قدرتهم، ومع هذا قد صارت العبادات مستلذة عندهم كاستلذاذ الأكل والشرب عندنا، فهم يأتون بكل ما يقدرون عليه من أنواع العبادات على وجه الاستلذاذ، ونحن إنّما نأتي ببعض ما نقدر عليه على وجه التكليف والمشقّة والخوف من العقاب فهم فضلونا بإتيانهم بأفعال يمكنهم تركها فلم يتركوها، ومن ثمَّ قد وقع من بعضهم الترك حتّى عوقب عليه فاحترقت أجنحته وسقط من مقامه كما وقع للملك الّذي وقع من السّماء في زمن إدريس عليه السلام حتّى لجأ إلى إدريس عليه السلام فدعا له فرجع إلى مقامه، وكالملك الّذي فتر عن العبادة في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله فسقط أيضاً من عالم الملكوت ولجأ إلى الحسين عليه السلام فتمسّح به ورجع ببركة الحسين عليه السلام إلى مقامه.

وأما الأنبياء والأئمة عليهم السلام فهم قد فعلوا أفعال الملائكة مع اتّصافهم بالقوى الحيوانيّة، فهم أفضل من الملائكة كِما انعقد عليه إجماعنا، ومن ثمَّ كان العامل منّا بما يطيق من أنواع العبادات أفضل من الملائكة كما ذهب إليه بعض الأصحاب ودلّت عليه بعض الأخبار.

نور ملكوتي في بعض ما في عالم الملكوت

فنقول روى الصدوق رحمه الله بإسناده إلى الرضا عليه السلام عن عليّ عليه السلام قال: دخلت أنا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدناه يبكي بكاءً شديداً فقلت فداك أبي وأمي يا رسول الله ما الّذي أبكاك، فقال: يا عليّ ليلة أُسري بي إلى السّماء رأيت نساء أُمّتي في عذاب شديد فأنكرت شأنهنّ، فبكيت لما رأيت من شدّة عذابهنّ، رأيت امرأة معلّقة بشعرها يغلي دماغ رأسها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها ورأيت امرأة معلقة بثدييها ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنّار توقد من تحتها، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى يديها وقد سلط عليها الحيات والعقارب ورأيت امرأة صمّاء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغ رأسها من منخرها وبدنها متقطع من الجذام والبرص ورأيت امرأة يقرض لحمها بالمقاريض ورأيت امرأة معلّقة برجليها في تنّور من نار ورأيت امرأة يحرق وجهها ويداها وهي تأكل أمعاءها ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار وعليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها والملائكة يضربون رأسها ويديها بمقامع من نار، فقالت فاطمة عليها السلام حبيبي وقرّة عيني أخبرني ما كان عملهن حتّى وضع الله عليهن العذاب فقال:

يا بنيّتي أما المعلّقة بشعرها فإنها كانت لا تغطّي شعرها من الرجال، وأما المعلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تمتنع من فراش زوجها وأما التي علقت برجليها فإنها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها، وأما التي كانت تأكل لحم جسدها فإنها كانت تزين بدنها للنّاس، وأما التي شدّت يداها إلى رجليها وسلّط عليها الحيّات والعقارب فإنها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تنتظف وكانت تستهين بالصّلاة، وأمّا العمياء الصمّاء الخرساء فأنّها كانت تلد من الزنا فتعلّقه في عنق زوجها، وأما التي تقرض لحمها بالمقاريض فإنّها كانت تعرض نفسها على الرجال، وأمّا التي كانت يحرق وجهها ويداها وهي تأكل أمعاءها فإنها كانت قوّادة، وأمّا التي كانت رأسها رأس الخنزير وبدنها بدن الحمار فإنها كانت نمامة كذّابة، وأمّا التي على صورة الكلب والنّار تدخل في دبرها وتخرج من فيها فإنها كانت قينة[1] نوّاحة حاسدة ثمَّ قال ويل لامرأة أغضبت زوجها وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها.

فإن قلت اكشف لنا عن حقيقة هؤلاء المعذّبات أهنّ في الأرض أم في السّماء وإذا كنّ في السماوات ما حقيقة هذا المرئي منهنّ، قلت أمّا ما وقع في هذا الحديث وفي كلّ ما روي في معناه من قوله ﷺ رأيت ليلة أُسري بي ولم يقيّده في مكان فالظّاهر أنه ﷺ إنّما رآه في الأرض قبل صعوده السماوات بل يكون في عرض الطريق، فقد نقل في الأخبار أنّه رأى أعاجيب كثيرة وأحوالاً غزيرة، ويؤيّده ما رواه صاحب روضة الواعظين في كلام طويل في صفة المعراج، قال فيه ثمَّ مضى مع جبرائيل عليه السلام فمرّ على قوم معلّقين بعراقيبهم بكلاليب[2] من نار، فقال ما هؤلاء يا جبرائيل، فقال هؤلاء الّذين أغناهم الله بالحلال فيبتغون الحرام، قال: قال ثمَّ مرّ على قوم تخاط جلودهم بمخائط من نار فقال ما هؤلاء يا جبرائيل فقال هؤلاء الّذين يأخذون عذرة النساء بغير حلّ، ثمَّ مضى فمرّ على رجل يرفع حزمة من حطب كلّما لم يستطع أن يرفعها زاد فيها، فقال من هذا يا جبرائيل فقال هذا صاحب الدين يريد أن يقضي فإذا لم يستطع زاد عليه، ثمَّ مضى حتّى إذا كان بالجبل الشرقي من بيت المقدس وجد ريحاً حارة وسمع صوتاً، فقال ما هذه الريح يا جبرائيل التي أجد وما هذا الصوت الّذي أسمع، قال هذه جهنّم، فقال النبيّ ﷺ أعوذ بالله من جهنّم ثمَّ

---

(١) القينة الأمة مغنية كانت أو غير مغنية.

(٢) الكلاليب من الكلاب بالضم كتفاح خشبة أو حديدة معوجة الرأس.

وجد ريحاً عن يمينه طيبة وسمع صوتاً، فقال ما هذه الريح التي أجد وهذا الصوت الّذي اسمع، قال هذه الجنّة فقال أسأل الله الجنّة، قال ثمَّ مضى حتّى انتهى إلى باب مدينة بيت المقدس وفيها هرقل - الحديث، فإن في هذا تصريحاً بكون ما رآه قبل الصعود.

وأمّا الّذي وقع التصريح برؤيته في السماوات وهو كثير، كما نقل في ذلك الكتاب من قوله فلمّا انتهى إلى باب السّماء استفتح جبرائيل عليه السلام فقالوا من هذا قال محمد قالوا نعم المجيء جاء فدخل فما مرّ على ملأ من الملائكة إلاّ سلّموا عليه ودعوا له، ثمَّ مضى فمرّ على شيخ قاعد تحت شجرة وحوله أطفال، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله من هذا الشيخ يا جبرائيل، قال هذا أبوك إبراهيم فقال ما هؤلاء الأطفال حوله، فقال هؤلاء أطفال المؤمنين حوله يغذوهم. ثمَّ مضى فمرّ على شيخ قاعد على كرسي إذا نظر عن يمينه ضحك وفرح وإذا نظر عن يساره حزن وبكى فقال من هذا يا جبرائيل قال هذا أبوك آدم إذا رأى من يدخل الجنّة من ذرّيته ضحك وفرح، وإذا رأى من يدخل النّار من ذريّته حزن وبكى ثمَّ مضى فمرّ على ملك قاعد على كرسيّ فسلّم عليه فلم ير منه من البشر ما رأى من الملائكة فقال يا جبرائيل ما مررت بأحد من الملائكة إلاّ رأيت منه ما أُحبّ إلّا هذا فمن هذا الملك، قال هذا مالك، خازن النّار أما إنّه قد كان من أحسن الملائكة بشراً وأطلقهم وجهاً فلما جعل خازن النّار اطلع فيها اطلاعة فرأى ما أعد الله فيها لأهلها فلم يضحك بعد ذلك، ونقل غير هذا أيضاً.

والجواب عن الكلّ واحد لكنّه على وجوه **أحدها**: ما روي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال إنّ الله جل اسمه لمّا عرج بي إليه مثل لي أُمتي في الطين من أوّلها إلى آخرها حتّى أنا أعرف بهم من أحدهم بأخيه وعلّمني الأسماء كلها فيكون هذا الّذي رآه صلى الله عليه وآله من التمثيلات الطينيّة باعتبار ما يؤول إليه حالهم، فإنّ علمه صلى الله عليه وآله مأخوذ من علم الله سبحانه، وعلمه بالأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها فمثّلت له الأشياء قبل وجودها وشاهدها بعين العيان.

وثانيها: أنّه قد روي عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله عليه السلام: يا من أظهر الجميل وستر القبيح، أنّ الله سبحانه خلق تمثالاً في السّماء لكل إنسان في الأرض يعمل مثل عمله، فإذا عمل الإنسان في الأرض عمل خير عمل تمثاله مثل عمله فأظهر الله تعالى ذلك التمثال لأهل السّماوات يرونه فيعلمون أن ذلك الإنسان يعمل

ذلك العمل الحسن فشكرته الملائكة واستغفرت له ومن هذا قال في الحديث القدسي اشكرني ابن آدم في ملئك أشكرك في ملأ خير منه اشكرك في الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين وهو عبارة عن شكر الملائكة والأنبياء وفي بعض الروايات أنّه سبحانه يخلق صوتاً في عالم الملكوت يشكر به ذلك الشاكر وقيل المراد بشكر الله سبحانه للعبد المجازاة له على الشكر وكلّ هذا حقّ لما ورد في الحديث القدسي أيضاً: من تقرب إلي شبراً تقرّبت إليه ذراعاً ومن تقرّب إلي ذراعاً تقرّبت إليه باعاً، وهو يسبق من أراد السبق إليه وإذا شغل الإنسان في الأرض بالمساوئ والأعمال القبيحة عمل ذلك التمثال ذلك العمل، فيأمر الله سبحانه بملك يرخي على ذلك التمثال ستراً حتّى لا تراه الملائكة، فهذا معنى يا من أظهر الجميل وستر القبيح وحينئذ فيكون ﷺ قد كشف له عن تلك التمثالات ليلة المعراج فرأى التمثال على ما هو عليه من الأحوال المطابقة لذوي التمثال لأنّ ذلك المعراج قد كان بعد مبعثه ﷺ بخمس سنين، فعملت نساء أمّته ورجالها ما رآه في عالم الملكوت.

وثالثها: أن تكون حكمته تعالى قد اقتضت أن بعض هذه الأُمة ينتقلون بعد الموت إما بهذه الأبدان الجسمانيّة أو القوالب المثاليّة إلى جنّة السمٰوات ونارها وهما جنّة الآخرة ونارها وأما جنّة الدنيا ونارها فهما في الأرض كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى كما أن آدم وإبراهيم وموسى وإدريس قد انتقلوا إلى السماوات والجنان بهذه الأبدان فيكون ﷺ قد شاهد المعذّبين في نار السّماوات وهي نار الآخرة، كما روي أنه ﷺ قال لجبرائيل في ليلة المعراج وهو في السماوات يا جبرائيل أطلعني على النّار أراها، فقال يا رسول الله لا تطيق النظر إليها فاستأذن مالك خازن النّار فكشف له الغطاء عن تنّور منها فثار منه دخان أحاط بالسماوات كلّها سواده فغشي على النبيّ ﷺ فوضع الغطاء على التنّور فأفاق، وما تضمنه الحديث السابق من قوله يرفع حزمة الحطب - الحديث، فينبغي أن يحمل على من لم يكن له عزم على أداء الدين كما ورد في حديث آخر، ويجوز حمله على من استدان ولم يكن له وجه مال لأدائه فإن جماعة من الأصحاب ذهبوا إلى عدم جواز الاستدانة لمثل هذا وقدّموا عليه السؤال بالكفّ وإن لم يكن من أهله لقوله عليه السلام الديْن مفرَّة بالليل مذّلة بالنهار، قضاء في الدنيا وقضاء في الآخرة لأنّه يؤخذ من حسنات المديون لصاحب الدين وإن لم يكن له حسنات أخذ من ذنوب صاحب الدين ووضعت في عنق المديون، وهو أحد معاني قوله سبحانه: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ

وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] ومن جملة ما في السماوات الأنبياء عليهم السلام إمّا أرواحهم بناء على عدم تجرّد الأرواح كما هو القول الأظهر، أو مع الأجساد المثاليّة أو هذه الأجسام بعينها فإنّ الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء ولا أوصياءهم عليهم السلام .

روى الصدوق عن الصادق عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أُسري به أمره ربّه بخمسين صلاة فمرّ على النبيّين نبيّ نبيّ لا يسألونه عن شيء حتّى انتهى إلى موسى بن عمران عليه السلام فقال: بأيّ شيء أمرك ربّك فقال بخمسين صلاة فقال موسى سل ربك التخفيف فإنّ أُمتك لا تطيق ذلك فسأل ربه فحطّ عنه عشراً ثمَّ مر بالنبيين نبيّ نبيّ لا يسألونه عن شيء حتّى مرّ بموسى بن عمران عليه السلام فقال بأيّ شيء أمرك ربّك، فقال بأربعين صلاة، فقال سل ربك التخفيف فإنّ أُمتك لا تطيق ذلك فسأل ربه فحطّ عنه عشراً ثمَّ مرّ بالنبيين نبيّ نبيّ لا يسألونه عن شيء حتّى مرّ بموسى بن عمران عليه السلام ، فقال بأي شيء أمرك ربك فقال بثلاثين صلاة، فقال سل ربّك التخفيف فإن أُمتك لا تطيق ذلك، فسأل ربه عزّ وجلّ فحطّ عنه عشراً ثمَّ مر بالنبيين نبّي نبّي لا يسألونه عن شيء حتّى مر بموسى بن عمران عليه السلام فقال بأي شيء أمرك ربك، فقال بعشرين صلاة فقال سل ربك التخفيف فإن أُمتك لا تطيق ذلك، فسأل ربه عزّ وجلّ فحط عنه عشراً ثمَّ مرّ بالنبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتّى مرّ بموسى عليه السلام ، فقال بأيّ شيء أمرك ربّك فقال بعشر صلوات، فقال سل ربك التخفيف فإن أُمتّك لا تطيق ذلك فإني جئت إلى بني إسرائيل بما افترض الله عزّ وجلّ عليهم فلم يأخذوا به ولم يقرّوا عليه فسأل النبيّ صلى الله عليه وآله ربّه عزّ وجلّ فخفّف عنها فجعلها خمساً ثمَّ مرّ بالنبيّين نبيّ نبيّ لا يسألونه حتّى مرّ بموسى عليه السلام فقال له: بأي شيء أمرك ربّك فقال بخمس صلوات فقال اسأل ربّك التخفيف عن أُمتّك فإن أُمتك لا تطيق ذلك فقال إني لأستحي أن أعود إلى ربي فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس صلوات وقال رسول الله صلوات الله عليه وآله جزى الله موسى بن عمران عن أُمتي خيراً فلمّا هبط إلى الأرض نزل عليه جبرائيل فقال يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السلام فيقول إنّها خمس بخمسين ما يبدل القول لدي وما أنا بظلاّم للعبيد.

أقول: وجه كونها بخمسين أنّ الحسنة بعشر فخمس بخمسين.

ومن السماويّات البيت المعمور وهو بيت في السّماء الرابعة بحيال الكعبة، تعمره الملائكة بالطواف مثل الكعبة وهو المرويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام أنّه في السّماء السّابعة يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون

إليه أبداً، وروي عن النبيّ ﷺ أنّه في السّماء الدنيا وفي السّماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبرائيل عليه السلام كلّ يوم طلعت فيه الشمس وإذا خرج انتفض انتفاضة جرت منه سبعون ألف قطرة فيخلق الله من كلّ قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلّون فيه ثمّ لا يعودون إليه أبداً وهو أوّل مسجد وضع للعبادة في الأرض فلمّا خلقت الكعبة شرفها الله تعالى رفع إلى حيالها، ويجوز أن يكون وجه الجمع حمل البيت المعمور على الجنس فيكون في كلّ واحدة من السماوات المذكورة بيت للطواف مثل الكعبة بالنسبة إلى أهل الأرض يسمّى البيت المعمور، ولشرفه عند خالقه أقسم به فقال: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾﴾ [الطور: ٤-٥] ويؤيّده ما روي عن الرضا عليه السلام أن الله سبحانه وضع في السّماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش، يسمّى الضراح ثمّ وضع في السّماء الدنيا بيتاً يسمّى المعمور بحذاء الضراح، ثمّ وضع هذا البيت بحذاء البيت المعمور، الحديث.

ومنها البحار روى شيخنا الصدوق رحمه الله بإسناده إلى ابن درّاج قال سألت أبا عبد الله عليه السلام هل في السّماء بحار قال نعم أخبرني أبي عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ إنّ في السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام، فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله عزّ وجلّ والماء إلى ركبهم ليس فيهم ملك إلّا وله ألف وأربعمائة جناح، في كلّ جناح أربعة وجوه في كلّ وجه أربعة أفواه في كلّ فم أربعة ألسن ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلّا وهو يسبّح الله عزّ وجلّ بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه، أقول وأجد منها فسّر البحر المسجور أي الممتلئ ماء أو حرارة أو غضباً على أهل المعاصي.

نور يكشف عن مكان الجنة والنار الأُخرويتان

اعلم أن الإماميّة رضوان الله عليهم قد أجمعوا استناداً إلى ظاهر الآيات والأخبار المتواترة على كون الجنّة والنّار مخلوقتين الآن[1] وقصّة آدم وحوّاء

(١) وخالف عن الإمامية في هذا الاعتقاد سيدنا الاعظم السيّد الشريف الرضي جامع نهج البلاغة المتوفى سنة (٤٠٦هـ). قال في الجزء الخامس من كتابه حقائق التأويل في متشابه التنزيل ما هذا لفظه (فصل في ذكر الجنّة والنار هل هما مخلوقتان الآن أم تخلقان بعد فناء العباد وقد اختلف العلماء في ذلك فمنهم من قال هما الآن مخلوقتان وقال بعضهم: إنّ الجنّة خاصة مخلوقة والصحيح أنهما تخلقان بعد الخ انظر ص ٢٤٥ ط نجف وإلى هذا القول مال أخوه =

وإسكانهما الجنّة وإخراجهما عنها(١) وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] و﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] وغير ذلك من الآيات شواهد صدق عليه.

وأمّا جمهور مخالفينا فذهب الأشاعرة وأبو عليّ الجبائيّ وبشر بن المعتمر وأبو الحسين البصري من المعتزلة إلى أنّهما مخلوقتان الآن كما قلنا، وأنكره أكثر المعتزلة كأبي هاشم وعبد الجبار وعباد الصمريّ وضرار بن عمرو تعويلاً على العقل والنقل؛ أمّا الأوّل فمبناه على امتناع الخرق والالتئام على الأفلاك وهو أضعف من غزل العنكبوت وأمّا الثاني فقوله تعالى: ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وهذا يقتضي أن لا يوجد إلاّ بعد فناء السّماوات والأرض في القيامة والجواب عن هذا قد روي عن الرضا عليه السلام، وذلك أنّه قد سئل عن هذا بأنّ عرضها إذا كان كعرض السّماوات والأرض فالآن أين تكون، فقال عليه السلام إنّها ليست في السّماوات ولا في الأرض ولكن فوق السماوات وسقفها العرش فعلى هذا يكون أرضها محدّب

= رئيس المذهب السيّد الشريف المرتضى علم الهدى قدس سره ولكن القول الحق هو ما ذهب إليه المصنف رحمه الله.

(١) هذا البحث أعني كون الجنّة والنار مخلوقتين أو لا إنّما وقع بالنسبة إلى الجنّة والنار اللتين هما منتهى سير البشر بعد عالم الحشر والمعاد ففريق في الجنّة وفريق في السعير. والظاهر من المصنف رحمه الله أنّه حمل قصة آدم وحواء عليهما السلام وإسكانهما الجنة وإخراجهما عنها على جنة الخلد ولكن التحقيق إنه لم تكن جنة أبينا آدم عليه السلام جنة الخلد فانها إن كانت جنة الخلد لم يخرج منها أبداً ولم يدخلها إبليس. ويدل القرآن الكريم على إنّ آدم عليه السلام خلق لاسكانه في الأرض حيث قال سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠] وإنما اسكنهما الله تعالى الجنّة لاختبارهما وجعل آدم عليه السلام خليفة في الأرض ينافي اسكانه في جنّة الخلد التي أعدت للمتقين لعدم امكان الخروج منها. ويدل على ما ذكرناه أيضاً الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فقد روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره قال: سئل الصادق عليه السلام عن جنة آدم أمن جنات الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟ فقال عليه السلام: كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً، الحديث.
والمراد بكونها من جنان الدنيا كونها برزخية في مقابل جنان الخلد وتعبيرهم عليهم السلام عن الجنان البرزخية بجنان الدنيا شائع كثير في رواياتهم وكلماتهم الشريفة لأنّ البرزخ باطن هذا العالم الظاهر المشاهد الّذي تطلع فيه الشمس والقمر قال سبحانه: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧]. ولسيدنا وابن خالنا العلاّمة الأكبر الحكيم الفقيه السيّد محمّد حسين القاضي الطباطبائي دام ظله بيانات وتحقيقات كافية في قصة جنة آدم عليه السلام في تفسيره النفيس (الميزان) انظر من ص (١٢٧) إلى ص (١٥١) ط الأعلمي - بيروت.

الكرسي، فتكون تحت العرش وفوق الكرسي وقد دخلها النبيّ ﷺ ليلة المعراج وأكل منها تفّاحة، ولمّا أتى منزله قارب خديجة فحملت بفاطمة فكانت النطفة من تلك التفاحة ومنها كان حمرة وجوه الأئمة عليهم السلام وكان النبيّ ﷺ إذا أراد أن يشمّ رائحة الجنّة وتفاحها أتى إلى فاطمة وشمّها وقبّلها، ومن ثمّ حسدتها عائشة على هذا المعنى وأضمرت لها عداوتها[1] وعداوة زوجها وأولادها ولمّا مضى النبيّ ﷺ أظهرت نار نفاقها، فجهّزت العساكر وجمعت الجموع حتّى خذلت وغلبت وظفّر الله المسلمين على عساكرها كما سمعت.

وأمّا نار الآخرة فهي في السّماء أيضاً وقد استفاضت الأخبار بالدلالة عليه وقد شاهدها النبيّ ﷺ ليلة المعراج، وقد حصل له فزع عظيم من هول ما شاهد منها كما تقدّم إلاّ أنّها تحت الجنّة، وظاهر الأخبار أنّها في السّماء الرابعة وقد رآها إدريس النبيّ عليه السلام ودخلها لحظة، وكانت عليه برداً وسلاماً، وسيأتي تمامه في مكانه إن شاء الله وهذه الجنّة والنار السماويّتان غير الجنّة والنار المخلوقتين في الأرض لعالم البرزخ لعذاب الفاسقين ولنعيم المؤمنين، فإنّ جنّة الدنيا وادي السلام في ظهر الكوفة ونار البرزخ برهوت وهو واد في حضرموت اليمن، وتفصيلها يذكر في محلّه إن شاء الله تعالى، فإذا كان يوم القيامة وطوى الله سبحانه بقدرته السماوات

(١) وكان من حقدها للصديقة الطاهرة سلام الله عليها اظهارها المسرة عند وفاتها وقد توفيت الزهراء سلام الله عليها فجاء نساء رسول الله ﷺ كلهن إلى بني هاشم في العزاء إلاّ عائشة فإنها لم تأت واظهرت مرضاً ونقل إلى علي عليه السلام عنها ما يدل على السرور انظر أعلام النساء لعمر رضا كحالة ج ٢ ص ٨٥٢ ط دمشق. وعن سيد الإمامية على الاطلاق السيّد المرتضى علم الهدى قدس سره في كتابه الشافي (روي عن مسروق أنّه قال دخلت على عائشة فجلست إليها فحدثتني واستدعت غلاماً لها أسود يقال له عبد الرحمن فجاء حتّى وقف فقالت يا مسروق اتعلم لم سميته عبد الرحمن فقلت لا قالت حباً مني لعبد الرحمن بن ملجم).
هكذا فلتكن أمّ المؤمنين ولا حول ولا قوة إلاّ بالله قال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله - رواه الفريقان.
قال رسول الله ﷺ: من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد ابغضني ومن آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عزّ وجلّ. انظر ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري الشافعي ص ٦٥ ط مصر وفي معناه روايات كثيرة بطرق عديدة في كتب أهل السنّة. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

كطيّ السجلّ وأعدمها وكذلك بدل الأرض كما قال: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ﴾ [الزمر: ٦٧] فيومئذ ينزل الجنّة والنّار من مكانهما فتكون الجنّة في موضع السماوات تتفاوت درجات أهلها بتفاوت أعمالهم فمسافة ارتفاع السماوات كلها تكون من بعض درجات الجنّة فتكون هذه الأرض أسفل قيعان[1] الجنة ودرجاتها، وتنتهي في العلو والارتفاع إلى ما فوق العرش فإنّ الله سبحانه كما روي عن الصادقين عليهما السلام يعطي المؤمن في الجنّة ما يقابل الدنيا مرّة، وروي سبعين مرّة هذا الأقل، وأمّا الأكثر فلا يعلم مقداره إلاّ هو.

وأمّا النّار فإذا نزلت يوم القيامة مكانها طبقات الأرض وتتفاوت طبقاتها في العمق على قدر تفاوت المعاصي فيكون أسفل الجنّة أعلى النار، لأنّه قد روي أن أهل الجنّة لهم غرف، تفتح بعض أبوابها إلى النار، حتّى يشاهدوا عذاب أهلها فتعظم نعمت الله في أعينهم، فعند تلك المشاهدة يقول لهم أهل النّار ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠]، فيقول لهم أهل الجنّة إنّ طعام الجنّة وشرابها محرّم على الكافرين.

نور آدميّ

في ابتداء خلق أبينا آدم وأمّنا حواء عليهما السلام وما يتبع ذلك. روى القطب الراوندي وهو من أعظم محدّثي الشيعة في كتاب قصص الأنبياء عليهم السلام بإسناده إلى الباقر عليه السلام قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام: هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم عليه السلام وذريّته؟ فقال نعم قد كان في السماوات والأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله تعالى قبل آدم عليه السلام وذريّته يقدّسون الله ويسبّحونه ويعظّمونه بالليل والنهار، ولا يفترون فإن الله عزّ وجلّ لما خلق الأرضين خلقها قبل السماوات ثمّ خلق الملائكة روحانيّين لهم أجنحة يطيرون بها حيث يشاء الله فأسكنهم فيما بين أطباق السماوات يقدّسونه الليل والنهار واصطفى منهم إسرافيل وميكائيل وجبرائيل.

ثمّ خلق عزّ وجلّ في الأرض الجنّ روحانيّين لهم أجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة وخفضهم أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغير ذلك فأسكنهم فيما بين أطباق

---

(١) القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام جمعه أقواع واقوع وقيع وقيعان وقيعة بقلب الواو ياء لانكسار ما قبلها وقيل القيعة بالكسر والقاع بمعنى واحد وهو المستوي من الأرض.

الأرضين السبع وفوقهنّ، يقدّسون الله بالليل والنهار لا يفترون، ثمَّ خلق خلقاً دونهم لهم أبدان وأرواح بغير أجنحة يأكلون ويشربون[١] نسناس دون أشباه خلقهم وليسوا بإنس وأسكنهم أوساط الأرض على ظهر الأرض مع الجنّ يقدّسون الله الليل والنهار لا يفترون، قال وكان الجنّ تطير في السماء فتلقى الملائكة في السماوات فيسلّمون عليهم فيزورونهم ويستريحون إليهم ويتعلّمون منهم الخبر ثمَّ إنّ طائفة من الجنّ والنسناس الذين خلقهم الله وأسكنهم أوساط الأرض تمرّدوا وعتوا عن أمر الله فمرحوا وبغوا في الأرض بغير الحقّ، وعلا بعضهم على بعض في العتوّ على الله تعالى حتّى سفكوا الدماء فيما بينهم، وأظهروا الفساد وجحدوا ربوبيّة الله تعالى، قال وأقامت الطائفة المطيعون من الجنّ على رضوان الله وطاعته وباينوا الطائفتين من الجنّ والنسناس الذين عتوا عن أمر الله تعالى قال فحطّ الله أجنحة الطائفة من الجنّ الذين عتوا عن أمر الله تعالى وتمرّدوا وكانوا لا يقدرون على الطيران إلى السّماء وإلى ملاقاة الملائكة لما ارتكبوا من الذنوب والمعاصي قال وكانت الطائفة المطيعة أمر الله من الجنّ تطير إلى السّماء في الليل والنّهار على ما كانت عليه، وكان إبليس واسمه الحارث يظهر للملائكة أنّه من الطائفة المطيعة.

ثمَّ خلق الله خلقاً على خلاف خلق الملائكة وعلى خلاف خلق الجنّ وعلى خلاف خلق النسناس يدبّون كما تدبّ الهوامّ في الأرض، يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام من مراعي الأرض كلّهم ذكران ليس فيهم إناث لم يجعل الله فيهم شهوة النّساء ولا حبّ الأولاد، ولا الحرص ولا طول الأمل ولا لذّة العيش لا يلبسهم الليل ولا يغشاهم النهار، ليسوا ببهائم ولا هوامّ لباسهم ورق الشجر وشربهم من العيون الغزار والأودية الكبار، ثمَّ أراد الله أن يفرّقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشّمس من وراء البحر فكوّن لهم مدينة أنشأها لهم تسمّى جابرسا، طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السّماء ثمَّ أسكنهم فيها وأسكن الفرقة الأُخرى خلف مغرب الشّمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمّى جابلقا، طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكوّن لهم سوراً من حديد يقطع إلى السّماء فأسكن الفرقة الأخرى فيها لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا، ولا أهل جابلقا بموضع أهل جابرسا ولا يعلم بهم أهل أوساط الأرض من الجنّ والنسناس فكانت الشمس تطلع على أهل

(١) ثم خلق النسناس - كذا في النسخة المخطوطة.

أوساط الأرضين من الجن والنسناس فينتفعون بحرها ويستضيئون بنورها ثمَّ تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت، ولا يعلم بها أهل جابرسا إذا طلعت لأنّها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا.

فقيل يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون ويجيئون ويأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس فقال صلوات الله عليه إنّهم يستضيئون بنور الله فهم في أشد ضوء من نور الشمس ولا يرون أن الله تعالى خلق شمساً ولا قمراً ولا نجوماً ولا كواكب، لا يعرفون شيئاً غيره، فقيل يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم قال لا يعرفون إبليس ولا سمعوا بذكره لا يعرفون إلاّ الله وحده لا شريك له لم يكسب أحد منهم قطّ خطيئة ولم يقترف إثماً لا يسقمون ولا يهرمون إلى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون، اللّيل والنهار عندهم سواء، قال إنّ الله أحبّ أن يخلق خلقاً وذلك بعدما مضى للجنّ والنسناس سبعة آلاف سنة فلما كان من خلق الله أن يخلق آدم للّذي أراد من التدبير والتقدير فيما هو مكوّنه في السمٰوات والأرضين كشط عن أطباق السمٰوات، ثمَّ قال للملائكة انظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجنّ والنسناس هل ترضون أعمالهم وطاعتهم لي فاطّلعت ورأوا ما يعملون من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحقّ أعظموا ذلك وغضبوا لله وأسفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم، وقالوا يا ربّنا أنت العزيز الجبّار الظاهر العظيم الشأن وهؤلاء كلّهم خلقك الضعيف الذليل في أرضك، كلهم يتقلّبون في قبضتك ويعيشون في رزقك ويتمتعون بعافيتك وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام لا تغضب ولا تنتقم منهم لنفسك بما تسمع منهم وترى وقد عظم ذلك وأكبرناه فيك قال فلما سمع الله تعالى مقالة الملائكة قال إنّي جاعل في الأرض خليفة فيكون حجّتي على خلقي في أرضي، فقالت الملائكة سبحانك ربّنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك، فقال الله تعالى: يا ملائكتي إني أعلم ما لا تعلمون إنّي أخلق خلقاً بيدي أجعل خلفائي على خلقي في أرضي ينهونهم عن معصيتي وينذرونهم، ويهدونهم إلى طاعتي ويسلكون بهم طريق سبيلي أجعلهم حجّة لي عذراً أو نذراً وأنفي الشياطين من أرضي وأطهّرها منهم، فأسكنهم في الهواء وأقطار الأرض وفي الفيافي فلا يراهم خلق ولا يرون شخصهم ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم ولا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم، وأُنفّر مردة الجنّ العصاة من نسل بريّتي وخلقي وخيرتي فلا يجاورون خلقي وأجعل بين خلقي وبين الجانّ حجاباً فلا يرون خلقي شخص الجنّ ولا يجالسونهم ولا يشاربونهم ولا ينهجون نهجهم.

ومن عصاني من نسل خلقي الّذي عظّمته واصطفيته أُسكنهم مساكن العصاة وأُوردهم موردهم ولا أُبالي، فقالت الملائكة لا علم لنا إلاّ ما علمتنا إنّك أنت العليم الحكيم، فقال للملائكة إنّي خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، قال: وكان ذلك من الله تقدمة للملائكة قبل أن يخلقه احتجاجاً منه عليهم وما كان الله ليغيّر ما يقوم إلّا بعد الحجّة عذراً أو نذراً، فأمر تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة فاغترف غرفة بيمينه فصلصلها في كفّه فجمدت، فقال الله تبارك منك أخلق.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال إنّ الله تعالى خلق آدم من أديم الأرض(١) فمنه السباخ والمالح والطيّب، ومن ذرّيته الصالح والطالح، وقال إنّ الله تعالى لمّا خلق آدم ونفخ فيه من روحه نهض ليقوم فقال الله: وخلق الإنسان عجولا، وهذا علامة الملائكة أن من أولاد آدم عليه السلام يكون من يصير بفعله صالحاً ومنهم من يكون طالحاً بفعله، لا أن من خلق من الطيّب لا يقدر على القبيح ولا أن من خلق من السبخة لا يقدر على الفعل الحسن.

وقال الصادق عليه السلام كانت الملائكة تمرّ بآدم عليه السلام أي بصورته وهو ملقى في الجنّة من طين، فتقول لأمر ما خلقت وقال عليه السلام إنّ القبضة التي قبضها الله تعالى من الطّين الّذي خلق آدم عليه السلام منه، أرسل إليها جبرائيل أن يأخذ منها إن شاء فقالت الأرض أعوذ بالله أن تأخذ منّي شيئاً، فرجع فقال يا ربّ تعوّذت بك، فأرسل الله إليها إسرافيل وخيّره، فقالت مثل ذلك ورجع، فأرسل إليها ميكائيل وخيّره أيضاً، فقالت مثل ذلك فرجع فأرسل الله تعالى إليها ملك الموت، فأمره على الحتم فتعوّذت بالله أن يأخذ منها فقال ملك الموت وأنا أعوذ بالله أن أرجع إليه حتّى آخذ منك قبضة، وإنّما سمي آدم لأنّه أُخذ من أديم الأرض وقال إنّ الله تعالى: خلق آدم من الطين وخلق حواء من آدم فهمّة، الرجال الأرض وهمّة النساء الرجال وقيل أديم الأرض الرّابعة إلى اعتدال لأنه خلق وسطاً من الملائكة.

وروي مسنداً عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أن خلق الله تعالى آدم أوقفه بين يديه فعطس، فألهمه الله تعالى أن حمده، فقال يا آدم حمدتني فوعزّتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في آخر الزمان ما خلقتك قال آدم يا ربّ

---

(١) أديم السّماء أو الأرض: ما ظهر منهما.

بقدرهم عندك ما اسمهم فقال تعالى: يا آدم انظر نحو العرش فإذا بسطرين من نور السطر الأول لا إله إلاّ الله محمّد نبيّ الرحمة، وعلي مفتاح الجنّة، والسطر الثاني آليت على نفسي أن أرحم من والاهما وأُعذّب من عاداهما، وتفصيل مقدمات آدم وحواء عليهما السلام قد ذكر في القرآن والأخبار.

أما القرآن فقال سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] وفيها أيضاً ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٤-٣٧].

وقال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ١١-٢١]. ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٢-٢٤]، وقال تعالى في سورة صٓ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ

كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٧١-٨٣].

ونحو ذلك من الآيات التي كرر فيها قصتهما ناعياً عليهما زلّتهما، إشارة إلى أن من خالف الأوامر يكون مصداق بطون هذه الآيات، وذلك الشيطان هو هذا بعينه وأبونا آدم عليه السلام فعل زلّة واحدة فأُخرج من جوار الله فكيف يكون حالنا نحن مع فعل آلاف من الذنوب كلّ يوم، ومع هذا نطمع في جنة الخلد ما هذا إلاّ من سخافة عقولنا، لكن بالنظر إلى رحمته تعالى لا يكون بعيداً، وما أحسن قول شيخنا البهائي طاب ثراه في الشعر الفارسي:

جدّ تو آدم بهشتش جای بود	قدسیان کردند بهر او سجود
یك گنه چون کرد گفتندش تمام	مذنبی مذنب بروبیرون خرام
تو طمع داری که با چندین گناه	داخل جنّت شوی اي روسیاه

وأما الأخبار فحيث أنّها لم تجتمع في خبر واحد، فلا بأس بأخذ القصّة من مجموع الأخبار موافقاً لمضمون (- لمفهوم خ ل -) الآيات فنقول إنّ الله سبحانه قد اقتضت حكمته أنّ يخلق آدم، ويجعله خليفة له في الأرض موضع الجان بن الجان وتلك المخلوقات التي مرّ ذكرها وأنّها كانت تفسد في الأرض فإن قلت إذا كان سبحانه قد أخبر الملائكة قبل خلق آدم بأنّ الغرض من خلقه خلافة الأرض لا الخلود في الجنّة فآدم على كلّ حال ينبغي إخراجه من الجنّة إلى الأرض لأجل المقصود من خلقته فكيف نعى عليه سبب الخروج من الجنّة إلى الأرض، وهو إنّما خلق له، قلت كان ينبغي له أن لا يخرج بسبب المعصية، بل بسبب الإرسال ونحوه من إيجاد النسل، وعمارة الأرض ونحو ذلك كما أنّه سبحانه لمّا علّم النبيّ صلى الله عليه وآله من أيّام طفوليّته حتّى بلغ الأربعين واستكمل كمالاته حتّى صار منه قاب قوسين أو أدنى نزّله من هذه المراتب العليّة إلى تلك المراتب السفليّة لإنقاذ عباده من الغرق ببحار الهلاك إلى ساحل النجاة وأمره بمخالطتهم ومعاشرتهم ومكالمتهم على قدر عقولهم واحتمال الأذى منهم وكان تحمّل هذه المشاقّ عليه أشدّ وأصعب ممّا لاقى من أهوال الرسالة، للطافة روحانيّة بسبب تعليم ذلك المعلّم لك المدّة الكثيرة، وهذا التنزيل المعنوي له في مراتبه صلى الله عليه وآله هو المراد من قوله عزّ من قائل: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ

إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾ [الطلاق: ١٠-١١] فإنه ﷺ لم يكن في مكان مرتفع في الحسّ حتّى نزل عنه، كما كان لأبينا آدم عليه السلام قد نزل من حسيّ ومعنويّ إلى حسيّ ومعنويّ ونبيّنا ﷺ قد نزل من مكان معنويّ إلى مكان حسّي، ومكان معنويّ ولكن فرق كثير بين النزولين مع أن ترك الخوض في حكاية هذا الاعتراض أولى من التعرّض له، وذلك لما روي من أن آدم وموسى عليهما السلام قد التقيا في السماوات، فقال موسى يا آدم أنت الّذي أشقيت النّاس وأخرجتهم من الجنّة، فقال له آدم أنت موسى الّذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وأنزل عليك التوراة، قال نعم قال فوجدته قدَّره لي قبل أن يخلقني، قال نعم قال فحج آدم موسى، وهذا الخبر لصعوبة معناه، قد ردّه صاحب الطرائف رحمه الله ولكن هذا المضمون وأمثاله قد روي في أخبارنا بطرق متكثّرة وهو راجع إلى العلم وأنّه ليس علة في وجود المعلوم وحصوله وسيجيء تحقيق هذه المسألة إن شاء الله تعالى.

وأمّا قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فهو قياس منهم لآدم على من تقدّمه من الجان والمخلوقات، يعني أن الخليفة مثل من تقدّمه ويجوز هذا القول منهم على جهة العلم من الألواح السماويّة، كما قاله جماعة من المفسّرين فلما أراد خلقه أرسل جماعة من الملائكة إلى الأرض، ليأخذوا من ترابها كما تقدّم فلم يقدم على ذلك الفعل إلاّ ملك الموت فأخذ قبضة من أديم الأرض أي من وجهها وبه سمّي آدم وتلك القبضة من حلو الأرض ومالحها وسهلها وجبلها وخيرها وشرّها وذلك ليكون موادّ مختلفة لأنواع المختلفين (المخلوقين) من أولاد آدم، فقال سبحانه لعزرائيل لمّا اجترأت على أخذ قبضة التراب من الأرض فلتكن أنت الّذي تقبض أرواح آدم وأولاده الّذين يخلقون من هذه التربة فأمر الملائكة ووضعوا ذلك التراب في المنخل ونخلوه، فما كان لباباً صافياً أُخذ لطينة آدم عليه السلام وما بقي في المنخل خلق الله منه النخلة، وبه سمّيت لأنّها خلقت من تراب بدن آدم عليه السلام وهي العجوة[1].

ومن ثمّ قال النبيّ ﷺ أكرموا عمّاتكم النخل لأنّها أخت الأب وقد شابهت الإنسان في أكثر الأحوال وقد كان آدم عليه السلام يأنس بها في الجنّة، ولمّا نزل إلى

(١) في الحديث العجوة من الجنّة قيل: هي ضرب من أجود التمر يضرب إلى السواد من غرس النبي ﷺ بالمدينة ونخلها تسمى اللينة قيل أراد بذلك مشاركتها ثمار الجنّة في بعض ما جعل فيها من الشفاء والبركة بدعائه ﷺ ولم يرد ثمار الجنّة نفسها.

الأرض واستوحش بمفارقة الجنّة طلب من الله سبحانه أن ينزل النّخلة التي كان يأنس بها، فأنزلها عليه فغرسها في الأرض وكان يأنس بها في حياته، ولمّا قرب وفاته أوصى إلى ولده أن يضع معه في قبره جريدة منها ليأنس بها في قبره فصارت سنّة فيما بين الأنبياء عليهم السلام إلى زمان عيسى عليه السلام فاندرست في زمن الفترة وأحياها النبيّ صلى الله عليه وآله وقال إنّها ترفع عذاب القبر ما دامت خضراء، فاستعملها شيعة أهل البيت عليهم السلام من أئمتهم.

ورواه الجمهور عن النبيّ صلى الله عليه وآله بطرق كثيرة منها أنّه قال صلى الله عليه وآله للأنصار: خضّروا صاحبكم فما أقل المخضرين يوم القيامة، قالوا وما التخضير قال جريدة خضراء توضع من أصل اليدين إلى أصل الترقوة(١) ولمّا رأوا استعمال الشيعة له أقبلوا على إنكاره وعلى كونه بدعة لأنه صار شعار الروافض، وممّا خلق من طينة آدم عليه السلام الحمام ومن ثمّ سنّ الشرع تربيته في البيوت، وأنّه يطرد الشياطين وتدخل الملائكة إلى ذلك المنزل وصارت تستعمل في حمل الرسائل، فلمّا نخل ذلك التراب أمر الله سبحانه فأمطر عليه الماء المالح أربعين صباحاً، ثمّ أمطر عليه الماء الحلو أربعين صباحاً، حتّى امتزج الطين والماء الحلو والمالح فخمّر طينة آدم عليه السلام تخميراً، حتّى بقيت أربعين صباحاً بين الطين والماء وإلى هذا الوقت الخاصّ أشار النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين. ثمّ لمّا أكمل خلقه من الطين بقي شبحاً ملقى في السماوات بغير روح ولكن عزازيل الّذي صار اسمه الشيطان بعد العصيان كان يمر على ذلك الشبح كلّ يوم ويقول لأمر ما خلقت ثمّ إنه دخل يوماً إلى جوفه فغوط فيه ومن ثمّ صار الغايط نجساً ومنتناً لمكان غايط الشيطان في جوف آدم عليه السلام.

فأمر الله سبحانه روح آدم أن تدخل في بدنه، فأبت وقالت يا رب كيف أدخل هذا البدن، وأغفل عن طاعتك وتعتريني معاصي الأبدان، ولعلّها إنّما قالت هذا لعلمها السابق بالجانّ الذين كانوا في الأرض فإنّ الأرواح مخلوقة قبل الأبدان بألفي عام وروي أكثر من هذا فلطف بها سبحانه وقال إنّه سأُخرج من هذا البدن أقواماً لا يعصونني طرفة عين وهم حججي على عبادي، فدخلت الروح فلمّا استقرت في البدن عطس آدم فقال الحمد لله رب العالمين فقال له الله تعالى رحمك الله يا آدم وهذا معنى ما جاء من قوله يا من سبقت رحمته غضبه، فإنّ أول خطاب كان مع أبينا

(١) الترقوة مقدم الحلق في أعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفس.

آدم عليه السلام هذه الرحمة، فقد ابتدأ العالم بحمده وختم به كما سيأتي من أن أهل الجنّة إذا دخلوا الجنّة، وأهل النّار إذا دخلوا النّار قال أهل الجنّة إذا خرجوا من هذه الدنيا إلى الجنّة الحمد لله ربّ العالمين كما حكاه سبحانه بقوله: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

وبالجملة فقد خلق الله سبحانه آدم عليه السلام على تلك الصورة التي خلقه عليها، من غير أن يتخلّق عليه الصور نطفة وعلقة ومضغة وعظاماً كما تداولت على أولاده وهذا هو أحد معاني قوله صلى الله عليه وآله: إنّ الله خلق آدم على صورته. وقد أجبت بهذا الجواب لمّا سألني بعض الأفاضل في مجلس بعض الملوك وجواب آخر أيضاً خطر بالبال ذلك الوقت وحاصله أنّه قد روي أنّ ملائكة التصوير إذا أرادوا تصوير النطفة ذكراً أو أنثى يقولون يا ربّ على أي صورة نصوره فإن كان ذكراً قال سبحانه أحضروا صور أبائه إلى آدم وصوّروه مثل واحدة منها، وإن كان أنثى قال أحضروا صور أمّهاته إلى حوّاء فصوّروه على صورة واحدة منها، ومن ثمّ قال عليه السلام لا ينبغي لأحد أن يطعن في نسب ولده لأجل أنّه لا يشبهه في الصورة فلعله إنّما صوّر مثل واحد من آبائه، وهذا في غير أبينا آدم عليه السلام وأمّا هو فليس له آباء ولا أمّهات حتّى يصوّر مثل واحدة منها بل خلق على تلك الصورة التي خلق عليها وقال المحقّق صاحب غوالي اللآلي المراد بالصورة الصورة المعنويّة، كما قال عليه السلام تخلّقوا بأخلاق الله، فيكون الضمير حينئذ راجعاً إلى الله سبحانه يعني على صورة الله المعنويّة ومصداقه الحديث القدسي قال فيه إذا تقرّب عبدي إليّ بالنوافل كنت سمعه الّذي به يسمع ويده التي بها يبطش[1] ورجله التي بها يمشي، الحديث.

وقال سيّدنا المرتضى نوّر الله مضجعه إن على بمعنى مع يعني أنّه سبحانه خلق مادته مع صورته، فيكون ردّاً على ما زعمه الطبيعيّون من أن المادّة مخلوقة والصورة من مقتضياتها، والّذي ورد في تفسير هذا الحديث من الأخبار حديثان، أحدهما ما رواه رئيس المحدّثين شيخنا الكليني قدّس الله روحه، بإسناده إلى محمّد بن مسلم قال سألت أبا جعفر عليه السلام عمّا يروون أن الله خلق آدم على صورته فقال هي صورة محدثة مخلوقة اصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبة إلى نفسه والرّوح إلى نفسه، فقال: ﴿بَيْتِيَ﴾ [الحج: ٢٦] ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩].

---

(١) البطش الأخذ بسرعة والأخذ بعنف وسطوة.

وثانيهما: ما رواه شيخنا الصدوق رحمه الله بإسناده إلى الحسين بن خالد، قال قلت للرضا عليه السلام يابن رسول الله إنّ النّاس يروون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال إنّ الله خلق آدم على صورته فقال قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ برجلين يتسابّان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك فقال عليه السلام يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك فإنّ الله خلق آدم على صورته، وكان المرتضى طاب ثراه إنّما تكلم على معنى الحديث بما سمعت من جهة أن هذين الخبرين لم يثبتا عنده بناء على أصله من عدم الاعتماد على العمل بأخبار الآحاد، ولما خلق الله آدم عليه السلام، أسجد له الملائكة وأبى عزازيل وقال إنّ مادّتي وجوهري الناري خير من جوهر آدم الطيني، فلا أسجد له لأنّ السجود إنّما هو لمكان شرف الجوهر، وجوهر النّار يقتضي الصعود وجوهر التراب يقتضي التسفّل والانحطاط، ومن هذا قال الصادق عليه السلام: يا أبا حنيفة بلغني أنّك تقيس قال نعم، قال لا تقس فإنّ أوّل من قاس إبليس حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين فقاس ما بين النّار والطين ولو قاس نوريّة آدم بنوريّة النّار لعرف فضل ما بين النورين وصفاء أحدهما على الآخر، وعن الصادق عليه السلام قال موسى عليه السلام إلهي كيف استطاع آدم أن يؤدّي شكر ما أجريت عليه من نعمك: خلقته بيديك، وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنّتك فأوحى الله تعالى إليه إن آدم علم أن ذلك كله منّي فذلك شكره.

واعلم أن هذا القياس الّذي قاسه إبليس وأبطله الصادق عليه السلام هو قياس الأولويّة، وأما أصحابنا رضوان الله عليهم فهم وإن أبطلوا العمل بالقياس إلاّ أن أكثرهم قال بصحّة العمل بقياس الأولويّة، وكذا منصوص العلّة ومثّلوا للأول بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، حيث قاسوا تحريم الضرب على تحريم التأفيف، وللثّاني بقوله صلى الله عليه وآله، وقد سئل عن جواز بيع الرطب مثلاً بمثل قال: أينقص إذا جفّ، فقيل نعم فقال فلا آذن فيكون العلّة في المنع النقصان عند الجفاف، فيقاس عليه كلّ ما وجدت فيه هذه العلّة والإنصاف يقتضي المنع من العمل بهذين النوعين أيضاً لوجوه أحدها استفاضة الأخبار عن الطاهرين عليهم السلام بنفي القياس مطلقاً من غير تقييد بأحد أفراده رداً على أبي حنيفة وأهل الرأي، وقد كانوا يعملون بكلّ أنواع القياس، وحمل العامّ على أحد أفراده من غير مخصّص مع إمكان حمله على جميع الأفراد لا يجوز عند أهل الأصول.

وثانيها: أن مبنى الشرع على اختلاف أحكام المتّفقات، واتّفاق أحكام

المختلفات كما يظهر من حكاية نزح البئر بورود الأعيان النجسة عليه ولعلّ غرض الشارع من مثله سدّ باب العقل، حتّى لا يدخل في الأحكام الشرعيّة فإذا كان الحال على هذا لم يحصل لنا الظنّ بثبوت الحكم في المحلّ الخارج عن النصّ وإن اقتضاه القياس.

وثالثها: ما رواه الصدوق وغيره من أهل الأصول في باب الديات عن أبان بن تغلب قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في رجل قطع إصبعاً من أصابع امرأة كم فيها قال عشرة من الإبل، قال قلت قطع اثنين فقال عشرون، قلت قطع ثلاثاً قال ثلاثون، قلت قطع أربعاً قال عشرون، قلت سبحان الله يقطع ثلاثاً فيكون عليه ثلاثون فيقطع أربعاً فيكون عليه عشرون إنّ كان هذا يبلغنا ونحن بالعراق فنبرأ ممّن قاله، ونقول الّذي قاله شيطان فقال: مهلاً يا أبان هكذا حكم رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّ المرأة تعاقل الرجل إلى ثلث الدية، فإذا بلغت الثلث رجعت المرأة إلى النّصف، يا أبان إنك أخذتني بالقياس، والسنّة إذا قيست محق الدين. وهذا نصّ في إبطال قياس الأولويّة.

ورابعها: قول الصادق عليه السلام لأبي حنيفة: لو كان الدين يؤخذ بالقياس لوجب على الحائض أن تقضي الصّلاة لأنّها أفضل من الصوم. وبالجملة فالأخبار الدّالة على نفي مطلق القياس وخصوص قياس الأولويّة كثيرة جداً.

وخامسها: ما قاله المرتضى رحمه الله حيث أبطل قياس منصوص العلّة بأنّ علل الشرع إنّما تنبئ عن الدواعي إلى الفعل أو عن وجه المصلحة وقد يشترك الشيئان في صفة واحدة ويكون في احدهما داعية إلى فعله دون الآخر، مع ثبوتهما فيه وقد يكون مثل المصلحة مفسدة وقد يدعو الشيء إلى غيره في حال دون حال ووقت دون وقت وعلى وجه منه دون وجه وقدر منه دون قدر، ثمَّ قال وإذا صحّت هذه الجملة لم يكن في النصّ على العلّة ما يوجب التخطّي والقياس وجرى النص على العلّة مجرى النص على الحكم في قصره على موضعه فإن قلت إذا بطلت قياس الأولويّة فكيف يمكنك استفادة تحريم الضّرب وباقي أنواع الأذى من الآية، قلت إنّ القرآن إنّما أنزله الله سبحانه بلغة العرب، وأجراه على مقتضى محاوراتهم واصطلاحاتهم، وكلّ أحد يعلم من تتبّع كلامهم أن فيه الدلالة اللغويّة والعرفيّة والمطابقة والتضمّن والالتزام، وحينئذ فمثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] إذا صدر من آحاد العرب لا يكون الغرض منه في الاصطلاح إلّا شمول جميع أنواع الأذى من

الضرب وغيره فالضرب داخل في مفهوم الكلام عرفاً، وهذا معنى قول المحقّق قدّس الله روحه لمّا نفى قياس الأولويّة قال إنّ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ منقول عن موضوعه اللّغويّ إلى المنع من جميع أنواع الأذى لاستفادة ذلك المعنى من اللّفظ من غير توقّف على استحضار القياس.

وأمّا قياس منصوص العلّة فقد تكون القرائن الحاليّة قائمة على دخول الفرد الغير المذكور في الحكم المذكور ويكون المذكور من قبيل اللفظ العامّ المتناول لغير المذكور وحينئذ فدلالته عليه كالأوّل وقد لا يكون كذلك فلا يدلّ عليه بهذا الدليل، بل يحتاج إلى دليل خاصّ وإلاّ رجع فيه إلى الأصل.

إذا عرفت هذا ظهر أن الشيطان قد غلط في هذا القياس من أصله، وجعله قياس أولويّة وذلك لأنّ جوهر النّار وإن كان في طبعه طلب المحيط وجهة العلوّ إلاّ أن علوه غير دائم وذلك أن النار إنّما تشبّ في الهواء لحظة ثمّ تخمد بخلاف التراب، فإنّه وإن كان في طبعه طلب الهبوط، إلاّ أن الله تعالى بسبب هذا التواضع منه أودعه أسرار حكمته، وجعله مادّة لخلق أنبيائه وحججه ومعدناً للمعادن ومحلاً للنبات والرياحين وحلاّه حلية لم يحلّ بها غيره من العناصر.

فإن قلت الشيطان مع طول عبادته وكثرتها في السمٰوات حتّى إنّه روي أنّه عبد الله ستّة آلاف سنة إمّا من سني الدنيا أو من سني الآخرة فكيف أبى عن هذا التكليف الخاصّ مع قبوله لغيره وكيف خلاّه الله ونفسه ولم يمنحه الألطاف الإلهيّة، التي تمنعه عن ارتكاب المعصية كما عصم غيره من الملائكة، مع أن العبادة التي صدرت منه قبل العصيان أزيد من عبادة الملائكة، حتّى إنّه صار من رؤساء الملائكة وطاووسهم وكان يجلس على كرسيّ في السماوات والملائكة تقف أمامه تعظيماً له فكيف لم يعصمه الله تعالى عن ارتكاب مثل هذا.

قلت قد خالجتني هذه الشبهة برهة من الزمان حتّى أطلعني شيخنا صاحب بحار الأنوار على أخبار تحلّ هذه الشبهة، وحاصلها أن الشيطان كما تحقّقت قد كان من جملة الجان الذين كانوا في الأرض فلمّا أرسل الله سبحانه للملائكة إليهم بالسيوف قتلوهم ونفوهم من الأرض، فبقي هذا الملعون فأظهر للملائكة أنّه من الطائفة المؤمنين، فقال للملائكة قتلتم أهلي وطوائفي وأنا بقيت وحيداً فخذوني معكم إلى السماوات لأعبد الله تعالى معكم فاستأذنوا في هذا فأُذن لهم فلمّا بلغ السماوات وطاف بها اطّلع على الألواح السماويّة والدفاتر الإلهيّة، فقرأ في بعضها أن الله

سبحانه لا يضيع عمل عامل بل من عمل وأراد الدنيا أعطاه الله منها، ومن عمل وأراد الآخرة بلّغه الله مناه كما قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، فأضمر في نفسه الخبيثة أن الآخرة مؤخرة والدنيا معجّلة فقصد حرث الدنيا من تلك العبادة الكثيرة ولما علم أنّه قد استتمّ نصيبه من الدنيا بادر إلى إظهار ما قصده، فأظهره في الاستكبار عن السجود ولو أنّه قصد الله سبحانه بتلك العبادة، بل وأقل منها لما خلّي ونفسه بل كان قد تداركته الألطاف الإلهيّة، وقد كان له مرتبة في العلم لا يداني فيها لأنّ علمه كان من الملكوت.

روي أن واحداً من قوم فرعون أعطاه[1] عنقود عنب وقال أريد أن تخلق هذا جواهر كباراً لأنك ربّ قادر، فأخذه فرعون فلمّا جنّ عليه الليل سدّ أبواب بيته، وقال لا يدخل عليّ أحد فبقي متفكّراً في حال العنب فأتاه الشيطان فدق عليه الباب فقال فرعون من في الباب فقال إبليس ضرطتي في لحية ربّ لا يدري من في الباب فعرفه فرعون فقال ادخل يا ملعون؛ فقال إبليس: ملعون يدخل على ملعون، فلمّا دخل عليه رأى عنقود العنب بين يديه وهو حيران فقال ناولني هذا العنقود فقرأ عليه اسماً فإذا هو أحسن ما يكون من اللآلئ، فقال له الشيطان انصف يا عديم الإنصاف أنا في مثل هذا العلم والكمال أردت أن أكون عبداً من جملة العبيد، فما قبلوني عبداً لباب هذا السلطان وأنت مع جهلك هذا وحماقتك، أردت أن تكون ربّاً وادّعيت هذه المرتبة العظيمة، فقال له فرعون يا إبليس لأيّ شيء ما سجدت لآدم لما أُمرت فقال لأنّي علمت أن طينتك هذه الخبيثة في صلبه ومن هذا امتنعت من السجود له.

ولمّا صنع نوح عليه السلام السفينة، وأركب فيها أنواع الحيوانات بقي الحمار خارج السفينة، وخاف عليه نوح من الغرق وكلّما أمره بالركوب امتنع، فغضب عليه نوح وقال إركب يا شيطان مخاطباً للحمار فسمع الشيطان كلام نوح فتعلّق في ذنب الحمار وركب في السفينة ونوح عليه السلام كان يظنّ أنّه لم يركب ولم يرخص له فلمّا أخذت السفينة مأخذها وطافت على الماء نظر نوح فرأى إبليس جالساً في صدر السفينة، فقال له من رخصك فقال أنت ألم تقل اركب يا شيطان، ثمّ إنّه قال يا نوح إنّ لك عندي يداً ونعمة أريد أن أكافيك عليها فقال نوح وما هي قال إنّك دعوت

---

(١) ظاهر المصنف رحمه الله أن هذا النقل ليس من المعصوم عليه السلام واظنه مطايبة من الأساطير.

على قومك فأغرقتهم بساعة واحدة، ولو بقوا لكنت متحيّراً في إضلالهم وإيرادهم مورد الهلاك، فلما علم نوح أن الشيطان قد شمت به بكى وناح بعد الطوفان خمسمائة عام، فسمّي نوحاً وقد كان من قبل اسمه عبد الجبّار فأوحى الله سبحانه إلى نوح أن اسمع ما يقول لك الشيطان، واقبل كلامه فقال ما تقول يا إبليس فقال يا نوح أنهاك عن خصال.

أوّلها: الكبر والعجب فإن أول ما عصي الله به التكبّر، وذلك أنّه أمرني بالسجود لأبيك آدم ولو سجدت لما أخرجوني من عالم الملكوت.

وثانيها: الحرص فإن الله تعالى قد أباح الجنّة كلها لأبيك آدم ونهاه عن شجرة واحدة، فدعاه حرصه إلى الأكل منها فأكل فصار عليه ما صار.

وثالثها: أن لا تخلو بامرأة أجنبية إلّا ويكون معكما ثالث فإنك إن خلوت بها من غير ثالث كنت أنا الثالث، فأُسوّل لك الأمور حتّى أُوقعك في الزنا، فأوحى الله إليه بقبول قول الشيطان، ومن هنا قال عليه السلام الحكمة ضالّة المؤمن وذلك أنّه يدورها أينما كانت وفي يد من كانت حتّى يحصّلها، ومعنى آخر وهو أن الحكمة لما كانت ضالّة المؤمن فيجب على كلّ من وجدها أن يدفعها إليه لأنّها ضالّته.

وقد وقع الخلاف في سجود الملائكة لآدم عليه السلام على أيّ وجه كان؛ فذهب أكثر المفسرين إلى أنّه على وجه التكرمة لآدم والتعظيم لشأنه وتقديمه عليهم ولذا جعل أصحابنا رضي الله عنهم هذه الآية دالّة على أن الأنبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة، وقال الجبّائي وأبو القاسم البلخي وجماعة إنّه جعله قبلة لهم فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم، وفيه ضرب من التعظيم.

وردّه شيخنا الطبرسي رحمه الله بأنّه لو كان على هذا الوجه لما امتنع إبليس من ذلك ولما استعظمته الملائكة، وقد نطق القرآن بأنّ امتناع إبليس من السجود إنّما هو لاعتقاده تفضيله به وتكرمته مثل قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ [الإسراء: ٦٢] الآية، ولو لم يكن إلّا (الأمر خ ل) على هذا الوجه لوجب أن يعلّمه الله تعالى بأنّه لم يأمره بالسجود على جهة تعظيمه وتفضيله عليه وإنّما أمره على الوجه الآخر الّذي لا تفضيل فيه، ولم يجز إغفال ذلك فإنّه سبب معصية إبليس وضلالته فلمّا لم يقع ذلك علمنا أنّ الأمر بالسجود إنّما كان على وجه التعظيم لآدم.
هذا والّذي ورد في الأخبار عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام أنّ الأمر بالسجود للملائكة

إنّما كان لمكان نور النبيّ ﷺ وأهل بيته، فإنّه كان في صلب آدم فالسجود إنّما هو لتعظيم ذلك النور، ومن ثمَّ كان النور أوّلاً في ظهر آدم وكانت الملائكة تأتيه من قفاه وتسجد لذلك النور، فقال آدم يا ربّ ما هذا النور الّذي في ظهري وتعظّمه الملائكة، فقال هذا نور حججي على خلقي، ولولاهم لم أخلقك يا آدم ولم أخلق سماء ولا أرضاً، فقال يا ربّ حوّل النور إلى وجهي حتّى تستقبلني الملائكة فكان ذلك النور في جبهة آدم فما زال ينتقل من صلب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات حتّى وافى صلب عبد المطلب فافترق فرقتين فصار فرقة في جبين عبد الله والأُخرى كانت في جبين أبي طالب فمن هناك كانت الأخوة بينهما عليهما أفضل الصلوات وعلى آلهما أكمل التحيات، هذا خلق آدم وكيفيّته.

وأما خلق حوّاء وكيفيته، فقد روي عن زرارة بن أعين أنّه قال سئل أبو عبد الله عليه السلام عن خلق حوّاء وقيل له إن أناساً عندنا يقولون إنّ الله عزّ وجلّ خلق حوّاء من ضلع آدم الأيسر الأقصى فقال سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً عما يقولون من يقول هذا إنّ الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه، ويجعل للمتكلّم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام أن يقول إنّ آدم كان ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه ما لهؤلاء حكم الله بيننا وبينهم، ثمَّ قال إنّ الله تبارك وتعالى لما خلق آدم من الطين وأمر الملائكة فسجدوا له وألقى عليه (على عينيه خ ل) النوم ثمَّ ابتدع له حوّاء فجعلها في موضع النقرة التي بين وركيه وذلك لكي تكون المرأة تبعاً (تابعة خ) للرجل فأقبلت تتحرّك فانتبه لتحرّكها، فلمّا انتبه نوديت أن تنحّي عنه فلما نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنّها أنثى فكلمها فكلمته بلغته، فقال لها من أنت قالت له خلق خلقني الله كما ترى فقال آدم عليه السلام عند ذلك:

يا ربّ ما هذا الخلق الحسن الّذي قد آنسني قربه والنظر إليه، فقال الله تعالى: يا آدم هذه أمتي حوّاء أفتحبّ أن تكون معك تؤنسك وتحدّثك وتكون تبعاً لأمرك قال: نعم يا ربّ ولك بذلك عليّ الحمد والشكر ما بقيت، فقال له عزّ وجلّ فاخطبها إلي فإنها أمتي فقد تصلح لك أيضاً زوجة للشهوة وألقى الله عليه الشهوة وقد علّمه قبل ذلك المعرفة بكلّ شيء فقال يا ربّ فإنّي أخطبها إليك فما رضاك بذلك، فقال عزّ وجلّ رضاي أن تعلّمها معالم ديني فقال ذلك لك يا رب عليّ إن شئت ذلك لي، فقال عزّ وجلّ وقد شئت ذلك وقد زوجتكها فضمها إليك، فقال لها آدم عليه السلام إليّ فأقبلي فقالت له بل أنت فأقبل إلي فأمر الله عزّ وجلّ آدم أن يقوم إليها ولولا ذلك لكان

النساء هنّ يذهبن إلى الرجال حتّى يخطبن على أنفسهن فهذه قصة حواء صلوات الله عليها[١].

وأما قوله عزّوجلّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، فإنه روي أنّه عزّوجلّ خلق من طينتها زوجها وبثّ منها رجالاً كثيراً ونساء، قال الصدوق طاب ثراه: والخبر الّذي روي أن حوّاء خلقت من ضلع آدم الأيسر صحيح معناه من الطينة التي خلقت من ضلعه الأيسر فلذلك صارت أضلاع الرجل أنقص من أضلاع النساء بضلع، أقول كان الصدوق رحمه الله قصد وجهاً لجمع الأخبار الدال أكثرها على أن حواء لم تخلق من ضلع آدم الأيسر الأقصى كما قاله جمهور مخالفينا من أن حوّاء خلقت من ضلع آدم بعد حياته ومنه سمّيت حوّاء عندهم لأنّها خلقت من حي وبين الأخبار الدالة على أنّها خلقت من ضلعه وحاصل وجه الجمع أنّه سبحانه قد قرر لكل عضو من أعضاء آدم عليه السلام طينة منفردة وركب الطينات كما تركب الأعضاء والأجزاء في المركّبات وتلك الطينة التي قرّرت وعزلت لضلع آدم الأيسر لم تدخل في تركيب أعضاء آدم بل أُبقيت لخلق حوّاء فخلقت منها حوّاء، لا أنّها خلقت من آدم بعد الحياة كما قاله الجمهور، حتّى يتوجه علينا تشنيع أهل الأديان والمجوس بأنّ آدم كيف ينكح بعضه بعضاً، وحينئذ فوجه التسمية كونها أُمّاً للأحياء كما قيل، وعلى التقديرين صارت أضلاع الرجل ناقصة عن أضلاع المرأة بواحدة.

روى محمّد بن قيس عن الباقر عليه السلام قال إنّ شريحاً القاضي بينما هو في مجلس القضاء إذ أتته امرأة فقالت: أيّها القاضي اقض بيني وبين خصمي، قال لها من خصمك قالت أنت قال أفرجوا لها فأفرجوا لها فدخلت، فقال لها وما ظلامتك فقالت إنّ لي ما للرجال وما للنساء قال شريح فإن أمير المؤمنين عليه السلام يقضي على المبال، قالت فإنّي أبول بهما جميعاً ويسكنان معاً، قال شريح والله ما سمعت بأعجب من هذا قالت سأُورد عليك من أمري ما هو أعجب من هذا قال وما هو قالت جامعني زوجي فولدت منه وجامعت جاريتي فولدت منّي فضرب شريح إحدى يديه على الأُخرى متعجّباً ثمّ جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين لقد ورد علي شيء ما سمعت بأعجب منه ثمّ قصّ عليه قصّة المرأة فسألها أمير

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٣ ح ٤٣٣٦.

المؤمنين عليه السلام عن ذلك فقالت هو كما ذكر فقال عليه السلام لها ومن زوجك قالت فلان فبعث إليه فدعاه، قال أتعرف هذه قال نعم هي زوجتي فسأله عمّا قالت قال: هو كذلك، فقال عليه السلام لأنت أجرأ من خاصي الأسد(١) حيث تقدم عليها بهذه الحال، ثمّ قال يا قنبر أدخلها بيتاً مع امرأة تعدّ أضلاعها، فقال زوجها يا أمير المؤمنين لا آمن عليها رجلاً ولا أئتمن عليها امرأة فقال علي عليه السلام عليّ بدينار الخصيّ، وكان من صالحي أهل الكوفة وكان يثق به فقال له يا دينار أدخلها بيتاً، وعرّها من ثيابها ومرها أن تشدّ مئزراً وعدّ أضلاعها، ففعل دينار ذلك وكان أضلاعها سبعة عشر، تسعة في اليمين وثمانية في اليسار فألبسها عليه السلام ثياب الرجال والقلنسوة والنعلين، وألقى عليه الرداء وألحقه بالرجال، فقال زوجها يا أمير المؤمنين بنت عمّي قد ولدت منّي تلحقها بالرجال، فقال إنّي حكمت عليها بحكم الله، إنّ الله تبارك وتعالى خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى وأضلاع الرجال تنقص وأضلاع النساء تمام.

وبالجملة لمّا خلق حوّاء تولى تزويجها من آدم، وفي الحديث إنّ الله تعالى لم يتولّ تزويج أحد من النساء سوى حوّاء من آدم وزينب بنت جحش من رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وفاطمة من علي بن أبي طالب عليهما السلام كما تقدّم، فاسكنهما الجنّة وأخرج عنهما عزازيل وسمّاه الشيطان، فنونه إن كانت أصليّة كان من الشطن أي البعد لأنّه بعد عن الخير الّذي كان فيه أو من الحبل الطويل، كأنّه طال في الشر، وإن جعلتها زائدة كان من شاط يشيط إذا هلك، أومن استشاط غضباً إذا التهب في غضبه وسمّاه أيضاً إبليس من الإبلاس وهو التحيّر والدهشة، لتحيّره في أمره فأخرجه الملائكة من الجنّة وبقي آدم وزوجته فأباح لهما كلّ الجنّة إلاّ شجرة واحدة، إمّا بالنّوع أو بالشخص فقيل هي الحنطة وقيل التين وقيل العنب إلى غير ذلك، وقال الصادق عليه السلام كلّ هذا حقّ لأنّ شجرة الجنّة لثمارها ألف طعم، ففيها من كلّ نوع طعم وفي حديث آخر أن شجرة الجنّة تحمل أنواعاً كثيرة، فالتعدد يكون باعتبار الحمل لا باعتبار الطعم.

روى الصدوق في عيون الأخبار مسنداً إلى الهروي قال قلت للرضا عليه السلام يابن رسول الله أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحوّاء، ما كانت فقد اختلف النّاس فيها فمنهم من يروي أنّها الحنطة ومنهم من يروي أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها

(١) في أكثر نسخ الحديث: لأنت أجرأ من راكب الأسد.

شجرة الحسد فقال كلّ ذلك حقّ قلت فما معنى هذه الوجوه على اختلافها، فقال يا أبا الصلت إنّ شجرة الجنّة تحمل أنواعاً وكانت شجرة الحنطة وفيها عنب وليست كشجرة الدنيا، وإنّ آدم عليه السلام لمّا أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد الملائكة له وبإدخاله الجنّة قال في نفسه هل خلق الله بشراً أفضل منّي، فعلم الله عزّ وجلّ ما وقع في نفسه فناداه إرفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق العرش، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة من الخلق أجمعين فقال آدم يا ربّ من هؤلاء، فقال عزّ وجلّ هؤلاء من ذريّتك وهم خير منك ومن جميع خلقي ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنّار ولا السّماء والأرض فإيّاك أنّ تنظر إليهم بعين الحسد فأُخرجك عن جواري، فنظر إليهم بعين الحسد وتمنّى منزلتهم فتسلّط عليه الشيطان حتّى أكل من الشجرة التي نهي عنها وتسلّط على حوّاء لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد حتّى أكلت من الشجرة كما أكل آدم فأخرجهما الله عزّ وجلّ من جنّته وأهبطهما من جواره إلى الأرض.

فإن قلت ما وجه الحكمة في نهي آدم عليه السلام عن الشجرة قلت قد ورد في حديث معتبر أنّ هذه الشجرة شجرة غرسها الله تعالى بيد قدرته لمّا خلق الجنّة، وجعلها لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وشيعته، بأن لا يأكل أحد قبله منها كما هو المتعارف في بعض الأقطار من أن أحداً إذا أحدث بستاناً وغرس فيه الشجر يغرس شجرة واحدة من أحسن الشجر ثمراً ويخصّها باسم حبيب له، ويقول هذه لفلان لا يأكل أحد منها إلاّ هو وينهي المترددين إلى ذلك البستان عن تناول شيء منها ومن ثمَّ قال بعض الأصوليّين إنّ آدم عليه السلام لم يصدر منه الخطأ وإنما صدر منه الغلط فسمّاه الله تعالى خطأ إذ كان اللازم عليه الفحص والسؤال عن حال الأكل (الكل خ) وذلك أنّه تعالى قال لهما ولا تقربا هذه الشجرة، فظنّا أنه تعالى إنّما أراد الشجرة المشار إليها لا نوعها فأكلا من ذلك النوع ولكن غير الشجرة المشار إليها، ويبعد هذا قول الشيطان لهما إنّ الله لم ينهكما عن هذه الشجرة إلاّ لأنّ كلّ من أكل منها كان ملكاً خالداً في الجنّة وهو لا يريد لكما الخلود فتوصّل الشيطان إلى إيقاعهما في ما نهيا عنه وذلك بسبب الحيّة كما في بعض الروايات[١].

---

(١) كيفية مجيء إبليس إلى آدم وحواء وما اتخذه فيه من الوسيلة غير مذكورة في الأحاديث الصحيحة الإسلامية والروايات المعتبرة خالية عنها. وما ورد في بعض الأخبار إنّ ذلك =

وذلك أنّ الشيطان لمّا أُخرج من الجنّة لم يقدر على الدخول إليها فأتى إلى جدار الجنّة ورأى الحيّة على أعلى الجدار، فقال لها أدخليني الجنّة وأعلّمك الاسم الأعظم، فقالت له إنّ الملائكة تحرس الجنّة فيرونك فقال لها أدخل في فمك وأطبقي عليّ حتّى أدخل ففعلت ومن ثمَّ صار السمّ في أنيابها وفمها لمكان جلوس الشيطان فيه، فلما أدخلته قالت له أين الاسم الأعظم فقال لو كنت أعلمه لما احتجت إليك في الدخول، فأتى آدم فوسوس له وأقسم له بالنصيحة فلم يطعه وأتى إلى حوّاء وقال لها هذه شجرة الخلد، وأقسم لهما ولم يعهدا قبل أن أحداً يقدر على أن يقسم بالله كاذباً، فأتت حوّاء إلى آدم فصارت عوناً للشيطان عليه فقام آدم عليه السلام معها إلى الأكل من الشجرة فكانت أوّل قدم مشت إلى الخطيئة، فلمّا مدّا أيديهما إليها تطاير ما عليهما من الحليّ والحلل وبقيا عريانين فأخذا من ورق التين فوضعاه على عورتيهما فتطاير الورق فوضع آدم إحدى يديه على عورته والأُخرى على رأسه كما هو شأن العراة، ومن ثمَّ أمر بالوضوء على هذه الهيئة.

روى الصدوق طاب ثراه أنّه جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن مسائل فكان فيما سألوه أخبرنا يا محمّد لأيّ علّة توضّأ هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد قال النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أنّ وسوس الشيطان إلى آدم عليه السلام دنا من الشجرة فنظر إليها فذهب ماء وجهه ثمَّ قام ومشى إليها وهي أوّل قدم مشت إلى الخطيئة ثمَّ تناول بيده منها ما عليها فأكل فطار الحلي والحلل عن جسده فوضع آدم يده على أمّ رأسه وبكى فلما تاب الله عزّ وجلّ عليه فرض عليه وعلى ذريّته تطهير هذه الجوارح الأربع فأمره الله عزّ وجلّ بغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة وأمره بغسل اليدين إلى المرفقين لما تناول بهما وأمره بمسح الرأس لما وضع يده على أُم رأسه وأمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئة.

وهذه العلّة لا تنافي ما روي عن الرضا عليه السلام من أنّ العلّة في توضّؤ هذه

= بسبب الحيّة والطاووس وأنهما صارا عونين لإبليس في إغوائه إياهما وقال الشيطان للحية أدخليني الجنّة في فمك واطبقي علي حتّى ادخل. ونظائر هذه الروايات كأنها من الأخبار الدخيلة ومن دس أهل الكتاب في رواياتنا والقصة مأخوذة من التوراة ولا اعتماد لنا على هذه التوراة المحرفة انظر القصة في الفصل الثاني من السفر الأوّل وهو سفر الخليقة وكذا انظر الفصل الثالث من التوراة العربية المطبوعة سنة (١٨١١) ميلادية وأمّا نقل المصنف رحمه الله تلك الروايات الضعيفة واعتماده عليها فهو مبني على مسلكه من المسامحة في الاعتماد على الروايات الضعيفة وعدم الدقة والبحث والتنقيب فيها كما هو شأن أكثر الأخباريين.

الجوارح هو كونها الأعضاء الظاهرة التي يواجه بها الله سبحانه حال الصّلاة ويلاقي بها الكرام الكاتبين لأنّ علل الشرع معرّفات لا مؤثّرات فيجوز اجتماعها على المعلول الواحد. ثمَّ إنّ آدم عليه السلام وحوّاء أُنزلا من السماوات على جبل في شرقيّ الهند يقال له ياسم، وفي رواية أُخرى سرانديب وهو في الإقليم الأول مما يلي معدّل النهار، وقد كانت حوّاء ضفرت رأسها فقالت ما أصنع بهذه الضفرة وأنا مغضوب عليّ ثمَّ إنّها حلّت ضفرتها، وفي خبر آخر أنّها حلّت عقيصة واحدة فأطارت الريح ذلك الطيب في بلاد الهند فمن ثمَّ كان أكثر الطيب منه ثمَّ أتى جبرائيل عليه السلام فأخذ آدم إلى مكّة ليعلّمه المناسك فطوى له الأرض فصار موضع قدميه عمران وما بينهما خراب، فأهبط آدم على الصفا وبه سمّي لهبوط صفيّ الله عليه، وحوّاء على المروة وبه سميت لنزول المرأة وهي حوّاء عليه، فبكى آدم على ما وقع منه وعلى فراق الجنّة ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا، وفي أيام الآخرة يوم كألف سنة ما بين العصر إلى العشاء وبكى حتّى صار على خديه كالنهرين فخرج من عينه اليمنى دموع مثل دجلة ومن عينه اليسرى مثل الفرات[1] ثم إنّ آدم رأى حوّاء يوم الثامن من شهر ذي الحجّة فلم يعرفها ذلك اليوم لشعث أحوالهما ولطول حزنهما فتروّى وتفكّر ذلك اليوم ثمَّ إنّه عرفها يوم التاسع فمن ثمَّ سمّي اليوم الثامن يوم التروية والتاسع يوم عرفة، ولا ينافي هذا الوجه ما روي من أن الوجه فيه هو أن إبراهيم عليه السلام رأى في تلك الليلة التي رأى فيها ذبح الولد رؤياه فأصبح يروّي في

(١) وقد أخذ المصنف رحمه الله هذه الفقرات عن الخبر الّذي ذكرنا فيما سبق من تعاليقنا أنّه خبر ضعيف ولا يخلو من دس في متنه انظر صفحة (١٥٢) من هذا الكتاب ومن علائم الدس فيه قوله: (وسأله ما بال الماعز بادي العورة فقال لأنّ الماعز عصت نوحاً عليه السلام لمّا أدخلها السفينة فدفعها فكسر ذنبها) انظر صفحة (١٥٣) من هذا الكتاب.
فإن النظام الأتم في الخلق الإلهي والقانون الطبيعي الّذي وضعه الله تعالى في خلقه وقدره في خلق الموجودات كلّها لا يتغير وبمجرد كسر ذنب الماعز عند دفعها لا يكون نسل الماعز بلا ذنب ألا ترى إنّ الأُمة العربية العريقة بالمجد والذكاء منذ قرون متطاولة قبل الإسلام إلى يومنا هذا وكذا الأمة الإسلامية قاطبة منذ زمن صاحب الرسالة المقدسة وبزوغ شمس النبوة إلى اليوم يستعملون عمل الختان ومع ذلك كلّ من يتولد لهم من الأولاد الذكور يكون أغلف وهذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً. وكذلك جرت السنة في حلق شعر الرأس والعانة وتقليم الأظفار وغيرها المعمولة من زمن الخليل عليه السلام إلى يومنا هذا.

نفسه هو حلم أم من الله تعالى فسمّي يوم التروية، فلمّا كان يوم عرفة رأى ذلك أيضاً فعرف أنّه من الله فسمّي يوم عرفة.

وعن الصادق عليه السلام قال معاوية بن عمّار سألته لم سمّي عرفات فقال إنّ جبرائيل خرج بإبراهيم عليه السلام يوم عرفة فلمّا زالت الشمس قال له جبرائيل عليه السلام يا إبراهيم اعترف بذنبك واعرف مناسكك فسمّيت عرفات لقول جبرائيل عليه السلام اعترف فاعترف وفي رواية أُخرى أن آدم عليه السلام لمّا كان في الجنّة نظر يوماً إلى ساق العرش وكان اليوم الثامن فرأى سطوراً من نور فيها اسم محمّد وأهل بيته صلوات الله عليهم فتروى ليعرفهم فلمّا كان الغد وهو اليوم التاسع عرّفه الله مراتبهم وأنّه لولاهم لم يخلقه ولا غيره فسمّي يوم عرفة، ولمّا لم تقبل توبته في تلك السنين والأعوام أتى إليه جبرائيل عليه السلام فقال يا آدم ادعُ الله بالأسماء التي رأيتها مكتوبة على ساق العرش بسطور النور، وقل اللّهمَّ بحقّ محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة أن تقبل توبتي، وهنّ الكلمات المرادة من قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة: ٣٧]، كما هو في روايات العامّة والخاصّة، فأوحى الله إليه يا آدم لو لم تدعني بهذه الأسماء لما قبلت توبتك وأقسمت أنّه لم يدعني مذنب بها إلاّ قبلت توبته، ووجه عدم المنافاة ظاهرممّا عرفت من أن علل الشرع معرّفات.

وقيل سمي عرفة لارتفاعه على الأرض مأخوذ من عرف الديك ويوم التروية لقولهم تروّيتم تروّيتم من الماء لأنّ عرفات لم يكن بها ماء في تلك الأوقات. ثمَّ إنّ آدم عليه السلام لمّا نزل من الجنّة ظهرت به شامة سوداء في وجهه من قرنه إلى قدمه فطال حزنه وبكاؤه على ما ظهر به فأتى إليه جبرائيل عليه السلام فقال ما يبكيك يا آدم فقال من هذه الشامة التي ظهرت بي قال يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاة الأولى - أي الظهر - فصلاّها فانحطت الشامة إلى عنقه وجاء في وقت صلاة العصر فأمره فصلاّها فانحطّت إلى سرّته، وفي وقت الثالثة أمره بها فانحطت الشامة إلى ركبتيه وفي الرابعة صلاّها فانحطت إلى قدميه فصلّى الخامسة فخرج منها فحمد الله وأثنى عليه، فقال جبرائيل عليه السلام يا آدم مثل ولدك في هذه الصلوات كمثلك في هذه الشامة من صلّى من ولدك في كلّ يوم وليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة، ولمّا تاب في وقت المغرب أُمر بصلاة ثلاث ركعات ركعة لخطيئته وركعة لخطيئة حوّاء وركعة لتوبته ومن ثمَّ فرضت صلاة المغرب كفّارة للذنوب وباعثاً لقبول التوبة.

وأما صلاة العصر فقد عرفت أنّ ذلك الوقت وقت معصية أبينا آدم فتكون صلاة ذلك الوقت كفّارة أيضاً لذنوبنا ولذنب أبينا آدم عليه السلام ثمّ إنّ الله سبحانه لمّا قبل توبته أتاه جبرائيل بخيمة من خيام الجنّة فوضعها له بمكّة في موضع الكعبة، وتلك الخيمة من ياقوتة حمراء لها بابان شرقيّ وغربيّ من ذهب منصوبان معلّق فيها ثلاث قناديل من تبر الجنّة تلتهب نوراً ونزل الركن وهو ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنّة وكان كرسيّاً لآدم عليه السلام يجلس عليه وإن خيمة آدم لم تزل في مكانها حتّى قبضه الله تعالى ثمّ رفعها الله إليه وبنى بنو آدم في موضعها بيتاً من الطين والحجارة ولم يزل معموراً وأُعتق من الغرق ولم يخربه الماء حتّى أن بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام ، كذا في بعض الروايات أقول ولعلّ هذا هو البيت المعمور الّذي رفعه الله سبحانه إلى السّماء الرّابعة ثمّ بنى الكعبة موضعه.

وفي الروايات الخاصّة أنّ الله سبحانه أرسل سحابة سوداء فظلّلت موضع البيت فأمر آدم أن يخطّ موضعها في الأرض وهو الكعبة وكذلك مسجد منى، وأمّا قبل آدم فقد حجّه الملائكة بألفي عام. وأمّا الحرم ومقداره فقد روي عن المفضّل أنّه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن التحريف لأصحابنا ذات اليسار عن القبلة وعن السبب فيه، فقال إنّ الحجر الأسود لمّا أُنزل به من الجنّة ووضع في موضعه جعلوا أنصاب الحرم(١) من حيث يلحقه النور نور الحجر فهي عن يمين الكعبة أربعة أميال، وعن يساره ثمانية أميال كلّه اثنا عشر ميلاً فإذا انحرف الإنسان ذات اليمين خرج عن حدّ القبلة لقلّة أنصاب الحرم وإذا انحرف ذات اليسار لم يكن خارجاً عن حدّ القبلة، وسيأتي تحقيق الحجر في بعض الأنوار السماوية إن شاء الله تعالى، وأمّا طول آدم عليه السلام لمّا نزل من الجنّة فروي مسنداً إلى مقاتل بن سليمان(٢).

---

(١) النصب بضمتين حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية ويتخذونه صنماً ويعبدونه والجمع انصاب قيل هو حجر كانوا ينصبونه ويذبحون عليه فيحمر بالدم انظر مجمع البحرين مادة (نصب).

(٢) راوي هذا الخبر هو مقاتل بن سليمان الخراساني البجلي المفسر عده الشيخ الطوسي رحمه الله من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام وهو بتريّ عاميّ المذهب وكذاب لا يعتمد على أخباره واتفق علماء الخاصة والعامة على تضعيفه قيل لأبي حنيفة قدم مقاتل بن سليمان قال: (إذاً يجيئك بكذب كثير).

وكان من أعداء أمير المؤمنين عليه السلام . قال الجوزجاني: كان مقاتل كذاباً جسوراً وفي الفصول المهمة لسيدنا الإمام شرف الدين رحمه الله كان مقاتل من رجال المرجئة وغلاة المشبهة وقال أبو حاتم بن حيان البستي (كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان) كان مقاتل يأخذ من =

قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام كم طول أبينا آدم صلوات الله عليه حين أُهبط إلى الأرض وكم كان طول حوّاء عليها السلام فقال وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام أنّ الله تعالى لمّا أهبط آدم صلوات الله عليه وزوجته عليها السلام إلى الأرض كان رجلاه على ثنية الصفا ورأسه دون أفق السّماء وأنّه شكا إلى الله تعالى مما يصيبه من حرّ الشمس فصيّر طوله سبعين ذراعاً بذراعه وجعل طول حوّاء خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها، والثنية على ما في النهاية العقبة أو الطريق العالي، وقيل أعلى المسيل في رأسه وقوله دون أفق السّماء أي قريباً منه ودونه، والآفاق النواحي.

واعلم أنّ المحققين من أصحابنا المتأخّرين قد أوردوا الإشكال على هذا الحديث من وجهين؛ ومن هذا عدّ عندهم من مشكلات الأخبار. وحاصل الإشكال الأول هو أنّه قد تقرر في علم الهيئة والفلك أنّ حرارة الشمس إنّما هي بسبب الانعكاس من الأجرام الأرضيّة وقد ذكروا أن الانعكاس يبلغ في الهواء إلى مقدار أربعة فراسخ، وكلما ارتفعت الأجرام من الأرض ازدادت برودة كما هو المشاهد في الجبال الشاهقة، فكيف يصير قصر القامة سبباً في رفع التأذي من جهة الحرّ بل يكون الأمر بالعكس وأمّا الإشكال الثاني فهو أن كون آدم عليه السلام سبعين ذراعاً بذراعه يستلزم عدم استواء الخلقة منه كما هو المشاهد في أولاده لأنّ تناسب الأعضاء شرط في استوائها.

والجواب عن الإشكال الأول من وجهين أحدهما أنّه يجوز إن سلّمنا القاعدة الرياضية أن يكون للشمس حرارة بالانعكاس وأُخرى بالذات فوق الطبقة الزمهريريّة ويكون طول قامة آدم عليه السلام متجاوزاً تلك الطبقة كما رواه الصدوق رحمه الله بسند صحيح عن الصادق عليه السلام قال: لمّا بكى آدم صلوات الله عليه على الجنّة وكان رأسه في باب من أبواب السّماء وكان يتأذّى بالشمس فحطّ من قامته، ويؤيّده ما روي من أن عوج بن عناق كان يضرب يده فيأخذ الحوت من أسفل البحر ثمّ يرفعه إلى الشمس فيشويه في حرّ الشمس فيأكله وكان عمره ثلاثة آلاف وستّ مئة سنة، وروي إنّه لمّا أراد نوح أن يركب السفينة جاء إليه عوج فقال له احملني معك، فقال نوح

= اليهود والنصارى علم القرآن الّذي يوافق كتبهم وكان مشبهاً يشبه الرب بالمخلوقين قال وكان يكذب مع ذلك في الحديث وقال العلاّمة ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان أنّه (اجمعوا على تضعيفه).

انظر تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٤٤ ط النجف والفصول المهمة ص ٢١٧ ط النجف ولسان الميزان ج ٦ ص ٧٢٨ ط هند حيدر آباد الدكن.

إنّي لم أُومر بذلك فبلغ الماء إليه وما جاوز ركبتيه وبقي إلى أيّام موسى عليه السلام فقتله موسى ويؤكّد ما نحن فيه ما روي أن الشمس يوم القيامة تنزل حتّى تسامت رؤوس الخلائق فيكون حرارة القيامة منها، ويحتاج الخلائق إلى الظلّ، ويكون الحرارة من قرصها كما هو الظاهر من تلك الأخبار. الوجه الثاني أن تأذيه يجوز أن يكون السبب فيه أنّه مع ما كان عليه من الطول ما كان يمكنه أن يستظلّ ببناء ولا جبل ولا غير ذلك فلمّا قصر أمكنه الاستظلال بالأظلّة وهو ظاهر.

وأمّا الجواب عن الإشكال الثاني فمن وجوه: **الأوّل**: وهو الأولى أن استواء الخلقة وعدمه ليس منحصراً فيما هو معهود في هذه الأعصار بل استواء الخلقة في كلّ عصر بما يليق بذلك العصر وآدم عليه السلام لم يكن في مثل هذه الأعصار حتّى نحل تقصيره باستواء خلقته بل لو كنا نحن في عصره على هذه الخلقة لظهر عدم استواء خلقتنا نحن وكذلك فيما بعده من الاعصار التي كانت الخلائق فيها أطول وأجسم وأقوى، كما روي أن موسى عليه السلام أرسل إلى العمالقة إثني عشر نقيباً للفحص عن حالهم فظفر بهم واحد من العمالقة وأدخل الاثني عشر في ناحية من ردن[1] ثوبه وأتى بهم إلى ملكهم فلم يقتلهم بل أرسلهم إلى موسى عليه السلام فأمر لهم بزاد للطريق وهو رمانة واحدة، نصفها خال من الحبّ والآخر فيه حبّ وذاك الخالي كالغطاء فوق النصف الآخر فكان الاثنا عشر رجلاً ينامون الليل في النصف الخالي وفي النهار يجعلونه فوق النصف الّذي يأكلون من حبّه وتحمله البقر معهم، وكذا يدلّ على هذا المعنى ما استفاض في الأخبار من صفات حور العين من أن لبعضهنّ سبعين ألف ذؤابة كلّ ذؤابة تحملها سبعون ألف خادمة، وكذا في جانب عظم البدن والأعضاء مع أنّ أهل الجنّة على أكمل الأوصاف في كلّ باب.

الوجه الثاني: إنّ الباء في قوله بذراعها وبذراعه باء المصاحبة ومعناه أنّه كما قصر طوله قصر ذراعه أيضاً وخصّ الذراع لأنّ الأعضاء داخلة في تقصير البدن بخلاف الذراع وحينئذ فالمراد بالذراع في قوله سبعين ذراعاً إما ذراع من كان في عصر آدم أو ذراع من كان في زمان من صدر عنه الخبر.

---

(١) الردن أصل الكم وطرفه الواسع وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير، ومنه ثقل ردنه أي كثر ماله جمع أردان والعجب من المصنف كيف اعتمد على أمثال هذه الروايات ونقلها في كتابه ولا أدري من هو الراوي لهذا الخبر عن موسى عليه السلام ؟ ولم يحصل لنا المجال للفحص والتتبع حتّى نقف على مصدر هذا النقل الغريب فتفحص لعلك تقف على ما قصرنا عنه.

الثالث: إن في الكلام استخداماً بأن يكون المراد بآدم حين إرجاع الضمير إليه آدم ذلك الزمان من أولاده عليه السلام وقد نقل هذا عن شيخنا البهائي طاب ثراه وقد قيل وجوه أُخرى كثيرة لكنّها تشتمل على أنواع من البعد والتعسّف وقد حرّرناها في كتاب نوادر الأخبار.

فإن قلت مذهبكم أيها الإمامية هو عدم جواز الذنب على الأنبياء صغائرها وكبائرها قبل البعثة وبعدها فكيف صدر من آدم عليه السلام مخالفة الأمر وكيف نعيت عليه هذه الزلّة (الذلّة خ ل) في آيات من القرآن قلنا قد صنّف أصحابنا رضوان الله عليهم في هُذا الباب كتباً كثيرة ومن جملتهم سيّدنا المرتضى في كتاب تنزيه الأنبياء ولكن كشف الغطاء عن مثل هذه الغوامض لا يقع بمحلّ من القبول إلاّ إذا صدر عن الأئمة عليهم السلام وقد روي هذا الكشف عن الرضا عليه السلام رواه الصدوق رحمه الله بإسناده إلى الهروي، قال لمّا جمع المأمون لعليّ بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات فلم يقدم أحد إلاّ وقد ألزمه حجّته كأنّه قد القم حجراً فقام إليه عليّ بن الجهم فقال له يابن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء قال بلى قال فما تقول في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وقوله في يوسف: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ [يوسف: ٢٤] وقوله عزّ وجلّ في داود: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: ٢٤] وقوله في نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فقال مولانا الرضا عليه السلام ويحك يا عليّ اتَّقِ الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تتأوّل كتاب الله برأيك فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ٧].

وأما قوله عزّ وجلّ في آدم ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم حجّة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنّة وكانت المعصية من آدم في الجنّة لا في الأرض لتتمّ مقادير الله عزّ وجلّ فلما أُهبط إلى الأرض وجعل حجّة وخليفة عصم بقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وأما قوله عزّ وجلّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾، إنّما ظنّ أن الله عزّ وجلّ لا يضيق عليه رزقه ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦] أي ضيّق عليه ولو ظن أنّ الله تبارك وتعالى لا يقدر عليه لكان قد

كفر، وأما قوله عزّوجلّ في يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]، فإنّها همّت بالمعصية وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما داخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني القتل ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف: ٢٤] يعني الزنا.

وأما داود فما يقول من قبلكم فيه فقال عليّ بن الجهم يقولون إنّ داود كان في محرابه يصلّي إذ تصوّر له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور فقطع صلاته فقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار فخرج في أثره فطار الطير إلى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أوريا بن حنان فطلع داود في أثر الطير فإذا بامرأة أوريا تغتسل، فلمّا نظر إليها هواها وكان قد أخرجه داود في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه أن قدّم أوريا أمام الحرب فقدم فظفر أوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود، فكتب الثانية أن قدّمه أمام التابوت فقدمه فقتل أوريا وتزوّج داود بامرأته قال فضرب الرضا عليه السلام بيده جبهته وقال إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله تعالى إلى التهاون بصلاته حتّى خرج في أثر الطير ثمّ بالفاحشة ثمّ بالقتل فقال يابن رسول الله ما كانت خطيئته فقال ويحك إنّ داود إنّما ظنّ أن ما خلق الله عزّوجلّ خلقاً هو أعلم منه فبعث الله عزّوجلّ إليه ملكين فتسوّرا المحراب فقالا خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحقّ ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط، إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب، فعجّل داود عليه السلام بالمدّعى عليه فقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ولم يسأل المدّعى البيّنة على ذلك ولم يقبل على المدّعى عليه فيقول ماتقول فهذا خطيئة حكمه لا ما ذهبتم إليه أما تسمع الله عزّوجلّ يقول: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] الآية، فقلت يابن رسول الله فما قصّته مع أوريا فقال الرضا عليه السلام إن المرأة في أيام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوّج بعده أبداً وأوّل من أباح الله عزّوجلّ له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها داود فذلك الّذي شق على أوريا.

وأما محمّد نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وقوله عزّوجلّ: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فإن الله عزّوجلّ أعلم نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في الآخرة وأنهنّ أُمّهات المؤمنين وإحدى من سمّى له زينب بنت جحش وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة فأخفى صلى الله عليه وآله وسلم اسمها في نفسه ولم

يبدهِ لهم كي لا يقول أحد من المنافقين إنّه قال في امرأة في بيت رجل إنّها إحدى أزواجه من أمّهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ يعني في نفسك، قال فبكى عليّ بن الجهم وقال يابن رسول الله أنا تائب إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن أنطق في أنبياء الله بعد يومي هذا إلّا بما ذكرته.

أقول: لعلّك تقول إنّه قد ورد في أحاديث الشيعة ما تقوله المخالفون في الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من وقوع المعاصي ومثل هذه الأمور التي نفاها الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث والجواب أن كلّ ما ورد من ذلك فسبيله الحمل على التقية وقد روى علي بن الجهم حديثاً طويلاً عن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً وفيه نوع مغايرة لهذه الأجوبة وزيادات في السؤال والجواب، منها قوله قال المأمون فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]، فقال الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ لقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربّه لهمَّ بها كما همّت به لكنّه كان معصوماً والمعصوم لا يهمّ بذنب ولا يأتيه، فقال المأمون لله درّك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] قال الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن أحد عند مشركي مكّة أعظم ذنباً من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمئة وستّين صنماً، فلمّا جاءهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيء عجاب، فلمّا فتح الله على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مكّة قال يا محمّد ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١-٢] عند مشركي أهل مكّة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدّم وما تأخر، فقال المأمون: لقد شفيت صدري يابن رسول الله وأوضحت لي ما كان ملتبساً فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً.

وحاصل جوابه عَلَيْهِ السَّلَامُ ههنا عن حكاية يوسف أن جواب الشرط محذوف، والتقدير لولا أن رأى برهان ربّه لهمَّ بها كما همّت به لكنه رأى البرهان فلم يهمّ بها، والبرهان هو الألطاف الإلهيّة والتوفيقات السبحانيّة، ويجوز أن يكون كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ إشارة إلى أن الجواب مقدّم على الجزاء كما ذهب إليه بعضهم لكن المحقّقون على عدم جوازه فمن ثمَّ كان الأوّل هو الأولى، وحاصل الجواب عن مقدمة كون فتح مكّة سبباً لغفران الذنب ما ذكره أصحاب السير أنّ المشركين كانوا يقولون إن مكّن الله محمّداً من بيته وحكّمه في حرمه تبيّنّا أنّه نبيّ حقّ، فلمّا يسّر له فتح مكّة دخلوا في دين الله أفواجاً وأذعنوا بنبوّته كما نطق به الكتاب العزيز، وزال إنكارهم عليه في

الدعوة إلى ترك عبادة الأصنام، وصار ذنبه عندهم مغفوراً كما قرره الإمام عليه السلام، وقد أجاب المفسّرون عن هذه الشبهات بأجوبة لا يخلو بعضها من تكلّف لكن الجواب الأصحّ هو ما صدر عن أرباب العصمة عليهم السلام وقد يظهر من تعمّق النظر في الأخبار وتتبّع كتب خواصّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام جواب عن هذه الشبهات كلّها، ولكن فيه نوع دقّة.

وحاصله أنّ الله سبحانه قد أسمع الشيطان أولاً ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] وكذا اعترف الشيطان أيضاً بتصديق هذا المعنى، حيث قال: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠] وآدم ومن تلاه من الأنبياء عباد مخلصون مطهرّون منزّهون فالشيطان ليس له عليهم تسلّط، ولكن الله سبحانه يحبّ تضرع العباد إليه وبكاءهم من خشيته، وهذه المحبّة تتفاوت بتفاوت مراتب العباد وأكملهم الأنبياء عليهم السلام، وكلّ أمر يحتاج إلى سبب وداعٍ حتّى يكمل ذلك السبب فهو سبحانه قد يترك أحدهم مع نفسه البشريّة لحظة واحدة فيحصل منه بمقتضى الطبيعة البشريّة فعل مكروه وترك مستحب حتّى يكون منشأً لتحصيل الدرجات العليّة والتوفيقات الإلّهيّة كما جرى لآدم عليه السلام، حيث بكى على خطيئته ثلاثمئة سنة، فاصطفاه الله بسبب هذا وجعله صفيّه، وكذا داود عليه السلام فقد ورد في الرواية أن داود عليه السلام بكى أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتّى نبت المرعى من دموعه حتّى غطّى رأسه، فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى، أم عارٍ فتكسى، فنحب نحبة هاج العود فاحترق من خوفه ثمّ أنزل الله التوبة والمغفرة، فقال يا ربّ اجعل خطيئتي في كفّي فصارت خطيئته في يده مكتوبة وكان لا يبسط كفّه لطعام ولا شراب ولا لغيرهما إلاّ رآها فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتّى يفيض من دموعه.

وروي أنّه ما رفع رأسه إلى السّماء حتّى مات حياءً من الله تعالى، وكان يقول في مناجاته إذا ذكرت خطيئتي ضاقت عليّ الأرض برحبها وإذا تذكّرت رحمتك ارتدّت إليّ روحي سبحانك إلهي أتيت أطبّاء عبادك ليداووا خطيئتي فكلّهم يدلّوني عليك فبؤساً للقانطين من رحمتك. وكان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعاً لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء، فإذا كان قبل ذلك بيوم أُخرج له منبر إلى البرّ فيأمر سليمان عليه السلام أن ينادي بصوت فيستقري البلاد ومن حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع، فينادي فيها ألا من أراد أن يسمع نوح

داود فليأت، قال فتأتي الوحوش من البراري والآكام وتأتي السباع من الغياص وتأتي الهوامّ من الجبال وتأتي الطير من الأوكار وتأتي العذارى من خدورهنّ حتّى يرقى المنبر وكلّ صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربّه فيضجّون بالبكاء والصراخ ثمَّ يأخذ في ذكر الجنّة فيموت الهوامّ وطائفة من الوحوش والسباع والنّاس ثمَّ يأخذ في أهوال القيامة وفي النّياحة على نفسه فيموت من كلّ نوع طائفة فإذا رأى سليمان عليه السلام كثرة الموتى، قال يا أبتاه قد مزقت المستمعين كلّ ممزّق وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوامّ، فيأخذ في الدعاء فبينا هو كذلك إذ ناداه بعض عبّاد بني إسرائيل يا داود عجّلت بطلب الجزاء على ربّك، قال فخرّ داود مغشيّاً عليه فلمّا نظر سليمان إلى صاحبه وما أصابه أتى بسرير له فحمله عليه ثمَّ أمر منادياً ينادي ألا من كان له مع داود حميم فليأت بسريره يحمله عليه فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنّة والنار ثمَّ إذا أفاق داود دخل بيت عبادته.

وروي عن الصادق عليه السلام قال إنّ داود خرج ذات يوم يقرأ الزبور وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر ولا سبع إلاّ جاوبه، فما زال يمرّ حتّى انتهى إلى جبل فإذا على ذلك الجبل نبيّ عابد يقال له حزقيل عليه السلام، فلمّا سمع دويّ الجبال وأصوات السباع والطير علم أنّه داود عليه السلام، فقال صوت مذنب، فقال الله يا حزقيل لا تعيّر داود بخطيئته وسلني العافية، فقام حزقيل فأخذ بيد داود فرفعه إليه، فقال داود يا حزقيل هل هممت بخطيئة قطّ، قال لا قال فهل دخلك العجب فيما أنت فيه من عبادة الله قال: لا قال فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت أن تأخذ بشهوتها ولذّتها، قال بلى ربّما عرض بقلبي، قال فماذا تصنع إذا كان ذلك، قال أدخل هذا الشعب فأعتبر ممّا فيه، قال فدخل داود النبيّ صلى الله عليه وآله الشعب فإذا بسرير من حديد عليه جمجمة بالية، وعظام فانية، فإذا لوح من حديد فيه كتابة فقرأها داود عليه السلام فإذا هي أنا أروى شلم ملكت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة، وافتضضت ألف بكر فكان آخر عمري أن صار التراب فراشي والحجارة وسادتي والديدان والحيّات جيراني، فمن رآني فلا يغترّ بالدنيا.

وكان الخليل عليه السلام إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل فيأتيه جبرائيل عليه السلام فيقول له: الجبّار يقرئك السلام، ويقول هل رأيت خليلاً يخاف خليله فيقول يا جبرائيل إنّي إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلّتي. ونحو هذا من

أطوارهم عليهم السلام فهو سبحانه قد كان يحبّ أن يسمع مثل هذا منهم، وعلى ما ذكر في توبة آدم ينزّل ما رواه الصدوق طاب ثراه في كتاب العلل في قول النملة لسليمان عليه السلام أنت أكبر أم أبوك قال سليمان عليه السلام بل أبي داود، قالت النملة فلم زيد في حروف اسمك حرف على حروف اسم أبيك؟ قال سليمان ما لي بهذا علم، قالت النملة لأنّ أباك داود داوى جرحه بودّ وأنت سليمان أرجو أن تلحق بأبيك.

أقول: هذا الحديث وهو حديث النملة عدّ من مشكلات الأخبار، وقد تصدّى لبيان معناه محقّقو الأصحاب بوجوه كثيرة، والذي يخطر بالبال في إيضاحه وجهان أحدهما أن يكون المراد من قولها أنت أكبر أم أبوك المراد بالكبر العظمة والشأن وكانت النملة عالمة بهذا لكن سألت عنه تمهيداً للجواب الآتي، فقال سليمان إنّ أبي أعظم منّي فقالت إذا كان أعظم منك فلم زيد في حروف اسمك حرف مع أن زيادة المباني مما تدلّ على زيادة المعاني وأسماء الأنبياء عليهم السلام كلّها مأخوذة من الوحي الإلهي فيكون زيادة الحروف ونقصانها لا يخلو من حكمة وفائدة، فقال سليمان عليه السلام لا أدري، فقالت لأنّ أباك داود لمّا صدرت منه الزلّة التي نعيت عليه تاب إلى الله وتودّد إليه فاشتق له اسم من مجموع داوى جرحه بودّ، فصار اسمه على ما ترى، وأمّا أنت فقد نعيت عليك زلّة وهي ما حكاه في القرآن من قوله: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص: ٣٢-٣٣]، وحاصله أن الخيل وهي المراد من الخير قد عرضت على سليمان ليراها فما استتّم رؤيتها حتّى توارت الشمس تحت حجابها فدعا سليمان عليه السلام أن يرد الله سبحانه الشمس له ليصلّي فردّت الشمس عليه فشرع في الوضوء ومسح ساقه وعنقه كما هو الوضوء المأمور به في الشرع القديم، فلم تداوها بالتوبة والتفزع (التفرّغ خ) الى الله سبحانه لاشتغالك بالملك فاشتقّ لك اسم من السلامة من التودّد والمداواة وأرجو أن تلحق بأبيك في التوبة والفراغ لعبادة الله سبحانه.

كما روي أن سليمان عليه السلام رأى عصفوراً يقول لعصفورته لم تمنعيني نفسك ولو شئت أخذت قبّة سليمان بمنقاري فألقيتها في البحر، فتبسّم سليمان من كلامه ثمّ دعا بهما فقال للعصفور أتطيق أن تفعل ذلك فقال لا يا رسول الله ولكن المرء قد يزين نفسه ويعظمها عند زوجته، والمحب لا يلام على ما يقول، فقال سليمان للعصفورة لم تمنعينه من نفسك وهو يحبك؟ فقالت يا نبيّ الله إنّه ليس محباً ولكنه محب مدعٍ

لأنه يحب معي غيري فأثر كلام العصفورة في قلب سليمان وبكى بكاء شديداً واحتجب عن النّاس أربعين يوماً يدعو الله أن يفرغ قلبه بمحبّته وأن لا يخالطها بمحبّة غيره.

وروي أيضاً أنّه عليه السلام مرّ يوماً بعصفور يقول لزوجته ادني مني حتّى أجامعك لعلّ الله يرزقنا ولداً يذكر الله تعالى فإنّا قد كبرنا فتعجّب سليمان عليه السلام وقال هذه النيّة خير من مملكتي، ويجوز أن يكون معناه على هذا التقدير أن الحرف الزائد في اسمك للدلالة على الجرح الزائد في قلبك، فإنّ الذنب في القلب كالإصبع الزائدة فهذه الزيادة اللفظية دالة على تلك الزيادة المعنويّة.

التوجيه الثاني أن يكون المعنى على ذاك إلى قوله وأنت سليمان وحاصله أن داود صدرت منه زلّة داواها بالتودّد والتّوبة فاشتقّ له منها اسم وأنت سليمان أي سليم أنت من ذلك الذنب فلهذا سمّيت به اشتقاقاً من السلامة، وأن زيادة ذلك الحرف يدلّ على زيادة معنى فيك وهو السلامة من الذنب، فقولها وأرجو أن تلحق بأبيك أي في الجلالة وعظم الشأن، فإنه بالتوبة عرج معارج السابقين وسليمان عليه السلام بسبب الاشتغال بالملك قد قصر عنه.

والحاصل أن صدور مثل هذا من الأنبياء عليهم السلام إنّما هو لنيل الكرامات الحاصلة بسبب التوبة، فإنّه قد روي أن من علامات المؤمن أنّه مفتن تواب وروي أنّه لو لم يصدر منكم الذنب فالتوبة، لأماتكم الله وخلق بدلكم أقواماً يذنبون ثم يتوبون، وفي الحديث أن الله أفرح بتوبة المؤمن من رجل كان في مفازة مع رفقة في ليل أظلم، فلمّا قاموا للركوب ضلّ بعيره في ذلك الليل فطلبه فلم يجده وارتحل عنه رفقاؤه، وبقي في تلك المفازة وحده في ذلك الليل والمفازة ليس فيها زاد ولا ماء فلمّا أيس من البعير أتى إلى محلّه وجلس واضعاً رأسه بين ركبتيه منتظراً للسبع أو الموت، فما لبث إلّا وقد أتى إليه رجل بذلك البعير، فقال له اركب حتّى أُبلغك إلى رفقائك، فيدخله ذلك الوقت من السرور ما لا يحصى فالله سبحانه أفرح بتوبة المؤمن من ذلك الرجل، وفي عرف العوام ليس صحبة إلاّ من بعد عتبة وهذا جارٍ في التجارب كما لا يخفى على المتتبع.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّه قد بقي الكلام في أدعية الأئمّة عليهم السلام وأطوارهم واعترافهم بالذنوب وكثرة بكائهم عليها خصوصاً سيّد الساجدين عليه السلام فإنّ صحيفته الشريفة قد تضمنت استقالته من الذنوب وحزنه عليها، ونحن قد تقرر بإجماعنا أنّ

الأئمة عليهم السلام منزهون عن أنواع الذنوب فكيف صدر منهم هذه المقالات، مع أنّه لم ينقل أحد من المخالفين مع تكثرهم في كلّ الأعصار وتفحّصهم على طعن عليهم بوجه من الوجوه يتعلّقون به في التشنيع على مذهبنا وعلى الأئمّة الطاهرين عليهم السلام فلم يظفروا به، فلم تنعَ عليهم زلّة ولا ذكر فيهم من المساوئ شيء، وحينئذ فما وجه هذه الاعترافات منهم؟

فنقول قد ذكرنا في شرحنا على الصحيفة وجوهاً كثيرة بعضها من محقّقي أصحابنا وبعضها من سوانح البال، فلنذكر هنا بعضاً منها، **الأول**: ما قاله بعض أهل العرفان من أن مثل هذا إنّما هو تعليم منهم للأُمة كيف يتضرّعون ويبكون على ذنوبهم وكيف يعترفون فإن الأنبياء عليهم السلام قبلهم كان مناط تبليغهم الرسالة على التنزل إلى مكالمات البشر بمقتضى عقولهم، حتّى إنّه صلى الله عليه وآله قال للحسين عليه السلام وهو طفل كخ كخ يا حسين لـمّا أخذ تمرة من تمر الصدقة، ولا يخفى بعد هذا لمن تتبع أطوارهم عليهم السلام فإن مدلول كلامهم في مناجاتهم إنّما هو صدوره عن نار حزن كامنة في القلوب، وخوف قد أحاط بمجامع أعضائهم، مع إمكان تعليم الأُمة مثل هذه التضرعات بالقول دون الفعل، وهذا الوجه هو الّذي اختاره الغزالي في كتاب الإحياء بالنسبة إلى ما صدر عن الأنبياء عليهم السلام من الاعتراف بالذنب وكثرة البكاء والتضرّع، وقد عرفت ما يرد عليه.

الوجه الثاني: أنهم عليهم السلام لـمّا كانوا في هذه النشأة والإنسان لا يخلو فيها إمّا من فعل مكروه أو ترك مستحبّ، وذلك كالصلاة في الثياب السود وكالنّوم على جانب اليسار ونحو ذلك، فهم عليهم السلام قد عدّوا هذه ذنوباً وانقطعوا إلى الله سبحانه من تبعاتها، والظاهر أن هذا أيضاً غير تامّ لأنّهم عليهم السلام أهل الشرع الأنور، وقد كانوا يرتكبون مثل هذه الأمور تعليماً للأمّة بجواز تلك الأفعال، حيث إنّه قد ورد النهي عن فعل ذلك المكروه والأمر بذلك الفعل المستحبّ فربما أدّى فعل ذلك المكروه إلى الوجوب عليهم كما لا يخفى.

الثالث: ما ذهب إليه شيخنا المعاصر[1] أيّده الله تعالى من أن صدور هذا وأمثاله منهم عليهم السلام ليس هو من باب الإخبار عن فعل سابق بل هو من قبيل التواضع الإنشائي كقول عليّ بن الحسين عليهما السلام : أنا مثل الذرّة أو دونها، وكما يقال في

---

(١) هو العلاّمة المجلسي المولى محمّد باقر الأصفهاني الشهير صاحب بحار الأنوار.

العرف عند التواضع أنا مقصّر في خدمتك يا فلان وأنا عبدك، وهذا الوجه له وجه في الجملة، وربّما كان في الأخبار دلالة عليه.

الرابع: وهو الّذي قاله صاحب كشف الغمّة وتلقّته الأصحاب بالقبول، وحاصله أنّهم عليهم السلام أوقاتهم مستغرقة بذكره تعالى وخواطرهم متعلّقة بالملأ الأعلى، وهم أبداً في المراقبة كما قال عليه السلام اعبد الله كأنّك تراه فإن لم تره (فإن لم تكن تراه خ ل) فإنّه يراك، فهم أبداً متوجهون إليه ومنقلبون بكلّيّتهم عليه، فمتى انحطّوا عن تلك المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرّغ للنكاح وغيره من المباحات عدوه ذنباً واستغفروا منه، ألا ترى أن بعض عبيد أبناء الدنيا لو قعد يأكل ويشرب وينكح وهو يعلم أنّه بمرأى من سيّده ومسمع لكان ملوماً عند النّاس ومقصّراً فيما يجب عليه من خدمة سيده ومالكه، فما ظنك بسيد السادات ومالك الأملاك، وإلى هذا أشار صلى الله عليه وآله بقوله: إنّه ليران على قلبي وإني لأستغفر الله بالنهار سبعين مرة، وقوله حسنات الأبرار سيئات المقربين، فإنّ قلوبهم عليهم السلام أتمّ القلوب صفاءً وأكثرها ضياءً وأعرفها عرفاناً، وكانوا مع ذلك قد عيّنوا لتشريع الملة فلم يكن لهم بدّ من النزول إلى الرخص والالتفات إلى حظوظ النفس مع ما كانوا ممتحنين به من الأحكام البشرية، فكانوا إذا تعاطوا شيئاً من ذلك أسرعت كدورة ما إلى قلوبهم لكمال رقتها وفرط نورانيتها فإنّ الشيء كلما كان أرقّ وأصفى كان كدورات المكدّرات عليه أبين وأقوى وكانوا عليهم السلام إذا أحسوا بشيء من ذلك عدّوه على النفس ذنباً واستغفروا منه وهذا الوجه جيّد.

الخامس: إنّ مراتبهم عليهم السلام بالنسبة إلى المعارف اليقينيّة والحقائق الإلهيّة كانت تزداد يوماً بعد يوم، مثل جدّهم صلى الله عليه وآله فإنه سبحانه قد جمع له جميع الكمالات البشريّة عند آخر عمره الشريف، وفي مدّة عمره كانت المعرفة والوحي يتجدّد عليه، فإذا ترقّوا من درجة إلى درجة أعلى منها عدّوا تلك السابقة ذنباً إلى هذه اللاّحقة، وهذا سرّ لطيف يدرك بالتأمّل.

السادس: إنّ العبد الممكن التلوّث بشوائب العجز والتقصير قابل للتلبّس بجميع المعاصي لولا الألطاف الإلهية وحينئذ فالاعتراف بالذنب إنّما بالنسبة إلى المادّة البشريّة لا بالنظر إلى العصمة الإلهيّة فإنّها من غيرهم فهم على حدّ الذنب (المذنب خ) ولكن المانع من الغير وقد أُشير إلى هذا في قول الصديق عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف: ٥٣]، وما حكاه سبحانه (من خ) في شأن

حبيبه ﷺ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]، وقوله ﷺ: اللهمَّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، فقالت له بعض زوجاته: لو وكلك إلى نفسك ما كنت تفعل يا رسول الله، قال كنت فاعلاً ما فعله أخي يونس بن متى.

وروى شيخنا الكليني طاب ثراه بإسناده إلى الباقر عليه السلام قال إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى داود عليه السلام إن أتيت إلى عبدي دانيال، فقل له إنّك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك فإن عصيتني الرابعة لم أغفر لك، فأتاه داود عليه السلام فقال يا دانيال إنّني رسول الله إليك، وهو يقول لك إنّك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك فإن عصيتني الرابعة لم أغفر لك، فقال له دانيال قد بلّغت يا نبيّ الله فلمّا كان في السحر قام دانيال فناجى ربّه، فقال يا ربّ إن داود نبيّك أخبرني عنك أنّني قد عصيتك فغفرت لي وعصيتك فغفرت لي وعصيتك فغفرت لي، وأخبرني عنك أنّي إن عصيتك الرابعة لم تغفر لي فوعزّتك وجلالك لئن لم تعصمني لأعصينّك ثمَّ لأعصينّك ثمَّ لأعصينّك قالها خمساً، فهذا اعتراف من دانيال النبيّ عليه السلام بأنّ المنع عن المعاصي إنّما هو من جهة الألطاف الإلهيّة والعصمة الربانيّة، وقد كان بعض مشايخي أدام الله أيّامه يعدّ هذا الوجه من الإلهامات الربّانيّة.

الوجه السابع: وهو من الوجوه التي خطرت بالبال: إنّ نعم الله سبحانه على العبد كلما كانت أكمل كان تكليفه أشدّ وهذا ظاهر، ولا شك أنّه سبحانه قد أعطاهم من النعم ما لا يحدّ بحدّ، ومن ذلك أنّه أوجب طاعتهم على سائر مخلوقاته، وخلق لأجلهم الجنان والنيران كما قال عليه السلام لو اجتمع النّاس على حبّ عليّ بن أبي طالب لما خلق الله النار، فهم عليهم السلام يريدون أن يشكروا الله سبحانه الشكر اللائق به الموازي لإنعامه عليهم فلا يقدرون عليه فيعدون عدم القدرة ذنباً، كما روي أن النبيّ ﷺ بكى ذات ليلة بكاءً كثيراً، فقالت له زوجته ما يبكيك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؛ قال ﷺ أفلا أكون عبداً شكوراً، ولم لا أفعل وقد أنزل الله علي ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ [البقرة: ١٦٤] الآية، ونظيره ما روي أنّه مرّ بعض الأنبياء عليهم السلام بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجّب، فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، وأنا أبكي من خوفي فسأله أن يجيره من النّار فأجاره، ثمَّ رآه بعد مدّة مثل ذلك، فقال لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور.

الثامن: أنّهم عليهم السلام ملوك الأمّة وساسة العباد والذنب الّذي يصدر من الرعيّة ينسب إلى كبيرهم والعامل عليهم، فهم عليهم السلام قد عدّوا ذنوبنا ذنباً لهم كما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] أنّ المراد ذنب أُمتك، وبقيت وجوه أُخرى حرّرناها في الشرح المذكور من أرادها فليطلبها من هناك، وهذا كلام وقع في البين فلنرجع إلى ما نحن فيه من مقدّمات أبينا آدم عليه السلام، وهو أنّه لمّا علّمه جبرائيل عليه السلام مناسك الحجّ وطاف طواف النساء هو وزوجته قال له جبرائيل عليه السلام قد حلّت لك زوجتك يا آدم فضمّها إليك فضمّها إليه وأما كيفية ابتداء النسل فرواه الصدوق رحمه الله بإسناده إلى زرارة قال سئل أبو عبد الله عليه السلام عن بدء النسل من آدم صلوات الله عليه كيف كان وعن بدأ النسل من ذرية آدم فإنّ أناساً عندنا يقولون إن الله تعالى أوحى إلى آدم أن يزوّج بناته من بنيه وأنّ هذا الخلق كلّه أصله من الإخوة والأخوات، فمنع أبو عبد الله عليه السلام من ذلك وقال نبّئت أن بعض البهائم تنكّرت له أخته فلمّا نزا عليها ونزل ثمّ علم أنّها أخته قبض على غرموله - أي ذَكَره - بأسنانه حتّى قطعه فخرّ ميتاً، وآخر تنكّرت له أمه ففعل هذا بعينه، فكيف الإنسان في فضله وعلمه غير أن جيلاً من هذه الأمّة الذين يرون أنّهم رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيائهم فأخذوه من حيث لم يؤمروا بأخذه فصاروا إلى ما ترون من الضلال، وحقاً أقول ما أراد من يقول هذا وشبهه إلاّ تقوية لحجج المجوس.

ثمّ أنشأ يحدّثنا كيف كان بدء النسل فقال إنّ آدم صلوات الله عليه ولد له سبعون بطناً فلمّا قتل قابيل هابيل جزع جزعاً قطعه عن إتيان النساء فبقي لا يستطيع أن يغشى حوّاء خمسمائة سنة، ثمّ وهب الله له شيئاً وهو هبة الله وهو أول وصيّ أُوصي إليه من بني آدم في الأرض، ثمّ ولد له بعد شيث يافث فلمّا أدركا وأراد الله أن يبلغ بالنسل ما ترون أنزل الله بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنّة اسمها نزلة فأمره الله أن يزوّجها من شيث ثم أنزل الله بعد العصر من الغد حوراء من الجنّة اسمها منزلة فأمر آدم أن يزوّجها يافث فزوّجها منه فولد لشيث غلام وولدت ليافث جارية، فأمر الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام حين أدركا أن يزوج ابنة يافث من ابن شيث ففعل فولد الصفوة من النبيّين والمرسلين من نسلهما، ومعاذ الله أن يكون ذلك على ما قالوه من الإخوة والأخوات ومناكحتهما، والحديث طويل أُخذنا منه موضع الحاجة وما تضمّنه أول الحديث من قوله: فإنّ اناساً عندنا يقولون: المراد بهم جمهور المخالفين فإنّهم قالوا إنّ حواء امرأة آدم كانت تلد في كلّ بطن غلاماً وجارية فولدت أوّل بطن قابيل

وتوأمته اقليميا، والبطن الثّاني هابيل وتوأمته ليوذا فلمّا أدركوا جميعاً أمر الله تعالى أن ينكح قابيل أخت هابيل وهابيل أخت قابيل فرضي هابيل وأبى قابيل لأنّ أخته كانت حسناء، وقال ما أمر الله سبحانه بهذا ولكن هذا من رأيك فأمرهما آدم أن يقرّبا قرباناً فرضيا بذلك فانطلق هابيل إلى أفضل كبش في غنمه فقرّبه إلتماساً لوجه الله تعالى ومرضاة أبيه، وأما قابيل فإنه قرّب الزوان الّذي يبقى في البيدر الّذي لا تستطيع البقر أن تدوسه فقرّب ضغثاً منه لا يريد به وجه الله تعالى ولا رضاء أبيه، فقبل الله قربان هابيل وأتت نار بيضاء من السّماء فأخذته وردّ على قابيل قربانه، فقال إبليس لقابيل إنّه يكون لهذا عقب يفتخرون على عقبك بأن قبل قربان أبيهم فاقتله حتّى لا يكون له عقب فقتله.

وهذه مقالة المخالفين وهي موافقة لمذاهب المجوس، فإنّ المجوس كان لهم ملك فسكر ليلة فوقع على أخته وأمّه فلمّا أفاق ندم وشقّ ذلك عليه، فقال للناس هذا حلال فامتنعوا عليه فجعل يقتلهم وحفر لهم الأخدود، وفي خبر آخر أنّه احتجّ لهم على جوازه بأولاد آدم من أنّهم قد كانوا ينكحون أخواتهم، فقبله جماعة وبقوا عليه إلى الآن ومن لم يقبله قتله، والعجب من صاحب روضة الشّهداء كيف عوّل على هذا النقل من تزويج الأخوة الأخوات مع ورود الأخبار بخلافه، وأعجب منه أن شيخنا الطبرسي رحمه الله في كتاب مجمع البيان لم يذكر سوى مقالة المخالفين ولم يتعرّض لهذه الأخبار بوجه مع أنّها من مرويّات الصدوق رحمه الله وهو من المتقدّمين، نعم قد روي هذا المعنى عن الباقر عليه السلام لكنّ الرواية محمولة على التقيّة قطعاً[1].

---

(١) في القطع بحمل الرواية المروية عن الباقر عليه السلام على التقية نظر فإنه من أين حصل لنا القطع بذلك وما دل من الأخبار بخلافها أخبار آحاد لا يفيد العلم كما أن تلك الرواية أيضاً من الآحاد والكتب السماوية ولا سيما القرآن الكريم لم تكشف لنا كيفية ابتداء النسل من آدم وحواء فكما يمكن أن يكون الأمر كما ورد في الأخبار من نزول حواء فكذلك يمكن أن يكون كما روي عن الباقر عليه السلام وأن حواء كانت تلد توأماً كلّ بطن ذكر وأنثى فكان يزوج الذكر من هذا البطن من الأنثى من البطن الآخر وإشكال المصنف رحمه الله إنّ هذه مقالة المخالفين وهي موافقة لمذاهب المجوس وأنّه كيف يزوج الأخت من أخيها ولو من بطن آخر وأنّه لا يخرج عن كونه زناً وبذات المحارم، مدفوع بأنّ الزنا ليس إلاّ مخالفة القوانين المشروعة والنواميس المقررة من المشرع الحكيم وحيث إنّ في بدء الخليقة لا يمكن التناسل إلاّ بهذا الوضع أجازه الشرع في وقته لوجود المقتضي وعدم المانع ثم لمّا تكثر النسل ومست الحاجة إلى حفظ الأنساب وتميز الأسر والأرحام وحفظ النظام العائلي وحصل المانع من تزوج الأخ بأخته =

وأما حكاية القربان فقد حكاها الله سبحانه في سورة المائدة حيث قال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وذلك لأنّ الصدقة إذا لم يكن صاحبها ممّن اتّقى في تحصيلها أو لم يخلص لله سبحانه حال دفعها لا تقع من محلّ القبول بشيء، كما روى (في الاحتجاج خ ل) عن الصادق عليه السلام أنّه قال من اتّبع هواه وأعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء العامّة تعظّمه وتصفه فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفني لأنظر مقداره ومحلّه، فرأيته في موضع قد أحدق به خلق من غثاء العامّة منتبذاً عنهم متلثّماً أنظر إليه وإليهم، فما زال يراوغهم حتّى خالف طريقهم وفارقهم ولم يقرّ فتفرقت العوام عنه لحوائجهم وتبعته أقتفي إثره، فلم يلبث إن مرّ بخبّاز فتغفّله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة فعجبت منه، ثمّ قلت في نفسي لعلّه معاملة ثمّ مرّ بصاحب رمّان فما زال به حتّى تغفّله فأخذ من عنده رمّانتين مسارقة، فعجبت منه ثمّ قلت في نفسي لعلّه معاملة ثمّ أقول وما حاجته إذاً إلى المسارقة ثمّ لم أزل أتبعه حتّى مرّ بمريض فوضع الرغيفين والرّمانتين بين يديه ومشى فتبعته حتّى استقرّ في بقعة من الصحراء، فقلت له يا عبد الله لقد سمعت بك فأحببت لقاءك فلقيتك لكنّي رأيت منك ما شغل قلبي، قال وما هو قال رأيتك مررت بخبّاز وسرقت منه رغيفين ثمّ بصاحب الرمّان وسرقت منه الرمّانتين، قال فقال لي: قبل كلّ شيء حدثني من أنت قلت رجل من أهل بيت رسول الله، قال أين بلدك قلت المدينة، قال لعلّك جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، قلت بلى قال فما ينفعك شرف أصلك مع جهلك بما شرّفت به وتركك علم جدّك وأبيك، قلت ما هو قال القرآن كتاب الله، قلت وما الّذي جهلت منه، قال قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَن جَآءَ

= وأمثال ذلك مما تضيع فيه العائلة وتهدّ دعائم الأسر ولا يتميز الأخ من الابن والأخت من البنت لذلك وضع الشارع قوانين للزواج تصون النسل عن الاختلاط والامتزاج وهذا المحذور لم يكن في بدء الخليقة يوم كانت أسرة آدم وحواء نفراً معدوداً هكذا ذكر شيخنا الأستاذ كاشف الغطاء قدس سره انظر الفردوس الأعلى صفحة (٧٠) ط ٢ تبريز والغرض أن قول المصنف رحمه الله إنّ الرواية المروية عن الباقر عليه السلام محمولة على التقية قطعاً لا يخلو من نظر ومجرد موافقتها العامة لا توجب الحمل على التقية لعدم حصول القطع بأحد القولين دون الآخر مع ورود أخبار عن ائمة أهل البيت عليهم السلام على وفق كلّ منهما ومن يدعي القطع بأحد القولين فعليه قطعه ولكن لم يحصل لنا القطع بأحدهما والله العالم.

بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وإني لمّا سرقت الرغيفين كانت سيئتين ولمّا سرقت الرمانتين كانت سيئتين فهذه أربع سيئات، فلمّا تصدقت بكل واحدة منها كانت أربعين حسنة فأنقص من أربعين حسنة أربع سيئات يبقى لي ستة وثلاثون، قلت ثكلتك أمك أنت الجاهل بكتاب الله أما سمعت الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، إنّك لمّا سرقت الرغيفين كانت سيئتين فلمّا دفعتهما إلى غير صاحبهما بغير أمر صاحبهما كنت إنّما أضفت أربع سيئات إلى أربع سيئات، فجعل يلاحظني فانصرفت وتركته قال الصادق عليه السلام بمثل هذا التأويل القبيح المستنكر يَضلّون ويُضلّون.

وهذا نحو تأويل معاوية لعنه الله لمّا قتل عمّار بن ياسر فارتعدت فرائص خلق كثير وقالوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله عمّار تقتله الفئة الباغية، فدخل عمرو على معاوية وقال يا أمير المؤمنين قد هاج النّاس واضطربوا، قال لماذا؟ قال قتل عمّار قال معاوية قتل عمّار فماذا، قال أليس قال رسول الله صلى الله عليه وآله عمّار تقتله الفئة الباغية؟ فقال له معاوية دحضت[1] في قولك أنحن قتلناه إنّما قتله عليّ بن أبي طالب لمّا ألقاه بين رماحنا، فاتّصل ذلك بعليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال فإذاً رسول الله صلى الله عليه وآله هو الّذي قتل حمزة لمّا ألقاه بين رماح المشركين.

وبالجملة فابتداء النسل على ما عرفته، نعم روى الصدوق طاب ثراه قال إنّ الله تبارك وتعالى أنزل على آدم حوراء من الجنّة فزوّجها احد ابنيه وتزوّج الآخر ابنة الجانّ فما كان في النّاس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء وما كان فيهم من سوء خلق فهو من ابنة الجانّ، ووجه الجمع بين هذا وما تقدّم إمّا حمل هذين الولدين على غير يافث وشيث لكن لمّا اختلط النسل في المراتب اللاّحقة سرت أخلاق ابنة الجان في ذراري آدم عليه السلام ، وإمّا بأنّ يكون كلّ واحد من يافث وشيث قد زوّج زوجتين وعلى التقادير كلها يستلزم بقاء بنات آدم بلا زواج إلاّ أن يجوز تزويج العمّات دون الأخوات، هذا حال الخليفة الأوّل وهو آدم عليه السلام ، وقد بقي له أحوال سماويّة وكذا لذريته، فلنرجع إلى أحوال السّماء حتّى إذا فرغنا منها انتقلنا إلى أحوال الأرض وأهلها.

فإن قلت ما معنى قولك إنّ آدم هو الخليفة الأوّل وكم الخلفاء بعده، قلت قد

---

(١) دحضت الحجّة بطلت.

روي أن علياً عليه السلام كان يمشي مع النبيّ صلى الله عليه وآله في بعض شوارع المدينة وإذا برجل أعرابيّ له لحية طويلة فسلّم وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين السلام عليك يا رابع الخلفاء ثمَّ إنّه غاب عن أعينهم فقال النبيّ صلى الله عليه وآله أتدري يا عليّ معنى ما قال، هذا هو أخوك الخضر قال قال: لا قال: أمّا الخليفة الأوّل فهو أبوك آدم حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وأما الثاني فهو هارون حين قال له موسى: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف: ١٤٢] وأما الثالث فهو داود حيث قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦] وأما الرابع فهو أنت يا علي فإنّك خليفتي من بعدي وقاضي ديني.

وسئل الصادق عليه السلام عن آدم وعلي عليهما السلام أيّهما أفضل؟ فقال إنّ الله تعالى أباح الحنطة لعليّ عليه السلام فلم يأكل منها تواضعاً لله تعالى حتّى قبض، وأما آدم فقد نهاه عنها فما لبث حتّى أكل منها فأين عليّ من آدم! ومن جهة خلق هذه الأبدان من التراب السابق، روي أنّه سئل جعفر بن محمّد عليه السلام لم صار النّاس يكلبون أيّام الغلاء على الطعام ويزيد جوعهم على العادة في الرخص؟ قال لأنّهم بنوا من الأرض فإذا قحطت قحطوا وإذا خصبت خصبوا وحيث إنّا نريد بيان عالم الذّر وأخذ الميثاق في عالمي الأرواح والذرّ وكيفية أحاديث الطّينة، وهذا كله مما يتوقف على الروح كما سيأتي فلا بأس بالكلام فيها والله الموفق للصواب.

نور روحاني يكشف عن الروح وتوابعها

الروح جوهر درّاك يتعلق بالبدن لتدبيره(١) واعلم أنّ أرباب الملل قد اتّفقوا على حدوث النفوس الناطقة إذ لا قديم عندهم إلاّ الله لكنّهم اختلفوا في أنّها هل تحدث مع حدوث البدن أو قبله فقال بعضهم تحدث معه لقوله تعالى بعد تعداد أطوار البدن ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقال بعضهم بل قبله لقوله صلى الله عليه وآله خلق [الله] الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، أقول الأخبار الدالة على أن الروح مخلوقة قبل

(١) نقل صلاح الدين الصفدي في شرح لامية العجم عن أمير المؤمنين عليه السلام ما لفظه: (نقل عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ) ثم قال الصفدي وما رأيت للنفس مثالاً أحسن من هذا فللقارىء الكريم امعان النظر إلى هذه الكلمة النيرة والتأمل فيها فإنها من الكلمات الجامعة انظر شرح لامية العجم ص ١٣٣ ج ٢ ط مصرسنة (١٢٩٠هـ).

البدن بألفي عام أو أكثر على ما وردت به الأخبار مستفيضة بل متواترة حتّى لا يبقى الريب في تقدمها[١].

وقوله ﷺ بألفي عام المراد به تقدّمها على نوع البدن وإن كان واحداً، وهو بدن أبينا آدم عليه السلام وإلاّ فكلّ روح بالنظر إلى البدن التي خلقت له متقدّمة عليه بآلاف من السنين كما لا يخفى، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] المراد به إفاضة النفس على البدن كما هو المصرّح به في كلام الصادقين عليهما السلام.

وأمّا الحكماء فإنّهم قد اختلفوا في حدوثها فقال به أرسطو ومن تبعه ومنعه من قبله وقالوا بقدمها، وأمّا حقيقتها فلم تظهر لنا ولذا قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فإنّ المنقول عن ابن عباس وابن مسعود والجبائي وجماعة أنّهم سألوه عن هذه الروح التي في البدن فعدل عن جوابهم لعلمه أنّه الأصلح، وقيل إنّ اليهود[٢] قالت لكفار قريش سلوا محمّداً عن الروح فإن أجابكم فليس بنبيّ وإن لم يجبكم فهو نبيّ فإنّا نجد في كتبنا ذلك، فأمره سبحانه بالعدول عن جوابهم، وهذا يدل على أنّ الأنبياء المتقدمين لم يتكلموا في حقيقة الروح للأُمة لأنّه الأصلح بحالهم، والمذاهب المنقولة فيها بين أهل العلم متكثرة وقد ضبطها شيخنا البهائيّ نوّر الله ضريحه في كتاب الكشكول حيث قال المذاهب في حقيقة النفس أعني ما يشير كلّ أحد بقوله «أنا» كثيرة، والدائرة منها على الألسنة والمذكورة في الكتب المشهورة أربعة عشر مذهباً:

أحدها هذا الهيكل المحسوس المعبّر عنه بالبدن وثانيها أنّها القلب اعني العضو الصنوبريّ اللحماني المخصوص، وثالثها أنّه الدماغ، ورابعها أنّها أجزاء لا تتجزأ في القلب وهو مذهب النّظام ومتابعيه، وخامسها أنّها الأعضاء الأصلية المتولّدة من المنيّ، وسادسها أنّها المزاج، وسابعها أنّها الروح الحيواني ويقرب منه ما قيل إنّها جسم لطيف سار في البدن كسريان الماء في الورد[٣] والدهن في السمسم، وثامنها

---

(١) هذه الأخبار تدل على قدم الروح فلا بد من توجيهها وبيان المراد منها وتحقيق هذا المطلب على الوجه الأحسن في كتب صدر المتألهين قدس سره فراجع والعجب إنّ المصنف لم يتوجه إلى ذلك.

(٢) في هذه القصة إشكالات مذكورة في تفسير لوامع التنزيل ذلك التفسير القيم الكبير انظر ص ٢٩٧ ج ١٥ ط هند.

(٣) هذا قريب من تعريف البدن المثالي البرزخي بل يكون تعريفاً له.

أنّها الماء وتاسعها أنّها النّار والحرارة الغريزية وعاشرها أنّها النفس[١] وحادي عشرها أنّها هي الوجود، تعالى عمّا يقولون علواً كبيراً، وثاني عشرها أنّها هي الأركان الأربعة، وثالث عشرها أنّها صورة نوعية قائمة بمادّة البدن وهو مذهب الطبيعيّين، ورابع عشرها أنّها جوهر مجرد عن المادّة الجسمانيّة. وعوارض الجسمانيّات لها تعلّق بالبدن تعلّق التدبير والتصرّف والموت هو قطع هذا التعلّق، وهذا هو مذهب الحكماء الإلهيّين وأكابر الصوفيّة والإشراقيّين وعليه استقرّ رأي المحققين من المتكلمين كالإمام الرازي والغزالي والمحقّق الطوسيّ وغيرهم من الأعلام، وهو الّذي أشارت إليه الكتب السماوية وانطوت عليه الأنباء النبويّة وانقادت إليه الأمارات الحدسيّة والمكاشفات الذوقيّة، انتهى كلامه. والإنصاف أن الروح وإن طوي عنّا الاطّلاع على حقيقتها ولذا قال الأكثر المراد من قوله عليه السلام : من عرف نفسه فقد عرف ربّه، أنّه لا يمكن معرفة النفس كما لا يمكن معرفة الربّ، لكن الّذي أشارت إليه الكتب والأخبار هو ما قيل إنّه يقرب من المذهب السابع وهو أنّها جسم لطيف سارٍ في البدن وليست مجرّدة.

قال في مجمع البيان: اختلف العلماء في ماهيّة الروح فقيل إنّه جسم رقيق هوائيّ متردّد في مخارق الحيوان وهو مذهب أكثر المتكلّمين واختاره الأجلّ المرتضى علم الهدى وقيل هو جسم هوائيّ على بنية حيوانيّة في كلّ جزء منه حياة، عن عليّ بن عيسى قال لكلّ حيوان روح وبدن إلاّ أن فيهم من الأغلب عليه الروح، ومنهم من الأغلب عليه البدن، وقيل إن الروح عرض ثمَّ اختلف فيه فقيل هو الحياة التي يتهيّأ بها المحل لوجود القدرة والعلم والاختيار، وهو مذهب الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله والبلخي وجماعة من المعتزلة البغداديّين وقيل هو معنى في القلب عن الأسواري وقال بعض العلماء إن الله تعالى قد خلق الروح من ستّة أشياء من جوهر النور والطيب والبقاء والحياة والعلم والعلوّ ألا ترى أنّه ما دام في الجسد كان الجسد نورانياً يبصر بالعينين ويسمع بالأذنين ويكون طيّباً فإذا خرج من الجسد نتن الجسد ويكون باقياً فإذا فارقه الروح بلي وفني، ويكون حيّاً وبخروجه

---

(١) نقل صلاح الدين الصفدي في شرح لامية العجم مطايبة لا بأس بنقلها قال: (يقال إنّ بعض المتكلمين سئل عن الروح والنفس فقال الروح هي الريح والنفس هي النفس فقال له السائل: فعلى هذا إذا تنفس الإنسان خرجت نفسه وإذا ضرط خرجت روحه فانقلب المجلس ضحكاً، وهذا تمسخر واقع في محله ص ١٢٣.

يكون ميّتاً ويكون عالماً فإذا خرج منه الروح لم يكن شيئاً ويكون علويّاً لطيفاً توجد به الحياة بدلالة قوله تعالى في صفة الشهداء ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠] (١) وأجسامهم قد بليت في التراب ولا يخفى أن

---

(١) غير خفي على الباحث المنقب أن بعد امعان النظر في القرآن الكريم والتدبر في الفرقان العزيز تظهر الحقيقة الراهنة وينكشف الحق في هذه المسألة اعني البحث في الروح وأن أي معنى من تلك المعاني التي ذكروها للروح حق صحيح وأي معنى منها باطل سقيم.

فليسمح لي القارىء العزيز أن أقول إن القرآن يدل على تجرد الروح وأنّها بريء عن الجسم والجسمانيات والمواد والمكان والزمان فإن من يمعن النظر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] يعلم أن في الآية الشريفة إشارة لطيفة إلى أن الروح لا يتصف بالمكان وأنّها غير ذي مكان إذ الحضور عند الرب والقرب منه تعالى لا يتصور عن ذي مكان فإن القرب من ذي مكان مما هو لا في مكان محال إذ لا يتصور القرب المعنوي مما هو لا في مكان من ملابس مكان، فإن القرب منه ليس القرب المكاني أو الزماني تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً بل القرب منه بالتخلق بأخلاق الله وأوصافه المقدسة والانتقاش بما هو مسطور في كتابه الذي لا يمسه إلاّ المطهرون فلا بد أن يكون القرب من غير ذي مكان مما هو لا في مكان وهو المطلوب فإذا ثبت إنّ الروح لا يتصور في مكان فلا يتصور لها الأوصاف الجسمانية فهو جوهر بريء عن المواد والمكان وشيء قائم بنفسه لا حجم لها ولا الزمان ولا يصح عليه التركيب ولا الحركة السكون ولا الاجتماع ولا الافتراق ومجرد عن الاجزاء معقولة ومحسوسة فضلاً عن الموضوع والهيولى ولذا لا يعقل لها الفناء ولا الانعدام قال أمير المؤمنين عليه السلام أيها النّاس إنّا خلقنا وإياكم للبقاء لا للفناء لكنكم من دار إلى دار تنقلون فتزودوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيها نظر الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله ص ٢٢٨ ط تبريز. ويظهر من كلمات المصنف رحمه الله وغيره إنّ القول بتجرد النفس ينافي اطلاق المجرد على الله تعالى ولا مجرد في الوجود إلاّ الله تعالى.

وهذا توهم عجيب فإن الله تعالى هو القديم بالذات وواجب الوجود من جميع الجهات وفوق التجرد والمجردات وأين هو من المجرد الحادث أعني الروح وهو مخلوق من خلق الله تعالى والله خالق كلّ شيء فإن المجرد الّذي هو من قبيل الممكنات ووجوده من غيره كيف يكون اطلاق المجرد عليه كاطلاقه على الواجب الوجود القديم بالذات.

وقد تقدم عن المصنف رحمه الله في حق الملائكة قوله: (فمن كانت حالته من غيره كيف تكون حالته معارضة لمن كانت حالته من نفسه) انظر صفحة (١٩٤) من هذا الكتاب. وهذا الكلام جار بعينه في الروح أيضاً فإن من كان وجوده من غيره كيف يكون وجوده معارضاً لمن كان وجوده من نفسه.

وقوله تعالى: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال في مجمع البيان: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] إذ الحيّ لا بد له من رزق والرزق مطلق شامل للروحاني والجسماني والأول =

أكثر هذه المذاهب التي نقلها الشيخ الطبرسي رَحِمَهُ اللهُ لم يتعرض لنقلها شيخنا الشيخ بهاء الدين قدس الله روحه مع أنّه في مقام حصر المذاهب المنقولة في الكتب، وما نقل عن الأجل علم الهدى طاب ثراه وإن لم يكن عين المذهب الّذي نقل أنّه قريب من السابع لكنّه يؤول إليه، والآيات والأخبار كما عرفت إنّما اشارت إليه، وذلك لأنّ المجرد على تفسيرهم أنّه الموصوف بلا مكان فهو مجرّد عن المكان والآلات وغيرها ولا ريب أنّ الأخبار قد اشتملت على اتّصاف الروح بأوصاف الأجسام من الصعود والهبوط والطيران وزيارة العرش والجلوس حلقاً.

= ارتزاق الأرواح من الأنوار الإلهية والعلوم الربانية والاشعة والأضواء القيومية والثاني هو الارتزاق من نعم الجنّة البرزخية والارتزاق الجسماني البرزخي لا بد له من جهة جسمية فإن الارتزاق الجسماني ليس من شؤون الروح المجرد فهذا الارتزاق يكون بالبدن المثالي البرزخي الّذي يحدث بحدوث الروح الّذي هو جسمانية الحدوث روحانية البقاء كما حققه صدر المتألهين قدس سره فمن إمعان النظر في قوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢] يستفاد تجرد النفس كما عرفت وفي قوله تعالى: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ يظهر الرزق الجسماني فتحصل منها الإشارة اللطيفة إلى أن الروح المجرد في عالم البرزخ يرتزق بالبدن المثالي والقالب البرزخي من النعم الروحانية والجسمانية.

ثم أنّه لا ريب إنّ هذه الآية الشريفة نازلة في حق الشهداء وأنهم أحياء بعد الموت في البرزخ وتدل على بقاء جميع الأرواح بعد الموت أيضاً ولا اختصاص لها بالشهداء ولمّا كان المقصود بيان حال الشهداء لقومهم من المؤمنين الباقين في الدنيا وإخبار عن حالهم بعد الموت وبيان ما يختص بهم من النعم خص الكلام بهم نظير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥] وإن كان عليماً بغيرهم أيضاً.

ومما هو جدير بالذكر إنّ القول بتجرد الروح عن عالم الأجسام والجسمانيات منقول عن اعاظم الحكماء والعرفاء ووافقهم من أكابر علماء الإسلام قدماء أصحابنا الإمامية رحمهم الله كابن بابويه والشيخ المفيد والسيد المرتضى علم الهدى وبني نوبخت حسب ما استفادوه من أئمتهم المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كما صرح به العلاّمة السيّد علي خان المدني رَحِمَهُ اللهُ في شرح الصحيفة واغلب علماء الإمامية قائلون بهذا القول إلاّ شرذمة من المحدثين والبراهين العقلية القاطعة على تجرد النفس كثيرة ولا سعة في المقام لذكرها وما نقله المصنف رَحِمَهُ اللهُ إنّ الشيخ المفيد قدس سره كان يقول بتجرد النفس فتاب إلى الله تعالى نقل عجيب لم يعلم مصدره ومستنده وأظنه من الاساطير فإنه ليس البحث في تجرد النفس وعدمه من الأمور الاعتقادية اللازمة ليكون الاعتقاد على خلاف أحد الطرفين ذنباً ويتوب الشيخ قدس سره من ذلك الذنب فمن هنا يعلم إنّ هذا النقل لا اعتماد عليه أصلاً وإن نقل ذلك غير المصنف رَحِمَهُ اللهُ أيضاً في كتابه ولعله أخذ عن المصنف فإنه متأخر عنه.

روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال أرواحنا تزور العرش في كلّ ليلة جمعة وتستفيد منه العلوم، ولولاه لنفد ما عندنا، وكما رواه الكليني قدس الله روحه بإسناده إلى العرني قال خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف بوادي السلام كأنّه يخاطب الأقوام، فقمت لقيامه حتّى عييت ثم جلست حتّى مللت وفعلت ذلك غير مرّة ثمّ عرضت على أمير المؤمنين عليه السلام الجلوس، فقال يا حبّة إن هو إلاّ محادثة مؤمن أو مؤنسته، ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً يتحادثون: فقلت أجسام أو أرواح فقال أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه الحقي بوادي السلام، وإنّها لبقعة من جنّة عدن. وفي سؤال الزنديق عن الصادق عليه السلام أخبرني الروح أغير الدم قال نعم الروح على ما وصفت لك، مادّتها من الدم فإذا جمد الدم فارق الروح البدن، قال فهل توصف بخفّة وثقل ووزن، قال الروح بمنزلة الريح في الزقّ فإذا نفخت فيه امتلأ الزقّ منها، فلا يزيد في وزن الزقّ ولوجها فيه ولا ينقصه خروجها منه، كذلك الروح ليس لها ثقل ولا وزن، وهذا الحديث كما لا يخفى ظاهر في عدم تجرّدها.

وروي أيضاً عن الصادق عليه السلام أنّ أرواح المؤمنين لفي شجرة في الجنّة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، وعنه أيضاً أنه عليه السلام قال إنّ الأرواح في صفة الأجساد في شجر في الجنّة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، فإذا قدمت الروح على الأرواح يقولون دعوها فإنّها أقبلت من هول عظيم ثمّ يسألونها، إلى غير ذلك من الأخبار المتضمّنة لتنعّم الروح وتعذيبها وسيرها من مكان إلى مكان وإقامتها وترفرفها فوق تابوت الميّت حتّى يجعل في القبر فتدخل فيه، وتأويل هذا بإرادة البدن المثاليّ الّذي تحلّ فيه في وقت ما في كلّ هذه الأوقات خلاف الظاهر(١) ونقل عن شيخنا المفيد رحمه الله أنّه كان يقول بتجرّد النفس فتاب إلى الله سبحانه وقال قد ظهر لنا أنّه لا مجرّد في الوجود إلاّ الله.

وأما تعلّقها بالبدن فقال الحكماء والمتكلّمون ليس هو تعلّقاً ضعيفاً يسهل زواله بأدنى سبب مع بقاء المتعلّق بحاله كتعلّق الجسم بمكانه وإلاّ لتمكنت النفس من مفارقة البدن بمجرد المشيئة من غير حاجة إلى أمر آخر، وليس أيضاً تعلقاً في غاية

(١) ظهور هذه الأخبار في أوصاف البدن المثالي مما لا شك فيه ولا تأويل في البين وليس على خلاف الظاهر وقول المصنف (البدن المثالي الّذي تحل فيه الخ) عجيب فإن الروح في البدن المثالي ليس بنحو الحلول ولا انفكاك بينهما أبداً وتفصيل الكلام في محله.

القوّة بحيث إذا زال التعلّق بطل المتعلّق مثل تعلّق الأعراض والصور الماديّة بمحالّها، لما ذهبوا إليه من أنّها مجرّدة بذواتها غنيّة عمّا تحل فيه، بل هو تعلّق متوسط بين بين كتعلّق الصانع بالآلات التي يحتاج إليها في أفعاله المختلفة وكتعلق العاشق بالمعشوق عشقاً جبلّيّاً إلهامياً فلا ينقطع ما دام البدن صالحاً لأن يتعلّق به النفس، ألا ترى أنّها تحبّه ولا تملّه مع طول الصحبة وتكره مفارقته، وذلك لتوقّف كمالاتها ولذاتها العقليّة والحسيّة عليه، فإنّها في مبدأ خلقتها خالية عن الصفات الفاضلة كلّها فاحتاجت إلى آلات تعينها على تلك الكمالات وتحتاج إلى أن تكون تلك الآلات مختلفة فيكون لها بحسب كلّ آلة فعل خاصّ حتّى إذا حاولت فعلاً خاصاً كالإبصار مثلاً التفت إلى العين فتقوى على الإبصار التامّ وكذا الحال في سائر الأفعال، ولو اتّحدت الآلات لاختلطت الأفعال ولم يحصل لها شيء منها على الكمال فإذا حصلت لها الإحساسات توصّلت منها إلى الإدراكات الكليّة ونالت حظّها من العلوم والأخلاق المرضية، وترقّت إلى لذّاتها العقليّة بعد احتظائها باللذّات الحسيّة فتعلّقها بالبدن على وجه التصرّف والتدبير كتعلّق العاشق في القوّة بل أقوى منه بكثير.

أقول: وبناءً على ما قاله الأجلّ علم الهدى وهو الأولى يكون تعلّقها بالبدن من باب تعلّق الأحوال بمحالّها.

واعلم أنّه قد ورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام تعدّد الأرواح، رواه جابر عن الباقر عليه السلام قال خمسة أرواح في المقرّبين: روح القدس وبه علموا جميع الأشياء وروح الإيمان وبه عبدوا الله، وروح القوّة وبه جاهدوا العدو وعالجوا المعاش، وروح الشّهوة وبه أصابوا لذّة الطعام والنّكاح، وروح البدن وبه يدبّون ويدرجون، وأربعة لأصحاب اليمين لفقد روح القدس منهم، وثلاثة لأصحاب الشمال لفقد روح الإيمان منهم، وعلى هذا نزّل ما روي عنه عليه السلام لا يزني الزاني وهو مؤمن وذلك أن روح الإيمان تخرج من بدنه إلى أن يفرغ فإن عاد إلى التوبة عادت تلك الروح إلى بدنه وإلاّ فارقته، وكذا معنى لا يسرق السارق وهو مؤمن، وما روي من أن المؤمن لا يكذب كلّه منزّل على هذا فإنّ روح الإيمان تفارقه حال صدور الذنب منه، فإذا رجع رجعت كما ورد في الروايات وإذا نام لم تفارقه روح الحياة وإن فارقه غيرها كما سيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى في نور المنام.

إذا عرفت هذا اعلم أن قدماء الحكماء قالوا إنّ للحيوانات نفوساً ناطقة مجرّدة،

وهو مذهب الشيخ المقتول، وقد صرح الشيخ الرئيس في جواب أسئلة بهمنيار أن الفرق بين الإنسان والحيوانات في هذا الحكم مشكل، وقال القيصري في شرح فصوص الحكم ما قال المتأخّرون من أن المراد بالنطق إدراك الكليّات لا التكلّم، مع كونه مخالفاً لوضع اللّغة لا يفيدهم لأنّه موقوف على أن النفس الناطقة المجرّدة للإنسان ولا دليل لهم على ذلك ولا شعور لهم بأنّ الحيوانات ليس لها إدراك الكليّات والجهل بالشيء لا ينفي وجوده، وإمعان النظر فيما يصدر عنها من العجائب يوجب أن يكون لها إدراك الكليّات انتهى، وكلام القيصري يعطي أن مراد المتقدّمين بالنطق هو المعنى اللغوي وبذلك صرّح أبو عليّ بن سينا.

نور ميثاقي يشتمل على التكليف الأول

اعلم أن الأخبار قد استفاضت بل تواترت بأنّ هذه الأرواح قبل دخولها في هذه الأجسام قد حصل لها نوع من التكليف الإلهيّ لمّا كانت في عالم الملكوت، وقد أخذ الله سبحانه عليها العهود المكرّرة والمواثيق المغلّظة بأنّه ربّ وواحد لا شريك له فأقرّوا عموماً، وأمّا الإقرار بالولاية لعليّ عليه السلام وأهل بيته ففي أحد المواثيق، ولعلّه الميثاق الأوّل وهي أرواح خالصة قبل أن تباشر الذرّات قد أقرّت وأذعنت، ومن ثمَّ قال عليه السلام قد أخذ الله ولاية الأئمّة عليهم السلام على النّاس من يوم العهد والميثاق، وفي أحد المواثيق قد أنكرت ولم تبادر إلى القبول فمن ثمَّ كانت السعادة والشقاوة من هناك، ومن هذا قال سيّد الموحّدين عليه السلام إن الله سبحانه قد كتب أسامي شيعتنا وأسامي آبائهم وأمّهاتهم من وجد منهم ومن لم يوجد إلى يوم القيامة بصحيفة، وتلك الصحيفة عندنا، وكانت الكتابة في ذلك الميثاق وهذه الصحيفة الآن بعدما توارثها الأئمّة عليهم السلام انتهت نوبتها إلى مولانا صاحب الزمان عليه السلام فهي الآن عنده؛ وكان إذا أتى رجل إلى علي عليه السلام وقال له أنا شيعتك كذّبه عليّ عليه السلام وقال لست أرى لك اسماً في صحيفة الشيعة، فيكون ذلك الرجل مدّعياً وكان بعض خواصّ الشيعة إذا دخل على الصادق عليه السلام رآه يتصفّح كتاباً فيسأله عنه، فيقول هذا الكتاب الّذي فيه أسماء شيعتي إلى يوم القيامة، فيقول عليه السلام: أتحبّ أن ترى اسمك واسم أبيك فيقول نعم، فيطلعه عليه وهذا لا يكون من الأرواح إلاّ من بعد ما أعطاها الله سبحانه نوعاً من الفهم والشعور تفهم به معنى التكليف والثواب والعقاب، لأنّه صار ذلك التكليف الأولي مناطاً لأكثر أحكام هذا التكليف الأُخرى.

روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى ابن أُذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنّا

جلوساً عنده فذكرنا رجلاً من أصحابنا فقلنا فيه حدة، فقال من علامة المؤمن أن يكون فيه حدة، قال فقلنا له إن عامة أصحابنا فيهم حدة، فقال إنّ الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم أمر أصحاب اليمين وأنتم هم أن يدخلوا النّار فدخلوها فأصابهم وهج فالحدة من ذلك الوهج، وأمر أصحاب الشمال وهم مخالفونا أن يدخلوا النّار فلم يفعلوا فمن ثمَّ لهم سمت ولهم وقار والآيات والأخبار دالّة على أخذ الميثاق في العالم الأوّل(١).

أمّا الآيات فقال عزّ من قائل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣]، قال أكثر المفسّرين معناه أنّ الله تعالى أخرج ذرّية آدم من صلبه كهيئة الذرّ فعرضهم على آدم فقال إنّي آخذ على ذرّيّتك ميثاقهم أن

(١) قال صدر المتألهين قدس سره في كتابه المشاعر ما هذا لفظه: (ونقل الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب المقالات من كتاب نوادر الحكمة لبعض علمائنا الإمامية أصحاب التوحيد رضي الله عنهم مستنداً إلى ليث بن أبي سليم عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أُسري به إلى السّماء السابعة ثم أهبط إلى الأرض يقول لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه يا علي إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه فخلقني وخلق روحي من نور جماله (وخلقك روحين من نور جلاله خ ل) فكنا أمام عرش ربّ العالمين نسبح الله ونحمده ونهلله وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرض فلمّا أراد أن يخلق آدم خلقني وإياك من طينة عليين وعجن (عجنت خ ل) بذلك النور وغمسنا في جميع الأنهار وأنهار الجنّة ثم خلق آدم واستودع صلبه تلك الطينة والنور فلمّا خلقه واستخرج ذريته من ظهره فاستنطقهم وقررهم بربوبيته فأول ما خلق الله وأقر له بالعدل والتوحيد أنا وأنت والنبيون على قدر منازلهم وقربهم من الله تعالى، في حديث طويل) انظر إلى كتاب المشاعر ط طهران ص ٩٢ سنة (١٣١٥هـ. ق وقال صدر المتألهين رحمه الله بعد نقل هذا الحديث): (فظهر من هذه النقول بعد شهادة البرهان للعقول أن للأرواح كينونة سابقة على عالم الأجسام).
قوله في هذا الحديث: في جميع الأنهار وأنهار الجنّة المراد منها هو العلوم الحقة والغمس فيها هو جعل استعداد جميعها قوله واستودع صلبه تلك الطينة أي جعل استعداد ظهور تلك الطينة والنور من نسله فيه قوله واستخرج ذريته من ظهره لعل المراد باستخراجها من ظهره هو مشاهدته إياها في العالم العقلي وتميزها عنده عند اتصاله به وكون العالم العقلي ظهراً له وجهه ظاهر. قوله فاستنطقهم وقررهم أي بلسان عقلي لائق بذلك العالم كذا ذكر بعض المحشّين لكتاب المشاعر انظر إلى شرح تمام الحديث في هامش المشاعر صفحة (٩٣).

يعبدوني ولا يشركوا بي شيئاً وعليَّ أرزاقهم، ثمَّ قال الست بربّكم قالوا بلى شهدنا أنّك ربّنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا، وقيل إنّ الله تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمونه، ثمّ ردّهم إلى صلب آدم والناس محبوسون بأجمعهم حتّى يخرج كلّ من أخرجه في ذلك الوقت وكلّ من ثبت على الإسلام فهو على الفطرة الأولى ومن كفر وجحد فقد تغيّر عن الفطرة الأولى، وفي بعض الأخبار المعتبرة أنّ الخطاب هكذا «ألست بربّكم ومحمد نبيّكم وعليّ إمامكم» قالوا: بلى فحذفوا تمام الآية، كما تصرّفوا في غيره من الآيات[1] فيكون هذا الميثاق ممّا أقرّوا فيه أيضاً بولاية الأئمّة عليهم السلام فيكون عدم القبول لها في ميثاق آخر جمعاً بين الأخبار.

واعلم أن تأويل الآية على هذا المذكور مما دلّت عليه الأخبار النقيّة السند وذهب إليه جمع كثير من المفسّرين، وقد ردّه المرتضى طاب ثراه وشيخنا الطبرسي رحمه الله قالوا إن الله سبحانه قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولم يقل من آدم، وقال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولم يقل من ظهره، وقال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولم يقل ذرّيته، ثم أخبر تعالى بأنّه فعل ذلك لئلا يقولوا إنّهم كانوا عن ذلك غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وأنّهم نشأوا على دينهم، وهذا يقتضي أن يكون لهم آباء مشركون فلا يتناول ولد آدم لصلبه وأيضاً فإن هذه الذرّية المستخرجة من صلب آدم لا يخلو إمّا أن يكون قد جعلهم الله عقلاء أو لم يجعلهم كذلك فإن لم يجعلهم عقلاء فلا يصحّ أن يعرفوا التوحيد وأن يفهموا خطاب الله تعالى، وإن جعلهم عقلاء وأخذ عليهم الميثاق فيجب أن يتذكّروا ذلك ولا ينسوه، لأنّ أخذ الميثاق لا يكون حجّة على المأخوذ عليه إلاّ أن يكون ذاكراً له فيجب أن نذكر نحن الميثاق، ولأنه لا يجوز أن ينسى الجمع الكثير من العقلاء شيئاً كانوا عرفوه وميّزوه حتّى لا يذكره واحد منهم إلى غير ذلك من الاعتراضات الظاهرة الدفع التي لا ينبغي أن تذكر في معارضة خبر من الأخبار فارتكبوا في تأويل الآية معنى آخر، وهو أنّه سبحانه أخرج بني آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام أمّهاتهم ثمَّ

---

(١) وقد ذكرنا سابقاً إنّ القرآن الّذي انزله الله تعالى على رسوله وجعله معجزة باقية له إلى يوم القيامة لم يقع فيه حذف وتصرف وتحريف ونقصان فما ذكره المصنف رحمه الله هنا أيضاً مبني على مسلك أصحاب الحديث وجري على طريقة الأخباريين التي لا يعبأ بها انظر صفحة ١٠١ من هذا الكتاب.

رقّاهم درجة درجة علقة ثمّ مضغة ثمّ أنشأ كلاً منهم بشراً سوياً ثم حيّاً مكلّفاً وأراهم آثار صنعته ومكنهم من معرفة دلائله حتّى كأنه أشهدهم وقال لهم ألست بربّكم قالوا بلى، فعلى هذا يكون معنى ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] دلّهم بخلقه على توحيده، وإنّما أشهدهم على أنفسهم بذلك لما جعله في عقولهم من الأدلّة على وحدانيته وركّب فيهم من عجائب خلقته وغرائب صنعته وفي غيرهم، فكأنّه سبحانه بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الّذي أراده الله، وتعذّر امتناعهم منه بمنزلة المعترف المقرّ وإن لم يكن هناك إشهاد صورة وحقيقة، والعجب أن هذا المعنى مع احتياجه إلى التأويل في كلّ ظواهر لفظ الآية ومع عدم اعتضاده بخبر يدلّ عليه كيف خرّجوا عليه وأهملوا ذلك المعنى الأول مع تظافر دلالة الأخبار عليه وكلام المفسّرين، ومن هذا ذهب أبو الهذيل في كتاب الحجّة أن الحسن البصري وأصحابه كانوا يذهبون إلى أنّ نعيم الأطفال في الجنّة ثواب عن إيمانهم في الذر.

وأمّا الأخبار فمنها ما رواه شيخنا الكليني طاب ثراه بسند صحيح عن حبيب السجستاني قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أخرج ذرّيّة آدم من ظهره ليأخذ عليهم، الميثاق بالربوبيّة له وبالنبوّة لكلّ نبيّ فكان أوّل من أخذ عليهم الميثاق بنبوّته محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، ثم قال الله عزّ وجلّ لآدم انظر ما ترى قال فنظر آدم عليه السلام إلى ذريّته وهم ذرّ قد ملأوا السماء، قال آدم عليه السلام: يا ربّ ما أكثر ذريّتي ولأمر ما خلقتهم، فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ قال الله عزّ وجلّ: يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ويؤمنون برسلي ويتبعونهم، قال آدم يا ربّ فما لي أرى بعض الذرّ أعظم من بعض وبعضهم له نور كثير وبعضهم له نور قليل وبعضهم ليس له نور، فقال الله عزّ وجلّ كذلك خلقتهم لأبلوهم في كلّ حالاتهم قال آدم يا ربّ أفتأذن لي في الكلام فأتكلّم قال الله عزّ وجلّ تكلّم فإنّ روحك من روحي وطبيعتك خلاف كينونتي، قال آدم يا ربّ فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وطبيعة واحدة وجبلّة واحدة وألوان واحدة وأعمار واحدة وأرزاق سواء لم يبغ بعضهم على بعض ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الأشياء.

قال الله تعالى يا آدم بروحي نطقت وبضعف قوّتك تكلّفت ما لا علم لك به وأنا الخالق العليم بعلمي خالفت بين خلقهم وبمشيئتي يمضي فيهم أمري وإلى تدبيري وتقديري صائرون لا تبديل لخلقي، إنّما خلقت الجن والإنس ليعبدوني وخلقت

الجنّة لمن عبدني وأطاعني منهم واتّبع رسلي ولا أُبالي، وخلقت النّار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أُبالي، وخلقتك وخلقت ذريّتك من غير حاجة بي إليك وإليهم وإنّما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيّكم أحسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم، فلذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنّة والنار، وكذلك أردت في تقديري وتدبيري وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم وألوانهم، وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقي والسعيد والبصير والأعمى والقصير والطويل والجميل والذميم، والعالم والجاهل والغني والفقير والمطيع والعاصي، والصحيح والسقيم ومن لا عاهة به، فينظر الصحيح إلى الّذي به العاهة فيحمدني على عافية وينظر الّذي به العاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألني أنّ أُعافيه ويصبر على بلائي فاثيبه جزيل عطائي، وينظر الغني إلى الفقير فيحمدني ويشكرني وينظر الفقير إلى الغني فيدعوني ويسألني وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السرّاء والضرّاء وفيما أُعافيهم وفيما أبتليهم وفيما أعطيهم وفيما أمنعهم، وأنا الله الملك القادر ولي أن امضي جميع ما قدّرت على ما دبّرت ولي أن أغيّر من ذلك ما شئت إلى ما شئت، وأقدّم من ذلك ما أخّرت وأُؤخّر ما قدّمت من ذلك وأنا الله الفعّال لما أريد لا اسأل عمّا أفعل وأنا أسأل خلقي عمّا هم فاعلون.

وفي قوله سبحانه ولي أن أغيّر من ذلك ما شئت إشارة إلى أنّه لا يجوز لك أن تقول إنّ الأمر قد فزغ منه كما قالته اليهود وتابعهم جمهور المخالفين من حيث لا يشعرون فإنه سبحانه خلقهم على ما رآه آدم عليه السلام ولكن الله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب وسيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى في نور الآجال والأعمار، وفي الروايات أن تكليف أهل الشمال بدخول النّار قد وقع مراراً كثيرة، قال الصادق عليه السلام في حديث طويل: لمّا أراد أن يخلق آدم خلق (تلك خ) تينك الطينتين ثمَّ فرقهما فرقتين، فقال لأصحاب اليمين كونوا خلقاً بإذني فكانوا خلقاً بمنزلة الذرّ يسعى، وقال لأهل الشمال كونوا خلقاً فكانوا خلقاً بمنزلة الذرّ يدرج؛ ثمَّ رفع لهم ناراً فقال لهم ادخلوها بإذني فكان أول من دخلها محمّد صلى الله عليه وآله ثمَّ اتبعه أُولوا العزم من الرسل وأوصياؤهم واتباعهم، ثمَّ قال لأصحاب الشمال ادخلوها بإذني فقالوا ربّنا خلقتنا لتحرقنا فعصوا فقال لأصحاب اليمين اخرجوا بإذني من النّار فخرجوا لم تكلم النّار منهم كلماً ولم تؤثّر فيهم أثراً، فلمّا رآهم أصحاب الشمال قالوا ربّنا نرى

أصحابنا قد سلموا فأقلنا ومرنا بالدخول، قال قد أقلتكم فادخلوها فلمّا دنوا وأصابهم الوهج رجعوا فقالوا يا ربّنا لا صبر لنا على الاحتراق، فعصوا فأمرهم بالدخول ثلاثاً كلّ ذلك يعصون ويرجعون، وأمر اولئك ثلاثاً كلّ ذلك يطيعون ويدخلون ويخرجون، فقال لهم كونوا طيناً بإذني فخلق منه آدم، قال فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء - الحديث، وفيه دلالة على أنّ هذا التكليف للأرواح المتعلقة بالذّرات قبل أن يخلق الله آدم، فلمّا كلّفها وتبيّن حالها جمعها وخلق منها آدم وطينته.

وأمّا أخذ العهد والميثاق عليهم بقوله: ألست بربّكم فالّذي يظهر من الحديث السابق أنّه قد وقع بعد هذا التكليف وبعد أن خلق آدم وصوّره، فأخرج تلك الذرّات من ظهره وعلّق بها الأرواح فأخذ عليها العهد والميثاق، ولا تستبعد مثل هذا بأنّ بدن آدم عليه السلام وحده كيف صار معدناً لكل ذرّات ذراريه، لأنك قد تحققت كبر بدنه المبارك وعظمه وأنّ رجليه كانتا على الصفا ورأسه في باب من أبواب السماء[1] مع

---

(١) يلزم لمن أخذ الجمود في هذه المباحث الغامضة أعني البحث في مسألة الميثاق والذر وأمثالها طريقاً لنفسه أن يتفوه بأمثال هذه الكلمات العجيبة وللشيخ المفيد قدس سره في استنطاق ذرية آدم في الذر تحقيقات في المسائل السروية ينبغي ملاحظتها انظر إلى شرح اعتقادات الصدوق ذيل صفحة ٣٤ - ٣٥ ط ٢ تبريز، وانظر أيضاً إلى رسالة: (فلسفة الميثاق والولاية) لسيدنا الإمام السيّد شرف الدين العاملي قدس سره المطبوعة بمطبعة العرفان - صيدا، ألفها في جواب سؤال حضرة صديقنا العلاّمة المتضلع الشهير الحاج ميرزا عباسقلي الواعظ الجرندابي دام بقاؤه عن مسألة الميثاق والولاية.

وللفيلسوف الرباني صدر المتألهين قدس سره كلام في كتابه العرشية ينبغي هنا نقله قال رحمه الله ما هذا لفظه: (للنفس الادمية كينونة سابقة على البدن من غير لزوم التناسخ ولا استيجاب قدم النفس كما اشتهر عن افلاطون ولا تعدد أفراد نوع واحد وامتيازها عن غير مادة واستعداد ولا صيرورة النفس منقسمة بعد وحدتها كالمقادير المتصلة ولا تعطيلها قبل الأبدان بل كما بيّنّا دليله وأوضحنا سبيله في حواشي حكمة الاشراق بما لا مزيد عليه وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، وقوله عليه السلام: الأرواح جنود مجندة الحديث، ثم نقل عدة من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ثم قال: والروايات في هذا الباب من طريق أصحابنا لا تحصى كثرة حتّى إنّ كينونة الأرواح قبل الأجساد كأنها من ضروريات مذهب الإمامية رضوان الله عليهم) انظر العرشية ص ١٣٦ ط طهران مع المشاعر وقد شرح العرشية العلاّمة الحكيم الإلهي المولى إسماعيل الأصفهاني رحمه الله وكشف في ذلك الشرح النفيس عن عثرات بعض الشارحين وهفواته في =

أن الذرّات في غاية الصغر والحقارة، وفي هذا إشارة لطيفة إلى أن من كان أعظم أحواله وأحسنها كونه ذرّة لم يحسن منه التجبّر والكبرياء وعدم امتثال الأوامر والنواهي، فكيف تسأل عن أحواله الأُخرى وهي كونه تارة منيّاً وأخرى دماً ولحماً ثمَّ يتدرّج من النجاسة ويترقّى إلى أن يكون ظرفها ومعدنها ثمَّ يصير إلى حالة نجاسته الأولى ويجب على كلّ من مسّه ولاقاه أن يغتسل من مباشرته فهو أسوء حالاً من الكلب، ومن هذا قال عليه السلام يا بن آدم أنى لك الكبر والفخر فإن أوّلك جيفة وآخرك جيفة وفيما بينهما حامل الجيف، والإقرار بالربوبيّة لمّا استسهلوه لعدم النّار والتكليف فيه أقرّوا به ولمّا أراد سبحانه امتحانهم أمرهم بما فيه كلفة فصاروا من هناك فرقتين بالاختيار والعلم والعقل والتكليف كما في أحوال هذه النشأة، وهذه العهود التي أُخذت على الخلائق قد أودعها الله سبحانه الحجر الأسود.

وفي الروايات عن الطاهرين عليهم السلام أنّ الله عزّ وجلّ لما أخذ الميثاق له بالربوبيّة ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليّ عليه السلام بالوصيّة اصطكت فرائص الملائكة وأوّل من أسرع إلى الإقرار بذلك الحجر فلذلك اختاره الله عزّ وجلّ وألقمه الميثاق، وهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناظرة يشهد لكل من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق، وإنّما أُخرج الحجر من الجنّة ليذكر آدم عليه السلام ما نسي من العهد والميثاق وفي الرواية أيضاً أنّه إنّما يقبّل الحجر ويستلم ليؤدّي إلى الله عزّ وجلّ العهد الّذي أخذ عليهم في الميثاق، وإنّما وضع الله عزّ وجلّ الحجر في الركن الّذي هو فيه ولم يضعه في غيره لأنه تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق أخذه في ذلك المكان.

أقول: معنى هذا والله العالم أنّه قد ورد في الروايات السابقة أنّ الركن كان كرسياً لآدم عليه السلام في الجنّة يجلس عليه والحجر قد كان فيه وهو في الجنّة وفي وقت أخذ الميثاق فلمّا أنزلهما الله سبحانه إلى بيته بقيا على ما كانا عليه وهما في الجنّة، وكان عمر إذا قبّل الحجر قال: إنّي لأعلم أنّك حجر لا تضر ولا تنفع، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله قبّلك فأُقبّلك لتقبيله إياك، فلمّا بلغ كلامه إلى عليّ عليه السلام كذّبه وقال إنّ هذا الحجر ملك عظيم المحلّ يشهد يوم القيامة لمن صافحه، ومن هنا ورد أنّه إذا استلم الحجر قال أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة - الدعاء.

= كلماته التي هي اشبه بالنسيج فراجع ثم اعلم على نحو الاجمال أن كون الأرواح مفطورة على التوحيد مما لا إشكال فيه بشهادة الآيات والروايات وهذه الفطرة ليست بمكتسبة من الأجسام بل هي قبل تجسمها وتجسدها في عالم الطبيعة وتنزلها فيها فللأرواح كينونة سابقة على الأجساد فراجع الروايات وتأمل تفهم.

وفي الرواية أيضاً إنّما يستلم الحجر لأنّ مواثيق الخلائق فيه، وكان أشد بياضاً من اللبن فاسودّ من خطايا بني آدم، ولولا ما مسّه من أرجاس الجاهليّة ما مسّه ذو عاهة إلّا برئ. وأمّا التنافر والألفة في هذا العالم فهما مسبّبان عنهما في ذلك العالم، ومن هذا قال الصادق عليه السلام لم تتواخوا على هذا الأمر وإنّما تعارفتم عليه يعني به كما قال المحدّثون رضوان الله عليهم إنكّم لم تتواخوا على أمر الدين أيّها الشيعة في هذا العالم بل الله سبحانه هو الّذي آخى بينكم في عالم الأرواح، وأنتم في هذا العالم تجددون تلك الأُخوّة والمحبّة وتتعارفون. وقد روي أنّه سئل الصادق عليه السلام فقيل له يا ابن رسول الله إنّي أرى الرجل في النظرة الأولى لم أره قبل ذلك فيميل قلبي إليه وأُحبّه من تلك الساعة، وأظن أنّي رأيته قبل ذلك وأقول لا أدري أين رأيت هذا الرجل؛ وبعض النّاس أُعاشره وأُجاوره مدّة مديدة من العمر وكلّما رأيته كأنّي غريب منه وهو غريب مني لعدم الألفة.

فأجاب عليه السلام بما حاصله أنّ الأرواح قد توافقت وائتلفت في العالم الأول وتناكرت واختلفت فيه أيضاً، ونسيت أحوال ذلك العالم بما حصل لها من الاشتغال بعلائق هذه الأبدان لكن إذا نظرت إلى من ألفته في العالم القديم تشوّقت إليه وعرفته معرفة ما ومالت بالألفة إليه، وإذا رأت من تناكرت معه في ذلك العالم لم تنعطف عليه في هذا العالم، ولو خالطته المخالطة التامّة والمعاشرة الطويلة، ومن هذا ما وقع في الأخبار الخاصّة في سبب الحزن والفرح من غير سبب يعرفه الإنسان وحاصله كما قال عليه السلام أنّ الإنسان يكون له أخ ومحبّ بعيد عنه ويصل إليه أسباب الحزن والفرح على بعده والروح من ههنا يصير لها نوع من الاطّلاع على حزن ذلك الأخ البعيد وفرحه فتفرح وتحزن في مكانها والسبب غير معروف في الظاهر، ومن ثمَّ إذا كان لبعض الأرواح علاقة شديدة مع البعض الآخر يكون الحزن والموت الّذي يحيط بتلك النفس البعيدة معلوماً بالمنام أو غيره لهذه النفس فإذا ضبط التاريخ كان وقت الاطّلاع هنا موافقاً لوقت الوقوع هناك، وله أسباب أُخرى أيضاً يأتي بيانها في نور الفرح والسرور إنّ شاء الله تعالى والدالّ على ذلك كله قوله صلى الله عليه وآله وسلم الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وهذا حديث مستفيض رواه العامّة والخاصّة وجعلوه هو المراد من هذه المقالة.

قال ابن الأثير مجنّدة أي مجموعة كما يقال ألوف مؤلّفة ومعناه الإخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدّمها على الأجساد أنّها خلقت أوّل خلقها على قسمين من ائتلاف

واختلاف كالجنود المجموعة إذا تقابلت وتواجهت، ومعنى تقابل الأرواح ما جعل الله لها من السعادة والشقاوة والأخلاق في مبدأ الخلق، يقول إنّ الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا وتأتلف وتختلف على حسب ما خلقت عليه، ولهذا ترى الخيّر يحبّ الأخيار ويميل إليهم، والشرير يحبّ الأشرار ويميل إليهم.

وروي عن الباقر عليه السلام قال إنّ العباد إذا ناموا خرجت أرواحهم إلى السّماء فما رأت الأرواح في السّماء فهو الحقّ وما رأت في الهواء فهو الأضغاث، ألاّ وإن الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فإذا كانت الروح في السّماء تعارفت وتباغضت فإذا تعارفت في السّماء تعارفت في الأرض، وإذا تباغضت في السّماء تباغضت في الأرض وحيث عرفت مثل هذا فلا بأس بمعرفة أحوال الطينة لأنّها مناط فوائد كثيرة.

نور طيني يكشف عن أحوال طينة المؤمن وغيره

اعلم أن الله سبحانه بمقتضى حكمته خلق طينة المؤمن من أعلى علّيين وهو أعلى مكان في الجنّة وطينة الكافر وهو غير المؤمن من سجّيل وهي أسفل مكان في النّار لكنه خلط بين الطينتين لمصالح كثيرة، روى الصدوق قدس الله روحه في آخر كتاب علل الشرائع مسنداً إلى أبي إسحاق الليثي قال قلت لأبي جعفر عليه السلام يا ابن رسول الله أخبرني عن المؤمن المستبصر إذا بلغ في المعرفة وكمل هل يزني؟ قال اللهمَّ لا قلت فيلوط قال اللهمَّ لا قلت فيسرق قال اللهمَّ لا قلت فيشرب الخمر قال لا قلت فيأتي كبيرة من هذه الكبائر أو فاحشة من هذه الفواحش قال لا قلت فيذنب ذنباً قال نعم هو مؤمن مذنب ملمّ قلت ما معنى ملمّ قال الملمّ بالذنب الّذي لا يلزمه ولا يصرّ عليه، قال فقلت سبحان الله ما أعجب هذا لا يزني ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتي كبيرة من الكبائر ولا فاحشة فقال لا عجب من أمر الله إن الله عزّ وجلّ يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فمّم عجبت يا إبراهيم سل ولا تستحسر ولا تستنكف، فإنّ هذا العلم لا يتعلمه مستكبر ولا مستحسر قلت يابن رسول الله إنّي أجد من شيعتكم من يشرب ويقطع الطريق ويخيف السبيل ويزني ويلوط ويأكل الربى ويرتكب الفواحش، ويتهاون بالصّلاة والصّيام والزّكاة ويقطع الرحم ويأتي بالكبائر فكيف هذا ولم ذاك؟ فقال يا إبراهيم وهل يختلج في صدرك شيء غير هذا قلت نعم يابن رسول الله أُخرى أعظم من ذلك، فقال ما هي يا أبا إسحاق؟ قال فقلت يابن رسول الله وأجد من أعدائكم ومن ناصبيكم من يكثر من

الصّلاة ومن الصّيام ويخرج الزّكاة ويتابع بين الحجّ والعمرة، ويحرص على الجهاد ويصل الأرحام ويقضي حقوق إخوانه ويواسيهم من ماله، ويتجنّب شرب الخمر والزنا واللواط وسائر الفواحش فممّ ذاك فسّره لي يا ابن رسول الله، وبرهنه وبيّنه فقد والله كثر فكري وأسهر ليلي وضاق ذرعي، فتبسّم الباقر عليه السلام ثمَّ قال خذ إليك يا إبراهيم بياناً شافياً فيما سألت، وعلماً مكنوناً من خزائن علم الله وسرّه، أخبرني يا إبراهيم كيف تجد اعتقادهما قلت يابن رسول الله إني أجد محبّيكم وشيعتكم على ما هم فيه ممّا وصفته من أفعالهم لو أُعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّة لأن يزول عن ولايتكم ومحبّتكم إلى موالاة غيركم وإلى محبّتهم ما زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيكم ولو قتل فيكم، ولا ارتدع ولا رجع عن محبّتكم وولايتكم وأرى الناصب على ما هو عليه ممّا وصفته من أفعالهم لو أُعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّة لأن يزول عن محبّة الطواغيت وموالاتهم إلى موالاتكم. ما فعل ولا زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم ولو قتل فيهم ما ارتدع ولا رجع، وإذا سمع أحدهم منقبة لكم وفضلاً اشمأزّ من ذلك وتغيّر لونه ويرى كراهية ذلك في وجهه بغضاً لكم ومحبّة لهم، قال فتبسّم الباقر عليه السلام ثمَّ قال يا إبراهيم من ههنا هلكت العاملة الناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية، ومن أجل ذلك قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ويحك يا إبراهيم أتدري ما السبب والقصّة في ذلك وما الّذي قد خفي على النّاس منه، قلت يابن رسول الله فبيّنه لي واشرحه وبرهنه؛ قال يا إبراهيم إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا من شيء، ومن زعم أن الله عزّ وجلّ خلق الأشياء من شيء فقد كفر لأنّه لو كان ذلك الشيء الّذي خلق منه الأشياء قديماً معه في أزليّته وهويّته كان ذلك الشيء أزلياً، بل خلق عزّ وجلّ الأشياء كلّها لا من شيء وممّا خلق الله عزّ وجلّ أرضاً طيّبة ثمَّ فجر منها ماءً عذباً زلالاً فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام ثمَّ طبقها وعمّها ثمَّ نضب ذلك الماء عنها فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمّة عليهم السلام ثمَّ أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ولو ترك طينكم يا إبراهيم على حاله كما ترك طيننا لكنتم أنتم ونحن شيئاً واحداً، قلت يابن رسول الله فما فعل بطيننا، قال أُخبرك يا إبراهيم خلق الله عزّ وجلّ بعد ذلك أرضاً سبخة خبيثة منتنة ثمَّ فجر منها ماءً أُجاجاً آسناً مالحاً فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فلم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام ثم طبقها وعمّها، ثمَّ نضب ذلك الماء عنها، ثمَّ أخذ عصارة ذلك الطين

فخلق منه الطغاة وأئمّتهم ثمَّ مزجه بثفل طينتكم ولو ترك طينهم على حاله ولم يمزجه بطينكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلّوا ولا صاموا ولا زكّوا ولا حجّوا ولا أدّوا أمانة ولا أشبهوكم في الصور وليس على المؤمن أكره من أن يرى صورة عدوه مثل صورته، قلت يابن رسول الله فما صنع بالطينتين؟ قال مزج بينهما بالماء الأول والماء الثاني ثمَّ عركها عرك الأديم.

ثمَّ أخذ من ذلك قبضة فقال هذه إلى الجنّة ولا أبالي، وأخذ قبضة أُخرى وقال هذه إلى النّار ولا أُبالي، ثمَّ خلط بينهما فوقع من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته، ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته، فما رأيته من شيعتنا من زنا، ولواط، وترك صلاة، أو صيام أو حجّ، أو جهاد أو خيانة، أو كبيرة من هذه الكبائر فهو من طينة الناصب وعنصره الّذي قد مزج فيه لأنّ من سنخ الناصب وعنصره وطينته اكتساب المآثم والفواحش والكبائر، وما رأيت من الناصب ومواظبته على الصّلاة والصيام والزكاة، والحجّ، والجهاد، وأبواب البرّ، فهو من طينة المؤمن وسنخه الّذي قد مزج فيه، لأنّ من سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات، استعمال الخير واجتناب المآثم فإذا عرضت هذه الأعمال كلّها على الله عَزَّوَجَلَّ قال أنا عدل لا أجور ومنصف لا أظلم وحكم لا أحيف ولا أميل ولا أشطط، ألحقوا الأعمال السيّئة التي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته، وألحقوا الأعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته، ردّوها كلّها إلى أصلها فإنّي أنا الله لا إله إلّا أنا عالم السرّ وأخفى، وأنا المطلع على قلوب عبادي لا أحيف ولا أظلم ولا أُلزم أحداً إلاّ ما عرفته منه قبل أن أخلقه، ثمَّ قال الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ اقرأ هذه الآية، قلت يابن رسول الله أية آية، قال قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩] هو في الظاهر ما تفهمونه وهو في الباطن هذا بعينه يا إبراهيم إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً ومحكماً ومتشابهاً وناسخاً ومنسوخاً ثمَّ قال أخبرني يا إبراهيم عن الشمس[1] إذا طلعت وبدا شعاعها في البلدان أهو بائن من القرص، قلت في حال طلوعه بائن قال

(١) المراد والله اعلم أن شعاع الشمس بعد طلوعها وارتفاعها يبين وينفصل من قرصها ويصل إلى الأقطار والبلدان فإذا غابت يتصل الشعاع بها ويغيب معها كذلك طينة الناصب مع سيئاته وأوزاره تنفصل عن المؤمن بعد الموت والمغيب عن الدنيا وتعود إلى الناصب، وطينة المؤمن مع حسناته وأبواب بره وخيره تنفصل عن الناصب وتعود إلى المؤمن (منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى).

أليس إذا غابت الشمس اتّصل ذلك الشعاع بالقرص حتّى يعود إليه، قلت نعم قال كذلك يعود كلّ شيء إلى سنخه وجوهره وأصله، فإذا كان يوم القيامة نزع الله سنخ الناصب وطينته مع أثقاله واوزاره من المؤمن، فيلحقها كلّها بالناصب وينزع سنخ المؤمن وطينته مع حسناته وأبواب برّه واجتهاده من الناصب، فيلحقها كلّها بالمؤمن أفترى ههنا ظلماً أو عدواناً، قلت لا يابن رسول الله قال هذا والله القضاء الفاصل، والحكم القاطع، والعدل البيّن، لا يسأل عمّا يفعل، وهم يسألون، هذا يا إبراهيم الحقّ من ربّك فلا تكن من الممترين.

قال الليثي فقلت يابن رسول الله ما أعجب هذا تؤخذ حسنات اعدائكم فتردّ على شيعتكم وتؤخذ سيئات محبّيكم فترد على مبغضيكم، قال إي والله الّذي لا إله إلاّ هو فالق الحبة وبارئ النسمة وفاطر الأرض والسماء، ما أخبرتك إلاّ بالحقّ ولا أنبأتك إلاّ بالصدق، وما ظلمهم الله وما الله بظلاّم للعبيد وإن ما أخبرتك به لموجود في القرآن كلّه، قلت هذا بعينه يوجد في القرآن، قال نعم يوجد في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن، أتحبّ أن أقرأ ذلك عليك، قلت بلى يا ابن رسول الله، فقال قال الله عزّوجلّ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢-١٣] الآية، قال أزيدك يا إبراهيم قلت بلى يابن رسول الله قال: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥] أتحب أن أزيدك قلت بلى يابن رسول الله قال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات ويبدل الله حسنات أعدائنا سيئات وجلال الله ووجه الله إنّ هذا لمن عدله وإنصافه لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه وهو السّميع العليم.

أُلم أبيّن لك أمر المزج والطينتين من القرآن؟ قلت بلى يابن رسول الله قال اقرأ يا إبراهيم ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النجم: ٣٢]، يعني من الأرض الطيّبة والأرض المنتنة، ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، يقول لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه لأنّ الله عزّوجلّ اعلم بمن اتّقى منكم فإنّ ذلك من قبيل اللّمم وهو المزج، أزيدك يا إبراهيم قلت بلى يابن رسول الله قال: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:

٢٩-٣٠] يعني أئمة دون أئمة الحق، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠] خذها إليك يا أبا إسحاق فوالله إنّه لمن عزيز أحاديثنا، وباطن سرائرنا ومكنون خزائننا وانصرف ولا تطلع على سرّنا أحداً إلاّ مؤمناً مستبصراً فإنّك إن أذعت سرّنا بليت في نفسك ومالك وأهلك وولدك.

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال إنّ الله تعالى خلق النبيّين من طينة علّيّين، قلوبهم وأبدانهم وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة، وجعل أبدان المؤمنين من دون ذلك وخلق الكفّار من طينة سجّين قلوبهم وأبدانهم فخلط بين الطينتين، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن، ومن هنا يصيب المؤمن السيئة، ومن هنا يصيب الكافر الحسنة فقلوب المؤمنين تحنّ إلى ما خلقوا منه، وقلوب الكافرين تحنّ إلى ما خلقوا منه.

وقال الصادق عليه السلام الطينات ثلاث: طينة الأنبياء، والمؤمن من تلك الطينة إلاّ أن الأنبياء هم من صفوتها هم الأصل ولهم فضلهم والمؤمنون الفرع من طين لازب كذلك لا يفرّق الله عزّ وجلّ بينهم وبين شيعتهم وقال طينة الناصب من حمأ مسنون، وأمّا المستضعفون فمن تراب لا يتحوّل مؤمن عن إيمانه، ولا ناصب عن نصبه ولله فيهم المشيئة وفي آخر عن الصادق عليه السلام قال إن الله عزّ وجلّ لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرائيل عليه السلام في أوّل ساعة من يوم الجمعة، فقبض بيمينه قبضة من السّماء السّابعة إلى السّماء الدنيا[1] وأخذ من كلّ سماء تربة، وقبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى، فأمر الله عزّ وجلّ كلمته فأمسك

---

(١) توضيح معنى الحديث الشريف والله اعلم إنّ جبرائيل عليه السلام قبض بأمر الله تعالى من تربة السماوات قبضة ومن تربة الأرضين قبضة أُخرى فأمسك بأمر الله سبحانه التربة المأخوذة من السماوات بيمينه والأخرى، بشماله وقوله ففلق الطين فلقتين أي شقه حصتين بيان كالتأكيد للأول والمراد إنّ كلمة الله وهو جبرائيل عليه السلام فرق بين التربتين ولم يخلطهما وقوله عليه السلام فذرأ يحتمل أن يكون ذرأ مهموزة بمعنى خلق كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] أي خلقنا وقول العرب هم ذرء النّار أي خلقوا لها فلا بد من تقدير مضاف والمعنى أنّه تعالى خلق من الطينة المأخوذة من السماوات خلقاً ومن الطينة المأخوذة من الأرض خلقاً آخر وقوله عليه السلام فقال للذي بيمينه الخ بيان لماهية الخلقين ويحتمل أن يكون واوية بمعنى التفرقة والإطارة كما في قوله تعالى: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥] وقوله سبحانه: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات: ١] والمضاف المذكور مقدر هنا أيضاً والمراد أنّه تعالى فرق الطينتين ذرات واطارها في الجو (منه رحمه الله).

القبضة الأولى بيمينه والقبضة الأُخرى بشماله، ففلق الطين فلقتين فذرأ من الأرض ذرءاً ومن السماوات ذرءاً فقال للّذي بيمينه منك الرسل والأنبياء والأوصياء والصدّيقون والمؤمنون والسعداء ومن أريد كرامته فوجب لهم ما قال كما قال وقال للّذي بشماله منك الجبّارون والمشركون والكافرون والطواغيت ومن أريد هوانه وشقوته، فوجب لهم ما قال كما قال.

ثمَّ إن الطينتين اختلطتا جميعاً، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]، فالحبّ طينة المؤمنين التي ألقى الله تعالى عليها محبّته، والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كلّ خير وإنّما سمّي النوى من أجل أنّه نأى عن كلّ خير وتباعد عنه، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يونس: ٣١]، فالحيّ الّذي يخرج من الميّت هو المؤمن الّذي تخرج طينته من طينة الكافر والميّت الّذي يخرج من الحيّ هو الكافر الّذي يخرج من طينة المؤمن، فالحيّ المؤمن والميت الكافر، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وكان حياته حين فرّق الله عزّ وجلّ كذلك يخرج الله عزّ وجلّ المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها إلى النور ويخرج الكافر من النور إلى الظلمة بعد دخوله إلى النور وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٧٠].

وقال الصادق عليه السلام إنّ الله خلقنا من علّيّين وخلق أرواحنا من فوق ذلك وخلق أرواح شيعتنا من علّيين، وخلق أجسادهم من دون ذلك فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحنّ إلينا، وعن الصادق عليه السلام: إن الله خلقنا من نور عظمته ثمَّ صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه فكنّا نحن خلقاً وبشراً نورانيّين، لم يجعل لأحد في مثل الّذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة، ولم يجعل الله لأحد في مثل الّذي خلقنا منه نصيباً، إلاّ للأنبياء ولذلك صرنا نحن وهم النّاس وسائر النّاس همج النّاس وإلى النار.

أقول: هذا بعض أحاديث الطينة، وقد روي في هذا المعنى أخبار كثيرة بأسانيد متعدّدة، تركنا نقلها حذراً من التطويل، ولأنّها في المعنى راجعة إلى ما ذكرناه، ولا بدّ من الكلام على هذه الأخبار والكشف عن معناها، لأنّ ظاهرها أن يكون الإنسان في هذا العالم مجبوراً على كلّ أفعاله وليس له اختيار إذ أفعاله بمقتضى الطينة،

فيخرج هو عن حالة الاختيار وتكون هذه الأخبار دليلاً لمن قال بأنّ العبد مجبور على أفعاله، كالأشاعرة ومن حذا حذوهم فنقول الكلام فيها يتمّ ببيان أمرين: الأول في تصحيح ألفاظها فنقول قول أبي إسحاق الليثي المؤمن المستبصر المراد به من يكون له بصيرة تامة في أمور الدين وأمّا قوله عليه السلام: اللهمَّ لا في الزنا وما بعده، ونفيه صدور هذه الكبائر منه، فهو إشارة إلى ما يحقّقه عليه السلام بعيد هذا من أن سبب ارتكاب المؤمن هذه الكبائر هو مزج الطينتين فهذه الذنوب وإن صدرت منه ظاهراً وهو آلة لها لكنّها في الحقيقة قد كان مصدرها غيره وهو الماء الّذي دخل في طينته حال المزج بطينة الكافر، فالكافر في الحقيقة هو الفاعل لهذه الأفعال.

وقوله عليه السلام ملمّ وما ذكره في تفسيره إشارة إلى قوله سبحانه في صفة المؤمنين ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣١-٣٢]، فالزنا وما ذكر بعده من كبائر الذنوب وفواحشها، واللّمم ما قل من الذنب وصغر، من قولهم ألمّ بالمكان إذا قلّ فيه لبثه وألمّ بالطعام قلّ منه أكله كالنظرة والغمزة والقبلة، وقيل المراد باللّمم كلّ ذنب لم يذكر الله عليه حدّاً ولا عقاباً، وقوله عليه السلام: ولا تستحسر، معناه: ولا تملّ استفعال من حسر إذا أعيا وتعب، وقوله فكيف هذا ولم ذاك أي كيف صدرت منه هذه الذنوب، ولم نفيتها عنه سابقاً مع وقوعها منه ظاهراً، ويجوز أن يكون قوله عليه السلام ولم ذاك تأكيداً لسابقه بقرينة ما سيأتي وقوله وضاق ذرعي معناه إنّي عجزت عن البلوغ إليه من قولهم مددت ذراعي إليه، فبلغه ذراعي ومددت ذراعي إليه فقصر عنه ذراعي، لأنّ تناول المحسوسات إنّما يكون باليد غالباً واتّسع فيه فاستعمل في تناول المعقولات، والطواغيت هم فلان وفلان وفلان ومن حذا حذوهم.

وقوله عليه السلام: العاملة الناصبة إشارة إلى الآية وهي: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [الغاشية: ١-٥]، وفسّرت تارة بأنّها عاملة في النّار عملاً تتعب فيه؛ وهو جرّها السلاسل والأغلال، وارتقاؤها دائبة في صعودها وهبوطها، وأُخرى بأنها عملت ونصبت في الدنيا في أعمال لا تجديها نفعاً في الآخرة، وهذا يؤول إلى ما أراده عليه السلام هنا فإن المراد هنا أنّها عاملة لأعمال الخير ظاهراً؛ ولكنها نصبت العداوة لأهل بيت نبيّها ولمحبّيهم، فلا ينفعها ما عملت والآنية الحارّة التي بلغت منتهاها، وقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ﴾ [الفرقان: ٢٣] الآية، فالمراد بها أعمالهم

الحسنة كصلة الرحم والعبادات، والهباء ما يخرج من الكوّة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار، وفي الأخبار أن الله سبحانه في القيامة يأمر لجماعة بأعمالهم الحسنة، فتؤتى إليهم وهم ينظرون إليها من بعيد بيضاء نقيّة كالثياب القبطيّة، فيفرحون بها فيكونون في أشد ما يكون من الحاجة إليها، فإذا قربت إليهم أرسل الله إليها ريحاً عاصفة، ففرّقتها في الهواء وجعلتها هباءً منثوراً وهذا هو أحد معاني قوله سبحانه: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

وقوله عليه السلام: فعرض عليها ولايتنا أهل البيت يدلّ على ما قدّمناه من أن الله سبحانه قد أعطى الجمادات نوعاً من الشعور، والفهم تعرف به خالقها ومبدعها، وتسبّحه وتعرف به أولياءه الحجج على الخلق وبه قبلت بعضها ولاية الأئمة عليهم السلام فمن قبلتها كانت أرضاً حلوة محلّاً للنماء والزرع؛ ومن لم يقبلها من الأرض كانت مالحة منتنة سبخة ليس فيها مدخل للخير بوجه من الوجوه وقد عرضت على الحيتان فمن قبلها صار مباركاً حلال الأكل ومن لم يقبلها كان خبيثاً حرام الأكل لا يأكله إلاّ المخالفون كالجري وأشباهه وكذلك الطيور وكذا ضروب المخلوقات والثمار الحلوة والمرّة والبقول.

وقوله عليه السلام: أُجاجاً آسناً الأُجاج المالح الشديد الملوحة، والآسن المتغيّر الريح، والسنخ الأصل من كلّ شيء وأمّا قوله: ﴿أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥] الآية، فانطباقه على ماهنا مشكل، وذلك لأنّ مخالفينا لم يضلّونا، ويمكن أن يراد إما إضلال علمائهم لجهالنا فإنه قد يقع وإن كان نادراً، وإمّا أن يكون تشبيهاً وتمثيلاً لحمل الأوزار؛ وفائدته نفي الاستبعاد من أن يكون الإنسان في القيامة يحمل أوزار غيره وآثامه ولعلّ هذا هو الأولى؛ والأصوب في الجواب أن يقال المراد أن ما يقع من المؤمنين من الذنوب والمعاصي إنّما هو بسبب مزج الطينة وسراية ماء طينة الكافر، فكان الّذي أضلّ المؤمن حتّى ارتكب الفواحش هو الكافر، فالكافر قد أضل المؤمن وهو لا يعلم؛ لأنّ مناطه ما وقع في العالم الأولي وكلّ منهما قد نسيه.

وأما قول عليّ بن الحسين عليه السلام من طينة عليّين؛ فالمراد بالعلّيّين إمّا السّماء السّابعة، وإما أعلى مكان في الجنّة كما قاله أهل اللغة وسجّين أسفل مكان في النّار وقوله عليه السلام قلوبهم وأبدانهم الظاهر أن المراد بالقلوب هنا الأرواح، بقرينة ما سيأتي، أُطلق عليها لشدّة العلاقة بينهما فإنّ أهل المعقول من الحكماء والأطبّاء قالوا إنّ الروح إنّما تتعلق أوّلاً بالقلب وتنبعث منه إلى الأعضاء.

وقوله: لازب قال في القاموس لزب الطين ككرم لزق وصلب، وقوله من حمأ مسنون الحمأ الطين الأسود المنتن، والمسنون المنتن، وأمّا قوله وأمّا المستضعفون الظّاهر أن المراد منهم مستضعفو المخالفين، وهم من لم يعاند على الحقّ ولم يتعصّب عليه ولم يبغض أحداً من المؤمنين على الدين، وهم طائفة من جهّال أهل الخلاف وقول الصادق عليه السلام بعث جبرائيل عليه السلام (اه) لا ينافي ما تقدّم، من أن الملك الّذي أخذ الطينة هو ملك الموت، وأمّا جبرائيل فقد رجع عن أخذ التربة، لأنّ التي رجع عن أخذها جبرائيل عليه السلام، هي طينة أبينا آدم وحدها، وهذه المأخوذة هي طينة كلّ المخلوقات من آدم وأولاده ويحتمل العكس.

الأمر الثاني في الكشف عن معناها، فنقول قد سلك الأصحاب رضوان الله عليهم فيها مسالك مختلفة، أولها ما صار إليه سيّدنا الأجلّ علم الهدى طاب ثراه من أنّها أخبار آحاد مخالفة للكتاب والإجماع فوجب ردّها، فلذلك طرحها كما هو مذهبه في أخبار الآحاد أينما وردت، وذلك لأنّ الكتاب والإجماع قد دلاّ على أن صدور الحسنة والسيّئة إنّما هو باختيار العبد، وليس فيه مدخل للطينة بوجه من الوجوه.

والجواب أن أصحابنا قد رووا هذه الأخبار بالأسانيد المتكثّرة في الأصول وغيرها فلم يبق مجال في إنكارها، والحكم عليها بأنّها أخبار آحاد بل صارت أخباراً مستفيضة بل متواترة؛ وأما مخالفتها للكتاب والإجماع فسيأتي الجواب عنه.

وثانيها: ما ذهب إليه ابن إدريس رحمه الله من أنها أخبار متشابهة يجب الوقوف عندها وتسليم أمرها إليهم عليهم السلام فإنّ كلامهم متنوع كالقرآن إلى محكم ومتشابه ونحو ذلك، وهذا أقرب من الأوّل وأسلم عاقبة منه لكن يرد عليه أن هذه الأخبار قد ألقاها الأئمّة عليهم السلام إلى آحاد الشيعة، للتفهم والتعليم وإن يعتقدوا معانيها كما ألقيت إليهم ولعلّهم قد فهموا معانيها بقرائن الحال والمقال.

وثالثها: ما صار إليه بعض المحدّثين من حملها على المجاز والكناية كما يقال في العرف لمن أسدى خيره إلى عباد الله وحسن خلقه: هذا رجل قد عجنت طينته بفعل الخير وحبّ الكرم والتقوى، وهذا في غاية البعد بل حمل هذه الأخبار خصوصاً الخبر الأوّل على مثل هذا غير محتمل بوجه من الوجوه، وإن احتمله بعض أخبار هذا الباب.

ورابعها: وهو المشهور في تأويل هذه الأخبار وما ضاهاها ممّا ظاهره الجبر

ونفي الاختيار الوارد في كلّ الأخبار من أنّه منزل على العلم الإلهي، فإنّه سبحانه قد علم الأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها وقد علم في الأزل أحوال الخلق في الأبد وما يأتونه وما يذرونه بالاختيار منهم، فلمّا علم منهم هذه الأحوال وأنّها تقع باختيارهم عاملهم هذه المعاملة، كالخلق من الطينة الخبيثة المنتنة والأحوال السابقة. روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى ابن أبي عمير قال سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله الشقيّ من شقي في بطن أمّه، والسعيد من سعد في بطن أمّه؛ فقال الشقيّ من علم الله عزّ وجلّ وهو في بطن أمّه أنّه سيعمل أعمال الأشقياء والسعيد من علم الله عزّ وجلّ وهو في بطن أمّه أنّه سيعمل أعمال السعداء، قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وآله اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له؟ فقال إنّ الله عزّ وجلّ خلق الجنّ والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه؛ وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فيسر كلاً لمّا خلق له فالويل لمن استحبّ العمى على الهدى، وهذا الحديث الشريف يكشف عن فرد واحد من أفراد هذه المقالة، ولكن الظّاهر أن حكم ما عداه حكمه لاتحاد الطريق.

وخامسها: ما خطر بالبال ولكن أخذاً من الطاهرين عليهم السلام، وحاصله أنّه قد تحقّق من الأنوار السابقة أن خلق الأرواح قد كان قبل خلق عالم الذرّ؛ وقد أجّج سبحانه ناراً وكلّف تلك الأرواح بالدخول؛ فمنهم من بادر إلى الامتثال ومنهم من تأخّر عنه ولم يأت به، فمن هناك جاء الإيمان والكفر ولكن بالاختيار؛ فلمّا أراد سبحانه أن يخلق لتلك الأرواح أبداناً تتعلق بها لكل نوع من الأرواح نوعاً مناسباً له من الأبدان كان جعل للأرواح الطيّبة أبداناً مثلها؛ وكذا للأرواح الخبيثة؛ فيكون ما صنع بها سبحانه جزاءً لذلك التكليف السابق؛ نعم لمّا مزج الطينتين أثّر ذلك المزج في قبول الأعمال الحسنة وضدّها، فإن قلت إذا كان الحال على هذا المنوال، فلأيّ شيء قال الصادق عليه السلام لأبي إسحاق الليثي لا تطلع على سرّنا أحداً إلاّ مؤمناً وإن اطلعت غيره على هذا ابتليت في نفسك ومالك وأهلك، وما معنى هذه التقيّة ومن أيّ فريق تكون.

قلت يجوز أن تكون هذه التقيّة من المخالفين، فإنهم إذا فهموا هذا العلم علموا من القرائن أن ليس المراد بأهل الشمال المذكورين في الخبر إلّا هم ومثل هذا مما يتّقي فيه قطعاً، ويجوز أن تكون تقيّة أو إتقاءً على الشيعة، فإنّ عوامهم إذا سمعوا بمثل هذا أقبلوا على الإتيان بأنواع المحارم والذنوب، فيكونون قد أتوا ذنوباً تزيد

على ما يقتضيه مزج الطينتين، لأنّك قد تحقّقت أن اللّمم - وهو الصغائر القليلة - قد يفعله المؤمن بمقتضى مادّته وطبيعته، وأمّا الكبائر كالزنا واللواط ونحو ذلك، فهو إنّما يفعلها بمقتضى ما وصل إليه من خلط الطينات، فإذا أطلع على مثل هذا الحديث، وتعمّد أفعال الكبائر لحصول اللّذة الدنيوية، ولعلمه بأنّ وبالها الأُخروي إنّما هو على غيره، فقد أتى بفعل من مادّته وطبيعته، وزاد على ما أتى إليه من خبث المزج، لأنّ معاصي المزج هي المعاصي المتعارفة الوقوع في كلّ الأعصار بمقتضى الدواعي، وأمّا إذا كان الداعي ما عرفت من أنّها ذنوب على الغير وأن فعلها هو فلا يكون فعلها من المعاصي المتعارفة، فيكون إنّما أتى بها منه ومن مادّته لا من قضيّة المزج، فتأمّل وتفكّر في هذا المقام وقد بقي ههنا أبحاث شريفة وشّحنا بها شرحنا على الصحيفة.

نور علمي تقديري

يكشف عن بعض أحوال علمه القديم وتقديره الأزلي سبحانه وتعالى. اعلم أن الملّيّين قد ذهبوا إلى أن علمه تعالى يعمّ المفهومات كلّها، الممكنة والواجبة والممتنعة ويحيط بالكلّيّات على الوجه الكليّ، وبالجزئيّات على الوجه الجزئي؛ وقد خالف في هذا الدهريّة وقدماء الفلاسفة؛ وافترقوا فيه ستّ فرق.

الفرقة الأولى: من الدهريّة ذهبوا إلى أنّه لا يعلم نفسه قالوا لأنّ العلم نسبة والنسبة لا تكون إلاّ بين شيئين متغايرين، ولا تغاير بين الشيء ونفسه؛ والجواب منع كون العلم نسبة بل هو إمّا عين الذات أو صفة حقيقيّة ذات نسبة إلى المعلوم؛ ونسبة الصفة إلى الذات ممكنة سلّمنا كونه نسبة لكن لا نسلّم أن الشيء لا ينسب إلى ذاته نسبة علميّة؛ فإنّ التغاير الاعتباري كافٍ لتحقّق هذه النسبة؛ وكيف لا يكون كذلك وأحدنا يعلم نفسه مع عدم التغاير بالذات.

الفرقة الثانية: من قدماء الفلاسفة من قال أنّه لا يعلم شيئاً أصلاً تعالى عمّا يقول الكافرون علوّاً كبيراً؛ ودليلهم أنّه لو علم لعلم نفسه؛ إذ على تقدير كونه عالماً بشيء يعلم أنّه يعلمه وذلك يتضمّن علمه بنفسه؛ وقد بيّنا امتناعه في مذهب الفرقة الأولى؛ والجواب أن مبنى هذا على قول الفرقة الأولى؛ وقد عرفت الجواب عنه.

الفرقة الثالثة: قالوا إنّه عالم بذاته؛ ولكن ليس عالماً بغيره؛ واستدلوا عليه بأنّ العلم بالشيء غير العلم بغيره من الأشياء الأُخر وإلا يلزم أن من علم شيئاً علم جميع

الأشياء لأنّ العلم به عين العلم بها وهو باطل؛ وإذا كان العلم بهذا الشيء مغايراً للعلم بذلك الشيء فيكون له بحسب كلّ معلوم علم على حدة؛ فيكون في ذاته كثرة متحقّقة غير متناهية وهي العلوم بالمعلومات التي لا تتناهى؛ وذلك محال؛ والجواب أن العلم واحد والتكثّر إنّما هو واقع في الإضافات بالنسبة إلى المعلومات والعلم واحد لكنّه كثير الإضافات والتعلّقات.

الفرقة الرابعة: قالوا إنّه لا يعقل غير المتناهي؛ إذ المعقول متميّز عن غيره وغير المتناهي لا يتميّز عن غيره بوجه من الوجوه؛ وإلاّ كان له حدّ وطرف يتميّز به عن الغير؛ وإذا كان كذلك فهو غير متناهٍ؛ والجواب أنّه معقول له من حيث عدم التناهي؛ يعني أن المجموع من حيث هو مجموع متميّز عن غيره بوصف اللاتناهي ومعقول بحسبه، أو نقول إنّ المعقول هو كلّ واحد واحد من غير المتناهي؛ وهو متميّز عن غيره من تلك الآحاد ومن غيرها؛ ولا يضرّ في تميّز كلّ واحد واحد عدم تميّز الكل من حيث هو كلّ أو نقول لا نسلّم أن المعقول المتميز يجب أن يكون له حدّ ونهاية يمتاز بهما عن غيره، وإنّما يكون كذلك لو كان تعقّله بتميّزه عن غيره منحصراً في الحدّ والنهاية؛ وهو ممنوع لأنّ وجوه التمييز لا تنحصر فيه.

الفرقة الخامسة: وهم جمهور الفلاسفة قالوا إنّه سبحانه لا يعلم الجزئيّات المتغيّرة واستدلّوا عليه بأنّه إذا علم مثلاً أن زيداً في الدار الآن ثم خرج زيد عنها، فإمّا أن يزول ذلك العلم ويعلم أنّه ليس في الدار، أو يبقى ذلك العلم بحاله، والأوّل يوجب التغير في ذاته من صفة إلى أُخرى والثاني يوجب الجهل وكلاهما نقص يجب تنزيهه تعالى عنه، قالوا وكذلك لا يعلم الجزئيّات المتشكلة وإن لم تكن متغيّرة، كأجرام الأفلاك الثابتة على أشكالها، لأنّ إدراكها إنّما يكون بآلات جسمانيّة وكذا الحال في الجزئيّات المتشكّلة المتغيّرة، إذ قد اجتمع فيها المانعان، بخلاف الجزئيّات التي ليست متشكّلة ولا متغيّرة فإنّه يعلمها بلا محذور كذاته تعالى وذوات العقول، والجواب منع لزوم التغيّر فيه فإنّ التغير إنّما هو في الإضافات لأنّ العلم إمّا إضافة مخصوصة، أو صفة حقيقيّة ذات إضافة، فاللازم إنّما هو تغيّر الإضافات فقط، فلا يلزم التغيّر في صفة موجودة، بل في أمر اعتباريّ وهو جائز، وإدراك التشكّل إنّما يحتاج إلى آلة جسمانيّة إذا كان العلم حصول الصورة، وأمّا إذا كانت إضافة محضة أو صفة حقيقية ذات إضافة بدون الصورة فلا حاجة إليها.

الفرقة السادسة: منهم قالوا إنّ الله سبحانه لا يعلم الجميع بمعنى سلب الكلّ،

أي رفع الإيجاب الكلّي لا بمعنى السلب الكلّي كما زعمته الفرقة الثانية؛ قالوا إنّه لو علم كلّ شيء فإذا علم شيئاً علم أيضاً علمه به، لأنّ هذا العلم شيء من الأشياء ومفهوم من المفهومات وكذا علم علمه بعلمه لأنّه شيء آخر ويلزم التسلسل في العلوم، والجواب أنّه تسلسل في الإضافات لا في أمور موجودة، والتسلسل في الإضافات غير ممتنع، هذا محصّل مقالاتهم مجملاً، وهو تعالى علواً كبيراً عن هذه المقالات وأشباهها، وسبحان من يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة السوداء في الليلة السوداء؛ وما ذهبوا إلى هذه المذاهب السخيفة إلاّ لعدم اعتقادهم بأنّ الرازق على الإطلاق هو الباري سبحانه إذ لو صاروا إليه لما وسعهم القول بهذه المزخرفات، لأنّه سبحانه قد ضمن أرزاق مخلوقاته في كلّ أحوالها جزئيّة وكليّة وإيصال الرزق في كلّ الأحوال فرع على العلم فيها كما لا يخفى.

وفي الرواية أنّ موسى عليه السلام قال يوماً يا ربّ أريد أن أطّلع على رزقك للعباد؛ فقال له إذا كان غداً فأمض إلى ساحل البحر وانظر ما ترى؛ فلمّا كان من الغد أقبل إلى الساحل فرأى حيواناً صغيراً يعدو من البرّ وفي فمه طعمة؛ فأقبل حتّى وصل إلى جرف البحر فطلعت ضفدع من البحر وأخذت تلك الطعمة من فيه فغاصت تحت الماء؛ فقال الله تعالى لموسى عليه السلام إضرب البحر حتّى يصير لك في طريق واتبع الضفدع فتبعها في بطن البحر وهي تسعى حتّى بلغت بطن البحر وإذا فيه صخرة سوداء مربعة وفيها ثقب فخرجت نملة من ذلك الثقب وأخذت الطعمة من فم الضفدع ودخلت، فأمر موسى بفلق الصخرة فلمّا فلقها نصفين رأى في بطنها دودة عمياء ورأى تلك الطعمة في فم تلك الدودة تأكل منها، فقال موسى سبحانك عجباً لمن عرفك كيف يهتم لرزقه.

وحكي في بعض السير والتواريخ أن ملكاً من الملوك كان جالساً يتغذّى وفوق طعامه دجاجة مطبوخة فلم يشعر إلاّ وقد انكبّت عليه حدأة من الهواء فأخذت تلك الدجاجة من فوق طعامه فغضب لهذا وركب فرسه مع جماعة من عسكره فطلب الحدأة حتّى أمعنوا في طلبها؛ فوصلت إلى جبل عالٍ ومضت إلى خلف الجبل فنزلوا عن خيولهم ورقوا ذلك الجبل، فلمّا صعدوا إلى قلّته ونظروا إلى خلف الجبل رأوا تلك الحدأة قد أتت ونزلت على رجل مضروبة بالأوتاد يداه ورجلاه وملقى على قفاه، فقربت إليه الحدأة وجعلت تقطع لحم تلك الدجاجة بمنقارها ومخاليبها وتضعه في فم ذلك الرجل حتّى يأكله؛ فلمّا فرغت من هذا طارت إلى عين ماء في ذلك

الجبل وحملت إليه ماءً في حوصلتها وأتت إليه وسقته إيّاه ثمَّ طارت فأتى إليه ذلك السلطان مع أصحابه وحلّوا أوتاده وأجلسوه وسألوه عن قصّته؛ فقال إنّي تاجر وقد قطع اللصوص عليّ هذا الطريق فأخذوا مالي واتّفقوا على أن يحبسوني فوق هذا الجبل بهذه الأوتاد، فلمّا مضوا عنّي وبقيت يوماً على هذه الحال أتت إليّ هذه الحدأة مع طعمة وماء وصارت تتعاهدني في كلّ يوم مرتين كما شاهدتم، فلمّا رأى السلطان كيف يوصل الله سبحانه رزقه إلى عباده قال لعن الله من يهتم للرزق فترك الملك واشتغل بالعبادة حتّى مات، ومن هذا النحو كثير لا نطول بذكره الكتاب ولنرجع إلى ما نحن بصدده فنقول:

قد ذهب الأشاعرة وهم أكثر المخالفين إلى أن علمه سبحانه بالأشياء في الأزل علة لوقوعها في الأبد، فكلّ ما يقع في هذا العالم من الفسوق والمعاصي فهو مستند ومعلول لذلك العلم القديم، حتّى إنّ بعضهم ربّما لاط أو زنى ولمّا عنّف أجاب بأنّ الله سبحانه قد علم منّي ذلك في الأزل فلو لم أفعله لكان قد انقلب علمه سبحانه جهلاً، فهو على عصيانه يرى أن له الأجر والإحسان على الله تعالى حيث إنّه لم يخالف علمه، سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً؛ ومن هذا الأصل ذهبوا إلى ذلك الفرع الّذي امتازوا به عن جميع الملل والأديان، وهو القول بأنّ العبد ليس له قدرة ولا اختيار على أفعاله بل المؤثّر فيها والموجد لها هو الله سبحانه؛ فهو الّذي جبر عبده على الكبائر والمعاصي ومع هذا عاقبه عليها لأنّه لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون.

والتحقيق أنّ علمه سبحانه تابع للمعلوم والمعلوم كاشف عنه فعلى أيّ نحو وقع المعلوم يكون كاشفاً عن أن الله سبحانه قد علمه على هذا النحو؛ لأنّ علمه الأزليّ غير معلوم لنا وإنّما نعلمه بوقوع المعلومات؛ والأشاعرة قالوا إنّ المعلوم تابع للعلم ونحن نقول إنّ العلم تابع للمعلوم، وسيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى في نور أفعال العباد.

وأمّا القدر ومساوقه وهو القضاء فالكلام فيهما مشكل ومع ذلك فقد ورد النهي عنه عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام؛ روى الصدوق بإسناده إلى الأصبغ بن نباتة قال قال أمير المؤمنين عليه السلام في القدر: ألا إن القدر سرّ من سرّ الله وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله مطويّ عن خلق الله، مختوم بختام الله سابق في علم الله وضع الله العباد عن علمه ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم؛ لأنّهم لا ينالونه بحقيقة

الربانيّة ولا بقدرة الصمدانيّة ولا بعظمة النورانيّة ولا بعزّة الوحدانيّة؛ لأنّه بحر زاخر خالص لله عَزَّوَجَلَّ؛ عمقه ما بين السّماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب أسود كالليل الدامس كثير الحيّات والحيتان يعلو مرّة ويسفل أُخرى في قعره شمس تضيء، لا ينبغي أن يطلع عليها إلاّ الله الواحد الفرد فمن تطلّع عليها فقد ضادّ الله عَزَّوَجَلَّ في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن ستره وسرّه وباء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير.

فهذا ممّا يدلّك على أن تحقيق هذا المقام ممّا حجب عن أبصار العقول فلا ينبغي التفكّر فيه لأنّه يؤول إلى مكان دقيق فيرجع العقل عنه متلبّساً بمذهب أهل الجبر، ولكن لا بدّ لنا من الكلام في نوعين من أنواع الأحاديث:

النوع الأوّل: الأخبار الدالّة على أنّه سبحانه قد قضى وفعل ما كان وما يكون ولم يبق شيء من أفعاله الأبدية يحتاج إلى صنع جديد فهو قد فرغ من الأمر؛ منها ما رواه عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: أوّل ما خلق الله القلم فقال له أكتب فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، رواه أيضاً بإسناده إلى عبد الرحيم القصير عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال سألته عن نون والقلم، قال أن الله تعالى خلق القلم من شجرة في الجنّة يقال لها الخلد ثمَّ قال لنهر في الجنّة كن مداداً فجمد النهر وكان أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد ثمَّ قال للقلم أكتب قال يا ربّ وما أكتب؟ قال اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فكتب القلم في رقّ أشدّ بياضاً من الفضة وأصفى من الياقوت؛ ثمّ طواه فجعله في ركن العرش ثم ختم على فم القلم فلم ينطق بعد ولا ينطق أبداً؛ فهو الكتاب المكنون الّذي منه النسخ كلّها أولستم عرباً فكيف لا تعرفون معنى الكلام وأحدكم يقول لصاحبه انسخ ذلك الكتاب أوليس ينسخ من كتاب آخر من الأصل وهو قوله إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون.

وروى الصدوق طاب ثراه هذا المضمون بأسانيد متعدّدة وكذا رواه العيّاشي أيضاً وروى الصدوق طاب ثراه أنّه هبط جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في قباء أسود ومنطقة فيها خنجر، فقال يا جبرائيل ما هذا الزيّ فقال زيّ ولد عمّك العبّاس، يا محمّد ويل لولدك من ولد عمك العباس فخرج النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال يا عم ويل لولدي من ولدك، قال يا رسول الله أفأجبّ نفسي قال جرى القلم بما فيه. ومن هذا الحديث أوحى الله إلى نبيّ من أنبيائه: قل للمؤمنين لا يلبسوا لباس أعدائي ولا

يطعموا مطاعم أعدائي ولا يسلكوا مسالك أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي قال الصدوق رَحِمَهُ الله في عيون أخبار الرضا عليه السلام: لباس الأعداء هو السواد، ومطاعم الأعداء النبيذ والمسكر والفقاع والطين والجري والمارماهي والزمار والطافي[١] وكلّ ما ليس له فلوس من السمك والأرنب والضبّ والثعلب، وما لم يدفّ من الطير وما استوى طرفاه من البيض والدبا بالدال من الجراد وهو الّذي لا يستقل بالطيران والطحال، ومسالك الأعداء مواضع التهمة ومجالس شرب الخمر والمجالس التي فيها الملاهي ومجالس الذين لا يقضون بالحقّ، والمجالس التي يعاب فيها الأئمّة عليهم السلام والمؤمنون ومجالس أهل المعاصي والظلم والفساد[٢].

فأمّا لبس السواد للتقيّة فلا بأس فيه كما رواه حذيفة أنّه قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بالحيرة فأتاه رسول أبي العبّاس الخليفة يدعوه، فدعا بممطر[٣] أحد وجهيه أسود والآخر أبيض فلبسه، ثمّ قال عليه السلام: أما إني ألبسه وأنا أعلم أنّه لباس أهل النار، فإذا صحت هذه الروايات من قوله: جرى القلم بما فيه، فقد صح مذهب من قال إنّ الله سبحانه قد فرغ من الأمر موافقاً لما قالته اليهود، فإنّهم قالوا إنّه تعالى خلق ما خلق وصنع وقدّر يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وفرغ يوم السبت من كلّ شيء، فمن هذا اتخذوه عيداً لأنّه وقت فراغه سبحانه من جميع أشغاله حتّى رد الله عليهم باللعن وأنّه ليس كما يقولون، بل هو كلّ يوم في شأن وحال يقضي ويحكم ويعزل وينصب ويمحو ويثبت.

قلت هذه الأخبار أخبار مجملة، وقد روي في هذا المعنى أخبار مفصّلة، منها ما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] الآية، أنّ الولد إذا كمل له أربعة أشهر في بطن أمّه بعث الله ملكين خلاّقين فيقتحمان في بطن المرأة من فمها فيصلان إلى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في

---

(١) الطافي السمك الّذي يموت في الماء يعلو فوق وجهه يقال طفا الشيء فوق الماء يطفو طفواً إذا علا ولم يرسب ورسب الشيء في الماء رسوباً سفل فيه.

(٢) هذه المجالس كلّها تنعقد في هذا العصر التعيس في أغلب البلاد الإيرانية وغيرها وجل المتصدين لانعقادها بل كلهم هم الذين نبذوا كتاب الله وراءهم ظهرياً وأخذوا زمام الأمور في هذه المملكة الإسلامية بأيديهم الجائرة وهم عمال السياسة الغاشمة والخائنون للدين والدنيا وهم أذناب الاستعمار الاجنبي خذلهم الله تعالى: وأعد لهم عذاباً مهيناً.

(٣) الممطر كمنبر ما يلبس في المطر يتوقّى به.

أصلاب الرجال وأرحام النساء، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء ويشُقّان له السمع والبصر وسائر الجوارح، ثمَّ يوحي إلى الملكين اكتبا عليه قضائي وقدري واشترطا لي البداء فيما تكتبان، فيرفعان رؤوسهما فإذا اللوح يقرع جبهته وفيه صورته وزينته واجله وميثاقه شقيّاً أو سعيداً وجميع شأنه، فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ويختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة(١).

ومنها ما رواه شيخنا الكليني طاب ثراه عن الباقر عليه السلام قال إنّ الله تبارك وتعالى عالم بما غاب عن خلقه فما يقدّر من شيء ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يقضيه إلى ملائكته فذلك علم موقوف عنده إليه فيه المشيئة فيقضيه إذا أراد ويبدو له فلا يقضيه فأمّا العلم الّذي يقدره الله عزّ وجلّ ويقضيه ويمضيه فهو العلم الّذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثمَّ إلينا، ونحو ذلك من الأخبار الدالة على أن علمه سبحانه نوعان منه ما علّمه ملائكته ورسله لتسعى به في ما بين السماوات والأرض فذلك لا يكون فيه محو ولا إثبات ولا تغيير ولا تبديل، وعلم استأثر به في أمّ الكتاب وهو اللوح المحفوظ فذلك الّذي تدخل فيه أنواع التغييرات والمحو والإثبات.

فإن قلت إذا كان ذلك العلم ممّا يتغير لزم التغيّر في علمه القديم فيلزم التغيّر في الذات لأنّها عين العلم؛ قلت ذلك المتغيّر هو العلم الّذي أبرزه إلى القلم واللوح المحفوظ وكتبا فيه لا العلم الّذي هو عين الذات؛ بل إنّما يقع التغيير والتبديل في العلوم المكتوبة في الدفاتر الإلهيّة بسبب العلم القديم الّذي علم به الأشياء قبل وجودها، وأمّا العلم القديم الذاتي فلا يقال له تقدير ولا حكم ولا مكتوب، نعم إذا برز إلى الوجود الخارجي اتّصف بهذه الصفات، كما أنّ السلطان إذا علم أنّه يصنع غداً في ملكه الفعل الفلاني فقبل أمره به وإبرازه إلى الوجود لا يتّصف بالقضاء والحكم والأمر، نعم يتّصف بالتقدير لمكان التروّي والتفكّر في حقّه لا في حق الله سبحانه.

فصار الحاصل أنّ الّذي كتبه القلم وختم عليه وقوله جرى القلم بما فيه علوم تداخلها المشيئة والتغيير لمكان المصالح بل ربّما وقع المحو والإثبات في العلوم الخارجة إلى الأنبياء كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم

---

(١) الكافي في ج ٦ ص ١٣ ح ٤.

بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وهي قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، وكما وقع في شأن الّذي أخبر عيسى عليه السلام بموته فلمّا كان الغد ولم يمت، قال له الحواريّون يا روح الله لم يمت، فقام معهم إليه فرأى الرجل حاملاً حزمة حطب، فقال له ضعها في الأرض فلمّا وضعها قال له حلّها، فحلّها فرأى فيها حية سوداء عاضّة على حجر صلب، فقال له: يا عبد الله هذا قد أُرسل إليك ليقتلك فما فعلت في يومك حتّى كفّه الله عنك فقال: يا روح الله كان عندي رغيف فتصدّقت به على فقير، فقال نعم هذا الحجر الّذي في فم هذا الثعبان هو الرغيف الّذي تصدقت به وقد وقع مثله في إخبارات نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وهذا لا يلزم منه تكذيب الأنبياء عليهم السلام لاشتماله على تصديقهم في الأخبار وظهور معجزة على يديهم، وإنّ المحو والإثبات إنّما كان لهذا السبب الخاص.

النوع الثاني: في أخبار القضاء الدالّة على أنّه تعالى قضى كلّ شيء الخير والشرّ وأفعال العباد كلّها، روى الصدوق رحمه الله بإسناده إلى الحسن (الحسين خ) بن عليّ عليه السلام قال سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول الأعمال على ثلاثة أحوال: فرائض وفضائل ومعاصٍ، فأمّا الفرائض فبأمر الله عزّ وجلّ وبرضاء الله وبقضاء الله وتقديره ومشيئته وعلمه، وأمّا الفضائل فليست بأمر الله ولكن برضاء الله وبقضاء الله وبقدر الله وبمشيئة الله وبعلم الله، وأمّا المعاصي فليست بأمر الله ولكن بقضاء الله وبقدره وبمشيئته وبعلمه ثمّ يعاقب عليها. وعن الصادق عليه السلام أنّه جاء إليه رجل فقال له بأبي أنت وأمّي عظني موعظة، فقال عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى تكفل الرزق فاهتمامك لماذا، وإن كان الرزق مقسوماً فالحرص لماذا، وإن كان الحساب حقّاً فالجمع لماذا، وإن كان الخلف من الله عزّ وجلّ حقاً فالبخل لماذا وإن كانت العقوبة من الله عزّ وجلّ النار فالمعصية لماذا، وان كان الموت حقّاً فالفرح لماذا، وإن كان العرض على الله عزّ وجلّ حقّاً فالمكر لماذا، وإن كان الشيطان عدوّاً فالغفلة لماذا، وإن كان الممر على الصراط فالعجب لماذا، وإن كان كلّ شيء بقضاء وقدر فالحزن لماذا، وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة فيها لماذا، إلى غير ذلك من الأخبار الدالّة على أنّه تعالى قد قضى الخير والشرّ وقضى جميع أفعال العباد وقدّرها قبل خلق العالم بألفي عام، وظاهرها يوافق مذهب الأشاعرة القائلين بأنّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، والعبد محلّ للفعل وليس لقدرة العبد مدخل في أفعاله، قلت الجواب عن هذا هو أنّه قد ذكر جماعة من قدماء المحدّثين أنّ القضاء يقال على عشرة معان:

أولها: العلم ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ [يوسف: ٦٨] يعني علمها، وثانيها الإعلام ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: ٤]، وقوله قضينا إليه ذلك الأمر أي أعلمناه، وثالثها الحكم ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠] يعني يحكم، وروى يزيد بن معاوية الشاميّ قال دخلت على الرضا عليه السلام بمرو، فقلت له يا ابن رسول الله روي لنا عن الصادق عليه السلام أنّه قال لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين فما معناه؟ فقال عليه السلام من زعم أن الله عزّوجلّ فعل أفعالنا ثمّ يعذّبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه فقد قال بالتفويض، فالقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك فقلت له يا ابن رسول الله فما أمر بين أمرين؟ قال وجود السبيل إلى إتيان ما أُمروا به وترك ما نهوا عنه، فقلت فهل لله مشيئة وإرادة في ذلك؟ فقال أمّا الطاعات فإرادة الله ومشيئته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والعقوبة عليها والخذلان لها، فقلت فللّه فيه القضاء؟ قال نعم ما من فعل فعله العباد من خير أو شرّ إلاّ ولله فيه القضاء، فقلت فما معنى هذا القضاء؟ قال الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

ورابعها: القول، ومنه قوله تعالى: ﴿يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠] أي يقول بالحق؛ وخامسها: الحتم كما قال: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ [سبأ: ١٤] يعني حتمناه فهو القضاء الحتم. وسادسها: الأمر ومنه قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] يعني أمر ربّك؛ وسابعها: الخلق كما قال: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] يعني خلقهنّ؛ وثامنها: الفعل ومنه ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢] أي افعل ما أنت فاعل؛ وتاسعها: الإتمام نحو ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ [القصص: ٢٩] أي اتمّه وقوله: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ [القصص: ٢٨] أي أتممت؛ العاشر: الفراغ من الشيء ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]، وقول القائل قد قضيت لك حاجتك.

إذا تحققت هذا. فاعلم أنّ القضاء في كلّ خبر ينزل على معنى من المعاني المناسبة له فما وقع في الروايات من قولهم عليهم السلام إنّ الأشياء كلّها بقضاء الله وبقدره تبارك وتعالى، بمعنى أنّ الله عزّوجلّ قد علمها وعلم مقاديرها، وله عزّوجلّ في جميعها حكم من خير أو شرّ فما كان من خير فقد قضاه بمعنى أنّه أمر به وحتمه وجعله حقاً وعلم مبلغه ومقداره؛ وما كان من شرّ فلم يأمر به ولم يرضه ولكنّه عزّوجلّ قضاه وقدّره

بمعنى أنّه علم بمقداره ومبلغه وحكم فيه بحكمه؛ وأمّا المعاصي فقضاء الله عزّ وجلّ فيها حكمه فيها ومشيئته فيها نهيه عنها، وقدره فيها علمه بمقاديرها ومبالغها، وهذا كلّه مأخوذ من كلام قدماء المحدّثين الذين لا يتكلّمون إلاّ عن الأخبار الواضحة.

ومن الأخبار الواردة بظواهر مثل ما تقدّم من إيهامها كون الضلال والإضلال عنه تعالى، لفظ الفتنة؛ فإنّه قد نسب في الآيات والأخبار إليه سبحانه؛ والجواب أيضاً أن الفتنة كما يستفاد من الأحاديث والمحدّثين يقال على عشرة أوجه:

أوّلها: الضلال وهو ظاهر؛ وثانيها: الاختبار ومنه ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]؛ وقوله: ﴿أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]؛ وثالثها: الحجّة نحو ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ورابعها: الشرك نحو قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]؛ وخامسها: الكفر ومنه ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩] يعني في الكفر؛ وسادسها: الإحراق بالنار نحو ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: ١٠] الآية يعني أحرقوا في الكفر، وسابعها: العذاب ومنه ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] يعني يعذّبون وقوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا﴾ [الذاريات: ١٤] يعني عذابكم وقوله: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١] وثامنها: القتل نحو ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١] وقوله: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣]، وتاسعها: الصدّ نحو ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] يعني ليصدّونك وعاشرها: شدّة المحنة نحو ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: ٥]، وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥] أي محنة فيفتنوا بذلك ويقولوا في أنفسهم لم نقتلهم إلاّ ودينهم الباطل وديننا الحقّ فيكون داعياً لهم إلى النّار على ما هم عليه من الكفر والظلم، وزاد عليّ بن إبراهيم على هذه الوجوه وجهاً آخر وهو المحبّة نحو قوله عزّ وجلّ إنّما أموالكم وأولادكم فتنة أي محبّة، والذي روي في ذلك أن وجوه الفتنة عشرة على ما قاله الصدوق رحمه الله وإنّ الفتنة في هذا الموضع أيضاً المحنة بالنون لا المحبّة بالباء، وتصديق ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله: الولد مجهلة محنة مبخلة[1] رواه الصدوق قدّس الله روحه.

(١) وفي رواية أُخرى: الولد حجبنة مبخلة، أي يجعل والديه يتصفان بالجبن والبخل بسبب محبتهما له.

وأمّا قول الصادق عليه السلام: ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ففيه وجوه أربعة: الأوّل: ما قاله شيخنا المفيد نوّر الله ضريحه من أن هذا مخصوص بأفعاله تعالى دون أفعال المكلّفين يشهد بذلك قوله والله لا يحبّ الفساد وما الله يريد ظلماً للعباد، ويكون حاصل معناه أنّ كلّ فعل يريد الله وقوعه فإنّه يقع وكذا ما لم يرد وقوعه فإنّه لا يقع بخلاف العباد فإنّ كلّ ما يريدون فعله لا يدخل تحت قدرتهم، الثاني: القول بعمومه وشموله لأفعال المكلّفين لكن المشيئة فيه بمعنى العلم كما هو الوارد في بعض الروايات مثل المشيئة في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] أي ما تريدون شيئاً إلّا أنّ الله سبحانه قد علمه في الأزل لكن قد تحقّقت أن علمه تعالى ليس علّة للمعلول كما لا يصير علمنا بأنّ الشمس تطلع غداً علّة في طلوعها.

الثالث: أن تكون المشيئة في كلّ فقرة قد استعملت بواحد من معانيها ففي قوله عليه السلام ما شاء الله كان بمعنى الإرادة، وفي قوله وما لم يشأ لم يكن بمعنى العلم جمعاً بين العقل والنقل، الرابع: أن تكون المشيئة في اللفظين بمعنى الإرادة لكنّها في الثاني مجاز عن عدم الحيلولة ومنع الألطاف الربّانيّة الحاجزة عن أفعال المساوئ والذنوب، فيكون من قبيل قوله تعالى: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٤٢] و﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ٢٧]؛ فإنّ الإضلال كما توافق عليه العقل والنقل لا يريده الله سبحانه ولا يأمر به لكنّه عبارة عن تخلية المرء ونفسه، وقد تقدم في دعائه صلى الله عليه وآله: ربّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وحكاية دانيال وداود قد تقدمت أيضاً وعلى هذا يحمل كلّ ما ورد في القرآن الشريف والسنّة من الألفاظ الموهمة لنسبة الإضلال إليه سبحانه.

فإن قلت كيف جاز الخطاب منه سبحانه للعباد بمثل هذه الألفاظ الموهمة حتّى تمسّك بها أهل الجبر في صحّة مذهبهم السخيف واعتمدوا عليها وجعلوها دلائلهم على أن العبد ليس له اختيار في فعل من أفعاله مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ومثل قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، ومثل ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ و﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾، إلى غير ذلك من الآيات والأخبار.

قلت إنّ القرآن بحر واسع ظاهره أنيق وباطنه عميق قد اشتمل على أنحاء الكلام والتعبيرات الواقعة في كلام العرب المتداولة فيما بينهم من المجاز والكناية والاستعارة، وإطلاق السبب على المسبّب وعكسه ولا يميز مواقع كلامه تعالى

بعضها عن بعض إلاّ من خاطبه الله به وأطلعه على جميع معانيه، وليس هو إلاّ النبيّ ﷺ وأمره الله سبحانه بأن يعلّمه أهل بيته المعصومين عليهم السلام ويجب على النّاس أن يرجعوا إليهم في أخذ علوم القرآن، فهذه الألفاظ الموهمة إنّما هي موهمة عندنا وليس نحن ممّا خوطبنا به حتّى يلزم الإغراء بما له ظاهر وأُريد خلاف ظاهره؛ والذين خوطبوا به قد فهموا معانيه منه تعالى من غير إبهام، ولذا سمّاهم تراجمة وحيه؛ وليس هذا إلاّ من باب أن يكون سلطان له رعيّة لا يفهمون كلامه فيجعل بينهم وبينه مترجماً في تفهيم كلام ذلك السلطان للرعيّة فهو يخاطب المترجم ويفهمه ما أراد والمترجم يفهم الرعيّة معنى كلام السلطان، فليس للرعيّة أن يعترضوا ويقولوا إن هذا السلطان قد خاطبنا بما لا نفهم لأنّه لم يخاطبهم بل خاطب المترجم، وليس لهم أيضاً أن يأتوا إلى كلام الملك ويحاولوا فهم معناه لعدم قابليّتهم لفهمه لأنّه رموز وكنايات بينه وبين من وجّه الخطاب إليهم فربّما فهموا من كلامه غير ما أراد كما اتفق في تفاسير الجمهور من حمل كلام الباري سبحانه على المحامل التي أرادوها بآرائهم الفاسدة.

ومن هذا ذهب بعض مشايخنا المحقّقين إلى أن القرآن كله متشابه بالنسبة إلينا لا يجوز لنا أن نتكلّم في محكمه على ما هو الظاهر منه، حتّى إنّه قد سأله بعض الأفاضل وأنا كنت من الحاضرين في مسجد الجامع من شيراز فقال له ما تقول في: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فإنها آية محكمة ظاهرة الدلالة على معناها؛ فأجابه بأنّ الأحد ما معناه وما مبدأ اشتقاقه وما الفرق بينه وبين الواحد؛ وأطال الكلام في مثل هذا وطبق عليه ما روي من قوله عليه السلام من فسّر القرآن برأيه فقد كفر؛ فإنّ ظاهره شمول كلّ آياته ولمّا انتهى بنا الحال إلى هنا فلا بأس بتحقيق هذا المقام ولم نر من حقّقه سوى شيخنا شيخ الطائفة طاب ثراه في تفسير التبيان[1] وهذا كلامه.

---

(١) هو أثر ثمين من نفائس آثار سلفنا الصالح ومن أحسن تراثنا العلمي وأول تفسير جمع فيه مؤلفه شيخ الطائفة أنواع علوم القرآن ولا يزال هذا التفسير النفيس مخطوطاً باقياً في زوايا المكتبات منذ زمن تأليفه إلى هذه الأزمنة الأخيرة وقد من الله تعالى على الأمة جمعاء وبرز إلى عالم المطبوعات بعناية حضرة المجتهد الأكبر المرجع الأعلى للشيعة في التقليد والفتوى بطل العلم والفقاهة آية الله العظمى أستاذنا الاعظم السيّد محمّد الشهير بالحجة الحسيني التبريزي الكوهكمري قدس الله روحه، ذلك الرجل الأفقه الاعلم الجامع بين التتبع والتحقيق في =

واعلم أن الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا في أن تفسير القرآن لا يجوز إلاّ بالأثر الصحيح عن النبيّ ﷺ أو عن الأئمة عليهم السلام الذين قولهم حجّة كقول النبيّ ﷺ وأنّ القول فيه بالرأي لا يجوز، وروت العامّة أيضاً عن النبيّ ﷺ أنه قال من فسر القرآن برأيه فأصاب الحقّ فقد أخطأ. وكره جماعة من التّابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيّب وعبيدة السلماني ونافع ومحمد بن القسم وسالم بن عبد الله وغيرهم ورووا عن عائشة أنّها قالت لم يكن النبيّ ﷺ يفسّر القرآن إلاّ أن يأتي به جبرئيل عليه السلام؛ والذي نقوله في ذلك إنّه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيّه ﷺ تناقض وتضادّ وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]؛ وقال: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]،

= أنواع العلوم الإسلامية الّذي يحتاج تاريخ شؤون حياته وترجمته الشريفة وتحمله المشقات الكادحة وصبره على الأذى من الأعداء والخصماء إلى تأليف مستقل وقد كنا سنين نتشرف بالحضور لدى سيدنا الإمام العلاّمة للتزود من علومه الجمة والاستفادة من أفكاره العلمية والارتشاف من نمير علمه المتدفق في بلدة (قم) قبل تشرفي بمدينة العلم النجف الأشرف بأمره الشريف.

وقد بذل جهده قدس سره لجمع أجزاء ذلك التفسير مع ما كان عليه من اليأس الشديد في ذلك ولكن الله تعالى وفقه لجمعها ونشرها وكان الغرض الأصلي له قدس سره وكذا غرض الباني لطبعه والساعي فيه هو جمع أجزاء ذلك التفسير لئلا يصير ذلك الكتاب القيم هدفاً لسهام التلف وغرضاً للضياع على مر الدهور فله المنة للأمة عامة وأيادي مشكورة للشيعة خاصة في تحمل اعباء هذه المهمة كما صرح به أستاذنا العلاّمة البحاثة الأكبر الطهراني دام ظله في مقدمة تفسير التبيان الطبعة الثانية وقد سماها: (حياة الشيخ الطوسي) وانتشرت مستقلة أيضاً انظر صفحة (ش) ط النجف قال شيخنا مد ظله ما هذا لفظه الشريف: (والحق أن السيّد الحجّة قد أسدى إلى الأمة جمعاء يداً لا تنكر وقام بخدمة كبيرة إذ طالما حنت نفوس المئات من أكابر العلماء إلى مشاهدة هذا التفسير الجليل مجموعاً في مكان واحد بعد تفرق أجزائه وتشتتها في مختلف البلدان وقد وفق لتحقيق هذه الامنية السيّد الكوهكمري فبذل جهوداً لا يستهان بها حتّى استطاع جمعه وترتيبه فله منا الشكر ونسأل الله أن يتغمده برحمته ويجزل أجره).

وقد انتقل أستاذنا الإمام فقيه الأمة إلى جوار الله في يوم الاثنين ثالث جمادى الأولى سنة (١٣٧٢هـ.ق) وكان ميلاده الشريف في (٢٩) شعبان سنة (١٣١٠هـ) بتبريز ودفن في مقبرته الخاصة في المدرسة (الحجتية) بقم.

وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] فكيف يجوز أن يصفه بأنّه عربي وأنّه بلسان قومه وأنّه بيان للناس ولا يفهم من ظاهره شيء وهل ذلك إلاّ وصف له باللغز والمعمّى الّذي لا يفهم المراد به إلاّ بعد تفسيره وذلك منزّه عن القرآن.

وقد مدح الله تعالى أقواماً على استخراج معاني القرآن فقال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]؛ وقال تعالى في قوم يذمّهم حيث لم يتدبّروا القرآن ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال النبيّ ﷺ إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فبيّن أنّ القرآن حجّة كما أنّ العترة حجّة وكيف يكون حجّة ما لا يفهم منه شيء؛ وروي عنه عليه السلام قال إذا جاءكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط؛ وروي مثل ذلك عن أئمّتنا عليهم السلام وكيف يكون العرض على كتاب الله وهو لا يفهم منه شيء وكل ذلك يدل على أنّ ظاهر هذه الأخبار متروك، والّذي نقول إنّ معاني القرآن على أربعة أقسام:

أحدها: اختصّ الله تعالى بالعلم به فلا يجوز لأحد تكلّف القول فيه ولا تعاطي معرفته، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ومثل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية، فتعاطي معرفة ما اختصّ العلم به خطأ، وثانيها: ما يكون ظاهره مطابقاً لمعناه فكلّ من عرف اللغة التي خوطب بها عرف معناه، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ومثل قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وغير ذلك؛ وثالثها: ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصّلاً مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] وقوله: ﴿فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج: ٢٤]؛ وما أشبه ذلك فإنّ تفاصيل أعداد الصّلاة وعدد ركعاتها وتفصيل مناسك الحجّ وشروطه ومقادير النصاب في الزكاة لا يمكن استخراجه إلاّ ببيان النبيّ ﷺ ووحي من جهة الله تعالى، فتكلّف القول في ذلك خطأ ممنوع منه ويمكن أن تكون الأخبار متناولة له.

ورابعها: ما كان اللفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عليهما، ويمكن أن يكون كلّ واحد منها مراداً فإنّه لا ينبغي أن يقدم أحد فيقول إنّ مراد الله منه بعض ما يحتمل

إلاّ بقول نبيّ أو إمام معصوم، بل ينبغي أن يقول إنّ الظاهر يحتمل الأمور وكل واحد يجوز أن يكون مراداً على التفصيل والله أعلم بما أراد، ومتى كان اللفظ مشتركاً بين شيئين أو ما زاد عليهما ودلّ الدليل على أنّه لا يجوز أن يريد إلاّ وجهاً واحداً جاز أن يقال إنّه هو المراد، ومتى قسمنا هذه الأقسام نكون قد قبلنا هذه الأخبار ولم نردها على وجه يوحش نقلتها والمتمسّكين بها، ولا منعنا بذلك من الكلام في تأويل الآي جملة، ولا ينبغي لأحد ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد مفصّلاً أن يقلّد أحداً من المفسّرين إلّا أن يكون التأويل مجمعاً عليه فيجب اتّباعه لمكان الإجماع لأنّ في المفسّرين من حمدت طرائقه ومدحت مذاهبه كابن عبّاس والحسن وقتادة وغيرهم، وفيهم من ذمّت مذاهبه كأبي صالح والسدي والكلبي وغيرهم هذا في الطبقة الأولى.

وأما المتأخّرون فكلّ واحد منهم نصر مذهبه وتأوّل على ما يطابق أصله؛ فلا يجوز لأحد أن يقلّد أحداً منهم بل ينبغي أن يرجع إلى الأدلّة الصحيحة، إمّا العقليّة أو الشرعيّة من اجماع عليه أو نقل متواتر به عمّن يجب اتّباع قوله؛ ولا يقبل في ذلك خبر واحد وخاصّة إذا كان ممّا طريقه العلم، ومتى كان التأويل ممّا يحتاج إلى شاهد من اللّغة فلا يقبل من الشاهد إلاّ ما كان معلوماً بين أهل اللغة شائعاً فيما بينهم، فأما ما طريقه الآحاد من الأبيات النادرة فإنّه لا يقطع بذلك ولا يجعل شاهداً على كتاب الله وينبغي أن يتوقّف فيه ويذكر ما يحتمله ولا يقطع على المراد منه بعينه، فإنّه متى قطع على المراد كان مخطئاً وإن أصاب الحق، كما روي عنه ﷺ قال ذلك تخميناً وحدساً ولم يصدر ذلك عن حجّة قاطعة وذلك باطل بالاتّفاق انتهى، وهو كلام رشيق أنيق، ويستفاد من آخره أن القول فيما يدرك من القرآن بقواعد العربيّة تخميناً وتشهياً خطأ أيضاً وإن أصاب؛ وقد اشار إلى هذا المحقّق الشريف في حاشية الكشّاف ويظهر من كلام الشيخ رحمه الله أنّ اللفظ إذا احتمل وجوهاً ولم يذكر المتقدّمون إلاّ وجهاً واحداً منها لم يجز للمتأخّر أن يحمل الآية على غيره.

وذهب الأجلّ المرتضى رحمه الله في الذريعة إلى جوازه وهذه عبارته: والذي يوضح ما ذكرناه إنّا إذا تأولنا قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] على أن المراد بها الانتظار لا الرؤية، وفرضنا أنّه لم ينقل عن المتقدّمين إلاّ هذا الوجه دون غيره جاز للمتأخّر أن يزيد على هذا التأويل ويذهب إلى أن المراد أنّهم ينظرون إلى نعم الله، لأنّ الغرض في التأويل جميعاً إنّما هو

إبطال أن يكون الله تعالى في نفسه مرئيّاً والتأويلان مشتركان في دفع ذلك، وقد قام كلّ واحد مقام صاحبه في الغرض المقصود وجرى التأويلان مجرى الأدلّة في أنّه يغني بعضها عن بعض، ثم قال: وقد خالفت في هذا المذاهب انتهى، ولا بأس به غير أن مراده بالمذاهب بعضها فإنّ المخالف في ذلك بعض العامّة، وأمّا أكثرهم فمعترفون بأنّ استنباط المعاني على قوانين اللغة العربيّة ممّا لا قصور فيه بل يعدّونه فضلاً وكمالاً كما يعلم من تتبّع كلامهم وما ذكره من جواز التأويل لا يخلو من قوّة وقد بقي من عالم الملكوت أحوال كثيرة كالآجال والأرزاق نذكرها إن شاء الله تعالى في الأنوار الأرضيّة.

وأما خلق النهار والليل وأنّ أيّهما أسبق فروي عن الرضا عليه السلام أنّه قال سألني رجل بالمدينة فقال النهار خلق قبل أم الليل، وكان الفضل بن سهل والمأمون حاضرين فقلت لهم فما عندكم، فقال الفضل للرضا عليه السلام أخبرنا بها، قال من القرآن أم من الحساب فقال له الفضل من جهة الحساب؛ قال علمت يا فضل أن طالع الدنيا السرطان والكواكب في موضع شرفها فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور، فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط الدنيا فالنهار خلق قبل الليل، وفي قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠] أي قد سبقه النهار. وأمّا سبب الظلمة فروى أبو ولاّد قال قال أبو عبد الله عليه السلام إنّ الله تعالى خلق حجاباً من ظلمة ممّا يلي المشرق ووكّل به ملكاً فإذا غابت الشمس اغترف ذلك الملك غرفة بيديه ثمَّ استقبل بها المغرب يتبع الشفق ويخرج من بين يديه قليلاً قليلاً ويمضي فيوافي المغرب عند سقوط الشمس فيسرح في الظلمة، ثمَّ يعود إلى المشرق فإذا طلع الفجر نشر جناحيه فاستاق الظلمة من المشرق إلى المغرب يوافي بها المغرب عند طلوع الشمس.

نور يشتمل على العجائب الواقعة بين السماء والأرض

اعلم أنّ الحكماء ومتابعيهم ذهبوا إلى أن طبقات العناصر سبع أعلاها الطبقة الناريّة الصرفة، وهي كرة محدّبها مماس لمقعّر فلك القمر؛ وتحته طبقة ناريّة مخلوطة من النّار الصرفة والأجزاء الهوائيّة الحارّة تتلاشى في هذه الطبقة الأدخنة المرتفعة، وتتكوّن فيها الكواكب ذوات الأذناب والنيازك وما يشبهها بل قيل إنّ فيها تكون الشهب، ثمَّ الطبقة الزمهريريّة وهي الهواء الصرف الّذي برد لمجاورة الأرض

والماء ولم يصل إليه أثر انعكاس الأشعّة، والمشهور بينهم أن هذه الطبقة منشأ السحب والرعد والبرق والصواعق فلا تكون هواءً صرفاً، ثمَّ الطبقة البخاريّة، وهي الهوائية المخلوطة مع المائيّة، ثمّ الطبقة الترابية وهي ما فيه أرضيّة وهوائيّة ثمَّ الطبقة الطينيّة وهي أرضيّة مع مائيّة، ثمَّ الطبقة الأرضية الصرفة التي هي قريبة من المركز، هذا المحصّل وفي طبقات العناصر أقوال مختلفة لا فائدة في استقصائها.

وتفصيل القول في هذه الأمور على ما قالوه هو أنّ حر الشمس وغيرها يصعد إلى الجو أجزاءً إمّا هوائيّة ومائيّة مختلطتين وهو البخار وصعوده ثقيل، وإمّا ناريّة وأرضيّة وهو الدخان وصعوده خفيف، وقلّما يصعدان ساذجين بل يتصاعد البخار والدخان في الأغلب ممتزجين، ومنهما تتكوّن جميع الآثار العلويّة على زعم الحكماء أمّا البخار فإن قلّ واشتدّ الحرّ في الهواء حلَّل الأجزاء المائيّة وقلبها إلى الهوائيّة وبقي الهواء الصرف، وإن كان البخار كثيراً ولم يكن في الهواء من الحرارة ما يخلله؛ فإن وصل ذلك البخار بصعوده إلى الطبقة الزمهريريّة التي هي الهواء البارد جمعه ببرده وتكاثف فصار سحاباً وتقاطرت الأجزاء المائيّة، إمّا بلا جمود إذا لم يكن البرد شديداً وهو المطر، وإمّا مع جمود كما إذا كان البرد شديداً، فإن كان الجمود قبل الاجتماع والتقاطر وصيرورته حبّات كباراً فهو الثلج، وإن كان الجمود بعده فهو البرد بفتح الراء وإن لم يصل البخار الصاعد إلى الزمهريريّة فإمّا أن يكون كثيراً أو قليلاً فالكثير قد ينعقد سحاباً ماطراً كما حكوه عن ابن سينا من أنّه شاهده في بعض الجبال، وقد لا ينعقد فهو الضباب[1] المجاور للأرض وهذا القليل الّذي لم يصل إلى الطبقة الزمهريرية قد يتكاثف ببرد الليل فينزل نزولاً ثقيلاً في أجزاء صغار لا يحسّ بنزولها إلاّ عند اجتماع شيء يعتد به، فإمّا بلا جمود بعد النزول وهو الطلّ[2] أو معه وهو الصّقيع، ونسبته إلى الطلّ كنسبة الثلج إلى المطر.

وقد يتكوّن السحاب من انقباض الهواء بالبرد الشديد فيحصل حينئذ منه الأقسام المذكورة وأمّا الدخان فربما يخالط السحاب أن يرتفع أبخرة وأدخنة كثيرة مختلطة إلى الطبقة الزمهريريّة فيتكاثف البخار وينعقد سحاباً فينحبس ذلك الدخان في جوف السحاب فيحرقه إمّا في صعوده بالطبع لبقائه على حرارته المقتضية لتصعيده أو عند

(١) الضباب كسحاب جمع ضبابة كسحابة وهو ندى يغشى الأرض بالغدوات وفي الصحاح الضبابة سحابة تغشى الأرض كالدخان.

(٢) الطل المطر الضعيف القطر والجمع طلال بالكسر.

هبوطه للتكاثف بالبرد الشديد فيحدث من خرق الدخان للسحاب ومصاكّته إياه صوت هو الرعد وقد يشتعل الدخان بقوّة التسخين وذلك لأنّه شيء لطيف وفيه مائيّة وأرضيّة عمل فيها الحرارة والحركة عملاً قرّب مزاجه من الدهنيّة فصار بحيث يشتعل بأدنى سبب فكيف لا يشتعل بالتسخين القويّ الحاصل من الحرارة الشديدة والمصاكّة، وإذا اشتعل فاللطيف منه ينطفئ سريعاً وهو البرق وكثيفه لا ينطفئ حتّى يصل إلى الأرض وهو الصاعقة، وإذا وصل إليها فربّما صار لطيفاً ينفذ في المتخلل ولا يحرقه.

وحكوا في كتبهم أن صبيّاً كان في صحراء فأصابت ساقيه صاعقة فسقط رجلاه ولم يخرج منه دم لحصول الكيّ بحرارتها، وقد يصل الدخان إلى كرة النّار لأنّه أجزاء أرضيّة يابسة فتحفظ الحرارة التي تصعدها بخلاف البخار، فإذا وصل الدخان إلى تلك الكرة فيحترق الدخان كالشمعة التي تطفأ ويحاذى بها من تحت شمعة مشتعلة فيشتعل الدخان الواصل إلى الشمعة الفوقانيّة وتتّصل النّار التي وقعت في ذلك الدخان بالشمعة السفلانية فتشعل بهذه النار، فما كان من ذلك الدخان لطيفاً صار مشتعلاً ونفذ النّار فيه بسرعة فرئي ذلك المشتعل كأنّه كوكب ينقض وهو الشهاب، وما كان منه كثيفاً لا في الغاية تعلّق به النّار تعلّقاً تامّاً من غير اشتعال بل ثبت فيه الاحتراق ودام متّصلاً لا ينطفئ أيّاماً وشهوراً ويكون على صورة ذؤابة أو ذنب أو رمح أو حيوان له قرون.

وحكي أن بعد المسيح عليه السلام بزمان كثير ظهر في السّماء نار مضطربة من ناحية القطب الشمالي وبقيت السنة كلّها وكانت الظلمة تغشى العالم من تسع ساعات من النهار إلى الليل حتّى أنّه لم يكن أحد يبصر شيئاً وكان ينزل من الجوّ شبه الهشيم[1] والرماد وإذا كان البخار غليظاً أو كثيفاً جدّاً تعلق به النّار تعلّقاً ما فيحدث في الجوّ علامات سود أو حمر على حسب غلظ المادّة؛ فإذا كانت غليظة ظهرت الحمرة وإذا كانت أغلظ ظهر السواد؛ وقد تقف الذؤابات ونحوها تحت كوكب فيديرها الفلك معه مشايعة إيّاه فيرى كأنّ لذلك الكوكب ذؤابة أو ذنباً أو قرناً؛ وإن اتّصل الدخان بالأرض تشتعل النّار فيه نازلة إلى الأرض ويسمّى الحريق وأمّا أسباب الهواء فقد ذكروا فيه أن الدخان قد ينكسر حرّه عند الوصول إلى الكرة الزمهريريّة فيرجع بطبعه

(١) الهشيم اليابس من النبت وتهشم تكسر وهشمت الشيء كسرته.

إلى الأرض؛ وقد لا ينكسر وحينئذ يصعد ويصادم كرة النّار فيرجع ويمتدّ بمصادمة كرة النّار المتحرّكة بحركة الفلك رجوعاً إلى جهات مختلفة؛ فيتموّج الهواء ويضطرب وهو الريح؛ والريح كما يحدث بهذا يحدث أيضاً بأن يتخلل الهواء فيندفع عن مكانه بواسطة عظم مقداره فيدافع ما يجاوره فيطاوعه ويدافع ذلك المجاور أيضاً؛ فيتموّج الهواء وتضعف تلك المدافعة شيئاً فشيئاً إلى غاية ما فيقف؛ وقد تحدث رياح مختلفة الجهة دفعة فتدافع تلك الرياح الأجزاء الأرضية فتنضغط الأرضيّة بينها مرتفعة كأنّها تلوي على نفسها وهي الزوابع والأعصار؛ ويقال له بالفارسية (گردباد).

وأمّا مهبّ الرياح فغير منحصرة حقيقة في عدد إلاّ أنّهم جعلوا أصولها أربعة، هي نقطة المشرق والمغرب والشمال والجنوب، والعرب تسمّي الرياح التي تهبّ منها بالقبول والدبور والشمال والجنوب، وتسمي التي تهبّ مما بينها نكباء وهذا كلّه إنّما قال به الفلاسفة لأجل نفيهم القادر المختار؛ فأحالوا اختلاف الأجسام بالصور إلى استعداد في موادّها يقتضي اختلاف الصور الحالّة فيها، وأحالوا اختلاف آثارها إلى صورها المتباينة وأمزجتها المتخالفة، وأحالوا كلّ هذا إلى حركات الافلاك وأوضاعها وأمّا المتكلّمون فقالوا الأجسام متجانسة بالذّات لتركّبها من الجواهر الأفراد؛ وإنّها متماثلة لا اختلاف فيها وإنّما يعرض الاختلاف للأجسام لا في ذواتها بل بما يحصل فيها من الأعراض بفعل القادر المختار، هذا محصّل مقالتهم وهي عن الشرع بمعزل[1] فإنّه قد ورد في الشريعة الغرّاء لكلّ واحد من هذه الأمور

---

(١) هذا كلام عجيب حيث تخيل المصنف رحمه الله إنّ ما ذكروه من تلك الأسباب الطبيعية ينافي ما ورد في الأخبار الدينية من الأسباب المعنوية وقد ذكرنا فيما سبق كلاماً يكشف الغطاء عن وجه الحقيقة في هذا المقام انظر صفحة ١٩٨ في الهامش من هذا الكتاب ويوجد في أخبار أهل البيت عليهم السلام أيضاً ذكر من بعض تلك الأسباب الطبيعية قال الصادق عليه السلام في توحيد المفضل المشهور ما هذا لفظه الشريف: (ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات فيتولد فيهما مواد الثمار ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر الخ). وقال عليه السلام أيضاً: (لولا كثرته - يعني الهواء - وسعته لاختنق هذا الأنام من الدخان والبخار التي تتحير فيه ويعجز عما يحول إلى السحاب والضباب). وقال عليه السلام أيضاً: (فكر في ضروب من التدبير في الشجر فإنك تراه يموت في كلّ سنة موتة فيحتبس الحرارة الغريزية في عوده ويتولد فيه مواد الثمار ثم تحيا وتنتشر فتأتيك بهذه الفواكه الخ).

فتفكر في هذه الكلمات الشريفة الصادرة عن الإمام عليه السلام ثم ارجع إلى كلمات المصنف رحمه الله ولاسيما كلماته العجيبة التي تأتي بعد هذا.

أسباب من جهة القادر المختار دلّنا عليها من رأى السماوات وصعد إليها ومشى فوقها وشاهدها عياناً وهو النبيّ الأميّ ﷺ؛ ولنشرع الآن في بيان أسبابها من الآيات والأخبار فنقول:

أما الشهب فقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ [الصافات: ٦-١٠]؛ فإنّه سبحانه في مقام الامتنان على عبيده بأنّه زيّن لهم هذه السّماء الدانية إليهم وهي الأولى بزينة الكواكب الظاهرة المشاهدة وحفظها من صعود الشياطين إليها بأنّهم إذا صعدوا إليها لاستماع ما تقوله الملائكة قذفوهم بالشهب من كلّ جانب من جوانب السماوات دحوراً أي طرداً؛ ولهم عذاب في القيامة عذاب واصب أي دائم، إلّا من خطف الخطفة والتقدير أنّهم لا يسمعون إلى الملائكة إلاّ من وثب الوثبة إلى قريب من السّماء لتسلب السماع بسرعة فأتبعه شهاب ثاقب أي فلحقته نار محرقة؛ وقد أوضح في موضع آخر عن رؤيتنا لتلك الشهب فقال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٨] لأنّهم كانوا يسترقون السمع ويستمعون إلى كلام الملائكة ويلقون ذلك إلى ضعفة الجن وكانوا يوسوسون بها في قلوب الكهنة ويوهمونهم أنّهم يعرفون الغيب، وقد كان الشيطان بعد أن طرد إلى الأرض يصعد إلى السماوات ويطلع على ما في عالم الملكوت فلمّا ولد عيسى عليه السلام منع عمّا فوق السّماء الرابعة، ولمّا ولد النبيّ ﷺ منع من السماوات كلّها فهذه الشهب المشاهدة هي النّيران السماوية التي تطرد الملائكة بها الشياطين المخترقة للسمع.

وقد رام بعض المتكلفين التوافق بين هذا وبين قول الفلاسفة السابق بأن يكون احتراق تلك الأجرام مقارنة لصعود الشياطين ورمي الملائكة لهم، ولا يخفى أنّه صلح من غير تراضي الخصمين مع أن مفاسده ممّا لا تحصى كثرة، وأمّا السحاب فهو مخلوق من مخلوقاته سبحانه لإيصال الأرزاق إلى عباده، ولها مكان خاصّ تستقرّ فيه فإذا أراد الله سبحانه أن يحملها المياه أمر الملائكة الموكّلين بها فيسوقونها إلى البحر على مقدار احتياج العباد، وميكائيل عليه السلام على البحر فيكيل لها الماء ويأمرها بالمسير إلى المكان الّذي يريده، ويجعل مع كلّ سحابة ملكاً يسوقها وهو أصغر من الزنبور وأكبر من الذبابة، وفي يده سوط يسوقها به؛ فالرعد صوته والبرق سوطه، وقد شاهدنا نحن وغيرنا من السحاب نوعاً من الشعور: وهو أنّه ربّما استقرّ وسكن على رؤوس الجبال إمّا في ذهابه أو إيابه؛ فإذا أتى الإنسان نحوه وقرب إليه

ارتفع من بين يديه سريعاً حتّى إنّه ربّما اصطادوه كما يصطادون الحيوانات، وذلك أنّهم يجعلون كلاباً في رأس جبل طويل ويحفرون لهم حفائر في رؤوس الجبال فيخفون أنفسهم فيها، فإذا وقع السحاب على الجبال خرجوا بسرعة من الحفيرة، فإذا ارتفع رموه بذلك الحبل فيعلق بالكلاب منه قطعة تنعزل من السحابة فيأخذونها لمصالح كثيرة، وقد رأيناها على هيئة بيت الزنبور لأجل أن تكون غربالاً للمطر[1] حتّى يقع متقاطراً وإلاّ خرَّب البلاد التي يقع فيها كما كان في وقت طوفان نوح عليه السلام، ويجوز أن يكون ذلك الإحساس للملك الموكّل بالسحابة فتأمّل.

روى الكليني بإسناده إلى العرزمي رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام وسئل عن السحاب أين يكون قال يكون على شجر كثيب على شاطىء البحر يأوي إليه، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يرسله أرسل ريحاً فأثارته، ووكّل به ملائكة يضربونه بالمخاريق وهو البرق فيرتفع ثم قرأ هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩] والملك اسمه الرعد.

وأمّا الأمطار فقد تقدّم أن المطر الأول يأتي من بحر تحت العرش وهو الّذي ينبت به أرزاق الحيوانات، والبعض الآخر يأتي من البحر من الملك الموكّل به وهو ميكائيل وفي الحديث أن الله سبحانه قد خلق في السّماء جبالاً من برد وجبالاً من ثلج وجبالاً من الجمد، فإذا أراد أن يمطر منه أمطر؛ وذهب أفلاطون إلى أن لكلّ قطرة من المطر والثلج وكل حبّة من حبّ الغمام وكلّ شجر ونبت وحيوان عقلاً مربياً له في العالم العلوي يحصل منه نماؤه ونشؤه، وتفاضلها في هذا العالم لوناً وطعماً ورائحة إنّما هو باعتبار تفاوت مراتب تلك العقول المربية، وبالغ متابعوه في هذا المعنى حتّى قالوا إنّ لكل ريشة من الطاووس عقلاً يستند إليه اختلاف ألوان ذلك الريش، والتوفيق بين القولين بأنّ البخار ينعقد حال هذه الإرادات لا يخلو من تكلّف لأنّ غرض الفلاسفة هو عدم إسناد هذه الأمور إليه سبحانه بناء على ذلك الأصل الضعيف، وهو أن الواحد لا يصدر عنه إلاّ فعل واحد مع أنّه سبحانه على ما يشاء قدير.

وأما الرياح فهي من أقوى جنود الله سبحانه ومنها رياح رحمة، ومنها رياح

---

(١) لم يتبين لي هذا المطلب الغريب وأظنه من اشتباهات المصنف رحمه الله وحسن ظنه ببعض المسموعات أو الأشياء المصنوعة واعتماده على بعض القصص التي تتفوه بها العوام.

عذاب ونقمة كما قال سبحانه: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، وقال: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] فإنّها تعقم الشجر من حمل الثمار وتعقم أرحام النساء وأصلاب الرجال، كما روي أن الله سبحانه لمّا أراد إهلاك قوم نوح أرسل الريح العقيم فهبّت عليهم فعقمت الأصلاب والأرحام فبقوا أربعين سنة لا يولد لهم مولود حتّى أغرقهم، لأنّ الأطفال لا ذنب لهم وقول نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] لعله أراد أنّهم لمّا بلغوا كانوا كذلك، أو أنّه أشار إلى أن ولد الكافر يجري عليه ما يجري على أبويه من الاسم وبعض الأحكام، قال صاحب الغريبين لم يأت لفظ الريح إلاّ بالشرّ والرياح إلاّ في الخير، قال الله تعالى: ﴿عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، وقد صلّى عليّ بن الحسين عليه السلام في الصحيفة على الملائكة القوّام على خزائن الرياح، قال الباقر عليه السلام إنّ الريح العقيم ريح عذاب تخرج من تحت الأرضين السبع وما خرجت منها ريح قطّ إلاّ على قوم عاد حين غضب الله عليهم.

وروى الكليني طاب ثراه في حديث طويل عن الباقر عليه السلام قال فأمّا الرياح الأربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فإنّما هي أسماء الملائكة الموكّلين بها؛ فإذا أراد الله أن يهبّ شمالاً أمر الملك الّذي اسمه الشمال فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشاميّ فضرب بجناحيه فتفرقت ريح الشمال حيث يريد الله من البرّ والبحر وإذا أراد الله أن يبعث جنوباً أمر الملك الّذي اسمه الجنوب فهبط على البيت الحرام، فقام على الركن الشامي فضرب بجناحيه فتفرقت ريح الجنوب في البر والبحر حيث يريد الله، وإذا أراد الله أن يبعث ريح الصبا أمر الملك الّذي اسمه الصبا فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحيه فتفرّقت ريح الصبا حيث يريد الله عزّ وجلّ في البرّ والبحر، وإذا أراد الله أن يبعث دبوراً أمر الملك الّذي اسمه الدبور فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحيه فتفرّقت ريح الدبور حيث يريد الله من البرّ والبحر، ثم قال أبو جعفر عليه السلام أما تسمع لقوله: ريح الشمال وريح الجنوب وريح الدبور وريح الصبا إنّما تضاف إلى الملائكة الموكّلين بها[١] وقال عليه السلام وأمّا الريح العقيم فإنّها ريح عذاب لا تلقح شيئاً من

---

(١) قال العلاّمة الفيض قدس سره في الوافي: وإنما أضاف الرياح إلى الملائكة لأنّ لكل شيء في هذا العالم ملكوتاً في عالم أعلى منه به حياته وتسبيحه كما قال الله سبحانه: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣] انظر الوافي كتاب الروضة ص ١٢٧.

الأرحام ولا شيئاً من النبات، وهي ريح تخرج من تحت الأرضين السبع وما خرجت منها ريح قطّ إلاّ على قوم عاد والحديث طويل وقد تقدّم تمامه.

وعن العرزمي قال كنت مع أبي عبد الله عليه السلام جالساً في الحجر تحت الميزاب ورجل يخاصم رجلاً، وأحدهما يقول لصاحبه والله ما تدري من أين تهبّ الريح فلمّا أكثر عليه قال له أبو عبد الله عليه السلام فهل تدري أنت قال لا ولكنّي أسمع النّاس يقولون فقلت أنا لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك من أين تهبّ الريح؟ فقال إن الريح مسجونة تحت هذا الركن الشامي فإذا أراد الله عزّ وجلّ أنّ يخرج منها شيئاً أخرجه، إما جنوب فجنوب أو شمال فشمال أو صبا فصبا أو دبور فدبور، ثمَّ قال عليه السلام من آية ذلك إنّك لا تزال ترى هذا الركن متحرّكاً أبداً في الشتاء والصيف والليل والنهار[1].

---

(١) هذا الخبر رواه الشيخ الكليني رحمه الله في روضة الكافي بسند مقطوع وفيه محمد بن الفضيل وهو من الضعفاء فطريق الخبر مقطوع ضعيف وإن كان العرزمي وهو عبد الرحمن بن محمّد من الثقات ولكن النتيجة تتبع لأخسّ المقدمتين ويكون الخبر ضعيفاً بضعف أحد رواة سنده كما هو مشروح ومبين في علم الدراية.
وأما متن الخبر فهو من متشابه الأخبار إن حملناه على ظاهره فلا بد من شرحه وتوجيهه إن أمكن وإلا يلزم طرحه أو رد علمه إليهم عليهم السلام على فرض الصدور فنقول:
قوله: ولكني اسمع النّاس يقولون أي يقولون إنّ مهب الريح كذا وكذا. وقوله: إنّ الريح مسجونة تحت هذا الركن الشامي لعله إشارة إلى بعض الأسباب المعنوية وكناية عن قيام الملائكة الذين بهم تهب تلك الرياح في باطن الأمر فوقه عند إرادة ذلك قوله: إمّا جنوب فجنوب الخ قال بعض الشارحين التقدير أن كان الجنوب هو المأمور بالخروج فالخارج جنوب والتركيب من قبيل إن خير فخير لكن عوض هنا كلمة ما عن كلمة كان مثل اما أنت منطلقاً انطلقت قال ابن مالك:

وبعد إن تعويض ما عنها ارتكب ... كمثل إمّا أنت براً فاقترب

وعليه فقس البواقي من عبارة الخبر.
قوله: وآية ذلك أي علامة كون الريح مسجونة تحت هذا الركن قوله: إنّك لا تزال ترى هذا الركن متحركاً الخ والمصنف لم يتعرض لمعنى هذه الجملة الأخيرة من الخبر مع أنّها المهم فيه فنقول: إن كان لفظ ترى من الرؤية بمعنى العلم كما هو الظاهر لتعديته هنا إلى المفعولين فالمراد أنك تعلم ذلك بأخبار الصادقين وان كان بمعنى الابصار كما هو ظاهر سياق الخبر في بادىء النظر على أن يكون هذا الركن مفعوله ومتحركاً حالاً عنه وعلى هذا قال بعض الشارحين فلعل المراد حركة الثوب المعلق عليه وقال الفيض قدس سره في الوافي: (لعل المراد بتحرك الركن الهواء المطيف) والله العالم.

ولا منافاة بين الخبرين لأنّ قوله عليه السلام مسجونة تحت هذا الركن يجوز أن يكون كناية عن كونه محلاً للرياح التي تحصل من وقوف الملائكة عليه ويجوز أن يكون إشارة إلى تنوّعه أنواعاً.

فإن قلت يلزم أن يكون مهب الرياح كلّها جهة القبلة مع أن الّذي ذكره الفقهاء وغيرهم أن الجنوب محلّها ما بين مطلع سهيل إلى مطلع الشمس في الاعتدالين، والصبا محلّها ما بين مطلع الشمس إلى الجدي، والشمال محلّها من الجدي إلى مغرب الشمس في الاعتدال، والدبور محلّها من مغرب الشمس إلى سهيل، قلنا هذا غير لازم لأنّ جناح الملك لعظمته يمكنه أن يحركه بأيّ نحو أراد، وقد روي أن ريح الشمال إذا خرجت من محلّها تخرج حارّة لكنّها تمرّ على وادي السلام وهي جنّة الدنيا الواقعة بظهر الكوفة فتكتسب منها اللطافة والبرودة وأمّا الجنوب فهي تخرج من محلّها باردة لكنّها تمرّ على برهوت واد في اليمن وهو نار الدنيا فتصير حارّة بمرورها عليه.

وأمّا الّذي رويناه في نور أوّل المخلوقات من أنّه تعالى أوّل ما خلق الماء، ثمّ خلق الريح من الماء فالظاهر أن المراد به جوهر شفّاف مغاير لهذه الرياح، ويجوز أن يكون مادّة لها كما كان لغيرها، وروى أبو بصير قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرياح الأربع الشمال والجنوب والصبا والدبور، وقلت له إنّ النّاس يقولون إن الشمال من الجنّة والجنوب من النار، فقال إنّ لله عزّ وجلّ جنوداً من الريح يعذب بها من عصاه موكّل بكلّ ريح منهنّ ملك مطاع، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يعذّب قوماً بعذاب أوحى الله إلى الملك الموكّل بذلك النوع من الريح الّذي يريد أن يعذّبهم بها؛ فيأمر بها الملك فتهيج كما يهيج الأسد المغضب ولكلّ ريح منهنّ اسم أما تسمع لقول الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩].

وقال عزّ وجلّ: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، وقال: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦] إعصار فيه نار؛ والإعصار التي فيها نار وما ذكر في الكتاب من الرياح التي يعذّب بها من عصاه ولله عزّ وجلّ رياح رحمة لواقح ورياح تهيج السحاب فتسوق السحاب ورياح تحبس السحاب بين السّماء والأرض؛ ورياح تعصره فتمطر بإذن الله عزّ وجلّ ورياح تفرّق السحاب، ورياح ممّا أعدّ الله عزّ وجلّ في الكتاب وقال الصادق عليه السلام نعم الريح الجنوب تكسر البرد عن المساكين وتلقح الشجر وتسيل الأودية.

وقال علي عليه السلام : الرياح خمسة منها العقيم فنعوذ بالله من شرّها وكان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا هبّت ريح صفراء أو حمراء أو سوداء تغيّر وجهه واصفرّ وكان كالخائف الوجل حتّى تنزل من السّماء قطرة من مطر فيرجع إليه لونه ويقول جاءتكم بالرحمة. وروي أنّه قال كامل كنت مع أبي جعفر عليه السلام بالعريض فهبّت ريح شديدة فجعل أبو جعفر عليه السلام يكبّر ثمَّ قال إنّ التكبير يردّ الريح؛ وقال عليه السلام ما بعث الله عزّ وجلّ ريحاً إلّا رحمة أو عذاباً؛ فإذا رأيتموها فقولوا اللهمَّ إنّا نسألك خيرها وخير ما أُرسلت له، ونعوذ بك من شرّها وشرّ ما أُرسلت له وكبّروا وارفعوا أصواتكم بالتكبير فإنّه يكسرها؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تسبّوا الرياح فإنّها مأمورة، ولا الجبال ولا الساعات ولا الأيّام ولا الليالي فتأثموا وترجع إليكم.

أقول: ظاهر قوله صلى الله عليه وآله فتأثموا هو التحريم لأنّ المكروه خال من الإثم ولم يذكره أحد من الأصحاب رضوان الله عليهم سوى ظاهر ابن بابويه؛ والقول بالتحريم غير بعيد لأنّ الرياح وما ذكر معها جند من جنود الله ومخلوقات من خلقه خلقها لمصالح العباد ولاستعتابهم وللشّهادة عليهم؛ كما في الحديث أنّ الأيام تتجسّم وتأتي في القيامة تشهد للإنسان أو عليه فلا تستحقّ السبّ واللعن؛ والسبّ ليس هو خصوص اللّعن بل ما يتناوله مع الشتم وفي الحديث إنّ اللعنة إذا خرجت من صاحبها تردّدت فإن رأت محلاً علقت به وإلاّ رجعت إلى صاحبها وهو أولى بها، ولا شك أن هذه الأمور ليست محلاً لتلك اللّعنة فهي ترجع إلى صاحبها ومن هنا حصل له الإثم.

وروي أن رجلاً نازعته الريح فلعنها فقال عليه السلام لا تلعنها فإنّها مأمورة، وأنّه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه؛ وقال صلى الله عليه وآله لا يأتي على النّاس زمان إلاّ والذي بعده شرّ منه، لا تسبّوا الدهر فإنّ الله هو الدهر. ومعناه كما قيل لا تسبّوا الدهر فإنّ الله مصرف الدهر ومقلّبه ولا فعل للدهر بحال؛ فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وقال بعض الأفاضل المعتمد في الحديث أنّ الملحدين ومن نفى الصانع منهم نسبوا أفعال الله تعالى المختصّة به من الموت والحياة والصّحة والمرض إلى الدهر جهلاً منهم ويذمّون الدهر ويسبّونه من حيث إنهم اعتقدوا أن هذه الأفعال صادرة منه، فنهاهم النبيّ صلى الله عليه وآله وقال لا تسبوا الدهر أي لا تسبّوا من فعل بكم هذه الأفعال ممّن تعتقدون أنّه الدهر فإنّ الله تعالى هو يالفاعل لهذه الأفعال، وإنّما قال فإنّ الله هو الدهر من حيث إنّهم نسبوا أفعال الله إلى الدهر أي من جعلتموه دهراً باعتقادكم الفاسد.

وقد حكى الله ذلك عنهم في قوله: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤]؛ وفي سؤال الزنديق للصادق عليه السلام في حديث طويل قال فاخبرني ما جوهر الريح قال الريح هواء إذا تحرّك يسمى ريحاً وإذا سكن يسمى هواءً وبه قوام الدنيا ولو كفّت الريح ثلاثة أيام لفسد كلّ شيء على وجه الأرض ونتن، وذلك لأنّ الريح بمنزلة المروحة تذهب وتدفع الفساد عن كلّ شيء وتطيبه فهي بمنزلة الروح إذا خرجت عن البدن نتن البدن وتغيّر تبارك الله أحسن الخالقين.

وفي كتاب الإحتجاج روى عن علي بن يقطين أنّه قال أمر أبو جعفر الدوانيقي يقطين أن يحفر بئراً بقصر العبادي فلم يزل في حفرها حتّى مات أبو جعفر ولم يستنبط منها الماء، فأخبر المهدي بذلك فقال إحفر أبداً حتّى يستنبط الماء ولو أنفقت جميع ما في بيت المال، قال فوجّه يقطين أخاه أبا موسى في حفرها؛ فلم يزل يحفر حتّى ثقبوا ثقباً في أسفل الأرض، فخرجت منه الريح قال فهالهم ذلك فأخبروا به أبا موسى؛ فقال أنزلوني فأُنزل وكان رأس البئر أربعين ذراعاً في أربعين ذراعاً فأجلس في شقّ محمل ودلي في البئر فلمّا صار في قعرها نظر إلى هول وسمع دويّ الريح في أسفل ذلك فأمرهم أن يوسعوا الخرق فجعلوه شبه الباب العظيم، ثمَّ دلي فيه رجلان في شقّ محمل فقال ائتوني بخبر هذا ما هو قال فنزلا في شقّ محمل فمكثا مليّاً ثمَّ حرّكا الحبل فاصعدا، فقال لهما ما رأيتما قالا أمراً عظيماً رجالاً ونساءً وبيوتاً وآنية ومتاعاً كلّه ممسوخ من حجارة، فأمّا الرجال والنساء فعليهم ثيابهم فمن بين قاعد ومضطجع ومتّكئ فلمّا مسسناهم فإذا ثيابهم تنفش شبه الهباء ومنازل قائمة، قال فكتب بذلك أبو موسى إلى المهديّ فكتب المهدّي إلى المدينة إلى موسى بن جعفر عليه السلام يسأله أن يقدم عليه فقدم إليه فأخبره فبكى بكاءً شديداً وقال يا أمير المؤمنين هؤلاء بقيّة قوم عاد غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم، هؤلاء أصحاب الأحقاف قال فقال له المهديّ يا أبا الحسن وما الأحقاف قال الرمل.

والحاصل أنّ الرياح من جنوده سبحانه وتعالى عمّا يقول الفلاسفة علوّاً كبيراً وأمّا الصاعقة فهي نار تتكوّن من ضرب مخاريق الملائكة للسحاب، وهو جسم كثيف إذا وقع على الأرض شقّها، قالوا إنّه لا يسكن إلاّ إذا وصل إلى الماء وذكروا من خواصّه أنّه إذا نزل على ذهب أو فضّة في معدن أذابه وأذا جعل ذلك الذهب في كيس أو نحوه فلا يغيّر جوهره ولا يذيبه، وزعم ابن سينا في شفائه أن السيوف التي تمدحها الشعراء متّخذة من حديد الصواعق.

ومن المكوّنات في الهواء الذرّات؛ روى الصدوق رحمه الله مسنداً إلى عليّ عليه السلام

وقد سئل مما خلق الله عزّ وجلّ الذرّ الّذي يدخل في كوّة البيت فقال إنّ موسى عليه السلام لمّا قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال الله عزّ وجلّ إنّ استقرّ الجبل لنوري فإنّك ستقوى على أن تنظر إليّ وإن لم يستقرّ فلا تطيق إبصاري لضعفك، فلمّا تجلّى الله تبارك وتعالى للجبل تقطّع ثلاث قطع، فقطعة ارتفعت في السّماء وقطعة غاصت تحت الأرض؛ وقطعة بقيت فهذا الذرّ من ذلك الغبار غبار الجبل، أقول يجوز أن يكون معناه أن مادة الذرّ هو ذلك الجبل المتقطع لا أن كلّ ذرّ منه فإنّ المشاهد أن بعض الذرّ يرتفع من الأجسام المحسوسة ويشاهد في الكوّة لكن يكون هذا الذرّ قد انضاف إلى ذلك الذرّ.

ومن جملة كائنات الهواء الشياطين والجنّ وهما عند الملّيّين أجسام تتشكّل بأيّ شكل شاءت وتقدر على أن تتولّج في بواطن الحيوانات وتنفذ في منافذها الضيّقة نفوذ الهواء، وقد اختلفوا في اختلافهما بالنوع مع اتّفاقهم على أنّهما من أصناف المكلّفين؛ وأمّا الفلاسفة فقد أنكروهما رأساً وقالوا إنّ ما يتوهمه النّاس كونه جنّاً فإنّما هو خيالات وأخلاط من السوداء والصفراء وغير ذلك وقد استندوا في نفيهما إلى خيالات وهميّة سموها دلائل عقليّة لا نطول الكتاب بذكرها لظهور فسادها.

وقال قوم هي النفوس الناطقة المفارقة فالخيرة من المفارقة عن الأبدان تتعلق بالخيّرة من المقارنة لها نوعاً من التعلّق وتعاونها على الخير والسداد وهي الجنّ، والشريرة منها تتعلّق بالشرّيرة وتعاونها على الشرّ والفساد وهي الشياطين، والمفهوم من الآيات والأخبار أنّهما نوعان متقاربان في الذات والصفات داخلان تحت قلم التكليف، إلاّ أن المسلمين من الجنّ أكثر من مسلمي الشياطين وإلاّ فالشياطين فيهم المؤمن أيضاً روى الصفّار وغيره قال قال أبو عبد الله عليه السلام بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس إذ أتاه رجل طويل كأنّه نخلة فسلّم عليه، فقال من أنت يا عبد الله فقال الهام بن الهيم بن لاقيس بن إبليس، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله كم أتى لك، قال أنا أيّام قتل قابيل هابيل غلام أفهم الكلام وأنهى عن الاعتصام وآمر بقطيعة الأرحام وأُفسد الطعام، ولكنّي تبت على يدي نوح وكنت معه في السفينة (سفينته خ ل) وعاتبته على دعائه على قومه حتّى بكى وأبكاني، وقال لا جرم إنّي على ذلك من النادمين، وكنت مع إبراهيم حين أُلقي في النار، وعلّمني موسى سفراً من التوراة، وعيسى سفراً من الإنجيل، وقال إن أدركت محمّداً صلى الله عليه وآله فاقرأه منّي السلام، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام وعلّمه سوراً من القرآن الحديث.

وأما مادّة خلقتهما فالمشهور أنّهما من النّار كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ

مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، وقوله: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمٰن: ١٥]، والمارج هو لهب النّار الخالص من الدخان، فعلى هذا يكون عنصره واحداً، وقيل هو مركّب من العناصر الأربعة إلاّ أن الأغلب عليه النّار فلذا كان هو المنسوب إليه، ويؤيّده أنّ في الآيات ذكر خلق الإنسان معه هكذا ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمٰن: ١٤-١٥]، والصلصال الطين اليابس، والفخّار الطين المطبوخ بالنار، فلذا لم يذكر للإنسان سوى الطين لكونه الأغلب فيه، ومن ثمّ كان المكان الطبيعي للجسم هو مكان أغلب عناصره، وقد ثبت هذا بالبرهان والمراد بالجانّ في هذه الآيات على ما قاله أكثر المفسّرين أبو الجنّ، وقال الحسن هو إبليس أبو الجنّ فيكون النوع واحداً وقد تواترت الأخبار ببقائهما بعد النبيّ ﷺ إلى يوم القيامة.

أمّا الشياطين فلا خلاف فيه بين المسلمين وأمّا الجنّ فقد نقل لي شيخنا الثقة أن الفاضل القزويني[1] أدام الله أيامه قد أنكر وجودهم بعد النبيّ ﷺ وقال إنّه دعا عليهم فماتوا جميعاً[2] وإلى هذا ذهب سلطان العلماء قدس الله روحه، وحكى لي ابنه المقدس العدل أن أباه كان يتعمّد في الليالي للأماكن الموحشة المظلمة لعلّه يرى أحداً منهم فلم يتفق له، قال ولده فقلت له أنّهم لا يظهرون على من له قوة قلب وإنما يظهرون على ضعفاء القلوب؛ وبالجملة فإن عليّاً عليه السلام قد قاتلهم زمن النبيّ ﷺ فأسلم منهم جماعة وعيّن عليهم خليفة منهم، وكانت خلفاؤه عليهم بعد النبيّ ﷺ كلما مات خليفة عيّن عليه السلام لهم موضعه خليفة.

وهكذا روى شيخنا المفيد قدّس الله روحه في إرشاده مسنداً إلى ابن عبّاس قال لمّا خرج النبيّ ﷺ إلى بني المصطلق جنب عن الطريق فأدركه الليل ونزل بقرب واد وعر، فلمّا كان في آخر الليل هبط جبرائيل عليه السلام يخبره أن طائفة من كفار الجنّ قد استبطنوا الوادي يريدون كيده عليه السلام وإيقاع الشرّ بأصحابه عند سلوكهم إيّاه، فدعا أمير المؤمنين فقال له اذهب إلى هذا الوادي فسيعرض لك من أعداء الله الجنّ من يريدك فادفعهم بالقوّة التي أعطاك الله عزّ وجلّ وتحصّن منهم بأسماء الله عزّ وجلّ التي

(١) هو العالم الفاضل الشهير المولى خليل القزويني رحمه الله المتوفى (١٠٨٩هـ) له آراء وأقوال غريبة واعوجاج في السليقة وكلمات عجيبة في فهم عبارات الأئمة عليهم السلام راجع إلى روضات الجنات وغيرها.

(٢) هذا مجرد ادعاء لا دليل عليه.

خصّك بعلمها وأنفذ معه مائة رجل من أخلاط النّاس وقال لهم كونوا معه وامتثلوا أمره، فتوجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الوادي فلمّا قرب من شفيره أمر المائة الذين صحبوه أن يقفوا بقرب الشفير ولا يحدثوا شيئاً حتّى يؤذن لهم؛ ثمَّ تقدم فوقف على شفير الوادي وتعوّذ بالله من أعدائه وسمّى الله عزّ اسمه وأومأ إلى القوم الذين اتّبعوه أن يقربوا منه، فقربوا وكان بينه وبينهم فرجة مسافتها غلوة سهم ثمَّ رام الهبوط إلى الوادي فاعترضت ريح عاصف كاد أن يقع القوم على وجوههم لشدّتها ولم تثبت على الأرض من هول الخصم ومن هول ما لحقهم فصاح أمير المؤمنين عليه السلام: أنا عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب وصيّ رسول الله وابن عمّه اثبتوا إن شئتم، فظهر للقوم أشخاص على صورة الزطّ[1] يخيل في أيديهم شعل النيران قد اطمأنوا وأطافوا بجنبات الوادي، فتوغّل أمير المؤمنين عليه السلام بطن الوادي وهو يتلو القرآن ويؤمئ بسيفه يميناً وشمالاً، فما لبثت الأشخاص حتّى صارت كالدخان الأسود وكبّر أمير المؤمنين عليه السلام ثم صعد من حيث هبط فقام مع القوم الذين اتّبعوه حتّى أسفر الموضع عمّا اعتراه.

فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ما لقيت يا أبا الحسن فلقد كدنا أن نهلك خوفاً وأشفقنا عليك أكثر ممّا لحقنا، فقال عليه السلام إنّه لمّا تراءى لي العدوّ جهرت فيهم بأسماء الله فتضاءلوا، وعلمت ما حلّ بهم من الجزع فتوغّلت الوادي غير خائف منهم، ولو بقوا على نيّاتهم لأتيت على آخرهم وقد كفى الله كيدهم وكفى المؤمنين شرّهم، وستسبقني بقيتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يؤمنون به. وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام بمن معه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره الخبر فسري عنه ودعا له بخير، وقال له قد سبقك يا علي من أخافه الله بك وأسلم وقبلت إسلامه، ثمَّ ارتحل بجماعة المسلمين حتّى قطع (قطعوا خ) الوادي آمنين غير خائفين.

أقول: هذا الحديث رواه العامّة والخاصّة، ومثله قتاله عليه السلام مع جنّ وادي الصبرة، وأيضاً في المدينة الطيّبة قد قاتلهم وفي زمن خلافته أتاه الثعبان وهو على المنبر في مسجد الكوفة وكان ابن خليفته على الجنّ وقد كان مات أبوه فخلفه موضع أبيه وكان اسمه عمرو بن عثمان وخرج ذلك الثعبان من الباب الذي اشتهر بباب

(١) الزط بضم الزاي وتشديد المهملة جنس من السودان والهنود وهندي وهنود مثل زنجي وزنوج وزط زطاً الذباب: صوَّت وفي أقرب الموارد: الزط طائفة من أهل الهند معرب جت وإليهم تنسب الثياب الزطية الواحد زطيّ وفلان زطيّ أي دنيء لئيم.

الثعبان، ولمّا اشتهر ذلك الباب بهذا الوصف ربط به بنو أميّة فيلاً ليقال له باب الفيل، فإنكار الجنّ في هذه الأعصار إنكار للضروريّات، وقد كان منهم رجل اسمه عبد علي وامرأة اسمها حنّاء يطرقان محلّتنا في بعض الأيّام لأجل بعض مصالحهما، فحصل بينهما وبين أهل تلك المحلّة نوع صداقة؛ ربّما سألناهما عن أحوال ما غاب عنّا من البلدان وعن أهلها وأحوالهم ذلك اليوم ويكون كما قالا.

وكان للصادق عليه السلام جماعة من الجنّ يخدمونه ويرسلهم إلى الأماكن البعيدة؛ روي عن سدير الصيرفي، قال: أوصاني أبو جعفر عليه السلام بحوائج له بالمدينة فخرجت فبينا أنا بين فج الروحاء وهو موضع بين الحرمين على ثلاثين ميلاً، إذا إنسان يلوي بثوبه قال فملت إليه وظننت أنّه عطشان فناولته الإداوة، فقال لي لا حاجة لي بها وناولني كتاباً طينه رطب، قال فلمّا نظرت إلى الخاتم فإذا خاتم أبي جعفر عليه السلام فقلت متى عهدك بصاحب الكتاب، قال الساعة وإذا بالكتاب أشياء يأمرني بها ثمَّ التفت فإذا ليس عندي أحد قال ثمَّ قدم أبو جعفر عليه السلام فلقيته، فقلت له جعلت فداك رجل أتاني بكتابك وطينه رطب فقال يا سدير إنّ لنا خدماً من الجنّ فإذا أردنا السرعة بعثناهم، وفي رواية أُخرى قال إن لنا أتباعاً من الجنّ كما أن لنا أتباعاً من الإنس فإذا أردنا أمراً بعثناهم.

وروي عن النعمان بن بشير قال، كنت مزاملاً[1] لجابر بن يزيد الجعفي، فلمّا أن كنّا بالمدينة دخل على أبي جعفر عليه السلام فودعه وخرج من عنده وهو مسرور، حتّى وردنا الأُخيرجة أوّل منزل يعدل من فيد إلى المدينة يوم جمعة فصلّينا الزوال؛ فلمّا نهض بنا البعير إذا أنا برجل طوال آدم معه كتاب فناوله جابراً فتناوله فقبله ووضعه على عينيه وإذا هو من محمّد بن عليّ إلى جابر بن يزيد، وعليه طين أسود رطب فقال له متى عهدك بسيّدي، فقال الساعة فقال له قبل الصّلاة أو بعد الصلاة، فقال بعد الصّلاة قال ففكّ الخاتم فأقبل يقرأ ويقبض وجهه حتّى أتى على آخره؛ ثم أمسك الكتاب فما رأيته ضاحكاً ولا مسروراً حتّى وافى الكوفة؛ فلمّا وافينا الكوفة. ليلاً بتّ ليلتي فلمّا أصبحت أتيته إعظاماً له فوجدته قد خرج عليّ وفي عنقه كعاب قد علّقها وقد ركب قصبة وهو يقول:

أجد منصور بن جمهور أميراً غير مأمور

---

(١) الزميل الّذي يزاملك أي يعادلك في المحمل والزميل الرفيق في السفر الّذي يعينك على أمورك والزميل الرديف.

وأبياتاً من نحو هذا فنظر في وجهي ونظرت في وجهه فلم يقل لي شيئاً ولم أقل له وأقبلت أبكي لمّا رأيته، واجتمع عليّ وعليه الصّبيان، والناس وجاء حتّى دخل الرحبة فأقبل يدور مع الصبيان والناس يقولون جن جابر بن يزيد، فوالله ما مضت الأيّام والليالي حتّى ورد كتاب هشام بن عبد الملك إلى واليه، أن انظر رجلاً يقال له جابر بن يزيد الجعفيّ، فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه فالتفت إلى جلسائه؛ فقال لهم من جابر بن يزيد الجعفي قالوا أصلحك الله كان رجلاً له فضل وعلم وحديث وحج فجنّ وهو ذا في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم؛ قال فأشرف عليه فإذا هو مع الصبيان يلعب على القصب فقال الحمد لله الّذي عافاني من قتله؛ قال ولم تمض الأيّام حتّى دخل منصور بن جمهور الكوفة؛ فصنع ما كان يقول جابر. والحاصل أنّه بقي متكلفاً للجنون كلّ زمان هشام فلمّا جاء خبر نعيه فما أصبح الصباح إلاّ وقد جلس جابر في مسجد المدينة يحدّث النّاس عن الباقر عليه السلام، وذلك الرسول الّذي ناوله الكتاب كان من الجانّ.

وقد كان جماعة من الجانّ يصعدون النخل عند رجل من أهل بلدتنا وقد كان منفرداً بمنزله وكان منزله في بستان نخل له فإذا صعدوا رموه بالحجارة، وكان يشاهدهم ويسمع كلامهم وكأنّهم قصدوا إخراجه من ذلك المنزل فجمع رجالاً ذات ليلة، ولمّا شاهدوا الجن على رأس النخلة صعدوا إليهم فرموا بأنفسهم إلى الماء وبقي منهم عباة صغيرة قصيرة ليس على صنعة النّاس بل صنعتها على نمط غريب.

واعلم أنّ جماعة منهم وهو نوع من الغول الجاني يسكن بلادنا الجزائر في الشطوط والمياه ويسمّونه طنطلا بلغتهم وهو أسود البدن طوله كطول النخلة أجعد الشعر أقدامه كحافرالفيل؛ وقد شاهده بعض ثقات أخواننا في شطّ الفرات، ومن خواصه أنّه يأتي إلى الإنسان إذا تفرّد به فيركبه؛ وربّما أضر بذلك الشخص ركوبه ويخاف من الجريّ خوفاً كثيراً وذلك أنّهم عرفوه بهذه الصفة؛ فإذا اصطادوا السمك في الليل صادوا جريّة وحفظوها معهم حتّى إذا جاء إليهم ذلك الغول، وأراد الإضرار بهم أخرجوا إليه تلك الجريّة وضربوه بها حتّى يرمي بنفسه إلى الماء فلا يرونه بعد هذا. والجنّ والشياطين يسكنون الهواء والمياه وكذا بعض الملائكة ومن ثمَّ كره تطميح البول في الهواء وكذا كره البول في الماء ودخول الأنهار والمياه بغير إزار استحياءً من ساكنيها ولئلاّ يؤذيهم فيؤذونه.

وأما أكل الجان فهو العظام وما شابهه إمّا بالأكل حقيقة وإمّا بأنّهم يشمّونها

فيشبعون وكلاهما قد روي في الأخبار، ومن ثم كره انتهاك العظام وهو المبالغة في أخذ ما عليها من اللحم، وقال عليه السلام إنّها طعام الجنّ. فإذا انتهكت العظم أخذوا من طعامك ما قابله، والجمع بين الخبرين إمّا بتعدّد أنواعهم بأن يكون منهم من يشمّ العظام ومنهم من يأكلها وإمّا بالقول بأنّ العظام طعامهم تارة يأكلونها؛ وتارة أُخرى يشمّونها وتكون غذاء لهم على التقديرين، والحقّ أن هذا طعامهم المعتاد وإلاّ فهم يأكلون من طعامنا أيضاً فإنه قد شوهد متواتراً أن النّاس يصنعون طعاماً خاصاً لهم في بعض الأوقات ويضعونه في مكان خاص بالقرب منهم ولعلهم يشاهدونه في بعض الأحوال؛ وتأكله الجانّ. وفي الروايات عن الطّاهرين عليهم السلام أن الطعام إذا حضر بين أيدي الجماعة حفّته ملائكة وشياطين، فإن ذكروا اسم الله قبل الأكل أو ذكره واحد منهم أقبل الملائكة على الشياطين فطردوهم؛ وإن لم يذكروا اسم الله على الطعام قربت الجنّ والشياطين فأكلوا معهم؛ ومن هنا ترى الطعام يؤكل سريعاً ولم يشبع القوم، ويقال ليس لهذا الطعام بركة وسيأتي تمام هذا البحث في آداب الأكل إن شاء الله تعالى، وأمّا طعام دوابّهم فقد روي أنّه الروث؛ وهو أيضاً إمّا بالأكل أو بالشم وقد عرفت أن من جملة ما في الهواء البحر المكفوف بقدرته سبحانه، وفيه أنواع المخلوقات، وما يعلم خلق ربك إلاّ هو. هذا مجمل ما في العالم العلوي وأتت نوبة العالم السفلي.

نور أرضي

اعلم أن الله سبحانه قد تمدح في معرض الامتنان بخلق الأرض، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النبأ: ٦-٧] وقوله: فمهّدنا فنعم الماهدون، فنحن كالأطفال والأرض مهدنا وهو تعالى المربّي لنا والمنعم، ومن هذا نعت به نفسه كلّ وصف فقال: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥] أي مربّيهم ومرقّيهم في المراتب الحسيّة والمعنوية إلى درجات الكمال، والأرض طبقات كما أن السماوات طبقات وقد اختلفت الأخبار في ترتيب ما تحت الأرض، ففي كثير منها أن قرار الأرض على عاتق ملك وقدما ذلك الملك على صخرة، والصخرة على قرن ثور والثور قوائمه على ظهر الحوت في اليمّ الأسفل، واليمّ على الظلمة؛ والظلمة على العقيم، والعقيم على الثرى، وما يعلم ما تحت الثرى إلاّ الله تعالى[1].

---

(١) لشيخنا الأستاذ الإمام المجتهد الأكبر كاشف الغطاء رحمه الله كلمات قيمة هي قاعدة كلية في =

وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام قال فيه إن الله خلق النهار قبل الليل والشمس

= العمل بالخير المنقول عن النبي والأئمة المعصومين سلام الله عليهم ذكرها في كتابه النفيس صغير الحجم كبير المعنى (الأرض والتربة الحسينية).

وكان من قصدنا نقل تلك الضابطة الكلية في هذا المقام كما وعدنا فيما سبق انظر صفحة (٢٠٠) من هذا الكتاب ولكن لمّا وصلنا بعون الله تعالى وتوفيقه إلى هنا رأيت أن نقل تلك الكلمات المترشحة من قلمه الشريف برمتها في هذا المقام يشغل عدة صفحات ويخرجنا من ترتيب التعليقات على الكتاب ولذا لخصنا مقال شيخنا الإمام قدس سره ونقلنا تلخيصه فعلى القارىء الكريم إن أراد مطالعة تلك الكلمات العالية والقواعد الكلية الرجوع إلى ذلك الأثر القيم أعني كتاب (الأرض والتربة الحسينية) انظر من صفحة (٣٢) إلى (٤٠) الطبعة الرابعة سنة (١٣٧٣هـ) ط النجف.

قال قدس سره: ورد في جملة من أخبارنا المروية في كتب الحديث المعتبرة مثل الكافي الّذي هو أجلّ وأوثق كتاب عند الشيعة الإمامية وكعلل الشرائع للصدوق رحمه الله فضلاً عن غيره من المتأخرين (كالبحار) عدة أخبار فيها الصحيح والموثق مضمونها الشائعة عند العوام إنّ الأرض يحملها حوت أو ثور وضعها على قرنه فإذا شاء أن تكون في الأرض زلزلة حرك قرنه فتزلزل الأرض مثل ما في روضة الكافي الخ ومثله في الوافي عن من لا يحضره الفقيه ثم عقبهما صاحب الوافي الفيض الكاشاني رحمه الله بقوله: وسر هذا الحديث ومعناه مما لا يبلغ إليه افهامنا ونقل عن الفقيه حديثاً إنّ زلزلة الأرض موكولة إلى ملك يأمره الله متى شاء فيزلزلها وفي خبر آخر أن الله تعالى أمر الحوت بحمل الأرض وكل بلد من البلدان على فلس من فلوسه فإذا أراد تعالى أن يزلزل أرضاً أمر الحوت أن يحرك ذلك الفلس فيحركه ولو رفع الفلس لانقلبت، إلى كثير من أمثالها والغرض الإشارة والتنبيه على ما هو المخرج الصحيح منها ومن أمثالها بصورة عامة فنقول: إنّ اساطين علمائنا كالشيخ المفيد والسيد المرتضى ومن عاصرهم أو تأخر عنهم كانوا إذا مروا بهذه الأخبار وأمثالها مما تخالف الوجدان وتصادم بديهة العقول ولا يدعمها حجّة ولا برهان بل هي فوق ذلك إلى الخرافة أقرب منها إلى الحقيقة والواقع.

نعم إذا مر على أحدهم أحد هذه الأحاديث وذكرت لديهم قالوا خبر واحد لا يفيد علماً ولا عملاً ولا يعملون إلاّ بالخبر الصحيح الّذي لا يصادم عقلاً ولا ضرورة ولذا شاع عن هذه الطبقة أنّهم لا يقولون بحجية خبر الواحد إلاّ إذا كان محفوفاً بالقرائن المفيدة للعلم ولا بد من رعاية القواعد المقررة للعمل بالخبر المنقول عن النبي والائمة المعصومين سلام الله عليهم.

القاعدة الكلية والضابطة المرعية:

إن الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والائمة المعصومين عليهم السلام سواء كانت من طرق رواة الإمامية أو من طرق الجماعة والسنّة تكاد تنحصر من حيث مضامينها في أنواع ثلاثة (الأول) ما يتضمن المواعظ والأخلاق وتهذيب النفس وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل وما يتصل بذلك من أحوال النفس والروح الخ فكل خبر ورد في شيء من هذه الأبواب والشؤون =

قبل القمر، والأرض قبل السّماء ووضع الأرض على الحوت في الماء والماء على

= يجوز العمل به والاعتماد عليه لكل أحد من سائر الطبقات ولا يلزم البحث عن صحة سنده ومتنه إلاّ إذا قامت القرائن والإمارات المفيدة للعلم والظن بكذبه وأنّه من أكاذيب الدساسين والمفسدين في الدين.
النوع الثاني:
ما يتضمن حكماً شرعياً فرعياً تكليفياً أو وضعياً وهي عامة الأخبار الواردة في أبواب الفقه من كتاب الطهارة إلى الحدود والديات وكل الأخبار الواردة والمروية في شيء من هذه الأبواب لا يجوز العمل بها والاستناد إليها إلاّ للفقيه المجتهد الخ.
النوع الثالث:
ما يتضمن أصول العقائد من إثبات الخالق وتوحيده ثم النبوة والإمامة والمعاد وما يتصل به من الحشر والنشر والبرزخ والصراط والميزان والحساب ونشر الصحف إلى جميع ما ينظم في هذا السلك إلى أن ينتهي إلى مخلوقاته جل شأنه من السّماء والعالم والنجوم والكواكب والأفلاك والأملاك والعرش والكرسي إلى أن ينتهي إلى الكائنات الجوية من الشهب والنيازك والسحاب والمطر والرعد والبرق والصواعق والزلازل والأرض وما تحمله وما يحملها والمعادن والأحجار الكريمة والبحار العظيمة وخواصها وما فيها والأنهار ومجاريها والرياح ومهابها وأنواعها والجن والوحوش وأنواع الحيوان بحرياً أو برياً أو سمائياً إلى أمثال ذلك مما لا يمكن حصره ولا بحصر عده فإن الأخبار عن النبي ﷺ والائمة عليهم السلام قد تعرضت لجميع ذلك وقد ورد فيها من طرق الفريقين الشيء الكثير وفي الحق إنّ هذا من خصائص دين الإسلام ودلائل عظمته وسعة معارفه وعلومه فإنك لا تجد هذه السعة الواردة في أحاديث المسلمين في دين من الأديان مهما كان ولكن الضابطة في هذا النوع من الأخبار أنّ ما يتعلق منه بالعقائد وأصول الدين من التوحيد والنبوة فإن كان مما يطابق البراهين القطعية والأدلة العقلية الضرورية يعمل به ولا حاجة إلى البحث عن صحة سنده وعدم صحته وهذا مقام ما يقال إنّ بعض الأحاديث متونها تصحح أسانيدها وإن كان مما لم يشهد له البرهان ولم تؤيده الضرورة ولكنه في حيز الإمكان ينظر فإن كان الخبر صحيح السند صح الالتزام به على ظاهره وإلا فإن أمكن صرفه عن ظاهره وتأويله بالحمل على المعاني المعقولة تعين تأويله وإن لم يمكن تأويله وكان مضمونه منافياً للوجدان مصادماً للضرورة فمع صحة سنده لا يجوز العمل به لخلل في متنه بل يرد علمه إلى أهله وإن كان غير صحيح السند يضرب به الجدار ووجب اسقاطه من جمهرة الأخبار.
إذا تمهدت هذه المقدمة فنقول في الأخبار الواردة في الأرض والحوت والثور وكذا ما ورد في الرعد والبرق ونحوها من أن البرق مخاريق الملائكة والرعد زجرها للسحاب كما يزجر الراعي ابله أو غنمه وأمثال ذلك مما هو بظاهره خلاف القطع والوجدان فإن الأرض تحملها مياه البحار المحيطة بها وقد سبروها وساروا حولها فلم يجدوا حوتاً ولا ثوراً وعرفوا حقيقة =

صخرة مجوّفة والصخرة على عاتق ملك، والملك على الثرى، والثرى على الريح العقيم، والريح على الهواء تمسكه القدرة، وليس تحت الريح العقيم إلاّ الهواء والظلمات، ولا وراء ذلك سعة ولا ضيق ولا شيء يتوهّم، ثمَّ خلق الكرسي فحشاه السماوات والأرض؛ والكرسي أكبر من كلّ شيء خلق الله، ثمَّ خلق العرش فجعله أكبر من الكرسي، ويمكن الجمع بين الخبرين بحمل الحوت والثور على أنّهما ملكان بشكل الحوت أحدهما وبشكل الثور الآخر كما في حامل العرش، فإنّ كلّ واحد بصورة حيوان كما تقدّم، أو أن يقال بتعدّد العقيم فتكون واحدة حاملة للثرى، والأُخرى محمولة له ونحو ذلك.

فإن قلت ما معنى قولهم عليهم السلام إنّه عند الثرى ينقطع علم العلماء كما قال في الحديث الأوّل وما يعلم ما تحت الثرى إلاّ الله تعالى؛ مع ما ورد من شمول علم

= البرق والرعد والصواعق والزلازل بأسباب طبيعية قد تكون محسوسة وملموسة وكاد تضع اصبعك عليها فمثل هذه الأخبار على تلك القاعدة إن أمكن حملها على معان معقولة وجعلها إشارة إلى جهات مقبولة ورموز إلى الأسباب الروحية المسخرة لهذه القوى الطبيعية فنعم المطلوب وإلا فالصحيح السند يرد علمه إلى أهله والضعيف يضرب به الجدار ولا يعمل ويلتزم لا بهذا ولا ذاك ثم شرع قدس سره للتنبيه والإشارة إلى دس الأخبار ووضعها وجعل الأحاديث واختلاقها من زنادقة المسلمين المشهورين وغيرهم - انظر إلى تمام كلماته العالية الثمينة وكن من الشاكرين.

وهنا ملحوظة ينبغي التنبيه عليها وهي أن كثيراً ممن دخلوا الإسلام بقصد الكيد فيه وهدم مبانيه لا اعتقاداً بصحته ورغبة فيه أرادوا بجعل بعض الأخبار والروايات ايجاد العداوة الممقوتة بين المسلمين والتهاب نيران الخصومة بينهم وتفرقة كلمتهم واظن من هذا القبيل بعض الأخبار المرسلة التي ذكرها المصنف في هذا الكتاب وابقيناها على حالها من دون حذف وإسقاط حفظاً للأمانة الموروثة عن السلف وحذراً من وقوع التحريف والتغيير في الكتاب.

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله في كتاب صفات الشيعة عن عبد الله بن سنان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوصيكم عباد الله بتقوى الله ولا تحملوا النّاس على اكتافكم فتذلوا إنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] ثم قال عليه السلام عودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم واشهدوا لهم وعليهم وصلوا معهم في جنائزهم وفي مساجدهم واقضوا حقوقهم ثم أي شيء اشد على قوم يزعمون أنّهم يأتمّون بقوم ويأخذون بقولهم فيأمرونهم وينهونهم فلا يقبلون منهم ويذيعون حديثهم عند عدوهم فيأتي عدوهم إلينا فيقولون لنا إنّ قوماً يقولون ويروون كذا وكذا فنقول: نحن نتبرأ ممن يقول هذا فيقع عليهم البرائة.

هكذا كان تعليم الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام لشيعته ومواليه لحفظ اتحاد المسلمين ووحدة كلمتهم فتأمل في الحديث الشريف تفهم.

الأئمّة عليهم السلام وإحاطته بما فوق الثرى وما تحته؛ قلت يجوز أن يكون معناه أن العلم المأذون لهم في تبليغه للأمّة وإلقائه إليهم هو ما ينتهي إلى الثرى فإذا انتهى الحال إليه انقطع العلم المأذون لهم بتبليغه ويجوز أن يكون من أسرار الحرف الّذي هو جزء من الاسم الأعظم الّذي امتاز الله سبحانه بعلمه ولم يعلمه نبيّاً فمن دونه كما سبق في الأنوار المتقدّمة.

فإن قيل كيف بيّن عليه السلام في الحديث الأخير ما تحت الثرى من العقيم والهواء قلت يجوز أن يكون المراد بما تحت الثرى من العلم الّذي حجب عن النّاس هو العلم بتفاصيله مفصّلاً بأن يكون للظلمات والهواء التي هي تحت الثرى أحوال غريبة وأوضاع عجيبة حجب علمها عن أن يُعلم للخلائق أو أنّه تعالى استأثر به لا بذلك المجمل ويؤيّده أنّه قد ورد في الأحاديث تفاصيل أحوال ما فوق الثرى وعدم ذكر أحوال التي تحته.

واعلم أنّه قد وقع الخلاف بين الحكماء والمنجّمين في سكون الأرض وتحرّكها فذهب الأكثر إلى أنّها ساكنة غير متحركة وذهب آخرون إلى أنّها هاوية أي متحرّكة إلى أسفل دائماً أبداً فلا تزال الأرض تنزل في خلاء غير متناهٍ لما في طبيعتها من الاعتماد والثقل الهابط، وذهب ثالث إلى أنّها تدور متحرّكة على مركز نفسها من المغرب إلى المشرق خلاف الحركة اليوميّة والحركة اليوميّة لا توجد على هذا التقدير وإنّما يتخيّل بسبب حركة الأرض أن يتبدّل الوضع من الفلك بالقياس إلينا دون أجزاء الأرض إذ لا يتغيّر الوضع بيننا وبينها فإنّا على جزء معيّن منها فإنّها إذا تحرّكت من المغرب إلى المشرق ظهر علينا من جانب المشرق كواكب كانت مخفيّة عنّا بحدبة الأرض وخفي عنّا بحدبتها من جانب المغرب كواكب كانت ظاهرة علينا فيظنّ لذلك أن الأرض ساكنة في مكانها والمتحرّك هو الفلك فيكون حينئذ متحركاً من المشرق إلى المغرب وذلك كراكب السسفينة فإنّه يرى السفينة ساكنة مع حركتها حيث لا يتبدّل وضع أجزائها منه ويرى الشط متحرّكاً مع سكونه حيث يتبدّل وضعه منه مع ظنّ أنّه ساكن في مكانه وكذلك يرى القمر سائراً إلى الغيم حين يسير الغيم إليه وغير ذلك من الأمور التي يغلط بها الحسّ.

وأمّا الوارد في الشريعة المطهّرة فهو كونها ساكنة وأنّ الجبال أوجبت سكونها قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] وقال تعالى:

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧] [١] روي عن ابن عبّاس أنّه قال إنّ الأرض بسطت على الماء فكانت تكفأ بأهلها كما تكفأ السفينة فأرساها الله تعالى بالجبال وذكروا لهذا وجوهاً، أحدها ما قاله الرازيّ في التفسير وهو أن السفينة إذا ألقيت على وجه الماء فإنّها تميل من جانب إلى جانب وتضطرب فإذا وقعت الأجرام الثقيلة فيها استقرّت على وجه الماء فكذلك لمّا خلق الله تعالى الأرض على وجه الماء اضطربت ومادت فخلق الله تعالى عليها هذه الجبال ووتدها بها فاستقرّت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال ثمّ اعترض على هذا وحاصله أن حركات الأجسام طبيعيّة ولا شك أنّ الأرض أثقل من الماء والأثقل يغوص في الماء ولا يبقى طائفاً عليه فامتنع أن يقال إنّها كانت تميد وتضطرب بخلاف السفينة فإنّها متخذة من الخشب وفي داخل الخشب تجويفات غير مملوءة فلذلك تميد وتضطرب على وجه الماء فإذا أُرسيت بالأجسام الثقيلة استقرت وسكنت فظهر الفرق.

وأجاب عن هذا الإشكال شيخنا المحقق أدام الله أيامه بأنّ الأرض وإن كانت ثقيلة وفي طبعها طلب المركز لكن الماء يحركها بأمواجه حركة قسريّة ويزيلها عن مكانها الطبيعي بسهولة، فكانت تميد وتضطرب بأهلها وتغوص قطعة منها وتخرج قطعة، ولمّا أرساها الله تعالى بالجبال وثقلها قاومت الماء وأمواجه بذلك الثقل فكانت كالأوتاد مثبتة لها.

وثانيها: ما قاله الرازي أيضاً بعد أن زيّف الوجه الأوّل بإيراد إشكالات كما هو شأنه في التشكيك حتّى إنّ المحقّق الداماد قدّس الله زكيّ تربته سمّاه شيخ المشككين[٢] لكثرة تشكيكه في المسائل، قال والذي عندي في هذا الموضع المشكل أن يقال إنّه ثبت بالدلائل اليقينية أن الأرض كرة؛ وأنّ هذه الجبال على سطح هذه الكرة جارية مجرى خشونات وتضريسات تحصل على وجه هذه الكرة؛ إذا ثبت هذا فنقول إذا فرضنا هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الأرض كرة حقيقيّة خالية عن هذه الخشونات والتضريسات لصارت بحيث تتحرّك بالاستدارة بأدنى سبب لأنّ الجرم البسيط المستدير وإن لم يجب كونه متحرّكاً بالاستدارة عقلاً

(١) هذه الآيات لا تدل على كون الأرض ساكنة كما هو ظاهر والوجوه التي ذكرها المصنف بعد ذلك كلّها مخدوشة ولا نطيل الكلام بذكرها.

(٢) أو إمام المشككين كما في كتابه القبسات وقد يعبر عنه برئيس المشككين.

إلاّ أنّه بأدنى سبب يتحرك على هذا الوجه؛ أمّا إذا حصل على سطح كرة الأرض هذه الجبال وكانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة فكلّ واحد من هذه الجبال إنّما يتوجه بطبعه إلى مركز العالم، وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوّته الشديدة يكون جارياً مجرى الوتد الّذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة فكان تخليق هذه الجبال على الأرض كالأوتاد المغروزة في الكرة المانعة لها من الحركة المستديرة أو كانت مانعة للأرض عن الميد والميل والاضطراب بمعنى أنّها منعت الأرض عن الحركة المستديرة، فهذا ما وصل إليه خاطري في هذا الباب والله أعلم، واعترض بعض أفاضل العصر عليه بوجوه كثيرة لا نطول الكلام بذكرها.

وثالثها: ما قاله بعض مشائخنا من أن تكون مدخليّة الجبال بعدم اضطراب الأرض بسبب اشتباكها واتّصال بعضها ببعض في أعماق الأرض بحيث يمنعها عن تفتّت أجزائها وانفكاكها، فهي بمنزلة الأوتاد والمسامير المثبتة في الأبواب المركّبة من قطع الخشب بحيث تصير سبباً لالتزاق بعضها ببعض، وهذا معلوم ظاهر لمن حفر الآبار في الأرض فإنّها تنتهي عند المبالغة في حفرها إلى الأحجار الصلبة.

ورابعها: ما قاله بعض المحدّثين من أن المراد بالجبال الرواسي الأنبياء والأولياء والعلماء وبالأرض الدنيا؛ أمّا وجه التجوّز بالجبال عن الأنبياء والعلماء فلأنّ الجبال لمّا كانت على غاية من الثبات والاستقرار ومانعة لما يكون تحتها من الحركة والاضطراب عاصمة لما يلتجئ إليها من الحيوان عمّا يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه وقلقلته أشبهت الأوتاد من بعض هذه الجهات، ثمّ لمّا كانت الأنبياء والعلماء هم السبب في انتظام أمور الدنيا وعدم اضطراب أحوال أهلها كانوا كالأوتاد للأرض فلا جرم صحّت استعارة لفظ الجبال لهم، ولذلك يقال في العرب فلان جبل منيع يأوي إليه كلّ ملهوف، إذا كان يرجع إليه في المهمّات والحوائج، والعلماء أوتاد الله في الأرض، والحقّ أن العلماء وإن ورد في الأخبار إطلاق الأوتاد عليهم بل قد فسّر بهم أوتاد الآيات إلاّ أن ذلك تفسير لباطن الآيات؛ وأما الظواهر فقد فسّرت في الأخبار أيضاً فالإعراض عن إرادة الظاهر والاقتصار على إرادة بواطن الآيات كما هو دأب بعض المعاصرين ليس من دأب المحقّقين.

واعلم أنّ وراء هذه الأرض أرضاً أخرى؛ روي عن عجلان بن أبي صالح قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قبّة آدم فقلت له هذه قبّة آدم، فقال نعم ولله قباب كثيرة إنّ خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثين مغرباً أرضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنورها

لم يعصوا الله طرفة عين لم يدروا أن الله عزّ وجلّ خلق آدم أم لم يخلقه يبرأون من فلان وفلان وفلان قيل كيف هذا وكيف يبرأون من فلان وفلان وهم لا يدرون أنّ الله خلق آدم أم لم يخلقه فقال للسائل عن ذلك: اتعرف إبليس؟ فقال لا، إلاّ بالخبر، فقال أفأُمرت بلعنته والبراءة منه قلت (قال ظ) نعم قال وكذلك أمر هؤلاء.

وروى جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال إنّ وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس ما بين عين شمس إلى عين شمس أُخرى أربعون عاماً، فيها خلق كثير ما يعلمون أن الله خلق آدم أم لم يخلقه؛ وإنّ من وراء قمركم هذا أربعين قرصاً ما بين القرص إلى القرص أربعون عاماً، فيها خلق كثير ما يعلمون أنّ الله خلق آدم أم لم يخلقه، قد أُلهموا كما أُلهمت النحل لعنة الأوّل والثاني والثالث في كلّ الأوقات، وقد وكّل بهم ملائكة متى لم يلعنوا عذّبوا؛ وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله ما خلف جبل قاف؟ قال خلفه سبعون أرضاً من ذهب وسبعون أرضاً من فضّة وسبعون أرضاً من مسك وخلفه سبعون أرضاً سكّانها الملائكة لا يكون فيها حرّ ولا برد، وطول كلّ أرض مسيرة عشر آلاف سنة، قيل وما خلف الملائكة قال حجاب من ظلمة، قيل وما خلفه؟ قال حجاب من ريح قيل وما خلفه قال حجاب من نار، قيل وما خلف ذلك قال علم الله تعالى وقضاؤه. وسئل عن عرض قاف وطوله واستدارته فقال عليه السلام عرضه مسيرة ألف سنة من ياقوت أحمر قصبته[1] من فضة بيضاء وزجّه من زمردة خضراء؛ له ثلاث ذوائب من نور ذوابة بالمشرق وذوابة بالمغرب والأُخرى في وسط السماء؛ عليها مكتوب الأوّل بسم الله الرحمن الرحيم الثاني الحمد لله ربّ العالمين الثالث لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله.

واعلم أنّ من جملة حوادث الأرض الزلازل وذكر الحكماء في سببه أنّ البخار إذا احتبس في الأرض يميل إلى جهة ويبرد بالأرض فيقلب مياها مختلطة بأجزاء بخاريّة إن قلّ، فإذا كثر بحيث لا تسعه الأرض أوجب انشقاق الأرض وانفجار العيون، وإذا غلظ البخار بحيث لا ينفذ في مجاري الأرض بأن كانت الأرض كثيفة عديمة المسام اجتمع فجنح طالباً للخروج ولم يمكنه النفوذ فزلزلت الأرض وربّما قويت المادّة على شقّ الأرض فيحدث صوت هائل؛ وقد تخرج نار لشدة الحركة المقتضية لاشتعال البخار والدخان الممتزجين على طبيعة الدهن، هذا كلامهم

(١) القصة الجص لغة حجازية وقيل الحجارة من الجص وقد قصص داره أي جصصها وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن تقصيص القبور وهو بناؤها بالقصة (لسان العرب).

قاتلهم الله وأخزاهم[١] وأمّا الّذي ورد عن الأئمّة الطاهرين عليهم السلام .

فمنها ما رواه الصدوق عن الصادق عليه السلام قال إنّ ذا القرنين لمّا انتهى إلى السدّ جاوزه فدخل في الظلمات فإذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع، فقال له الملك يا ذا القرنين أما كان خلفك مسلك؟ فقال له ذو القرنين من أنت قال أنا ملك من ملائكة الرحمن موكّل بهذا الجبل وليس من جبل خلقه الله إلاّ وله عرق متّصل بهذا الجبل، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يزلزل مدينة أوحى إليّ فزلزلتها. ومنها ما روي عنه عليه السلام أنّه قال إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرض فأمر الحوت فحملتها فقالت حملتها بقوّتي فبعث الله عزّ وجلّ إليها حوتاً قدر قشر فدخلت في منخرها فاضطربت أربعين صباحاً، فإذا أراد الله أن يزلزل أرضاً تراءت لها تلك الحوتة الصغيرة فزلزلت الأرض خوفاً ومنها ما روي عنه عليه السلام أنّه قال إنّ الله تبارك وتعالى أمر الحوت أن تحمل الأرض وكلّ بلد من البلدان على فلس من فلوسه، فإذا أراد الله تبارك وتعالى أن يزلزل أرضاً أمر الحوت أن تحرّك ذلك الفلس فتحرّكه، ولو رفع الفلس لانقلبت الأرض بإذن الله عزّ وجلّ ، وهذه العلل كلّها حقّ وكلّها أسباب ويجمعها إرادة الاستعتاب والتوبة من العباد بعد صدور الذنوب الموبقة منهم.

ولقد حدث في عشر الثمانين بعد الألف زلازل بطوس حتّى خربت البنيان وأهلكت النفوس فذهب من المشهد الرضوي على صاحبه أفضل الصلوات آلاف من الأنفس من الرجال والنساء وتصدّعت قبّته عليه السلام ، وذهب من نيشابور فوق أربعة آلاف إنسان، وقد حدث في شيروان زلازل انقلبت منها بلاد كثيرة وتحوّلت بها رساتيق من أماكنها إلى أمكنة بعيدة عن مكانها الأوّل وذهبت أنفس لا يحصي عددها إلاّ الله سبحانه، وكذلك حدث في سنة التاسعة والثمانين بعد الألف وهي سنة تاريخ تأليف هذا الكتاب زلازل في بلاد طبرستان حتّى ساخت منها بعض البلدان تحت الأرض وانقلبت بها بعض البلاد وهلكت النفوس، وروي عن الصادق عليه السلام قال إذا فشت أربعة ظهرت أربعة: إذا فشا الزنا ظهرت الزلازل، وإذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية وإذا جار الحكام في القضاء أمسك القطر من السماء وإذا خفرت الذمّة نصر المشركون وخفر الذمّة نقض العهد.

---

(١) وقد تفوه المصنف رحمه الله بهذا الكلام فإنه تخيل المنافاة بين ما ذكروه من الأسباب الطبيعية وبين ما ورد في بعض الأخبار من الإشارة إلى الأسباب الروحية المعنوية وقد عرفت فيما سبق أنّه لا منافاة بينهما أصلاً.

وروي أنّ الأرض التي يزنى عليها تضجّ إلى الله تعالى شاكية، بل ورد أن سبب الوباء هو الزنا وذلك أنّ الأرض لا تقبل غسالة الزاني فيصير ذلك الماء بخاراً فيرتفع إلى السّماء فلا تقبله السّماء أيضاً فينزل فيقع على جنسه على الآبار والعيون والغدران والأنهار والبحار فيتكيّف الهواء عند مرور البخار عليه مرتين بشمومها وسمومها، ويتكيّف المياه أيضاً وأشد ما يحتاج إليه النّاس في استقامة الأمزجة ويخافون منه في انحرافها هو الهواء ثمَّ الماء، فيتنفّسون في ذلك الهواء المسموم ويشربون من ذلك الماء فتحصل الموادّ الفاسدة في أمزجتهم(١) فتنزل وتظهر في بعض الأعضاء، ولهذا يكثر وقوعه على الأطفال الضعيفة الأمزجة والغرباء الغير المعتاد لهواء تلك الأرض. وروي أنّه سبب الطاعون وذلك إنّ الزنا إذا كثر في أرض سلّط الله على أهلها جنوداً من الجنّ يحاربونهم ويطعنونهم بحرابهم ويجرّدونهم ويروّعونهم بالتشكّل والتخيّل في عيونهم فتارة يتمثّلون بصور الكلاب والذئاب وطوراً بصور الطوائف المبتدعة الهائلة الصور.

وفي الروايات أن يوشعاً عليه السلام قاد بني إسرائيل بعد موت موسى عليه السلام من التيه إلى بلدة الجبابرة وحاصروها فطلب أهلها أن يدعو بلعم على يوشع كما دعا على موسى عليه السلام فقال لهم وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال، ولكن أخرجوا إليهم الزواني والفواحش، ففعلوا فاختلط الرجال بالنساء وكثر الزنا فيما بين جنود يوشع، فوقع فيهم الطاعون فهلك خلق كثير فأمر يوشع عساكره (عيناً ظ) فطعن رجلاً على امرأة حتّى نفذ الرمح من ظهر الرجل وخرج من ظهر المرأة فرفعهما على سنان الرمح ونصب الرمح في وسط المعسكر وهما على السنان، فأمر منادياً ينادي في العسكر ألا من زنى بعد اليوم فإنّي أصنع به ما صنعت بهذين فانقطع فعل الزنا وارتفع الطاعون. وعنه عليهم السلام أنّه قال إياكم والزنا فإنّ فيه عشر خصال: نقصان العقل والدين والرزق والعمر، وآفة الهجران وغضب الرحمن وهجوم النسيان، وبغض أهل الإيمان وذهاب ماء الوجه وردّ الدعاء والعبادة، ولا يستبعد مثل هذه التأثيرات؛ فقد روي أن آدم عليه السلام تقيّأ ما أكل من شجرة الحنطة على الأرض بعدما بقي في بطنه ثلاثين يوماً فنبت منه السموم المعدنيّة والنباتيّة، وما بقي من قوته في صلب آدم تولّد

---

(١) غير خفي على القارىء العزيز إنّ المصنف رحمه الله اعترف في كلماته هذه بوجود بعض الأسباب الطبيعية مع انكاره لها في كلماته السابقة وما هذا إلاّ تهافت وتناقض فالحق ما ذكرناه.

قابيل فإذا كان الحرام في بطن آكلة سمّاً مضراً له ولغيره إلى أن ظهر أثره في نطفته ونسله فليس بعجيب.

ومن تأثيرات الزنا ومقدماته سرايته إلى الزاني ومحرّماته، روي أن رجلاً سقاء كان في بلاد بخارى وكان يجيء دار صائغ بالماء منذ ثلاثين سنة ولم يصدر منه نظر سوء قطّ؛ فيوماً جعل السقّاء يمسك زوجة الصائغ من زندها ويلمسها ويقبّلها ويضمّها إلى نفسه حتّى فعل غير الجماع من دواعيه، فراح السقاء وجاء الصائغ فسألته امرأته عن فعله في السوق ذلك اليوم وألحّت عليه في الصدق، قال إنّ امرأة كشفت زندها لتدخلها في السوار فلمّا رأيت ساعدها لمستها بسكر الشهوة؛ وقبلت المرأة وفعلت بها غير الجماع من دواعيه فكبّرت زوجته وأخبرته بقصة السقّاء. وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال لكلّ عضو من ابن آدم حظّ من الزنا، فالعين زناها النظر واللسان زناه الكلام؛ والأذنان زناهما السمع واليدان زناهما البطش، والرجلان زناهما المشي، والفرج يصدّق ذلك ويكذّبه. وروي أيضاً أنّه كان في زمان داود عليه السلام رجل فاسق فأتى يوماً إلى امرأة رجل فقير ليزني بها فلمّا اشتغل بالزنا وقع في قلبه أن رجلاً يزني بامرأته فلمّا أتى منزله وجد رجلاً فوق بطن امرأته فأخذه إلى داود عليه السلام ليقيم عليه الحدّ، فأوحى الله تعالى إلى داود قل له كما تدين تدان، زنيت بامرأة الرجل الفلاني فزنى رجل بامرأتك وفي الحديث أن من زنى فقد زني به فإن لم يكن به فبأولاده وذراريه؛ وقد عدّ الزنا من الكبائر، ومن هذا كان للمتعفف منه والتائب بعد فعله درجة في الدنيا والآخرة لا يدانى فيها.

روى الكليني قدّس الله روحه بإسناده إلى إسحاق بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان ملك في بني إسرائيل وكان له قاض، وللقاضي أخ وكان رجلاً صدقاً وكان له امرأة قد ولدتها الأنبياء فأراد الملك أن يبعث رجلاً في حاجة فقال للقاضي ائتني رجلاً ثقة، فقال ما اعلم أحداً أوثق من أخي فدعاه ليبعثه فكره ذلك الرجل وقال لأخيه إنّي اكره أن أُضيع امرأتي فعزم عليه فلم يجد بدّاً من الخروج، فقال لأخيه يا أخي إنّي لست أُخلف شيئاً أهمّ إليّ من امرأتي فاخلفني فيها وتولّ قضاء حاجتها، قال نعم فخرج الرجل وقد كانت المرأة كارهة لخروجه وكان القاضي يأتيها ويسألها عن حوائجها ويقوم بها، فأعجبته فدعاها إلى نفسه فأبت عليه فحلف عليها لئن لم تفعلي لأُخبرنّ الملك أنك قد فجرت فقالت اصنع ما بدا لك لست أُجيبك إلى شيء ممّا طلبت، فأتى الملك فقال أن امرأة أخي فجرت وقد حق ذلك عندي فقال له

الملك طهّرها فجاء إليها فقال إنّ الملك قد أمرني برجمك فما تقولين تجيبيني وإلا رجمتك، فقالت لست أجيبك فاصنع ما بدا لك فأخرجها فحفر لها فرجمها ومعه النّاس فلمّا ظن أنّها قد ماتت تركها وانصرف وجنّها الليل وكان بها رمق؛ فتحركت وخرجت من الحفرة ثمَّ مشت على وجهها حتّى خرجت من المدينة.

فانتهت إلى دير فيه ديراني فنامت على باب الدير فلمّا أصبح الديراني فتح الباب فرآها فسألها عن قصّتها فخبرته فرحمها وأدخلها الدير؛ وكان له ابن صغير لم يكن له غيره وكان حسن الحال فداواها حتّى برئت من علتها واندملت، ثم دفع إليها ابنه فكانت تربيه وكان للديراني قهرمان يقوم بأوامره فأعجبته فدعاها إلى نفسه فأبت فجهد بها فأبت؛ فقال لها لئن لم تفعلي لأجهدن في قتلك، فقالت اصنع ما بدا لك فعمد إلى الصبي فدق عنقه وأتى الديراني فقال له عمدت إلى فاجرة قد فجرت فدفعت إليها ابنك فقتلته؛ فجاء الديراني فلمّا رآه قال لها ما هذا فقد تعلمين صنيعي بك، فأخبرته بالقصة فقال لها ليس تطيب نفسي أن تكوني عندي فاخرجي فأخرجها ليلاً ودفع إليها عشرين درهماً وقال لها تزوّدي هذه الليلة حسبك فخرجت ليلاً.

فأصبحت في قرية، فإذا فيها مصلوب على خشبة وهو حيّ فسألت عن قصته فقالوا لها عليه دين عشرون درهماً ومن كان عليه دين عندنا عشرون درهماً لصاحبه صلبه حتّى يؤدي إلى صاحبه، فأخرجت العشرين درهماً ودفعتها إلى غريمه وقالت لا تقتلوه، فأنزلوه عن الخشبة فقال لها ما أحد أعظم علي منة منك نجيتني من الصلب ومن الموت أنا معك حيث ما ذهبت، فمضى معها ومضت حتّى انتهيا إلى ساحل البحر فرأى جماعة وسفناً، فقال لها اجلسي حتّى أذهب أنا أعمل لهم وأستطعم وآتيك به، فأتاهم فقال لهم ما في سفينتكم هذه قالوا هذه تجارات وجواهر وعنبر وأشياء من التجارة، وأما هذه فنحن فيها، قال: وكم يبلغ ما في سفينتكم هذه؟ قالوا كثيراً لا نحصيه قال فإن معي شيئاً خطيراً هو خير مما في سفينتكم، قالوا وما معك؟ قال جارية لم تروا مثلها قطّ؛ قالوا فبعناها قال نعم على شرط أن يذهب بعضكم فينظر إليها ثمَّ يجيئني ويشتريها ولا يعلمها ويدفع إلي الثمن ولا يعلمها حتّى أمضي أنا، فقالوا ذلك لك فبعثوا من نظر إليها فقال ما رأيت مثلها قط فاشتروها منه بعشرة آلاف درهم؛ ودفعوا إليه الدراهم ومضى بها فلمّا أمعن أتوها فقالوا لها قومي وأُدخلي السفينة، قالت لم؟ قالوا قد اشتريناك من مولاك؛ قالت ما هو بمولاي قالوا: تقومين أو لنحملنّك فقامت ومضت معهم فلمّا إنتهوا إلى الساحل لم يأمن

بعضهم بعضاً عليها فجعلوها في السفينة التي فيها الجواهر والتجارة، وركبوا في السفينة الأُخرى فدفعوها فبعث الله عَزَّوَجَلَّ عليهم ريحاً فغرقتهم وسفينتهم ونجت السفينة التي كانت فيها حتّى انتهت إلى جزيرة من جزائر البحر، فخرجت من السفينة وربطتها ثمَّ دارت في الجزيرة فإذا فيها ماء وشجر فيه ثمر، فقالت هذا ماء أشرب منه وثمر آكل منه أعبد الله في هذا الموضع.

فأوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن يأتي ذلك الملك فيقول له إنّ في جزيرة من جزائر البحر خلقاً من خلقي فاخرج أنت ومن في مملكتك حتّى تأتوا خلقي هذا وتقروا له بذنوبكم، ثم تسألوا من ذلك الخلق أن يغفر لكم فإن غفر لكم غفرت لكم، فخرج الملك بأهل مملكته إلى تلك الجزيرة فرأوا امرأة فتقدم إليها الملك، فقال لها: إنّ القاضي هذا أتاني فخبرني أنّ امرأة أخيه فجرت فأمرته برجمها ولم تقم عندي البينة فأخاف أن أكون قد تقدمت على ما لا يحل لي فأُحب أن تستغفري لي، فقالت غفر الله لك إجلس ثم أتى زوجها ولم يعرفها فقال لها إنّه كان لي امرأة وكان من فضلها وصلاحها وإني خرجت عنها للسفر وهي كارهة لذلك، فأخبرني أخي أنها فجرت فرجمها وأنا أخاف أن أكون قد ضيعتها فاستغفري لي غفر الله لك، فقالت غفر الله لك اجلس فأجلسته إلى جنب الملك.

ثمَّ أتى القاضي فقال إنّه كان لأخي امرأة وإنّها أعجبتني فدعوتها إلى الفجور فأبت فأعلمت الملك أنّها قد فجرت فأمرني برجمها فرجمتها وأنا كاذب عليها فاستغفري لي فقالت غفر الله لك، ثم أقبلت على زوجها فقالت اسمع، ثم تقدم الديراني فقص قصته وقال أخرجتها بالليل وأنا أخاف أن يكون قد لقيها سبع فقتلها فقالت غفر الله لك إجلس ثم تقدم القهرمان فقص قصته فقالت للديراني اسمع غفر الله لك، ثم تقدم المصلوب فقصّ قصته فقالت لا غفر الله لك، قال ثمَّ أقبلت على زوجها فقالت أنا امرأتك وكل ما سمعت فإنما هو قصتي وليست لي حاجة في الرجال فأنا أحب أن تأخذ هذه السفينة وما فيها وتخلي سبيلي فأعبد الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الجزيرة فقد ترى ما لقيت من الرجال ففعل وأخذ السفينة وما فيها وانصرف الملك وأهل مملكته.

فانظر إلى تقوى هذه المرأة كيف عصمها من الرجم ومن تهمة القهرمان ومن رق التجار، ثمَّ انظر ما بلغ من كرامتها على الله حيث جعل رضاه مقروناً برضاها ومغفرته بمغفرتها، وكيف جعل من نصب لها مكراً وهيّأ لها مكروهاً خاضعاً لها

طالباً منها المغفرة والرضا وكيف رفع قدرها ونوّه بذكرها حيث أمر نبيّه بأن يحشر إليها الملوك والقضاة والعباد ويجعلوها باباً إلى الله تعالى وذريعة إلى رضوانه؛ وأعجب من هذا أنّه سبحانه لم يجر على لسان أحد منهم ذنباً من الذنوب سوى الذنب الّذي أتوه إلى المرأة مع أنّ ذنوب كلّ واحد منهم لا تكاد تحصى، خصوصاً القاضي فإن هذا الذنب الّذي ذكره حسنة منه بالنسبة إلى باقي ذنوبه؛ ولعمرك إنّ قضاة زماننا إنّما تعد حسناتهم وأفعالهم الجميلة مثل ذنب ذلك القاضي فانظر إلى أفعالهم السيئة وإلى ذنوبهم كيف تكون.

وروى عن الصادق عليه السلام قال كان عابد في بني إسرائيل لم يقارف من أمر الدنيا شيئاً، فنخر إبليس نخرة فاجتمع جنوده فقال من لي بفلان بن فلان فقال بعضهم أنا له، قال من أين تأتيه قال من ناحية النساء قال لست له لم يجرب النساء، قال آخر فأنا له من ناحية الشراب واللذّات قال لست له؛ قال آخر فأنا له من ناحية البر قال انطلق فأنت صاحبه، فانطلق إلى موضع الرجل فأقام حذاءه يصلّي، قال وكان الرجل ينام والشيطان لا ينام ويستريح والشيطان لا يستريح فتحول إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر عمله، فقال يا عبد الله بأي شيء قويت على هذه الصلاة؟ فلم يجبه ثمَّ أعاد عليه، فقال يا عبد الله إني أذنبت ذنباً وأنا تائب منه فإذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة، قال فأخبرني عن ذنبك حتّى أعمله وأتوب فإذا فعلته قويت على الصلاة؛ قال ادخل المدينة وسل عن فلانة البغية فأعطها درهمين ونل منها؛ قال ومن أين لي درهمين ما أدري ما الدرهمين فتناول الشيطان من تحت قدميه درهمين فناوله إياهما، قال فقدم المدينة بجلابيبه فسأل عن منزل فلانة البغية فأرشده الناس، فظنوا أنّه جاء يعظها فأرشدوه فجاء إليها فرمى إليها بالدرهمين وقال قومي، فقامت ودخلت منزلها وقالت ادخل وقالت إنّك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها فأخبرني بخبرك، فأخبرها فقالت له يا عبد الله إن ترك الذنب أهون من طلب التوبة وليس كلّ من طلب التوبة وجدها، وإنما ينبغي أن يكون هذا شيطان مثّل لك، فانصرف وماتت من ليلتها فأصبحت فإذا على بابها مكتوب احضروا فلانة فإنها من أهل الجنّة، فارتاب النّاس ومكثوا ثلاثاً لا يدفنونها ارتياباً في أمرها، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّ من الأنبياء لا أعلمه إلاّ موسى بن عمران أن ائت فلانة فصلِّ عليها ومر النّاس أن يصلوا عليها فإني قد غفرت لها، وأوجبت لها الجنّة بتثبيطها فلاناً عبدي عن معصيتي؛ فانظر رحمك الله كيف استحقّت هذه المرأة التي صرفت عمرها في الزنا مراتب الرحمة بمنعها عبداً من عباد الله عن الزنا.

وفي الرواية عن الصادق عليه السلام أنّ امرأة كانت في سفينة فانكسرت السفينة وخرجت المرأة على لوح إلى جزيرة في البحر، فمشت ساعة وكان هناك رجل قاطع طريق تلك الجزيرة فلمّا رأى تلك المرأة قال لها أنت من الإنس أم من الجن؟ فما تمّ كلامه حتّى جلس منها مجلس الرجل من المرأة فارتعدت خوفاً؛ فقال لها ممّ تخافين؟ قالت من الله الّذي ينظر إلينا قال لها أفعلت هذا الفعل قبل هذا؟ قالت لا فقام من فوقها وقال أنا أحق منك بالتوبة لأني فعلت هذا مراراً بالاختيار وأنت لم تفعليه وأنا قد اضطررتك إلى هذا فأنا تائب إلى الله تعالى، فأخذ المرأة وسار معها إلى البلد فلقيا في الطريق رجلاً عابداً فترافقا معه في الطريق، فلمّا حميت عليهم الشمس قال العابد لذلك الرجل يا أخي تعال ندعو الله أن يظلنا بغمامة نمشي تحتها، فقال له الرجل يا أخي ليس لي وجه أبيض عند الله تعالى ولا لي سابقة عمل أرجو به قبول الدعاء لكن ادع أنت؛ فقال أدعو أنا وأنت تؤمّن على دعائي، فدعا الراهب وأمّن ذلك الرجل فأظلتهم سَحابة فسارا تحتها، فلمّا بلغا مفترق الطريقين تبعت السحابة لذلك الرجل وبقي العابد يمشي تحت الشمس، فرجع العابد وقال له يا أخي ألم تقل إنّه ليس لك سابقة عمل وهذه السحابة قد سارت معك فأخبرني بما صنعت؛ فحكى الخبر وما جرى من معاملة المرأة وانصرفت معه السحابة.

وروي أنّه كان في بني إسرائيل امرأة بغية وكانت مفتتنة بجمالها وكان باب دارها أبداً مفتوحاً، وهي قاعدة في دارها على السرير بحذاء الباب وكل من نظر إليها افتتن بها، فإن أراد الدخول عليها احتاج إلى إحضار عشرة دنانير حتّى تأذن له بالدخول، فمر ببابها عابد فوقع بصره عليها فافتتن بها ولم يملك نفسه حتّى باع قماشاً له وأتى إليها بالدنانير؛ فأخذتها وجلس معها على السرير فلمّا مدّ يده إليها وقع في قلبه إن الله يراني على هذه الحالة فوق عرشه وأنا في الحرام وقد حبط عملي كله، فتغير لونه فنظرت إليه فقالت له أي شيء أصابك؟ قال إني أخاف الله فأذني لي بالخروج، فقالت له ويحك إنّ كثيراً من النّاس يتمنّون الّذي وجدته، فقال لها إني أخاف الله والمال لك حلال فأذني لي بالخروج فخرج من عندها وهو يدعو بالويل والثبور ويبكي على نفسه، فوقع الخوف في قلب المرأة؛ فقالت إن هذا الرجل أول ذنب أذنبه وقد دخل عليه من الخوف ما دخل وإني أذنبت منذ كذا وكذا سنة؛ وإن ربه الّذي يخاف منه هو ربي وخوفي منه ينبغي أن يكون أشد، فتابت إلى الله وأغلقت بابها ولبست ثياباً خلقة وأقبلت على العبادة، فقالت في نفسها إني لو انتهيت إلى ذلك الرجل فلعله يتزوجني فأكون عنده فأتعلم منه أمر ديني ويكون عوناً لي على

عبادة الله، فتجهزت وحملت أموالها وخدمها فانتهت إلى تلك القرية وسألت عنه فأُخبر العابد أنه قد قدمت امرأة تسأل عنك فخرج العابد إليها، فلمّا رأته المرأة كشفت عن وجهها ليعرفها فلمّا رآها عرفها وتذكّر الأمر الّذي كان بينه وبينها فصاح صيحة وخرجت روحه فبقيت المرأة حزينة، وقالت إني خرجت لأجله وقد مات فهل له من أقربائه أحد يحتاج إلى امرأة؟ فقالوا إنّ له أخاً صالحاً ولكنّه معسر ليس له مال فتزوّجته فولد له منها خمسة أولاد كلهم صاروا أنبياء في بني إسرائيل.

ومن ذلك ما روي عن النبيّ ﷺ أنّه كان في بني إسرائيل عابد وكان قد أُوتي جمالاً وحسناً وكان يعمل القفاف بيده فيبيعها، فمر ذات يوم بباب الملك فنظرت إليه جارية لامرأة الملك فدخلت إليها فقالت لها ههنا رجل ما رأيت أحسن منه يطوف بالقفاف يبيعها، فقالت أدخليه علي فأدخلته فلمّا دخل نظرت إليه فأعجبها، فقالت له اطرح هذه القفاف وخذ هذه الملحفة، وقالت لجاريتها هاتي الدهن يا جارية فنقضي منه حاجتنا ويقضيها منا، وقالت نغنيك عن بيع هذا، فقال ما أريد ذلك، مراراً فقالت وإن لم ترده فإنك غير خارج حتّى نقضي حاجتنا منك وأمرت بالأبواب فأُغلقت فلمّا رأى ذلك قال هل فوق قصركم هذا متوضأ؟ قالت نعم يا جارية إرقي له بوضوء فلمّا رقي جاء إلى ناحية السطح فرأى قصراً مرتفعاً ولا شيء يتعلق به ليرسل نفسه من السطح، فجعل يعاتب نفسه ويقول يا نفس منذ سبعين سنة تطلبين رضاء ربك حريصة عليه في الليل والنهار، ثم جاءتك عشية واحدة تفسد عليك هذا كله؛ أنت والله خائبة إن جاءتك هذه العشية أرسلي نفسك من هذا السطح تموتين فتلقي الله ببقية عملك، فجعل يعاتبها.

قال ﷺ فلمّا تهيأ ليلقي نفسه قال الله سبحانه لجبرائيل عليه السلام يا جبرائيل قال لبيّك ربّي وسعديك، قال عبدي يريد أن يقتل نفسه فراراً من سخطي ومعصيتي فالقه بجناحك لا يصيبه مكروه؛ فبسط جبرائيل عليه السلام جناحه فأخذه بيده ثمَّ وضعه وضع الوالد الرحيم لولده، قال فأتى امرأته وترك القفاف وقد غابت الشمس، فقالت له امرأته أين ثمن القفاف فقال لها ما أصبت لها اليوم ثمناً، فقالت فعلى أي شيء نفطر الليلة قال نصبر ليلتنا هذه، ثمَّ قال لها قومي فاسجري تنورك فإنّا نكره أن يرى جيراننا أننا لم نسجر التنور فإنهم إذا لم يروا أنّا سجرنا التنور اشتغلت قلوبهم بنا، فقامت وسجرت ثمَّ جاءت وقعدت فجاءت امرأة من جيرانها، فقالت يا فلانة هل عندك وقود؟ فقالت نعم أدخلي وخذي من التنور؛ فدخلت ثمَّ خرجت فقالت يا فلانة

ما لي أراك جالسة تتحدّثين مع فلان يعني زوجها وقد نضج خبزك في التنور يريد أن يحترق؛ فقامت فإذا التنور محشوّ خبزاً نقيّاً فجعلته في جفنة ثمَّ جاءت به إلى زوجها، فقالت له إنّ ربك لم يصنع بك هذا إلاّ وأنت عليه كريم فادع الله أن يبسط علينا بقيّة عمرنا في معاشنا، قال لها تصبري على هذا فلم تزل به حتّى قال نعم أفعل فقام في جوف الليل يصلّي ودعا الله تعالى، وقال اللهمَّ إنّ زوجتي قد سألتني فأعطها ما تتوسع به في بقيّة عمرها فانفرج السقف فنزلت إليه كف عليها ياقوتة بيضاء أضاء لها البيت كما يضيء الشمع، فغمز رجلها وكانت نائمة فقال لها إجلسي وخذي ما سألت فقالت لا تعجل كنت قد رأيت في المنام كأني أنظر إلى كراسي مصفوفة من ذهب مكلّل بالياقوت والزبرجد فيها ثلمة، فقلت لمن هذا قالوا هذا مجلس زوجك فقلت فمم هذه الثلمة فقالوا من اشتغاله بدعاء استجابة ما سألته منه فما لي حاجة في شيء أثلم عليك مجلسك ادع ربك فدعا ربه فرجع الكف.

وقد نقل في بعض التفاسير أنّ رابعة العدوية قالت دخلت ذات يوم على عتبة وهو فيما هو فيه من الزهد والعبادة؛ فقلت له كيف بدء توبتك، قال إني كنت في حداثتي مولعاً بالنساء، وكان يهواني بالبصرة أكثر من ألف امرأة، فخرجت ذات يوم فإذا أنا بامرأة لا يتبين منها غير عينيها فكأنما قدحت من قلبي ناراً، وكلّمتها فلم تكلّمني، فقلت لها ويحك أنا عتبة الّذي تعشقني أكثر نساء البصرة وأُكلّمك فلا تكلّميني، قالت فما الّذي تريد مني، قلت أجيء إلى ضيافتك، قالت يا هذا أنا مغطّاة فكيف أحببتني؟ قلت لها إنّ عينيك قد افتتناني قالت صدقت إني غفلت عنهما فتعال إلى منزلي لتنال حاجتك، فذهبت معها حتّى أدخلتني داراً ما رأيت فيها شيئاً من الأثاث، فقلت لها ما لي أرى الدار فارغة فقالت حوّلنا القماش عنها إلى الدار التي قال الله عزّوجلّ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

إيّاك أن تبيع الجنّة بالدنيا والحوريات بالآدميات؛ فقلت لها دعيني من هذه التقوى واقضي حاجتي، فقالت ولا بد من ذلك فقلت نعم فدخلت إلى بيت آخر وتركتني فإذا في البيت الآخر عجوز؛ فصاحت الصبية إلى العجوز وقالت لها ائتيني بكوز فيه ماء أتوضأ فتوضأت وصلت إلى نصف الليل وأنا متفكّر، فقالت للعجوز أعطيني طبقاً وقطعة قطن فقدمت ذلك إليها، وبعد ساعة صاحت العجوز وقالت إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، فنظرت فإذا الجارية قد

قلعت عينيها جميعاً وقد طرحتهما على قطعة القطن في الطبق والعينان يلعبان في الشحم، فخرجت العجوز بهما إلي وقالت خذ ما كنت تعشقهما لا بارك الله لك فيهما، لقد حيّرتنا حيّرك الله كانت هذه الصبيّة تخرج وتشتري وتبيع لنا ونحن عشرة نسوة في هذه المحلة فقد حيرتنا حيّرك الله فلمّا سمعت كلام العجوز غشي علي ومرّت علي تلك الليلة وأنا أُفكر فلمّا أصبحت حملت إلى منزلي وبقيت في منزلي أربعين يوماً عليلا فكان هذا سبب توبتي.

وفيه أن زليخا قعدت على ممر يوسف فلمّا أخبرتها جاريتها بدنوّه منها قالت يا يوسف بحق الّذي أعزك وأذلّني أن تقف ساعة ولا تغيب عني، فقال: يا زليخا أين مالك وجمالك؟ قالت ذهبا في سبيلك؛ قال وأين عينك؟ قالت ذهبت في البكاء عليك قال وأين عشقك؟ قالت في صدري كما كان، فقال فأين برهانك؟ قالت ناولني سوطك فناولها إيّاه فتأوّهت ونفخت فيه فاحترق السوط بنفسها، فألقاه يوسف من يده وصرف عنان الفرس فراراً، فقالت يا يوسف إنّك بدعوى الرجولية لم تكن مثل المرأة فإني حفظت تلك النّار في صدري منذ أربعين سنة ولم أنهزم كانهزامك.

وفي أخبارنا عن الأئمّة عليهم السلام أن زليخا أرادت أن تقف يوماً على طريق يوسف تشكو إليه الحاجة فقالوا لها إنّك فعلت ما فعلت معه ونحن نخاف عليك منه، فقالت زليخا لكنّي لا أخاف منه لأنّه رأيته يخاف الله وأنا لا أخاف من يخاف الله؛ فوقفت على طريقه فلمّا قرب منها قالت يا يوسف الحمد لله الّذي جعل العبيد بطاعتهم له ملوكاً وجعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، فوقف لها يوسف عليه السلام وقال لها ما حملك على الأمر الّذي أردته منّي؟ قالت حسنك وجمالك وأنّه ليس كان في مصر مثلي في الحسن وكان زوجي عنّيناً؛ فقال لها يوسف عليه السلام يا زليخا كيف لو رأيت نبيّاً يكون في آخر الزمان اسمه محمّد صلى الله عليه وآله أحسن مني وجهاً وأسمح كفاً فقالت آمنت بذلك النّبي وصدقت به، فقال كيف تؤمنين به ولم تريه قالت لأنك لمّا ذكرت اسمه وقع حبه في قلبي، فأوحى الله سبحانه جبرائيل عليه السلام إلى يوسف عليه السلام لمّا صدقت زليخا بنبييّ ولم تره أعطيتها ما تسأل، فقال لها يوسف عليه السلام يا زليخا هذا جبرائيل عليه السلام يقول اسألي ما أردت؛ قالت أسأل خصالاً ثلاثاً: الأولى أنّ يرجع إليّ شبابي، الثانية أن تكون أنت زوجي؛ الثالثة أن أكون معك في الجنّة فمسح جبرائيل عليه السلام جناحه عليها فصارت إلى شبابها، فزوّجها جبرائيل عليه السلام يوسف عليه السلام، وفي الجنّة تكون معه وهذا عاقبة الصبر عن الزنا وهو الوصول إلى المطلوب حلالاً.

وروي أن مؤذناً لعليّ عليه السلام كان يدخل منزله فرأى فيه خادمة فهواها وكلّما التقى معها قال أصبر إلى أن يحكم الله لي وهو خير الحاكمين، ثمَّ إنّ الخادمة أتت عليّاً عليه السلام وأخبرته بهوى المؤذّن إيّاها، فقال لها عليه السلام ما قال لك قالت كلما رآني قال أصبر حتّى يحكم الله؛ فطلبه عليّ عليه السلام قال يا فلان الآن حكم الله فزوّجها إيّاه فاستمتع منها حلالاً.

وفي رواية أن رجلاً عشق جارية لجاره فأتى مولانا الصادق عليه السلام فأخبره، فقال له قل كلّما رأيتها اللهمَّ إنّي اسألك من فضلك فكان يكرر هذا الكلام فبعد مدّة أراد مولى الجارية السفر فأتى إلى ذلك الرجل ليودعه إيّاها، فقال يا فلان أنا عزب وجاريتك ما أُحبّ أن تبقى عندي؛ فقال أُقوّمها عليك بقيمة فتنال منها حلالاً، فإذا قدمت من سفري أنت مخيّر بين أن تعطيني الثمن أو الجارية، فدفعها واستمتع منها ثمَّ إنّ الخليفة احتاج إلى جوارٍ فوصفت له الجارية بعد مدّة؛ فدفع مالاً جزيلاً إلى ذلك الرجل وباعها من الخليفة، ثمَّ لمّا قدم صاحبها دفع الرجل ذلك المال إليه فقال يا أخي ما آخذ منك إلّا القيمة التي قوّمتها عليك، وهذا كلّه مالك فأخذه، فانظر إلى عاقبة الصبر كيف استفاد منه التمتّع بالجارية والمال.

ومن هذا الباب ما رواه صاحب الروضة قال كان رجل من أهل بيت المقدّس ورد إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حسن الشباب مليح الصورة، فزار حجرة النبيّ صلى الله عليه وآله وقصد المسجد ولم يزل ملازماً له مشتغلاً بالعبادة صائم النهار قائم الليل، وذلك في زمان خلافة عمر بن الخطّاب حتّى كان أعبد الناس، والخلق يتمنّى أن يكون مثله وكان عمر يأتي ويسأله أن يكلّفه حاجة فيقول له المقدسي الحاجة إلى الله؛ ولم يزل كذلك حتّى عزم النّاس على الحجّ فجاء إلى عمر بن الخطّاب وقال يا أبا حفص إنّي قد عزمت على الحجّ ومعي وديعة أُحبّ أن تستودعها منّي إلى حين عودي من الحجّ، فقال عمر هات الوديعة فأحضر الشابّ حقاً من عاج عليه قفل من حديد مختوم بخاتم الشابّ فتسلّمه وخرج الشاب مع الوفد، وخرج عمر إلى مقدّم الوفد وقال له أُوصيك بهذا المقدسي خيراً، فرجع عمر وكان في الوفد امرأة من أهل الشام فما زالت تلاحظ المقدسي وتنزل بقربه حيث نزل؛ فلمّا كان في بعض الأيام دنت منه وقالت له يا شاب إنّي والله أرق لهذا الجسم الناعم المترف كيف يلبس الصوف؛ فقال لها يا هذه جسم يأكله الدود ومصيره التراب هذا له كثير، فقالت إنّي

أخاف على هذا الوجه المضيء كيف تشعثه الشمس، فقال لها يا هذه اتّقي الله وكفّي فقد أشغلتني بكلامك عن عبادة ربّي، فقالت له لي إليك حاجة فإن قضيتها فلا كلام وإن لم تقضها فما أنا بتاركتك حتّى تقضيها، فقال لها وما حاجتك؟ قالت له حاجتي أن تواقعني فزجرها وخوّفها من الله عزّ وجلّ فلم يردعها ذلك، قالت والله إن لم تفعل ما آمرك به لأرمينّك بداهية من دواهي النّساء ومكرها فلا تنجو منها، فلم يلتفت إليها ولم يعبأ بكلامها فلمّا كان في بعض الليالي وقد سهر أكثر ليله من عبادة ربّه؛ ثمَّ رقد في آخر الليل وغلب عليه النوم فأتته وتحت رأسه مزادة فيها زاده فانتزعتها من تحت رأسه وطرحت فيها كيساً فيه خمسمائة دينار، ثمَّ أعادتها تحت رأسه فلمّا ثور الوفد قامت الملعونة من نومها وقالت أنا بالله وبالوفد مستجيرة، وأنا امرأة مسكينة وقد سرق مالي ونفقتي وأنا بالله وبكم؛ فجلس المقدم على الوفد وأمر رجلاً من الأنصار ورجلاً من المهاجرين أن يفتّشا الفريقين ففتّشا فلم يجدا شيئاً، ولم يبق من الوفد رجل إلاّ وقد فتّش رحله غير المقدّسي فأخبروا مقدم الوفد بذلك؛ فقالت الملعونة يا قوم ما ضرّكم لو فتّشتموه فله أسوة بالمهاجرين والأنصار، وما يدريكم أن يكون ظاهره مليحاً وباطنه قبيحاً ولم تزل بهم حتّى حملتهم على تفتيش رحله، فقصده جماعة من الوفد وهو قائم يصلّي فلمّا رآهم أقبل إليهم فقال ما بالكم وما حاجتكم؟ فقالوا له هذه الامرأة الشامية ذكرت أنّه سرق نفقتها وقد فتّشنا رحل الوفد بأجمعه ولم يبق منهم غيرك ونحن لا نتقدم إلى رحلك إلاّ بإذنك، لما سبق من وصيّة عمر في حقك، فقال لهم يا قوم ما يضرني ذلك ففتّشوا ما أحببتم وهو واثق من نفسه؛ فأوّل ما نفضوا المزادة التي فيها زاده وقع منها الهميان، فصاحت الملعونة الله أكبر هذا والله كيسي ومالي فيه كذا وكذا دينار وفيه عقد لؤلؤ وزنه كذا وكذا مثقال فنظروا فوجدوه كما قالت فمالوا عليه بالضرب الموجع والسبّ والشتم، وهو لا يردّ جواباً فسلسلوه وقادوه إلى مكّة راجلاً، فقال لهم يا وفد الله بحقّ هذا البيت الحرام إلّا ما تصدّقتم عليّ وتركتموني حتّى أقضي الحجّ وأُشهد الله ورسوله على أنّي إذا قضيت الحجّ رجعت إليكم؛ فأوقع الله الرحمة في قلوبهم فأطلقوه فلمّا قضى مناسكه وما عليه من الحجّ والفرائض عاد إلى القوم، وقال لهم ها أنا عدت إليكم فافعلوا بي ما تريدون فقال بعضهم لبعض لو أراد المفارقة لما عاد إليكم فاتركوه، فتركوه ورجع الوفد طالباً مدينة النبيّ ﷺ فأعوزت تلك المرأة الملعونة الزاد في الطريق فوجدت

راعياً فطلبت منه الزاد فقال لها عندي ما تريدين غير أنّي لا أبيعه؛ فإن أردت أن تمكّنيني من نفسك أعطيتك ففعلت وأخذت منه زاداً.

فلمّا انحرفت عنه اعترض لها إبليس فقال لها يا فلانة أنت حامل فقالت ممّن فقال لها من الرّاعي فقالت فصاحت وا فضيحتاه، فقال لا تخافي إذا رجعت إلى الوفد فقولي لهم إنّي سمعت قراءة المقدسيّ فقربت منه، فلمّا غلبني النوم دنا منّي وواقعني ولم أتمكّن من الدفاع عن نفسي وقد حملت منه وأنا امرأة من الأنصار وخلفي جماعة؛ ففعلت الملعونة ما أشار إليها إبليس فلم يشكّوا في قولها لما عاينوا من وجود الكيس في رحله فعكفوا على الشابّ المقدّسي، وقالوا يا هذا ما كفاك السرقة حتّى فسقت فأوجعوه ضرباً وشتماً وسبّاً وأعادوه إلى السلسلة وهو لا يردّ جواباً، فلمّا قربوا من المدينة على مشرّفه وآله السلام خرج عمر بن الخطّاب ومعه جماعة من المسلمين للقاء الوفد؛ فلمّا قرب من الوفد لم يكن له همّة إلاّ السؤال عن المقدسيّ، فقالوا له يا أبا حفص ما أغفلك عن المقدسيّ فقد سرق وفسق وقصّوا عليه القصّة، فأمر بإحضاره بين يديه فأتوا به وهو مسلسل فقال له يا ويلك يا مقدّسي تظهر بخلاف ما تبطن حتّى سرقت وفضحك الله تعالى، والله لأُنكلنّ بك أشدّ النكال وهو لا يردّ جواباً، واجتمع النّاس ينظرون ماذا يفعل به فبينما هم كذلك وإذا بالنور قد سطع، فتأمّلوه فإذا هو عيبة علم النبوّة عليّ بن أبي طالب عليه أفضل الصّلاة والسلام فقال ما هذا الرهج في مسجد رسول الله ﷺ؟ فقالوا يا أمير المؤمنين إنّ الشابّ المقدسيّ الزاهد سرق وفسق، فقال عليه السلام والله ما سرق ولا فسق ولا حجّ أحد غيره، فلمّا أخبروا عمر بذلك قام قائماً على قدميه وأجلسه موضعه؛ فنظر إلى الشابّ المقدسيّ وهو مسلسل مطرق إلى الأرض والامرأة قاعدة.

فقال أمير المؤمنين محل (حلاّل خ) المشكلات وكاشف الكربات يا ويلك قصّي عليّ قصّتك فأنا باب مدينة العلم، فقالت يا أمير المؤمنين إنّ هذا الشابّ سرق مالي وقد شاهده الوفد في مزادته وما كفاه ذلك حتّى كنت ليلة من الليالي قريبة منه فاستغرّني بقراءته واستنامني فوثب إليّ وواقعني، وما تمكّنت من المدافعة عن نفسي خوفاً من الفضيحة وقد حملت منه فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام كذبت يا ملعونة فيما ادعيت ثمّ قال يا أبا حفص إنّ الشابّ مجبوب ليس له إحليل وإحليله في حقّ من عاج، ثم قال عليه السلام يا مقدسيّ أين الحقّ فرفع المقدسيّ رأسه وقال له يا عليّ من يعلم ذلك يعلم أين الحقّ؛ فألتفت عليّ عليه السلام إلى عمر وقال له يا أبا حفص قم هات

وديعة الشابّ، فأرسل عمر فأحضر الحق بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام فأمر بفتحه ففتحوه فإذا فيه خرقة حرير وفيها إحليل الشاب فعند ذلك قال الإمام عليه السلام يا مقدسي قم فقام فقال: جرّدوه من ثيابه لتنظروا وتتحقّقوا من اتهامه بالفسق، فجرّدوه من أثوابه فإذا هو مجبوب، فعند ذلك ضجّ النّاس بالتكبير، فقال لهم الإمام عليه السلام اسكتوا واسمعوا منّي حكومة أخبرني بها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم قال ويلك يا ملعونة فقد تجرّأت على الله ألم تأتي إليه وقلت له كيت وكيت فلم يجبك إلى ذلك، فقلت له والله لأرمينّك بحيلة من حيل النساء لا تنجو منها أبداً، فقالت بلى يا أمير المؤمنين قد كان ذلك، ثمَّ قال عليه السلام فأتيته وهو نائم فوضعت الكيس في مزادته فقرّي فقالت نعم يا أمير المؤمنين فقال اشهدوا عليها ثمَّ قال عليه السلام : حملك هذا من الرّاعي الّذي طلبت منه الزاد فقال أنا لا أبيع الزاد ولكن مكّنيني من نفسك وخذي حاجتك، ففعلت ذلك وأخذت الزاد وهو كذا وكذا، فقالت صدقت يا أمير المؤمنين فضجّ العالم فسكّتهم أمير المؤمنين عليه السلام . وقال لها لمّا خرجت عن الرّاعي عرض لك شيخ صفته كذا وكذا فناداك وقال لك يا فلانة إنّك حامل من الرّاعي فصرخت وقلت وا فضيحتاه، فقال لا بأس عليك قولي للوفد: إنّ المقدسيّ استنامني وواقعني وقد حملت منه فيصدقونك لما ظهر لهم من سرقته ففعلت ما قال لك الشيخ، فقالت نعم فقال لها عليه السلام أتعرفين ذلك الشيخ فقالت لا قال هو إبليس لعنة الله عليه فتعجّب النّاس من ذلك، فقال عمر يا أبا الحسن ما تريد أن تفعل بها قال يحفر لها في مقابر اليهود وتدفن إلى نصفها وترمى بالحجارة، ففعل بها ذلك كما أمر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام [1] وأما المقدسيّ فإنه لم يزل ملازماً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن قبض رحمه الله فعند ذلك قام عمر وهو يقول لولا عليّ لهلك عمر؛ ثمّ انصرف النّاس وقد تعجبوا من حكومة عليّ عليه السلام .

ومن ذلك ما رواه الصدوق بإسناده إلى الدوسي قال دخل معاذ بن جبل على

---

(١) في هامش بعض النسخ المطبوعة ما هذا لفظه: (المشهور في كتب علمائنا رضي الله عنهم في نقل هذه الحكاية هو إنّ عمر أمر برجمها وزجره أمير المؤمنين عليه السلام وقال إن كان لك التسلط عليها فلا تسلط لك على ما في بطنها فقال فما أفعل فقال عليه السلام أنظرها إلى أن تضع ما في بطنها وترضعه اللبأ ثم ائمر برجمها فقبل ذلك وقال لولا عليّ لهلك عمر والصحيح إنّما هو هذا لا ما في المتن كما هو ظاهر للمتأمل وأيضاً المذكور في الكتاب مخالف لما ذكره علماؤنا رضوان الله عليهم في عدة مواضع لكن الأمر فيها سهل.

رسول الله ﷺ باكياً فسلّم فردّ عليه السلام ثمَّ قال ما يبكيك يا معاذ قال يا رسول الله إنّ بالباب شاباً طريّ الخدّ نقيّ اللون حسن الصورة يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدخول عليك، فقال النبيّ ﷺ أدخل عليّ الشابّ يا معاذ، فأدخله عليه فسلّم على النبيّ ﷺ فردّ عليه السلام ثمَّ قال ما يبكيك يا شابّ؟ قال كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله عزّ وجلّ ببعضها أدخلني نار جهنّم ولا أراني إلاّ وسيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً فقال رسول الله ﷺ هل أشركت بالله شيئاً؟ قال أعوذ بالله أن أشرك بربّي شيئاً، قال اقتلت النفس التي حرّم الله عليك؟ فقال لا فقال النبيّ ﷺ يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي، قال الشابّ فإنّها أعظم من الجبال الرواسي، قال النبيّ ﷺ يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها واشجارها وما فيها من الخلق فقال الشابّ وإنّها اعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها واشجارها وما فيها من الخلق فقال النبيّ ﷺ يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسي فقال وإنّها اعظم من ذلك.

قال فنظر النبيّ ﷺ إليه كهيئة الغضبان ثمَّ قال ويحك يا شاب ذنوبك اعظم أم ربّك فخرّ الشاب على وجهه وهو يقول سبحان الله ربّي ما شيء اعظم من ربّي، ربّي اعظم يا نبيّ الله من كلّ عظيم، فقال النبيّ ﷺ فهل يغفر الذنب العظيم إلاّ الربّ العظيم فقال الشاب لا والله يا رسول الله؛ ثم سكت الشاب فقال النبيّ ﷺ ويحك يا شابّ ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟ قال: بلى أُخبرك. إنّي كنت أنبش القبور سنين وأُخرج الموتى وأنزع الأكفان عنهم، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار فلمّا حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها وجنّ عليها الليل أتيت قبرها فنبشتها ثمَّ استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها، وتركتها مجرّدة على شفير قبرها ومضيت منصرفاً فأتاني الشيطان فأقبل يزيّنها ويقول أما ترى بطنها وبياضها، أما ترى وركيها فلم يزل يقول لي هكذا حتّى رجعت إليها ولم أملك نفسي حتّى جامعتها وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول يا شابّ ويل لك من ديّان يوم الدين يوم يقفني وإيّاك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى ونزعتني من حفرتي وسلبت أكفاني وتركتني أقوم جنبة إلى حسابي فويل لشبابك من النار، فما أظنّ أنّي أشم ريح الجنّة ابداً فما ترى لي يا رسول الله.

فقال النبيّ ﷺ تنح عني يا فاسق إنّي أخاف أن أحترق بنارك فما أقربك من

النار، ثمَّ لم يزل ﷺ يقول ويشير إليه حتّى أمعن من بين يديه فذهب فأتى المدينة فتزوّد منها وخرج وأتى بعض جبالها فتعبّد فيها ولبس مسحاً وغلّ يديه جميعاً إلى عنقه ونادى يا ربّ هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول، يا ربّ أنت الّذي تعرفني زلّ مني ما تعلم يا ربي وسيدي إنّي اصبحت من النادمين وأتيت نبيّك تائباً فطردني وزادني خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لا تخيّب رجائي سيّدي ولا تبطل دعائي ولا تقنطني من رحمتك؛ فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة ويبكي له السباع والوحوش؛ فلمّا تمّت أربعون يوماً وليلة رفع يديه إلى السّماء وقال اللهم ما فعلت في حاجتي إن كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي فأوحِ إلى نبيّك عليه السلام، وإن لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وأردت عقوبتي فعجّل بنار تحرقني أو عقوبة في الدنيا تهلكني وخلصني من فضيحة يوم القيامة، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيّه ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ [آل عمران: ١٣٥] يعني الزنا، ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، يعني بارتكاب ذنب اعظم من الزنا وهو نبش القبور وأخذ الأكفان؛ ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٥]؛ يقول خافوا فعجّلوا التوبة، ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]؛ يقول الله عزّ وجلّ أتاك عبدي يا محمّد تائباً فطردته فأين يذهب وإلى من يقصد ومن يسأل أن يغفر له ذنباً غيري، ثمّ قال عزّ وجلّ : ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، يقول لم يقيموا على الزنا ونبش القبور وأخذ الأكفان، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويتبسّم، فقال لأصحابه من يدلّني على ذلك الشابّ التائب، قال معاذ أنا أدلّك عليه يا رسول الله بلغنا أنّه في موضع كذا وكذا فمضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتّى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشابّ، فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يداه إلى عنقه قد اسودّ وجهه وتساقطت أشفار عينيه من البكاء، وهو يقول قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتي فليت شعري ماذا تريد بي أفي نارك تحرقني أم في جوارك تسكنني، ويقول اللهمَّ إنّك قد أكثرت الإحسان إليّ وأنعمت عليّ فليت شعري ماذا يكون آخر أمري إلى الجنّة تزفني أم إلى النّار تسوقني، اللهمَّ خطيئتي أعظم من السماوات والأرض ومن كرسيّك الواسع العظيم وعرشك العظيم فليت شعري تغفر لي خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة؛ فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحثو

التراب على رأسه وقد أحاطت به السباع وصفّت فوق رأسه الطير وهم يبكون لبكائه، فدنا رسول الله ﷺ فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه وقال يا بهلول أبشر فإنّك عتيق الله من النّار ثمَّ قال لأصحابه هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول؛ ثمَّ تلا ؑ ما أنزل الله عزّ وجلّ فيه وبشّره بالجنّة.

فإن قلت كيف أطمعه النبيّ ﷺ في قبول التوبة أولاً وأنّ ذنبه قابل للغفران وإن كان أثقل من السماوات وما ذكر، ثمَّ لمّا ذكر ذنبه أعرض عن قبول توبته وطرده ومنعه.

قلت يمكن التفصي عن هذا بوجوه: الأوّل أن يكون ذنبه أثقل من الأرضين والسماوات كما ورد في الأخبار من أن بعض الذنوب من الكبائر أثقل من العرش وما تحته كما إنّ بعض الطاعات كذلك فيكون قد أطمعه ﷺ في قبول التوبة، فلمّا رأى عظم ذنبه أعرض عنه.

الثاني: أنّه ؑ إنّما منّاه بالتوبة لظنه أن ذنبه وجرمه من حقوق الله سبحانه فلمّا أظهره كان من حقوق النّاس فلم يكن له ﷺ يد على قبول توبته حتّى قبلها الله سبحانه الثالث: أنّه تهديد وسياسة للأمّة حتّى لا يقدموا على مثل هذه العظائم من الذنوب كما كان دأبه ﷺ؛ فإنّه قد أمر بإحراق البيوت على من لم يحضر صلاة الجماعة معه مع أنّها سنّة وتطوّع وأمثال هذه الحكايات والأخبار كثيرة لا نطول الكتاب بذكرها وكفى به قوله ﷺ من عشق فعفّ فمات دخل الجنّة، وسيأتي لهذا مزيد بيان في نور العاشقين إن شاء الله تعالى.

نور في سلسلة النبوّة والوصاية

روى الصدوق عن الصادق ؑ قال: قال رسول الله ﷺ أنا سيد النبيّين ووصيّي سيّد الوصيّين وأوصياؤه سادة الأوصياء، إنّ آدم ؑ سأل الله عزّ وجلّ أن يجعل له ولياً صالحاً، فأوحى الله تعالى إليه، إنّي أكرمت الأنبياء بالنبوّة ثمَّ اخترت خلقاً فجعلت خيارهم الأوصياء؛ فأوحى الله تعالى ذكره إليه يا آدم أوص إلى شيث وهو هبة الله بن آدم وأوصى شيث إلى ابنه شبان بالشين المثلثة والباء الموحّدة وهو ابن نزلة الحوراء التي أنزلها الله تعالى على آدم من الجنّة فزوّجها ابنه شيثاً، وأوصى شبان إلى محلث بالحاء المهملة والثاء المثلّثة؛ وأوصى محلث إلى محوق بالحاء المهملة والقاف، وأوصى محوق إلى عثميا بالثاء المثلّثة والياء المثنّاة بعد الميم،

وأوصى عثميا على أخنوخ وهو إدريس النبيّ ﷺ وأوصى إدريس إلى ناخور بالنون والخاء المعجمة، ودفعها ناخور إلى نوح عليه السلام وأوصى نوح إلى سام؛ وأوصى سام إلى عثامر بالعين المهملة والثاء المثلّثة والراء أخيراً، وأوصى عثامر إلى برغيثاشا بالغين المعجمة بعدها ياء تحتانيّة وبعد الياء ثاء مثلّثة وآخر الحروف ألف قبلها شين مثلّثة، وأوصى برغيثاشا إلى يافث وأوصى يافث إلى برة وأوصى برة إلى جفشية بالجيم والفاء والشين المعجمة بعدها ياء تحتانية، وأوصى جفشية إلى عمران ودفعها عمران إلى إبراهيم الخليل عليه السلام.

وأوصى إبراهيم عليه السلام إلى ابنه إسماعيل عليه السلام وأوصى إسماعيل عليه السلام إلى إسحاق وأوصى إسحاق إلى يعقوب وأوصى يعقوب إلى يوسف وأوصى يوسف إلى بثريا بالباء الموحّدة والثاء المثلّثة وأوصى بثريا إلى شعيب ودفعها الشعيب إلى موسى بن عمران وأوصى موسى بن عمران عليه السلام إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع بن نون إلى داود وأوصى داود إلى سليمان عليه السلام وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا؛ وأوصى آصف بن برخيا إلى زكريا ودفعها زكريا إلى عيسى بن مريم، وأوصى عيسى بن مريم إلى شمعون بن حمون الصفا وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريّا وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر، وأوصى منذر إلى سليمة وأوصى سليمة إلى بردة، ثمَّ قال رسول الله ﷺ ودفعها إليّ بردة وأنا ادفعها إليك يا عليّ، وأنت تدفعها إلى وصيّك ويدفعها وصيّك إلى أوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد حتّى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك، ولتكفرنّ بك الأمة وليختلفن عليك اختلافاً شديداً والثابت عليك كالمقيم معي والشاذّ عنك في النّار والنار مثوى الكافرين.

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري قال دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها فعددت اثني عشر أحدهم القائم ثلاثة منهم محمد وأربعة منهم عليّ عليهم السلام.

فإن قلت إذا كان أسماء الأئمّة عليهم السلام مكتوباً في لوح فاطمة عليها السلام وفي الدفاتر السماويّة قبل خلق آدم وبعده فما معنى ما روي من قول أبي عبد الله عليه السلام لابنه موسى عليه السلام لمّا مات إسماعيل: ما بدا لله في شيء مثل ما بدا له في إسماعيل، وقوله عليه السلام يا بنيّ أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك عهداً، فإن ظاهرهما كما فهم بعض المحدّثين أن الإمامة كانت في إسماعيل فبدا لله تعالى فيه بمعنى أنّه رفع ذلك

الحكم الثابت فيه، وهو الإمامة إلى غيره وهو موسى عليه السلام [١] قلت ليس معناه ما قالوه بل معناه والله العالم أنّ الشيعة كانت تعتقد أنّ الإمامة في إسماعيل لأنّه أكبر الأولاد، ورووا أنّ الإمامة في الأكبر فلمّا مات إسماعيل زمن أبيه ظهر للشيعة أنّه ليس بإمام فذاك البداء الّذي بدا لله هو في ظاهر الحال عند الشيعة لا في الواقع ونفس الأمر؛ وكذا معنى قوله عليه السلام أحدث فيك عهداً معناه أنّه كشف عن إمامتك للخلائق بعد أن كنت إماماً عنده، ومن كون إسماعيل كان هو الأكبر وكان النّاس يزعمون أنّه الإمام بقي طائفة من الشيعة على ذلك الاعتقاد وقالوا إنّه حي لم يمت وإنّه الإمام بعد أبيه وهم الإسماعيلية، وستأتي مقالتهم إن شاء الله تعالى عند تعداد الفرق الإسلاميّة.

وأمّا قوله عليه السلام في الحديث الأول ودفعها زكريّا إلى عيسى بن مريم إلى قوله يحيى بن زكريّا فهو مناف لمّا اشتهر في الكتب من أن يحيى عليه السلام قتل قبل أبيه، ومن ثمّ ذهب بعض المحقّقين إلى تخطئة المشهور لهذا ولرواية بريد (يزيدظ) الكناسي المذكورة في باب حالات الأئمة عليهم السلام؛ ويمكن أن يقال إن زكريّا بعد دفعها إلى عيسى عليه السلام كان باقياً حتّى قتل يحيى.

وأمّا تاريخ الدنيا من خروج آدم عليه السلام من الجنّة إلى الأرض إلى هذه السنة وهي سنة تأليف هذا الكتاب سنة التاسعة والثمانين بعد الألف فقد ذكر أهل التواريخ أنّ من خروج آدم من الجنّة إلى طوفان نوح ألفين ومئتين وخمسين سنة، ومن نوح إلى إبراهيم ألفاً ومائة واثنين وأربعين سنة ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة وستّة وستّين سنة، ومن موسى إلى داود خمسمائة وتسعين سنة؛ ومن داود إلى عيسى ألفاً وثلاثة وخمسين سنة؛ ومن عيسى إلى محمّد صلى الله عليه وآله ستمائة وستّين سنة وحيث انتهى الحال إلى هنا فلنذكر أعمار بعض الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

فنقول ذكر صاحب كتاب شذور العقود وكتاب مفاتح التنزيل أنّ آدم عليه السلام عاش تسعمائة وثلاثين سنة ولم يمت حتّى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً، وأمّا حواء

---

(١) يظهر من المحقق الطوسي قدس سره أنّه أيضاً فهم من الرواية المذكورة ما فهمه بعض المحدثين منها وقال: (هذه رواية وعندهم - أي عند الإمامية - أن الخبر الواحد لا يوجب علماً ولا عملاً) انظر تلخيص المحصل ويقال له نقد المحصل أيضاً ص ١٨٢ ط مصر سنة ١٣٢٣هـ والمعنى الّذي ذكره المصنف رحمه الله للرواية هو الأولى والله العالم.

فعاشت بعده سنة ودفنت معه؛ وقد ورد في جملة من الأخبار أنّ آدم ونوح ضجيعان لأمير المؤمنين عليه السلام في قبره، وفي قصص الراوندي روي عن الباقر عليه السلام أنّ عمر آدم منذ خلقه الله إلى أن قبضه سبعمائة وست وثلاثون سنة؛ ودفن بمكّة وكان بين آدم ونوح صلوات الله عليهما ألف وخمسمائة سنة، وأما شيث فقد ولد بعد هابيل بخمس سنين ولم يعقب من ولد أبيه غيره وإليه تنتهي سلسلة جميع النّاس وعاش تسعمائة واثنتي عشرة سنة.

وأما إدريس عليه السلام وهو أخنوخ سمّي به لكثرة درسه لكتب الله تعالى فقد رفع إلى السّماء بعد ثلاثمائة وخمس وستّين سنة، وأمّا نوح عليه السلام فقد عاش ألفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة سنة قبل أن يبعث وألف سنة إلاّ خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ومائتا سنة في عمل السفينة وخمسمائة عام بعدما نزل من السفينة، وأمّا هود فقد عاش ثمانمائة وسبعاً، وأمّا صالح وهو من أولاد ثمود فقد توفي بمكّة وعمره ثمانية وخمسون سنة؛ وأما إبراهيم عليه السلام بن تارخ فقد عاش مئة وخمساً وسبعين، وأمّا إسماعيل عليه السلام فقد عاش مئة وعشرين سنة وولد ولأبيه أربع وثمانون وأمّا إسحاق عليه السلام فقد عاش مئة وثمانين وولد ولأبيه مئة سنة، وأمّا يعقوب عليه السلام فعمره مئة وست وأربعون وهو والد الأسباط كلهم، وأما يوسف الصديق عليه السلام فعمره مئة وعشرون سنة، وأمّا لوط عليه السلام فهو أول من آمن بإبراهيم وكان ابن أخته وقيل ابن خالته.

وأمّا شعيب عليه السلام فقد عاش عمراً طويلاً وتزوّج بنت لوط عليه السلام والآن له مدفن قريب بلد شوشتر، وذكر جماعة من أهل التاريخ أنّ عسكر الإسلام لمّا فتح شوشتر أتوا إلى مكان وراءه حجرة مبنيّة وعليها قفل حديد ورأوا رجلاً كبير السنّ خارج تلك الحجرة فسألوه عن أحوال ما في الحجرة فقال إنّ آبائي يخدمون خارج الحجرة ويذكرون أنّ في داخلها شعيب النبيّ، وأنا أخدمها على ذلك الحال ولا رأيت إلى الآن ما في بطن هذه الحجرة، فأتى مقدم العسكر وحلّ الحجرة ودخلها مع جماعة من المسلمين فرأوا سريراً وعليه شيخ شائب وهو ميّت حسن الوجه طريّ الجسد، فكتبوا إلى عمر بن الخطّاب لأنّ الفتح كان زمان خلافته؛ فكتب إليهم أن ادفنوه فدفنوه حيث قبره الآن في قرب بلاد شوشتر، وقد وصلنا إليه مراراً وزرناه، وأمّا أيوب بن الموص فقد تزوج بنت يعقوب وهي التي ضربها بالضغث.

وأمّا موسى بن عمران عليه السلام فقد عاش مئة وستاً وعشرين سنة؛ وأمّا

هارون عليه السلام فعمره مئة وثلاث وثلاثون سنة وتوفي قبل موسى بثلاث سنين، وأمّا يوشع فهو ابن نون بن إبراهيم بن يوسف عليه السلام؛ وأمّا الخضر فهو ابن ملكان بن قالع بن هود، وأمّا يونس فهو ابن متّى المرسل إلى أهل نينوى من أهل الموصل، وأما إلياس فهو من سبط يوشع بن نون؛ وأما اليسع فقد كان تلميذ إلياس عليه السلام ونبّأه الله تعالى، وأمّا ذو الكفل فهو نبيّ بعث قبل عيسى عليه السلام، قيل سمّي بذلك لأنّه كفل سبعين نبياً ونجاهم من العذاب وأمّا طالوت فقد تزوج داود ابنته وسمّي طالوت لطوله، وأمّا داود بن ايشى فعمره مئة وأربعون سنة، وأما سليمان عليه السلام فعمره سبعمائة واثنتا عشرة سنة وملك ثلاثاً وعشرين سنة وأمّا زكريا بن آزر من أولاد داود فعمره تسع وتسعون سنة، وأمّا أرميا فهو الّذي بعثه الله إلى أهل المقدس فكفروا فسلّط الله عليهم بخت النصّر، وأمّا حيقوق فهو نبيّ بعد موسى عليه السلام على دينه.

وأمّا دانيال وعزير فقد أسرهما بخت نصّر فنجّاهما الله تعالى منه ومال دانيال بناحية الشوش ودفن فيها، والشوش بلد كبير في ناحية شوشتر لكنّها هذا الآن من توابع الحويزة وقد خربت وصارت تلّاً من التراب وقد وصلنا إليها مراراً وشاهدنا فيها آثاراً غريبة وأطواراً عجيبة وقبر دانيال عليه السلام قريب منها يتبرّك به النّاس وقد شوهد (شاهدوا خ) له كرامات كثيرة؛ وفي بعض الروايات أن أهل الشوش شكوا إلى أحد المعصومين عليهم السلام كثرة الأمطار فكتب إليهم إن عظام أخي دانيال تحت السّماء والسماء تهطل[1] دموعاً عليه فواروه تحت التراب حتّى تسكن عنكم الأمطار؛ فواروه تحت التراب وقريب من قبره المبارك النهر الّذي حفره شاپور ذو الأكتاف، وقد عمل قريباً من القبر حوض كبير فيه سمك كثير شاهدناها لمّا وصلنا إلى زيارته، وقد ألفت الزائرين حتّى قد كنّا نجلس على جوف النهر ونضع الخبز في أيدينا وتظهر الحيتان من الماء تأكله من أيدينا شيئاً فشيئاً، والشوش في لغة الفرس القديمة اسم للشيء الحسن ولمّا بنوا شوشتر سمّوها بهذا الاسم ومعناه الأحسن يعني أنّها أحسن من الشوش وفي قبته صخرة إذا وقف عليها الإنسان وحرّكها تحركت مستديرة والإنسان فوقها ثمَّ تبقى على الحركة حتّى ينزل الإنسان من فوقها، وأمّا جرجيس فهو من أهل فلسطين بعثه الله بعد المسيح إلى ملك الموصل.

وأمّا خالد بن سنان وهو من العرب فقد بعث بعد عيسى عليه السلام وأمّا حنظلة بن

---

(١) تهطل المطر: نزل متتابعاً عظيم القطر.

صفوان فقد كان في زمن الفترة بين عيسى والنبيّ ﷺ وأمّا ما ورد في الدعاء من قوله عليه السلام اللهمّ صلِّ على الأبدال والأوتاد، فروي عن عليّ عليه السلام أنّ الابدال بالشام وهم الخيار من الناس، قيل إن الأرض لا تخلو من القطب وأربعة أوتاد وأربعين أبدالاً وسبعين نجيباً وثلاثمائة وستين صالحاً، لأنّ الدنيا كالخيمة والمهدي كالعمود وتلك الأربعة اطنابها وقد تكون الأوتاد أكثر من أربعة والأبدال أكثر من أربعين والنجباء أكثر من سبعين والصالحون أكثر من ثلاثمائة وستين، والظّاهر كما قيل إنّ إلياس والخضر عليهما السلام من الأوتاد فهما ملاصقان لدائرة القطب.

وأمّا صفة الأوتاد فهم قوم لا يغفلون عن ربّهم طرفة عين ولا يجمعون من الدنيا إلاّ البلاغ ولا تصدر منهم هفوات البشر ولا يشترط فيهم العصمة من السهو والنسيان بل من فعل القبيح؛ ويشترط ذلك في القطب، وأمّا الأبدال فدون هؤلاء في المرتبة وقد تصدر منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكّر ولا يتعهّدون (يتعاهدون خ) ذنباً؛ وأمّا النجباء فهم دون الأبدال.

وأمّا الصالحون فهم المتّقون الموصوفون بالعدالة؛ وقد يصدر منهم الذنب فيتداركونه بالاستغفار والندم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]؛ قيل إذا نقص أحد من الأوتاد الأربعة وضع بدله من الأربعين وإذا نقص أحد من الأربعين وضع بدله من السبعين، وإذا نقص أحد من الثلاثمئة وستّين وضع بدله من سائر النّاس والله العالم.

نور في مولد النبي ﷺ وعدد أولاده وزوجاته

أمّا النبيّ ﷺ فالمشهور بيننا أنّ مولده الشريف سابع عشر شهر ربيع الأول يوم الجمعة عند طلوع الشمس، وأمّا الجمهور فالمشهور بينهم أن تولده ثاني عشر ذلك الشهر ووافقهم شيخنا الكليني[1] على ذلك، ولعلّ بعض الأخبار الواردة به محمولة على التقيّة، فإن قلت كيف طريق تصحيح قول الكليني طاب ثراه إنّ أمه حملت به في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى، وذلك أنّه يلزم على هذا أن يكون ﷺ بقي في بطن أمه ثلاثة أشهر أو سنة وثلاثة أشهر وعلى التقديرين يكون خارقاً للعادة فيكون

(١) ووافقهم أيضاً من الإمامية علي بن الحسين المسعودي المؤرخ الكبير صاحب مروج الذهب وإثبات الوصية ذلك الكتاب القيم النفيس.

من خصائصه ﷺ مع أنّ العلماء وأهل السير والتواريخ لم يذكروه ولو كان كذلك لنقل البتّة.

قلت ذكر جماعة من مشايخنا قدس الله أرواحهم أنّه مبني على النسيء المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]؛ وذلك أنّ المشركين كانوا يؤخّرون موسم الحجّ فمرة كانوا يحجون في صفر ومرّة أُخرى في محرّم، وهكذا تبعاً لإعتدال الوقت والهواء، وكان حجّهم في سنة تولّده في جمادى الآخرة، ويؤيده ما رواه ابن طاووس في كتاب الإقبال أنّه ﷺ حملت به أمه في ثماني عشر مضت من جمادى الآخرة، ولمّا فتح النبيّ ﷺ مكة كان حجّهم في شهر ذي الحجّة فقال ﷺ الآن دار الزمان كما كان فلا يجوز لأحد تغييره ولا تبديله؛ وقد بقي بمكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة ثمّ هاجر إلى المدينة ومكث بها عشر سنين ثمّ قبض لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل يوم الاثنين(١) وقال الكفعمي وجماعة إنّ وفاته ﷺ لليلتين بقيتا من صفر.

وأمّا نسبه الطاهر فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلّب واسمه شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة، بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش، بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، روي عنه ﷺ أنه قال إذا بلغ نسبي عدنان فأمسكوا، وروي عن أم سلمة زوجة النبيّ ﷺ قالت سمعت النبيّ ﷺ يقول معد بن عدنان بن ادد بن زيد بن ثرا بن أعراق الثرى، قالت أمّ سلمة زيد هميسع وثرانبت وأعراق الثرى إسماعيل بن إبراهيم، ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩].

ذكر الشيخ أبو جعفر بن بابويه عدنان بن اد بن ادد بن زيد بن تعدد (يقدد خ) بن تعدم (تقدم خ) بن الهميسع بن نبت بن قيدار بن إسماعيل، وقيل إنّ الأصحّ الّذي اعتمد عليه أكثر النساب وأصحاب التواريخ أنّ عدنان هو ابن اد بن ادد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارغون بن بالغ بن عابر وهو هود النبيّ عليه السلام، بن

(١) هذا هو المشهور عند جمهور العامة وأمّا الإمامية فالمشهور بينهم أنّه توفي ﷺ في الثامن والعشرين من شهر صفر.

شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام بن يارد (مارد خ) بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام .

وأمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف، وأمّا جدّته أمّ أبيه فهي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وأمّ عبد المطلب سلمى بنت عمر من بني النجّار، وأم هاشم عاتكة بنت مرّة بن هلال من بني سليم، وصدع بالرسالة يوم السابع والعشرين من رجب وله يومئذ أربعون سنة، وقبض يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة كذا في إعلام الورى، وذكر أيضاً أنّه عاش ثلاثاً وستين سنة منها مع أبيه سنتين وأربعة اشهر ومع جده عبد المطلب ثماني سنين ثمَّ كفله عمّه أبو طالب بعد وفاة جده عبد المطلب، وذكر محمّد بن إسحاق أن أباه عبد الله مات وأمه حبلى، وقيل أيضاً إنّه مات والنبيّ ﷺ ابن سبعة اشهر، وذكر ابن إسحاق أنّ آمنة توفّيت والنبيّ ﷺ ابن ستّ سنين وهذا لم نتحققه، روي عن ربدة، قال انتهى النبيّ ﷺ إلى رسم قبر فجلس وجلس النّاس حوله فجعل يحرّك رأسه كالمخاطب ثمَّ بكى، فقيل ما يبكيك يا رسول الله؟ قال هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربّي في أن أزور قبرها فأذن لي فأدركتني رقّتها فبكيت، فما رأيت أكثر باكياً من تلك الساعة.

وتزوج خديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة، وتوفّي عمّه أبو طالب وله ستّ وأربعون سنة وثمانية اشهر وأربعة وعشرون يوماً، وتوفيت خديجة بعده بثلاثة أيام وسمّى رسول الله ﷺ ذلك العام عام الحزن، وأقام بمكّة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة ثمَّ هاجر منها إلى المدينة بعد أن استتر في الغار ثلاثة أيّام؛ ودخل المدينة يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الأوّل وبقي بها عشر سنين ثمَّ قبض ﷺ؛ وسببه أنّ امرأة يهودية طلبته للضيافة وقدمت إليه سخلة مسمومة، فلمّا مدّ يده ليأكل تكلّمت السخلة وقالت أنا مسمومة فلا تأكل منّي، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له ﷺ قل بسم الله وكل أنت وأصحابك فسمّوا (فسمّى خ) وأكلوا وبعده أمرهم جبرائيل عليه السلام بالحجامة فاحتجموا، وكان في كلّ سنة تطلع الجراحات في بدنه الشريف من آثار ذلك السمّ حتّى أنّه مات بذلك السمّ ليكون له ثواب الشهادة، وقيل إنّها أهدت إليه كراعاً مسموماً لأنّه كان يحبّ أكل الكراع، وذلك أنّ آدم عليه السلام قرّب قرباناً عن الأنبياء وسمّي لكل نبيّ عضواً من تلك الشاة فسمّى للنبيّ ﷺ

الكراع ومن ذلك كان يكثر أكله؛ وقال ﷺ ما زالت تلك الأكلة معي حتّى قطعت أنياط قلبي؛ ومن هنا قال عليه السلام ما منّا إلاّ قتيل أو مسموم.

وأمّا أزواجه ﷺ فأوّل امرأة تزوّجها خديجة بنت خويلد وكانت قبله[1] عند عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له جارية، ثمَّ تزوّجها أبو هالة الأسدي فولدت له هند بن أبي هالة، ثمَّ تزوّجها رسول الله ﷺ وربّى ابنها هنداً، فأول ما حملت وولدت عبد الله بن محمّد وهو الطيّب الطاهر وولدت له القاسم وقيل إن القاسم أكبر ولده وكان يكنى به والناس يغلطون فيقولون ولد له منها أربع بنين، القاسم وعبد الله والطيّب والطاهر وإنّما ولدت له ابنين وأربع بنات زينب ورقيّة وأمّ كلثوم وفاطمة، فأمّا زينب بنت رسول الله ﷺ فتزوّجها أبو العاص بن الربيع في الجاهلية فولدت له جارية اسمها أمامة تزوجها عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة فاطمة عليها السلام ؛ وقتل أمير المؤمنين عليه السلام وعنده أُمامة فخلَف عليها بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وماتت زينب بالمدينة لسبع سنين من الهجرة.

وأما رقيّة فتزوّجها عتبة بن أبي لهب فطلّقها قبل أن يدخل بها ولحقها منه أذى فقال النبيّ ﷺ اللهمَّ سلّط على عتبة كلباً من كلابك فتناوله الأسد من بين أصحابه، وتزوّجها بعده بالمدينة عثمان بن عفّان فولدت له عبد الله ومات صغيراً نقره ديك على عينيه فمرض ومات، وتوفّيت بالمدينة زمان بدر فتخلّف عثمان على دفنها ومنعه ذلك أن يشهد بدراً وقد كان عثمان هاجر إلى الحبشة ومعه رقيّة، وأمّا أم كلثوم فتزوّجها أيضاً عثمان بعد أختها رقيّة وتوفّيت عنده، وذلك أنّه ضربها ضرباً مبرحاً فماتت منه وقد تقدّم اختلاف أصحابنا رضوان الله عليهم في أن رقيّة وأمّ كلثوم هل هما ربيبتاه ﷺ أم ابنتاه والحال عندنا لا يتفاوت لأنّ عثمان في زمان النبيّ ﷺ كان مظهراً للإسلام وكان النبيّ ﷺ يريد تأليف قلوبهم ودخول الإسلام إليها؛ فكان يلاطفهم بأنواع اللطائف من الأموال والمناكحات وغيرها.

وأمّا فاطمة عليها السلام فالأظهر في روايات أصحابنا رضوان الله عليهم أنّها ولدت سنة خمس من المبعث بمكّة في العشرين من جمادى الآخرة وأنّ النبيّ ﷺ قبض ولها ثماني عشرة سنة وسبعة اشهر، وروي عن جابر بن يزيد قال سأل الباقر عليه السلام كم عاشت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله ﷺ؟ قال أربعة اشهر، وتوفّيت ولها ثلاث

---

(١) انظر إلى التعليقة التي كتبنا في صفحة ٨٦ في الهامش من هذا الكتاب.

وعشرون سنة وهذا قريب مما روته العامة، وذكر أبو سعيد الواعظ أنّ جميع أولاد رسول الله ﷺ ولدوا قبل الإسلام إلاّ فاطمة وإبراهيم؛ وأمّا إبراهيم فهو من مارية القبطيّة ولد بالمدينة سنة ثمان من الهجرة ومات بها وله سنة وستّة اشهر وأيام وقبره بالبقيع.

والثانية التي تزوجها سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران بن عمرو فمات عنها بالحبشة مسلماً؛ والثالثة عائشة بنت أبي بكر تزوّجها بمكّة وهي بنت سبع ولم يتزوّج بكراً غيرها ودخل بها وهي بنت تسع لسبعة اشهر من مقدمه المدينة وبقيت إلى خلافة معاوية لعنه الله؛ والرابعة أمّ شريك التي وهبت نفسها للنبيّ ﷺ واسمها عرنة بنت دودان بن عوف، وكانت قبله عند أبي العكر بن سميّ الأزدي فولدت له شريكاً؛ والخامسة حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها لمّا مات زوجها خنيس السهمي، وكان رسول الله ﷺ قد وجّهه إلى كسرى فمات ولا عقب له وماتت بالمدينة في خلافة عثمان، والسادسة أم حبيبة بنت أبي سفيان واسمها رملة وكانت تحت عبيد الله بن جحش الأسدي، والسابعة أمّ سلمة وهي بنت عمته عاتكة بنت عبد المطّلب.

والثامنة زينب بنت جحش وهي بنت عمّته ميمونة بنت عبد المطّلب وكانت قبله عند زيد بن حارثة وهي التي ذكرها الله سبحانه في كتابه، والتاسعة زينب بنت خزيمة الهلاليّة من ولد عبد مناف، وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث وكانت يقال لها أمّ المساكين، والعاشرة ميمونة بنت الحارث وكانت قبله عند أبي مرّة العامريّ، والحادية عشرة جويرية بنت الحارث من بني المصطلق سباها فأعتقها وتزوّجها، والثانية عشرة صفيّة بنت حيّ من خيبر اصطفاها لنفسه من الغنيمة ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها؛ وهذه اثنتا عشرة امرأة دخل بهنّ.

وقد تزوّج صلوات الله عليه وآله عالية بنت ظبيان وطلّقها حين دخلت عليه وتزوّج ابنة قيس فمات قبل أن يدخل بها، وتزوّج فاطمة بنت ضحّاك وخيّرها حين نزلت عليه آية التخيير فاختارت الدنيا وفارقها (قته خ) وكانت بعد ذلك تلتقط البعرة وتقول أنا الشقيّة اخترت الدنيا، وتزوج سنا بنت الصلب فماتت قبل أن تدخل عليه، وتزوج اسماء بنت النعمان فلمّا أُدخلت عليه قالت أعوذ بالله منك؛ فقال الحقي بأهلك وكان بعض أزواجه علّمتها ذلك فطلّقها ولم يدخل بها، وتزوّج المليكة الليثيّة فلمّا دخل عليها قال لها هبي لي نفسك؛ فقالت وهل تهب المليكة نفسها فألحقها بأهلها،

وتزوّج عمرة بنت يزيد فرأى بها بياضاً فقال دلّستم عليّ فردّها، وتزوج ليلى بنت الحطيم فقالت أقلني فأقالها.

وخطب امرأة من بني مرّة فقال أبوها إنّ بها برصاً ولم يكن بها فرجع فإذا هي برصاء، وخطب امرأة فوصفها أبوها ثمّ قال وأزيدك أنّها لم تمرض قطّ فقال ﷺ ما لهذه عند الله من خير، وقيل إنّه تزوّجها فلمّا قال ذلك أبوها طلقها؛ فهذه إحدى وعشرون امرأة ومات عن عشر واحدة منهنّ لم يدخل بها؛ وقيل عن تسع: عائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وزينب بنت جحش وميمونة وصفيّة وجويرية وسودة؛ وكانت سودة قد وهبت ليلتها لعائشة حين أراد طلاقها وقالت لا رغبة لي في الرجال وإنّما أريد أن أُحشر في أزواجك.

وأمّا مواليه ﷺ فزيد بن حارثة وكان لخديجة اشتراه لها حكيم بن حزام بأربعمائة درهم؛ فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه وزوّجه أمّ أيمن؛ فولدت له أسامة فتبنّاه رسول الله ﷺ فكان يدعى زيد بن رسول الله حتّى أنزل الله ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]؛ وأبو رافع اسمه أسلم وكان العبّاس وهبه له، فلمّا أسلم العبّاس بشّر أبو رافع النبيّ ﷺ بإسلامه فأعتقه وزوّجه سلمى مولاته، فولدت له عبيد الله بن أبي رافع فلم يزل كاتباً لأمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته، وسفينة واسمه رياح اشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، وثوبان من حمير اشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه، ويسار وكان عبداً نوبيّاً أعتقه رسول الله ﷺ، وشقران واسمه صالح، وأبو كبشة واسمه سليمان، وأبو ضميرة أعتقه وكتب له كتاباً فهو في يد ولده ومدغم وأبو مويهبة وأنيسة وفضالة وطهان وأبو أيمن، وأبو هند وأنجشة وصالح وأبو سلمى وأبو عسيب وأبو عبيد، وأفلح ورويقع وأبو لقيط وأبو رافع الأصغر ويسار الأكبر وكركرة ورياح وأبو لبابة وأبو البشير.

وأمّا موالياته فإنّ صاحب الإسكندرية أهدى إليه جاريتين إحداهما مارية القبطيّة ولدت له إبراهيم ووهب الأُخرى لحسّان بن ثابت، وأمّ أيمن خاصة النبيّ ﷺ وكانت سوداء ورثها من أمّه، وكان اسمها بركة فأعتقها وزوّجها عبيد الله الخزرجي بمكّة، فولدت له أيمن فمات زوجها فزوّجها النبيّ ﷺ من زيد، فولدت له أسامة أسود يشبهها فأسامة وأيمن أخوان لأُم وريحانه بنت شمعون غنمها من قريظة؛ وأمّا خدمه من الأحرار فأنس بن مالك وهند وأسماء ابنتا خارجة.

نور في بعض أحوال الأئمة عليهم السلام

أمّا إمام الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام فولد بمكّة في البيت الحرام[١] يوم الجمعة ثالث عشر من شهر الله الأصمّ رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، ولم يولد في بيت الله قطّ غيره، ولقبه أمير المؤمنين ولم يجوّز أصحابنا أن يطلق هذا اللفظ لغيره من الأئمّة عليهم السلام [٢] وقالوا أنّه انفرد بهذا اللقب ولا يجوز أن يشاركه في ذلك غيره كما سبق وقبض عليه السلام ليلة الجمعة لتسع بقين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، وأمّا أولاده عليه السلام فهم سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى، الحسن والحسين عليهما السلام، وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكنّاة بأم كلثوم أمّهم فاطمة البتول، ومحمّد المكنّى بأبي القاسم أمّه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفيّة، والعبّاس وجعفر وعثمان وعبد الله الشهداء مع أخيهم بكربلاء أمّهم بنت البنين بن خزام[٣] وكان العبّاس يكنّى أبا قربة لحمله الماء لأخيه الحسين عليه السلام وقتل وله أربع وثلاثون سنة؛ وعمر ورقيّة أمّهما أم حبيب بن ربيعة[٤] وكانا توأمين، ومحمّد الأصغر المكنّى بأبي بكر وعبيد الله الشهيدان مع أخيهما الحسين عليه السلام أمّهما ليلى بنت مسعود الدارميّة، ويحيى أمّه أسماء بنت عميس الخثعمية وتوفّي صغيراً قبل أبيه، وأخوته لأمّه عبد الله ومحمّد وعون أبناء جعفر بن أبي طالب، ومحمّد بن أبي بكر، وأمّ الحسن ورملة أمّهما أمّ سعد بنت عروة بن مسعود الثقفي؛ ونفيسة وهي أمّ كلثوم الصغرى وزينب الصغرى ورقية الصغرى وأمّ هانيء وأمّ الكرام والجمانة المكنّاة بأمّ جعفر وأمامة وأمّ سلمة وميمونة وخديجة وفاطمة لأُمّهات أولاد شتّى.

---

(١) هذا هو المعروف بين المسلمين لا شك فيه لأحد.

(٢) وقد صنف السيّد رضي الدين بن طاووس الحسني قدس سره كتاباً في اختصاص هذا اللقب الشريف لأمير المؤمنين عليه السلام وسماه كتاب اليقين طبع في النجف الأشرف سنة (١٣٦٩هـ) أورد فيه الأخبار الكثيرة بطرق الشيعة والسنّة في إثبات ذلك فراجع.

(٣) هكذا وقعت العبارة فيما وقفنا عليه من نسخ الكتاب المطبوعة والمخطوطة ولكن من المعلوم إنّ فيها غلطاً وتصحيفاً فإن أمّ العباس عليه السلام هي فاطمة المكناة بأم البنين بنت حزام من بني كلاب ويلقب العباس عليه السلام بالسقاء وكانت زوجته عليها السلام لبابة بنت عبيد الله بن العباس عم النبي صلى الله عليه وآله.

(٤) كذا في النسخ وهو غلط والصحيح أمّ حبيب بنت ربيعة قال الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد: وعمر ورقية كانا توأمين أمهما أمّ حبيب بنت ربيعة.

وأعقب عليه السلام من خمسة بنين الحسن والحسين ومحمّد وعبّاس وعمر؛ وقد مرّ أن فاطمة عليها السلام أسقطت بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ذكراً وقد سمّاه النبيّ صلى الله عليه وآله محسناً، وقد سبق سبب إسقاطها له وهو ضرب غلام ذلك الرجل الخيّر لها، وكونه ضغط بطنها على الباب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، فعلى هذا يكون أولاده عليه السلام ثمانية وعشرين ولدا؛ أمّا زينب الكبرى[١] بنت فاطمة البتول فتزوّجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وولد له منها عليّ وجعفر وعون الأكبر وأم كلثوم أولاد عبد الله بن جعفر؛ وأمّا أم كلثوم التي تزوجها عمر فقد مرّ تحقيق معنى ذلك التزويج، وأمّا رقيّة بنت عليّ عليه السلام فكانت عند مسلم بن عقيل فولدت له عبد الله قتل بالطفّ وعليّاً ابني مسلم، وأمّا زينب الصغرى فكانت عند محمّد بن عقيل[٢] فولدت له عبد الله وفيه العقب من ولد عقيل.

وأما أمّ هانىء فكانت عند عبد الله الأكبر بن عقيل بن أبي طالب فولدت له محمّداً قتل بالطفّ وعبد الرحمن؛ وأمّا ميمونة فكانت عند عبد الله الأكبر بن عقيل بن أبي طالب فولدت له عقيلاً، وأمّا نفيسة فكانت عند عبد الله الأكبر بن عقيل فولدت له أمّ عقيل، وأمّا زينب الصغرى فكانت عند عبد الرحمن بن عقيل فولدت له سعداً وعقيلاً، وأمّا فاطمة بنت علي عليه السلام فكانت عند أبي سعيد بن عقيل فولدت له حميدة، وأمّا أمامة بنت علي عليه السلام فكانت عند الصلت بن عبد الله بن نوفل بن الحارث.

وأمّا الحسن الزكيّ الطيّب الطاهر فقد ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وكنيته أبو محمّد وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وله سبع سنين واشهر

---

(١) في تاريخ وفاتها ومحل دفنها خلاف ذكرناه في تعاليقنا على الفردوس الأعلى انظر ص ٢٤ ط ٢ تبريز.

(٢) ولمسلم سلام الله عليه بنت اسمها حميدة أمها أمّ كلثوم الصغرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام وحيث لا يصح الجمع بين الاختين فلا بد من فراق إحداهما أو موتها وما يقال أن اسم بنت مسلم (خديجة) لا وجه له وتزوج حميدة ابن عمها وابن خالتها عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب وأمه زينب الصغرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام وكان شيخاً جليلاً محدثاً فقيهاً عده الشيخ الطوسي من رجال الإمام الصادق عليه السلام وجزم الترمذي بصدقه ووثاقته وخرج حديثه في جامعه كما احتج به أحمد بن حنبل والبخاري وأبو داود وابن ماجة القزويني مات سنة (١٤٢) وولدت حميدة محمداً اعقب من خمسة القاسم وعقيل وعلي وطاهر وإبراهيم انظر عمدة الطالب ص ١٦ - ١٧ ط النجف وتهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٥.

وقيل ثماني سنين وقام بالأمر بعد أبيه وله سبع وثلاثون سنة؛ وأقام في خلافته ستّة اشهر وثلاثة أيام ووقع الصلح بينه وبين معاوية لعنه الله في سنة إحدى وأربعين، وإنّما هادنه عليه السلام خوفاً على نفسه إذ كتب جماعة من رؤساء أصحابه بالسرّ إليه بالطاعة وضمنوا له تسليمه إليه عند دنوّهم من عسكره، ولم يكن منهم من يؤمن غائلته إلاّ خاصّة من شيعته لا يقومون بأجناد الشام، وكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح وبعث بكتب أصحابه إليه فصالحه وشرط الحسن عليه السلام شروطاً؛ وما وفى معاوية بواحد منها فخرج الحسن عليه السلام إلى المدينة وأقام بها عشر سنين ومضى إلى رحمة الله تعالى لليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة وله سبع وأربعون سنة واشهر مسموماً، سمّته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس وكان معاوية لعنه الله قد دسّ إليها من حملها على ذلك وضمن لها أن يزوّجها من يزيد؛ وأوصل إليها مئة ألف درهم فسقته السمّ، وبقي عليه السلام أربعين يوماً مريضاً وتولّى أخوه الحسين عليه السلام تجهيزه ودفنه عند جدّته فاطمة بنت أسد بالبقيع.

وأما أولاد الحسن عليه السلام فهم ستّة عشر ذكراً وأنثى: زيد بن الحسن وأختاه أمّ الحسن وأمّ الحسين أمّهم أمّ بشير بنت أبي مسعود الخزرجية، والحسن بن الحسن أمّه خولة بنت منظور الفزاريّة وعمرو بن الحسن وأخواه عبد الله والقاسم ابنا الحسن عليه السلام قتلا مع الحسين عليه السلام بكربلاء أمّهم أمّ ولد؛ وعبد الرحمن بن الحسن أمّه أمّ ولد والحسين بن الحسن الملقب بالأثرم وأخوه طلحة وأختهما فاطمة أمّهم أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي وأبو بكر قتل مع الحسين عليه السلام وأمّ عبد الله وفاطمة وأمّ سلمة ورقيّة لأمّهات أولاد شتّى وكان زيد بن الحسن عليه السلام يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وكان جليل القدر، ومات وله تسعون سنة وخرج من الدنيا ولم يدّع الإمامة ولا ادعّى له مدّعٍ من الشيعة.

وأمّا الحسن بن الحسن فكان جليلاً فاضلاً وكان يلي صدقات أمير المؤمنين عليه السلام وروي أنّه خطب إلى عمّه الحسين عليه السلام إحدى ابنتيه فقال له الحسين عليه السلام يا بنيّ إختر أحبّهما إليك، فاستحى الحسن فقال الحسين عليه السلام فإنّي قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وكان عبد الله بن الحسن قد زوّجه الحسين عليه السلام ابنته[1] فقتل قبل أن يبني بها.

وأمّا الحسين عليه السلام فمولده بالمدينة يوم الثلاثاء وقيل يوم الخميس لثلاث خلون

(١) وهي سكينة عليها السلام كما صرح به الإمام الطبرسي رحمه الله في إعلام الورى انظر ص ١٢٧.

من شعبان، وقيل لخمس خلون منه سنة أربع من الهجرة؛ وقيل ولد آخر شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث من الهجرة ولم يكن بينه وبين أخيه الحسن عليه السلام إلّا الحمل والحمل ستّة اشهر وعاش عليه السلام سبعاً وخمسين سنة وخمسة اشهر، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين ومع أمير المؤمنين عليه السلام سبعاً وثلاثين سنة، ومع أخيه الحسن عليه السلام سبعاً وأربعين سنة؛ وكانت مدّة خلافته عشر سنين وأشهراً، وقتل صلوات الله عليه يوم عاشوراء يوم الاثنين، وقيل يوم الجمعة سنة إحدى وستين من الهجرة.

وأمّا كيفيّة مقتله فنفرد إن شاء الله تعالى له نوراً في مصائب المؤمنين، وأمّا أولاده عليه السلام فهم ستّة عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام أمه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد بن شهريار، وعليّ الأصغر أمّه ليلى بنت أبي مرّة بن مسعود الثقفيّة؛ وجعفر بن الحسين وأمّه قضاعيّة وماتَ في زمن أبيه ولا عقب له، وعبد الله قتل مع أبيه صغيراً وهو في حجره وسكينة بنت الحسين وأمّها الرباب بنت امرىء القيس بن عدي، وفاطمة بنت الحسين عليه السلام وأمّها أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله.

واعلم أنّه قد وقع الخلاف بين علمائنا رضوان الله عليهم في عليّ المقتول في واقعة الطفوف هل هو عليّ الأصغر أو عليّ الأكبر، فذهب شيخنا الشهيد رحمه الله في الدروس وابن إدريس في سرائره والكفعمي في مصباحه إلى أن المقتول مع أبيه هو عليّ الأكبر الّذي أمّه ليلى بنت أبي مرّة، وهو أوّل قتيل في الواقعة وولد في امارة عثمان؛ وذهب جماعة ومنهم صاحب إعلام الورى إلى أن المقتول هو عليّ الأصغر وهو ابن الثقفية؛ وأنّ عليّ الأكبر هو زين العابدين عليه السلام أمّه شهر بانو بنت كسرى؛ قال محمّد بن إدريس والأولى الرجوع إلى أهل هذه الصناعة السابقين وأهل السير والتواريخ مثل الزبير بن بكار وأبي الفرج الإصفهاني والبلاذري والمزني والعمري وابن قتيبة والطبري وأبي الأزهري والدينوري، وصاحب كتاب الأنوار وهؤلاء كلّهم اتّفقوا على أن المقتول المدفون مع أبيه هو عليّ الأكبر الّذي أمّه الثقفية، ولا فائدة تبنى على مثل هذا الخلاف سوى الاطلاع على أحوالهم عليهم السلام ؛ وأمّا القائم على باب الحسين عليه السلام فهو رشيد الهجري.

وأما سيّد الساجدين وزين العابدين عليه السلام فيكنّى بأبي محمّد وأبي القاسم، ومن ألقابه عليه السلام ذو الثفنات وذلك أن موضع السجود منه كان كنقرة البعير من كثرة السجود. ولد بالمدينة يوم الجمعة ويقال يوم الخميس في النصف من جمادى

الآخرة وقيل لتسع خلون من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، وقيل سنة ستّ وثلاثين، وفي إعلام الورى أنّ علياً عليه السلام ولّى حريث بن جابر الحنفي جانباً من بلاد المشرق فبعث إليه بابنتي يزدجرد بن شهريار، فنحل ابنه الحسين عليه السلام إحداهما فأولدها زين العابدين عليه السلام، ونحل أُخرى محمّد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن محمّد بن أبي بكر فهما ابنا خالة وتوفّي صلوات الله عليه يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرّم سنة خمس وتسعين من الهجرة، وكانت مدّة امامته بعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة، ومات وله سبع وخمسون سنة، وكان في أيام إمامته عليه السلام بقيّة ملك يزيد بن معاوية وملك معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان وتوفّي في زمان ملك الوليد بن عبد الملك وقد مات مسموماً سمّه هشام بن عبد الملك لعنه الله تعالى.

وأما أولاده عليه السلام فهم خمسة عشر ولداً: محمّد الباقر عليه السلام أمّه أمّ عبد الله فاطمة بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأبو الحسين زيد وعمر أمهما أمّ ولد، وعبد الله والحسن والحسين أمّهم أمّ ولد، والحسين الأصغر وعبد الرحمن وسليمان لأم ولد وعليّ كان اصغر ولده عليه السلام وخديجة أمّهما أمّ ولد ومحمد الاصغر أمّه أمّ ولد، وفاطمة وعليّة وأم كلثوم، وكان زيد بن علي بن الحسين أفضل أخوته بعد أخيه الباقر عليه السلام؛ وكان عابداً ورعاً سخيّاً شجاعاً وظهر بالسيف يطلب ثارات الحسين عليه السلام؛ ويدعو إلى الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله فظنّ النّاس أنّه يريد بذلك نفسه؛ وجاءت الرواية أن سبب خروجه بعد الّذي ذكرناه أنّه دخل عليه السلام على هشام بن عبد الملك وقد جمع هشام أهل الشام أن يتضايقوا له في المجلس حتّى لا يتمكن من الوصول إلى قربه، فقال له زيد إنّه ليس من عباد الله أحد فوق أن يوصي بتقوى الله؛ ولا من عباده أحد دون أن لا يوصى بتقوى الله وأنا أُوصيك بتقوى الله يا هشام فاتقه، فقال له هشام أنت المؤهل نفسك للخلافة وما أنت وذاك لا أمّ لك وإنما أنت ابن أمة، فقال له زيد إنّي لا أعلم أحداً اعظم منزلة عند الله من نبيّ وهو ابن أمة، فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعثه وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام؛ فالنبوّة اعظم منزلة عند الله أم الخلافة؟ وبعد فما يقصر برجل أبوه (جدّه ظ) رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فوثب هشام عن مجلسه ودعا قهرمانه وقال لا يبيتنّ هذا في عسكري، فخرج زيد وهو يقول إنّه لم يكره قوم قط حرّ السيوف إلاّ ذلّوا؛ وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة، وكان سنّه يوم قتل اثنين وأربعين سنة.

وأمّا الإمام باقر العلوم عليه السلام فمولده بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة يوم الجمعة غرَّة شهر رجب، وقيل الثالث من صفر، وقبض عليه السلام سنة أربع عشرة ومئة في ذي الحجّة؛ وقيل في شهر ربيع الأوّل وقد تمّ عمره سبعاً وخمسين سنة، ومات مسموماً سمّه أيضاً هشام بن عبد الملك في وقت ملكه، أمّه أمّ عبد الله فاطمة بنت الحسن عليه السلام فهو هاشميّ من هاشميين علويّ من علويّين؛ وقبره بالبقيع إلى جانب أبيه زين العابدين عليه السلام، عاش مع جدّه الحسين عليه السلام أربع سنين، ومع أبيه تسعاً وثلاثين سنة، وكانت مدة إمامته ثماني عشرة سنة، وكان في أيّام إمامته بقيّة ملك الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك وتوفي في ملكه، وأمّا أولاده عليه السلام فهم سبعة: أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وكان يكنّى به، وعبد الله بن محمد وأمّهما أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، وإبراهيم وعبيد الله وأمّهما أمّ حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية، وعليّ وزينب لأمّ ولد، وأمّ سلمة لأم ولد وقيل إنّ لأبي جعفر عليه السلام ابنة واحدة فقط هي أمّ سلمة واسمها زينب.

وأمّا الصادق عليه السلام فولد بالمدينة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، ومضى عليه السلام في النصف من رجب ويقال في شوّال سنة ثمان وأربعين ومئة وله خمس وستّون سنة، أقام منها مع أبيه وجدّه اثنتي عشرة سنة، وبعد أبيه أيّام إمامته أربعاً وثلاثين سنة، وكان في أيام امامته بقية ملك هشام بن عبد الملك وملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك وملك يزيد بن الوليد بن عبد الملك وملك إبراهيم بن الوليد وملك مروان بن محمّد الحمار؛ ثمّ صارت المسودة من أهل خراسان مع أبي مسلم الخراساني سنة اثنتين وثلاثين ومئة، فملك أبو العبّاس عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس الملقب بالسّفاح أربع سنين وثمانية اشهر، ثمّ ملك أخوه أبو جعفر الملقّب بالمنصور إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً، وتوفي الصادق عليه السلام بعد عشر سنين من ملكه قد سمّه بعنب ودفن بالبقيع.

وأمّا أولاده عليه السلام فهم عشرة: إسماعيل وعبد الله وأمّ فروة أمّهم فاطمة بنت الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب؛ وموسى وإسحاق وفاطمة ومحمّد لأمّ ولد اسمها حميدة البربرية، والعبّاس وعليّ وأسماء لأمّهات أولاد شتى. أمّا إسماعيل فكان أكبر إخوته فمات في حياة أبيه بالعريض وحمل على رقاب الرجال إلى المدينة حتّى دفن بالبقيع وروي أنّ أبا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً وتقدّم سريره بغير حذاء ولا رداء وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه

مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانّين خلافته من بعده، وإزالة الشبهة عنهم في حياته ولمّا مات إسماعيل انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظن ذلك؛ وأقام على حياته طائفة ممّن لم يكونوا من خواصّ أبيه بل كانوا من الاباعد، ولمّا مات الصادق عليه السلام انتقل جماعة منهم إلى القول بامامة موسى بن جعفر عليه السلام، وافترق الباقون منهم فريقين فريق منهم رجعوا عن حياة إسماعيل وقالوا بإمامة ابنه محمّد بن إسماعيل لظنّهم أنّ الإمامة كانت في أبيه وأنّ الابن أحقّ بمقام الأب من الأخ، وفريق منهم ثبتوا على حياة إسماعيل وهذان الفريقان يسميان الإسماعيليّة.

وأمّا عبد الله بن جعفر فإنّه كان أكبر أخوته بعد إسماعيل ولم يكن له منزلة عند أبيه وكان متّهماً بالخلاف على أبيه في الاعتقاد، وادّعى الإمامة بعد وفاة أبيه فاتبعه جماعة ورجع أكثرهم إلى القول بإمامة موسى عليه السلام لمّا ظهر عندهم براهين إمامته، ولم يبق إلاّ طائفة يسيرة تسمّى الفطحيّة وذلك لأنّ عبد الله كان أفطح الرجلين، أو لأنّ داعيهم إلى ذلك رجل اسمه عبد الله بن أفطح؛ وأمّا محمّد بن جعفر فكان يرى رأي الزيديّة في الخروج بالسيف، وكان سخيّاً شجاعاً وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويذبح كلّ يوم كبشاً للضيافة، وخرج على المأمون سنة تسع وتسعين ومئة فخرج لقتاله عيسى الجلودي فهزم أصحابه وأخذه وأنفذه إلى المأمون، فوصله وأكرمه وكان مقيماً معه بخراسان، وأمّا إسحاق بن جعفر فكان ورعاً فاضلاً مجتهداً وكان يقول بإمامة أخيه موسى بن جعفر عليه السلام .

وأمّا عليّ بن جعفر فكان من الورع بمكان لا يداني فيه وكذلك من الفضل ولزم أخاه موسى بن جعفر عليه السلام وقال بإمامته وإمامة الرضا والجواد عليهما السلام، وكان إذا رأى الجواد مع الصبيان يقوم إليه من المسجد من بين جماعة الشيعة وينكبّ على أقدامه ويمسح شيبه على تراب رجليه ويقول قد رأى الله هذا الصبيّ أهلاً للإمامة فجعله إماماً ولم يرَ شيبتي هذه أهلاً للإمامة لأنّ جماعة من الشيعة(١) كانوا يقولون له أنت إمام فادّعِ الإمامة وكان لا يقبل منهم قولاً وروي أنّ الجواد عليه السلام كان إذا أراد أن يفصد لأخذ الدم يقول عليّ بن جعفر للفصاد تعال افصدني حتّى اذوق حرارة

---

(١) والظاهر أن هذه الجماعة كانوا من العوام ولا يفهمون ما يقولون فان منصب الإمامة والخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يثبت بالادعاء بل بنص من الله تعالى بواسطة رسوله صلى الله عليه وآله كما هو محقق في محله ومعلوم من مذهب الإمامية ويدل عليه الأدلة الأربعة.

الحديد قبل الجواد عليه السلام ، وأمّا من كان ملازماً لباب الصادق عليه السلام فهو المفضّل بن عمر ومن هذا قال المفيد طاب ثراه في إرشاده إنّ المفضّل من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاصّته وبطانته وثقاته من الفقهاء الصّالحين، وأكثر أصحابنا من أهل الرجال ضعّفوه بإرتفاع القول وبموافقة أخباره لأخبار الغلاة.

يستفاد من كلام ابن طاووس والمفيد وجماعة من القدماء أنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا يخصّون بعض الشيعة بأسرار الأحاديث ولم يحدّثوا بها غيرهم لعدم احتمال الغير لها ، فإذا حدّث الخواصّ بتلك الأحاديث ردّت عليهم واتّهموا في روايتها ونسبوا إلى ارتفاع القول والغلوّ، وإلى أنّها أحاديث اختلقوها حيث إنّه لم يشاركهم في نقلها من الأئمّة عليهم السلام غيرهم؛ كمحمد بن سنان والمفضل بن عمر ونحوهما من الأبواب فقد ذمه قوم بما مدحه له آخرون، وكم من فرق بين المذهبين[1] وقد حققنا المقام في كتاب كشف الأسرار في شرح الاستبصَار والله الموفق للصواب.

وأمّا الكاظم عليه السلام فقد ولد بالأبواء وهو منزل بين مكّة والمدينة لسبع خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومئة. وقبض عليه السلام [2] ببغداد في حبس السنديّ بن شاهك لخمس بقين من رجب وقيل لسبع خلون من رجب سنة ثلاث وثمانين ومئة؛ وله

---

(١) والحق في ذلك مع المادحين ومع رئيس المذهب وركنه الأكبر الشيخ المفيد رحمه الله ومفضل بن عمر ومحمد بن سنان وأمثالهما من الثقات ولا ريب أنهما من اعاظم الشيعة ولا ينبغي الشك في حقهما وقد اشبع القول والتحقيق في حقهما وحق اضرابهما شيخنا المامقاني قدس سره في تنقيح .لمقال وهو أحسن كتاب وانفس تصنيف وافيده في هذا الموضوع ونسأل الله تعالى أن يوفق ولده النبيل الجليل أخي وصديقي الأعز العلاّمة الحجّة الشيخ محيي الدين المامقاني دام ظله لطبع ذلك السفر النفيس ثانياً بحلة رائعة وطبعة أنيقة مع تهذيب وتنقيح في الجملة وبطرز فني لطيف وانظفه والله الموفق.

(٢) لا شك إنّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سمه هارون الرشيد وما قيل في كيفية وفاته عليه السلام من الأقوال الضعيفة لا يلتفت إليها كبعض الكيفيات المذكورة في الكتب الغير المعتمدة كمؤلفات المولى إسماعيل الواعظ السبزواري رحمه الله وأمثاله وما ذكره في جنات الخلود المؤلف (١١٢٨) في كيفية اخراج نعش الإمام عليه السلام من الحبس بعد وفاته من أنّه حمله (حمال) يعد من متفردات كتاب جنات الخلود والواعظ السبزواري وأمثاله أخذوه من ذلك الكتاب اللهمَّ إلاّ أن يوجد في كتاب يعتمد عليه ولا يعتمد على متفردات كتاب جنات الخلود لعدم الاعتماد على ما ينفرد بنقله من دون بيان مصدر لنقلياته ولصاحب جنات الخلود عند بيان خصائص الصديقة الطاهرة سلام الله عليها كلام منكر وقول قبيح يوجب سلب الوثوق والاعتماد على ما يتفرد بنقله فراجع ولا تغفل.

يومئذ خمس وخمسون سنة، وأمّه أمّ ولد يقال لها حميدة البربريّة، وكنيته أبو الحسن وهو أبو الحسن الأوّل وأبو إبراهيم وأبو عليّ ويعرف بالعبد الصالح، وكانت مدّة إمامته عليه السلام خمساً وثلاثين سنة؛ وقام بالأمر وله عشرون سنة، وكانت في أيّام إمامته بقيّة ملك المنصور أبي جعفر ثمّ ملك ابنه المهدي عشر سنين وشهراً ثمّ ملك ابنه الهادي موسى بن محمّد سنة وشهراً ثمّ ملك هارون بن محمّد الملقّب بالرشيد، واستشهد عليه السلام بعد مضيّ خمس عشرة سنة من ملكه سمّه هارون في رطب، وقيل في طعام قدّمه إليه وقد كان عليه السلام يعلم أنّ هارون يسمّه في الرطبات؛ وكذلك باقي الأئمّة عليهم السلام .

فإن قلت إذا كان الحال على هذا فكيف جاز تناول ذلك الطعام المسموم وهل هذا إلاّ إعانة على النفس والإلقاء بالأيدي إلى التهلكة المنهيّ عن كلّ منهما؛ قلت قد روي عن إبراهيم بن أبي محمود قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام الإمام يعلم متى يموت فقال نعم، قلت حيث بعث إليه يحيى بن خالد بالرطب والريحان المسمومين علم به؟ قال نعم قلت فأكله وهو يعلم فيكون معيناً على نفسه فقال لا، إنّه يعلم قبل ذلك ليتقدم فيما يحتاج إليه فإذا جاء الوقت ألقى الله على قلبه النسيان ليمضي فيه الحكم، وهذا الحديث يكشف عن الشبهة الواردة على كثير من أحوال الأئمّة عليهم السلام التي كانت السبب في موتهم كما لا يخفى، وكفّن بكفن فيه حبرة استعملت بألفي وخمسمائة دينار عليه القرآن كلّه.

وأمّا عدد أولاده عليه السلام فهم سبعة وثلاثون ولداً ذكراً وأنثى: الإمام عليّ الرضا عليه السلام وإبراهيم والعبّاس والقاسم لأُمّهات أولاد، وأحمد ومحمّد وحمزة لأمّ ولد وعبد الله وإسحاق وعبيد الله وزيد والحسين والفضل وسليمان لأمّهات أولاد، وفاطمة الكبرى وفاطمة الصغرى ورقية وحكيمة وأمّ أبيها ورقيّة الصغرى وكلثم وأم جعفر ولبابة وزينب وخديجة وعلية وآمنة وحسنة وبريهة وعائشة وأمّ سلمة وميمونة وأمّ كلثوم، وكان أحمد بن موسى عليه السلام كريماً وكان موسى عليه السلام يحبّه، وكان محمّد بن موسى عليه السلام صالحاً ورعاً وهما مدفونان في شيراز والشيعة تتبرّك بقبورهما وتكثر زيارتهما وقد زرناهما كثيراً[1] وأمّا إبراهيم بن موسى عليه السلام فكان شجاعاً

(١) الأقوال في مدفن أحمد بن موسى عليه السلام مختلفة وقد اشتهر مدفنه بشيراز في عصر اتابك أبو بكر بن سعد بن زنگي المتوفى (٦٥٩هـ) ممدوح الشيخ سعدي الشيرازي الشاعر المشهور وله قبة عالية شاهدتها في سفري إلى بلدة شيراز ولم يكن قبل عصر السلطان المنوه باسمه من =

كريماً؛ وأمّا والد مؤلّف الكتاب عفا الله عنه فهو السيّد عبد الله، ونسبه هكذا نعمة

= مدفنه فيها أثر وقيل وجد جسده (كما في شد الازار) في قبره طرياً لم يتغير وفي يده خاتم نقش عليه (العزة لله أحمد بن موسى) واظن أنّهم زعموا من ذلك النقش أنّه أحمد بن موسى الكاظم عليه السلام واشتهر بعد سنة الألف من الهجرة بلقب (شاه چراغ) وجعل أمثال هذه الألقاب العجمية من الفرس في حق أولاد الائمة عليهم السلام والسادات بعد عدة قرون من زمنهم كثيرة.

وقد انكر المؤرخ النسابة المحقق علي بن زيد البيهقي المعروف بابن فندق المتوفى (٥٦٥هـ) المعاصر مع أسرة اتابك أبو بكر بن سعد في كتابه (لباب الانساب) مخطوط موجود بتبريز كونه مدفوناً بشيراز وقال: (وبعض النسابين يرون قبره ومزاره بشيراز وهذا مشهور من اغلاط العامة.

وادعى هو إنّ قبره باسفراين من ناحية خراسان ولكن لم يتحقق مدعاه أيضاً بحيث تطمئن به النفس وذكر البيهقي خبراً يشبه أن يكون من الموضوعات ومثله ما ذكره صاحب كتاب (آثار العجم) فراجع.

ولسيد الأعيان رحمه الله اشتباه وخلط وخبط في ترجمة أحمد بن موسى عليه السلام في أعيان الشيعة ولا مجال لذكرها. وقال بعض أن أحمد بن موسى عليه السلام مدفون في بلخ والله العالم وقال العلاّمة المامقاني رحمه الله في هامش تنقيح المقال (والعامة ترى أنّه المدفون بجوار أبيه في الصحن الشريف وهو وهم لا منشأ له).

أقول: إني احتمل قوياً أن أحمد بن موسى المدفون بشيراز الّذي اشتهر عند الفرس (بشاه جراغ) هو أحمد بن موسى المبرقع ابن الإمام محمّد التقي ابن الإمام علي الرضا سلام الله عليه وقد صرح الشيخ النسابة المعتمد أبو نصر البخاري في كتابه (سر السلسلة العلوية) - مخطوط - أن أحمد بن موسى المبرقع مدفون بشيراز وقال ما نصه: (وأحمد بن موسى بن محمّد التقي بن علي الرضا عليه السلام مدفون بشيراز مات بها بعد نقله من قم إليها). ولم أقف على من تعرض لهذا الاحتمال الّذي ذكرناه والله الموفق وهو الهادي إلى الصراط السوي.

وأما محمّد العابد ابن موسى عليه السلام فالأقوال في مدفنه أيضاً مختلفة قيل أنّه مدفون بشيراز وقبره أيضاً ظهر في عصر اتابك بن سعد بن زنكي وله مقبرة الآن فيها وقيل أنّه دفن بنواحي يزد وهو مشهور بالكرامات وقيل أنّه دفين قمشة بمقبرة من اصفهان ولشيخنا المجتهد الأكبر المامقاني رحمه الله اشتباه في ترجمة محمد بن موسى عليه السلام في تنقيح المقال ناشئ من الاستعجال في التأليف فراجع ولاحظ أيضاً ترجمة عبد الله بن جعفر بن محمد بن موسى بن جعفر أبي محمّد الدوريستي حتّى تجد صدق ما قلناه.

والسيد محمّد العابد جد عدة من السادات الموسوية وإليه ينتهي نسب آل (الخرسان) القاطنين في النجف الأشرف ويدعي السيّد الجليل السيّد شهاب الدين التبريزي الشهير بالنجفي نزيل قم دام بقاؤه أن نسب سادات (كتابچي) بطهران ينتهي أيضاً إلى السيّد محمّد العابد وكتب لهم مشجراً وطبع في ضمن كتاب الطهارة للفقيه الهمداني رحمه الله ولكن أستاذنا العلاّمة البحاثة =

الله بن السيّد عبد الله بن السيّد محمّد بن السيّد حسين بن السيّد أحمد بن السيّد محمود بن السيّد غياث الدين بن السيّد مجد الدين بن السيّد نور الدين بن السيّد سعد الدين بن السيّد عيسى بن السيّد موسى بن السيّد عبد الله ابن الإمام الهمام موسى الكاظم عليه السلام بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وقد أحسن أبو نواس حيث قال في مدح الرضا عليه السلام :

مطهّرون نقيّات ثيابهم ... تجري الصّلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويّاً حين تنسبه ... فما له من قديم الدهر مفتخر

فأنتم الملأ الأعلى وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

فقال له الرضا عليه السلام : قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد. وقد مدحه حين جعله المأمون وليّ عهده وخطب وضرب الدراهم باسمه وأعطى الشعراء الجوائز على مدحه فمدحوه سوى أبي نواس فعاتبه الخليفة على تركه لمدح الرضا عليه السلام فقال :

= الأكبر المحقق الطهراني النجفي دام ظله - وهو اليوم في الرعيل الأوّل بين المحققين من علماء الإمامية - ينكر اتصال نسب سادات (كتابچي) إلى السيّد مسعود العيشي الّذي ينتهي نسبه إلى السيّد محمّد العابد والحق في ذلك مع أستاذنا المحقق الثقة صاحب الذريعة وطبقات اعلام الشيعة وغيرها من المؤلفات الممتعة المتفق على وثاقته وأمانته وورعه وتقواه والسيد النجفي من حسن ظنه يتسامح في سرد الأنساب ويحكم باتصال حلقات سلاسل السادات بعضهم مع بعض من دون تثبت وتحقيق وتحليل وتنقيب ولا أدري ما الباعث له على ذلك والمرجو من جنابه أنّ لا يقدم على هذا الأمر فإن التسامح في هذه الأمور يفضي إلى فساد عظيم وأمور لا تحمد عقباها وتحامله على أستاذنا العلاّمة الأكبر دام ظله في مقدمة (احقاق الحق) بالكناية والإشارة لا يحط من مقامه الشامخ شيئاً فإنه ليس لأستاذنا المحقق الجليل إلاّ سرد الحقائق الراهنة في الأمور التاريخية وغيرها وليس له المداهنة في هذه الأمور أبداً.

والسادات والشرفاء من آل الخرسان ينكرون اتصال نسب سادات (كتابچي) إلى السيّد مسعود العيشي أشد الإنكار حتّى أن عدم اتصال سلسلة نسب سادات (كتابچي) إليه معلوم العدم عندهم كما في كتب أنسابهم وبما إنّ أهل البيت أدرى بما فيه يركن إلى قولهم ويعتمد على أقوالهم وكتبهم فإنهم أعرف بأولاد جدهم من غيرهم كما حدثني بذلك صديقي العلاّمة المتتبع الخبير السيّد مهدي الخرسان النجفي دام بقاؤه ورزقني الله لقاءه.

قيل لي أنت أوحد النّاس طرّاً في المعاني وفي الكلام النّبيه
لك من جوهر الكلام بديع يثمر الدرّ في يدي مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمّعن فيه
قلت لا أهتدي لمدح إمام كان جبرائيل خادماً لأبيه

وقد كان جدّنا المرحوم ورد إلى الجزائر فبقي فيها والآن له ذراري كثيرة وأولاد وأحفاد كثر الله العلويّن في مشارق الأرض ومغاربها؛ وأمّا بوابه عليه السلام فهو محمّد بن الفضل بن عمرو وهو مجهول الحال في كتب الرجال ولكن كونه من الأبواب ممّا يدلّ على مدحه بل على توثيقه، فيكون حديثه صحيحاً وكثيراً ما أهمل الرجاليّون توثيق من لا يختلج الريب في حسن حاله، وقد ذكرنا وجهه في شرح تهذيب الحديث.

وأما الإمام عليّ الرضا عليه السلام فقد ولد بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومئة من الهجرة ويقال إنّه ولد لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، يوم الجمعة سنة ثلاث وخمسين ومئة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام بخمس سنين وقيل يوم الخميس وأمّه أمّ ولد يقال لها أمّ البنين واسمها نجمة؛ ويقال لها سكن النوبيّة ويقال تكتم وكانت من أشراف العجم، وقد سمّه المأمون لعنه الله في رمّان وعنب وقد غسله ابنه الجواد عليه السلام، أتى إليه من المدينة بطيّ الأرض وهو مريض فأخذ منه علوم الإمامة وجهّزه ثمَّ تركه؛ فلمّا دخل عليه المأمون رآه كأنّه لم يغسل ولم يكفن ولم يصلَّ عليه؛ وله من الأولاد ثلاثة أولاد؛ وأمّا من كان ببابه فهو عمر بن الفرات وقد ذكر أهل الرجال في شأنه أنّه كاتب بغداديّ غال، وهذا أيضاً من ذاك لأنّ وصفه بالغلو لما تقدّم فيكون دليلاً على علو رتبته[١].

وأمّا الإمام أبو جعفر محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام فقد ولد في شهر رمضان سنة خمس وتسعين ومئة لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر، وقيل للنصف من ليلة الجمعة وفي رواية ابن عيّاش ولد يوم الجمعة لعشر خلون من رجب؛ وقبض عليه السلام ببغداد في آخر ذي القعدة سنة عشرين ومائتين، وله يومئذ خمس وعشرون سنة وكانت مدّة خلافته لأبيه سبع عشرة سنة، وكانت في أيام إمامته بقيّة ملك المأمون وقبض عليه السلام في أوّل ملك المعتصم وأمّه أمّ ولد يقال لها خيزران وكانت نوبيّة، ودفن في مقابر

(١) انظر إلى تنقيح المقال ج ٢ ص ٣٤٦ تعرف صدق ما ذكره المصنف رحمه الله.

قريش في ظهر جده موسى عليه السلام، مات مسموماً قد سمّه المعتصم؛ وأمّا وكيل بابه فهو عمر بن الفرات أيضاً وله من الأولاد عليّ ابنه الإمام عليه السلام وموسى؛ ومن البنات حليمة وخديجة وأمّ كلثوم، ويقال إنّه خلف فاطمة وأمامة ابنتيه ولم يخلف غيرهم.

وأمّا الإمام أبو الحسن علي بن محمّد بن عليّ بن موسى عليهم السلام فقد ولد بالمدينة للنصف من ذي الحجّة سنة اثنتي عشرة ومائتين؛ وفي رواية ابن عيّاش يوم الثلاثاء الخامس من رجب وقبض عليه السلام بسرّ من رأى في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين وله يومئذ أحد وأربعون سنة وأشهر، وكانت مدّة إمامته ثلاثاً وثلاثين سنة، وأمّه أمّ ولد يقال لها سمانة، ولقبه النقيّ والعالم والفقيه والأمين والطيّب ويقال له أبو الحسن الثالث، وكانت في أيّام إمامته عليه السلام بقية ملك المعتصم ثمَّ ملك الواثق خمس سنين وسبعة اشهر ثمَّ ملك المتوكّل أربع عشرة سنة ثمَّ ملك ابنه المنتصر ستة اشهر ثمَّ ملك المستعين وهو أحمد بن محمّد بن المعتصم سنتين وتسعة اشهر ثمَّ ملك المعتزّ وهو الزبير بن المتوكّل ثماني سنين وستّة اشهر وفي آخر ملكه استشهد وليّ الله علي بن محمّد سمّه المعتزّ لعنه الله تعالى، وأمّا وكيل بابه فهو عثمان بن سعيد وهو على باب ابنه الحسن وباب صاحب الدار عليهما السلام، وقد وثّقه الأصحاب وأثنوا عليه وله عليه السلام من الأولاد ابنه الحسن عليه السلام الإمام بعده والحسين ومحمّد وجعفر الملقّب بالكذّاب وابنته غالية.

وأما الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقد كان مولده بالمدينة يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وقبض عليه السلام بسرّ من رأى لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل سنة ستّين ومائتين وله يومئذ ثمان وعشرون سنة، أمّه أمّ ولد يقال لها حديثة وكانت مدّة خلافته ستّ سنين ولقبه الهادي والسراج والعسكري عليه السلام؛ وكان هو وأبوه وجدّه يعرف كلّ منهم في زمانه بابن الرضا وكانت في سني إمامته بقيّة ملك المعتزّ أشهراً ثمّ ملك المهتدي أحد عشر شهراً وثمانية وعشرين يوماً ثمَّ ملك أحمد المعتمد على الله ابن جعفر المتوكّل عشرين سنة وأحد عشر شهراً وبعد مضيّ خمس سنين من ملكه سمّه المعتمد ودفن في بيته بسرّ من رأى في البيت الّذي دفن فيه أبوه عليه السلام.

تم الجزء الأوّل من الكتاب والحمد لله أوّلاً وآخراً؛ وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله الطّاهرين.

الفهرس